العدد ٧٩ ـ رمضان ١٤٠٢ هـ ـ يوليه ١٩٨٢ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

ثورة طه حسين على نفسه!



د. محمد جابر الأنصاري

تعالوا نقدّس حرّية الكلمة!

خالد محمد خالد

أغرب قضية يرفعها الحيوان ضد بني آدم!

د. أحمد الحوفي



حوار مع فرانسوا ساجان





جيمس دين وألفيس بريسلي

حياة قصيرة



ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٩ - رمضان ١٤٠٢هـ - يولية ١٩٨٢م

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطري
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
في باقي دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب ٢٤٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
مقابل زاوية دينان وزاوية سيدي سطاس .
ص . ب ٥٦٣ - الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NO. 663
CASABLANCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - نجمة للتوزيع قرب منصور
ص . ب ٤١٠٩ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ شهع المغرب
ص . ب ٤٤٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان
ص . ب ١٩٠٥ - الرياض
مكتبة جدة :
ص . ب ٧٤٠ - جدة
مكتبة ومطبعة خباء .
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٩٦١٤ شط العرب
الكويت

● ليبيا :
الشركة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب ٩٢٦ - طرابلس
فرع بنغازي : ص . ب ٣٢٠ - بنغازي

● الأردن :
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٢٩ - عمان

● البحرين :
دار الغد :
شارع المخرق - بناية العزاري
ص . ب ٥٠٢٠ - المنامة

● سلطنة عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب ١١١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبأ الحاشد للصحافة والاعلان .
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء

الشركة اليمنية للتوزيع
ص . ٧٣٧٠ صنعاء

● جمهورية التبت الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب ٣٢٢٧ - المنطقة الأولى
عدن .

● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - صفرة قلقي بن محمد
ص . ب ٢٩١٠ - ابوظبي

- جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
- الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
- المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أولم تنشر

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

فقيد الأمّة العربيّة والإسلاميّة

واخالداه..

شعر: الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي

فقدت الأمة العربية والاسلامية يوم ١٣ يونيو الماضى قائداً بارزاً من القادة العرب والمسلمين هو جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود.وهذه هى القصيدة التى كتبها الشاعر العربى السعودى الكبير الدكتور غازي القصيبي عن الراحل الكبير .

"واخالداه" !.. وضجّ الجرح في كبدي
فسرت بالجرح.. لا ألوي على أحدِ
يبكون منك - وقد ناحو - على مَلِكٍ
أمّا أنا فبكائي حرقة الولَدِ
يطوف وجهك في روحي فأسأله
بالله قل لي.. أهذي فرقة الأبَدِ ؟!
فأين نظرته بالحب طافحةٌ
كأنما هي بشرىٰ ثَرَّة الرَّغَدِ ؟
وأين بسمته الحسناء هل سقطت
شمس النهار على ليل من الكمدِ؟
"واخالداه" ! يغصّ الشعر من ألمٍ
كما تذوب عيون الشوق من سَهَدِ
ويخطر الموت فوق البيد عاصفة
من الدموع.. فناد الصبر يا بلدي !

• • •

هرعتُ بعدك للذكرى معطَّرةً
بالبشر، صافيةً كالقطر، نَبع دَدِ
وغبت في الأمس علَّ الأمس يسعفني
إذا أفقت ولم أبصرك صُبْحَ غَدِ
فَلُحْتَ لي - وجدار الموت منتصبٌ -
حتى لأوشك شوقاً أن أمدّ يدي
أراك رغم ضباب البَيْن .. يا رَجُلاً
به تزايد مُلكٌ .. وهو لم يزدِ
هل كالبساطة تاجٌ عزَّ لابسه؟
هل كالبراءة عرشٌ ثابت العَمَدِ ؟!

• • •

"واخالداه" ! وعاد الناس.. وانصرفوا
وأنت في القبر لم تبرح.. ولم تَعُدِ !
تبارك الله.. نجري كلنا زُمَرًا
نحو المنون.. ولا يبقى سوى الصَّمدِ
فقل لمن يعشق الدنيا.. أتخطبها
وهي الولودُ.. وغير الموت لم تَلِدِ؟!



في هذا العدد



د . محمد جابر الأنصارى



خالد محمد خالد



عبد الله جفرى



عبد الله الشيتى

لوحة الغلاف الأخير : « مجلس أنس »
للفنان الجزائرى محمد راسم
« التحقيق صفحة ١٠٠ »



● لا تخافوا من غضب الشعراء ... ...
رجاء النقاش ٨

● رسالة « قصـــيدة » ... ...
محمد الفهد العيسى ١٣

● ثورة طه حسين على نفسه ... ...
د . محمد جابر الأنصارى ١٤

● زهـــور « قصـــيدة » ... ...
امـــل دنقل ١٧

● تعالوا نقدس حرية الكلمة ... ...
خالد محمد خالد ١٨

● مارجريت ثاتشر المراة الحديدية ... ...
جمال الكنانى

● هيئتان للفضاء الوسيع ... ...
« قصيدة » حلمى سالم

● وقف التنفيذ روحياً ... ...
عبد الله الجفرى ١٠

● المعداوى بين رشدى صالح وسيد قطب ... ...
محمود الســعدنى ٢٠

● نحن جيل الدربكّة ... ...
د . عبد السلام العجيلى ٢٢

● من فلسطين المصرية إلى فلسطين العربية ... ...
فتحى رضـــوان ٢٤

● قصة العلاقات العربية الهندية ... ...
احمـد العنانى ٢٨

● سيناء ودرب الحـــاج ... ...
درويش الفـــار ٣٠

● فى رحاب السماء « قصيدة » ... ...
محمد بن همام العبد الله ٣١

● التفرقة بين الحب لأهل البيت والانصاف لحقائق التاريخ
اسماعيل الكيلانى ٣٢

● ارتهان الحصان « قصيدة » ... ...
حسن عبد الله القرشي ٣٥

● .. والشعراء الأسبان ايضاً يقفون على الأطلال ... ...
عبد اللطيف عبد الحليم ٣٦

● الميلاد « قصـــة » ... ...
عبد الله الطوخي ٤٠

● ديجول .. والبحث عن العظمة ... ...
محمد العزب موسى ٤٢

● وجهان لعملة واحدة « قصـــيدة » ... ...
عبد المنعم عواد يوسف ٤٩

● جمال المراة في عصر الفنان « رينوار » ... ...
جمال قطب ٥٠

● سر جاذبية الاحجار الكريمة ... ...
نجلاء العزي ٥٢

● لقطات من الكون المثير ٥٦

● عالم الزواحف الخفي ... ...
د . محمد الغباشي ربيع ٥٨

● بين عقول بشرية وعقول اليكترونية ... ...
د . عبد المحسن صالح ٦٢

● رحلة الحياة والموت فى بحر ملون ... ...
صنع الله ابراهيم ٦٧

● الوان البيئة والتراث فى لوحات الفنانين القطريين ...
حسن الملا ٧٦

● كتاب الشهر « حياة قصيرة » ... ...
عرض : صلاح حسن أحمد ٨٣
● ابن جبير : شاهد على عصر صلاح الدين ... ...
كمال النجمي ٩٤
● نحو مهرجان تليفزيوني افضل ... ...
حصة العوضي ٩٨
● محمد راسم : فنان عربي أدهش العالم ... ...
د . نديم خشفه ـ محمد عايش ١٠٠
● من هنا بدأت نهضة المسرح العربي ... ...
نعمان عاشور ١٠٤
● دليل القارىء الذكي الى الكتب الجديدة ... ...
حسني شحادة ١٠٨
● من قضايا التربية المعاصرة ... ...
نبيل خالد الاغا ١١٠
● زبرجدة إلى نزار قباني « قصيدة » ... ...
حسن طلب ١١١
● السينما .. مصنع الاحلام فى المجتمع ... ...
محمد فتحي ١١٢
● هو .. هم .. ! ! « قصة » ... ...
صلاح عبد السيد ١١٥
● الرغيف اليمني : حكاية لها تاريخ وقضية تبحث عن الحل!
زيد محمد حجر ١١٧
● عباس الأسواني .. الضاحك الاخير ... ...
عباس خضر ١٢٠
● دائرة المعارف القرآنية: أصحاب اليمين ... ...
د . محمد البهي ١٢٣
● حوار مع فرانسوا ساجان ... ...
جمال الكناني ١٢٤
● صفحة طريفة من التراث العربي ... ...
د . احمد الحوفي ١٢٨
● العلم هو المستقبل ... ...
تقديم : لبنى الريدي ١٣٠
● فى مهرجان « كان » : « مفقود » الفيلم المفاجأة ، والقصة الحقيقية كما حدثت ... ...
رءوف توفيق ١٣٢
● ضحكات الشهر ... ...
صلاح الليثي ١٣٨
● دوحة القراء ١٤٠
● متفرقات ... ...
عبد الله الشيتي ١٤٦
● دوحة الماضى ... ...
صلاح الدين المقريزي ١٤٧
● الصهد والرحيل « قصة » ... ...
كلثم جبر ١٥٠
● رسائل الى المحرر ١٥٢

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبد القادر حميدة
المدير الفني : أحمد فاضل
المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج : مرزوق بشير
التحرير : النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

إلى الذين يطالبون نزار قباني بالانتحار :

لا تخافوا من غضب الشعراء

بقلم : رجاء النقاش

في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها الأمة العربية ، كنت أود أن يكون حديثي هذا الشهر الى القراء متصلا بالمحنة الراهنة وهي حرب الابادة التي تشنها اسرائيل ضد العرب في لبنان ، ولكنني آثرت أن أواصل حديثي عن « الأمراض » التي يعاني منها المجتمع العربي في المجال الأدبي والفكري ، الذي هو ميدان مجلة « الدوحة » والحقل الذي تعمل فيه ، فهذه الأمراض في تقديري هي التربة التي تنمو فيها سائر المحن التي نتعرض لها ، وهي التي تساهم في خلق التمزق الذي يعاني منه الانسان العربي والمجتمع العربي معاً ، ولو أننا أدركنا خطورة هذه الأمراض ، وواجهناها بالحل الصحيح ، لاستطعنا أن نقف في وجه التحدي الذي نتعرض له ، ويهدد جيلنا الحاضر ، بل وأجيالنا القادمة بالضياع .

ومن الواضح الآن أن هناك طبقة من أصحاب الأقلام في الوطن العربي ممن يحاولون دائماً أن يخلقوا « معارك غير أساسية » تحددها لهم أفكارهم الخاطئة ومشاعرهم المريضة ، والهدف من مثل هذه المعارك المفتعلة واضح تماماً ، فالمطلوب - عند هؤلاء - أن يبتعد المواطن العربي عن التركيز على مشاكله الحقيقية التي يعاني منها أكبر المعاناة .

دعوة إلى الانتحار

ولنترك هذا الحديث العام ، وننتقل منه الى القضية التي نريد أن نطرحها هنا ، فقد قامت بعض الأقلام بشن حملة عنيفة تطالب بطرد الشاعر نزار قباني من مصر بعد أن وصل الشاعر إلى القاهرة وأعلن هناك أنه يفكر في أن تكون مصر واحة يستقر فيها ، فهي بالنسبة له المكان الذي يناسبه كشاعر وانسان ، فقد عرف مصر من قبل وأحبها واطمأن فيها على الدوام ، وهو يختار أن يعود إليها الآن بعد فراق أليم . ولكن الذين هاجموا « الشاعر » بعد وصوله إلى مصر ، جعلوا من أقلامهم سيوفاً وحراباً ، وطلبوا « دم » نزار قباني .. بعضهم تواضع ونادى بطرده من البلاد ، وبعضهم الآخر سارع إلى تحديد هدف مختلف وطريف هو : دعوة نزار إلى الانتحار ، وبالقاء نفسه من شرفة الفندق الذي ينزل فيه ليتحول إلى جسد هامد على شاطىء النيل ، والبعض ، من أصحاب هذه الأقلام ، قرر رفع قضية أمام المحاكم المصرية يطالب فيها بطرد نزار قباني من مصر .

وإذا استطعنا أن نكون موضوعيين وهادئين وأن نكظم ما في نفوسنا من غيظ شديد ، فاننا نتساءل : ماذا يريد أصحاب هذه الأقلام ، ولماذا يطالبون بطرد شاعر عربي يقيم فوق أرض عربية ؟ .. إن هؤلاء المفكرين « البواسل » إنما يريدون معاقبة « نزار قباني » على شعره السياسي الذي كتبه ونشره منذ ١٩٦٧ إلى اليوم ، ففي هذا الشعر ما يدين نزار - من وجهة نظر



نزار قبانى
مطلوب منه ان
يرحل او ينتحر



جمال عبد الناصر
كان يقبل نقد الشعراء بشجاعة
على عكس ما يشاع عنه



شعراوى جمعه
شاهد مسرحية « الفتى مهران »
ولم يوافق على منعها



غازى القصيبى
قصيدة غاضبة عن
محنة بيروت

هؤلاء الكتاب ـ ويجعل منه شخصاً غير مرغوب فيه على أرض مصر .

وتبدأ قصة نزار قبانى وشعره السياسى منذ أن استيقظنا ذات صباح ، فى ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، لنجد أن العرب قد تلقوا ضربة قاصمة من اسرائيل خلال ساعات قليلة ، ولم يبق من القوة العربية يومها سوى اللافتات التى تملأ الشوارع بالتهديد والوعيد ضد اسرائيل ، ثم الاغانى الوطنية والموسيقى العسكرية التى تملأ الاذاعات وقنوات التليفزيون ، حتى صوت احمد سعيد الذى كان يجلجل فى إذاعة صوت العرب بكل الثقة فى النصر واليقين فى أن العدو مهزوم ، مهزوم .. حتى هذا الصوت ، سكت عن الكلام المباح ، وانسحب من الميدان ، ولعله أحس أنه كان يمثل «دوراً» لا علاقة له بالواقع الحقيقى المرير .

ولن نواصل سرد المأساى التى صاحبت هزيمة ٥ يونيو هذه والتى يعرفها الجميع ، من صور القتلى والمشردين فوق رمال سيناء ومن وقوع القدس والضفة الغربية والجولان فى أيدى الغزاة ، ومن الدمار الذى أصاب المدن الثلاث الكبيرة على قناة السويس ، وكانت هذه المدن اشبه بالعرائس الساحرة التى تستحم فى الماء ، فصارت مدناً من الخرائب والأطلال التى لا يسكنها البشر ، هذه هى الصورة التى صاحبت ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ثم عادت الصورة تتكرر فى أرض عربية أخرى فى ٥ يونيو سنة ١٩٨٢ ، حيث قامت اسرائيل بمذبحتها الجديدة فى لبنان ، ولم يكن فى هذه الفترة التى تمتد خمسة عشر عاماً من اللحظات المشرقة التى تحمل بعض الأمل للانسان العربى ، سوى تلك الأيام القليلة الرائعة من عام ١٩٧٣ ، وفيها اتحدت الارادة العربية ، وحققت نصرها الوحيد خلال هذه السنوات الطويلة الممتدة .

فى هذه المحنة العربية المتصلة ماذا يملك الفنان أن يقول ، سوى أن يعبر عن غضبه وألمه وضيقه بالواقع وطموحه إلى خلق واقع جديد مختلف .؟ .. ذلك هو الطريق الوحيد أمام الفنان الصادق ، ليس فى الوطن العربى وحده ، ولكن فى أى مكان من العالم يمر بظروف مشابهة ، وعند أى فنان له قيمة ، ولديه ضمير وطنى وإنسانى سليم .

ونترك قضية نزار قبانى قليلا ، لنقول إنه على مدى العصور المختلفة كان الشعراء العظام دائماً هم الشعراء الغاضبون ، فالأدب أساساً ـ كما يقول اندريه جيد ـ « يأخذ قيمته الحقيقية وتأثيره الباقى من الغضب والتمرد وقوة الأدب هى قوة المعارضة فيه ، والفنان العظيم هو بالضرورة ذو شخصية تختلف عما اعتاد عليه الناس ولابد له أن يسبح فى مواجهة تيار عصره » .

هذا ما يقوله اندريه جيد ، وهو حق ، وليس الهدف من ذلك كله أن يتخذ الفنان موقفاً شاذاً ملفتاً للنظر ، بغير غاية أو سبب ، ولكن الهدف هو أن يحرك مجتمعه لكى ينهض ، وينتبه إلى ما يحيط به من أخطار ، ولكى لا يقع هذا المجتمع فى حالة من الاسترخاء تصيبه بالطمأنينه الوهمية وانعدام الخوف من المستقبل ، وهذه الصفات كلها معناها أن تتلاحق المصاعب والمصائب والنكبات على مثل هذا المجتمع ، فلا يستيقظ إلا على أحداث مثل أحداث ٥ يونيو ١٩٦٧ و ٥ يونيو ١٩٨٢ ، وقد وقعت هذه الأحداث الكبيرة ونحن غافلون عن كل المظاهر والمقدمات التى سبقتها ، وكانت بمثابة الانذار الصريح لنا .

أدب الترف والاسترخاء

إن الشاعر الحقيقى فى كل أمة إنما يمثل ما يمكن أن نسميه إذا صح التعبير باسم « القوة الغضبية » ، ولا يمكن لشاعر فى أمة ناهضة تتعرض للمتاعب والمصاعب وتريد أن تتخلص من المشكلات التى تواجهها ، أن يكون شاعراً متفرجاً ، يكتب عن الهوى والحنين ، والعشق والأنين ، ان مثل هذه الحالة معناها الوحيد أن هذه الأمة وشعراءها يمرون بعصر من عصور التدهور والانحطاط وهذا ما كان من حال العرب فى أيام « دويلات الطوائف » فى الأندلس ، فبعد أن استطاع العرب على مدى ثمانمائة سنة أن يتقدموا فى الأندلس ويحققوا مستوى حضارياً عالياً ويصمدوا فى مواجهة الغرب صموداً شديد الصلابة والقوة ، بعد هذا كله ، سقط عرب الأندلس فيما سمى بعصر « الطوائف » ، وكان من أبرز علامات هذا العصر ، أن عرب الأندلس لم يكونوا يدركون حقيقة المحنة التى يتعرضون لها ، ففى حين كان أعداؤهم فى الغرب يجمعون السلاح فوق السلاح ، وينظمون أنفسهم فى جيوش قوية مستعدة للكفاح الطويل ، كان عرب الأندلس فى عصر الطوائف ، غارقين فى الترف السهل المريح وفى الرخاء الشكلى الذى جعل من خمارات الأندلس أشهر مظاهر الحياة فيها ، ومن مجالس الأنس أبرز معالم النشاط بين أهلها جميعاً ، وكان ذلك كله من علامات الانهيار الذى حدث بعد ذلك بقليل ، حيث خرج العرب من الأندلس مهزومين مطرودين ، بعد أن كانوا قوة كفيلة ـ لو لم يسقطوا فى اللهو والاسترخاء ـ أن تبقى فى الأندلس ، كما بقى المهاجرون الأوربيون فى أمريكا ، واستقروا فوق أرضها إلى اليوم .

وفى عصر ملوك الطوائف كما يسمى فى صفحات التاريخ ، ظهرت على سبيل المثال شاعرة عربية أرستقراطية هى « ولادة بنت المستكفى » كانت تكتب على أحد « فساتينها » الأنيقة الرائعة بالتطريز وخيوط الذهب شعراً يقول « على الجانب الأيمن » :

أنا والله أصلح للمعالى
وأمشى مشيتى وأتيه تيها

لا تخافوا من غضب الشعراء

وتكتب على نفس « الفستان » من الجانب الأيسر :

وأُمْكِنُ عاشقي من صحن خدي
واعطي قبلتي من يشتهيها

ويحدثنا العقاد عن هذه الفترة من تاريخ العرب والأدب العربي في الأندلس فيقول : « يروج الأدب في أيام السقوط كما يروج في أيام الرفعة ، والمعول في الحالين على نوع الأدب ومادته ، لا على كثرته وندرته ، ولقد راج الأدب رواجه المعروف في أيام اضمحلال الأندلس وإدبار دولتها ، وما راج فيها الأدب الخاص بأيام ملوك الطوائف إلا لاضمحلال وإدبار الدولة ، فانه قد شاعت على عهدهم مجالس المنادمة واللهو بين الرؤساء والكبراء ، بل نزلت إلى مصاف السوقة والعامة ، وقعد الناس لها ولاقتناء آلتها والتبارى فيها ، ثم دعت الحاجة إلى النظم والمطارحة في هذه الملاهي ، فدار أدبهم كله على هذا المحور ، فكان الغلام أو الجارية لا يُساوَمُ فيهما إلا على قدر حظهما من الأدب ، وكان الفتى لا يظْرُف محضره ويعذُبُ سمره حتى يروى من مُلَح النظم والنثر ونوادر الشراب والمجون ما يناسب تلك المجالس ويصلح أن يدور مع الكاس على الندماء ، فانعدم الشعر الأصيل وكسد الأدب الجزل وراجت سوق الأدباء والمؤدبين في الأندلس لهذا السبب ، لا لشوكة الدولة ، ومنعة الملك والأمة » .

المرأة والوطن

فهل يريد الذين جعلوا من أقلامهم خناجر تطعن الشعراء ، وتطالبهم بالموت والانتحار ، أن يصبح أدبنا أدب استرخاء ، ويصبح شعراؤنا « مطربين » في مجالس اللهو .. كل ذلك في عصرنا العربي الراهن الذي ترتفع فيه المحنة حتى تمس كل انسان وتهدد حاضره ومستقبله ؟ .. هل يريد أصحاب هذه الأقلام من نزار قباني أن يتفرغ لوصف الفساتين وتسريحات الشعر وهو سيد من يفعل ذلك لو يقدر عليه ؟ .. لقد تغير نزار قباني بسبب أمانته وإحساسه بالقهر والجرح فترك كل شيء وراءه ، ليعبر في شعره السياسي عما يراه بقلبه ووجدانه في محنة الانسان العربي في هذا العصر ، وفي هذه الأيام التي لا يجد فيها الطفل في جنوب لبنان بيتاً ولا أماً ولا أباً ولا دولة .. هذا التحول عند نزار قباني مهما كانت قيمته ومهما كان الرأي الفني فيه ، هو الذي دفع نزار إلى كتابة قصائده الغاضبة ، وهي القصائد التي لم تعجب هؤلاء الذين يكتبون في الدعوة الى طرده من مصر ، وفي « إقناعه » بضرورة الانتحار فوق شاطىء النيل حتى يغسل « ذنوبه » التي تتجسد في شعره السياسي كله ، وهذا التحول في نفسية نزار قباني هو الذي دفعه الى أن يكتب هذه القصيدة القصيرة فيقول :

كلما غنيت باسم امراة
أسقطوا قوميتي عني وقالوا :
« كيف لا تكتب شعراً للوطن ؟ »
فهل المرأة شيء آخر غير الوطن ؟
آه ، لو يدرك من يقرؤني
أن ما أكتبه في الحب
مكتوب لتحرير الوطن

وسواء كان نزار في هذه القصيدة يعني فعلا ما يقول أو كان يبحث عن التبرير الذي يدافع به عن ماضيه الشعري الذي كانت المرأة فيه موضوعاً وحيداً وأساسياً في قصائده الاولى ، فان نزار يشعر الآن ، بل ومنذ ١٩٦٧ ، أنه يعيش في « ماساة الوطن » وهو لا يعيش هذه المأساة بصورة نظرية ، بل يحسها يوماً بيوم ، فقد امتدت يد المأساة الى بيته ، فقتلت زوجته « بلقيس » وكان الشاعر يعيش في بيروت منذ ١٩٦٦ حتى الأسابيع القليلة الماضية من عام ١٩٨٢ حيث سافر الى القاهرة لتواجهه تلك العاصفة العجيبة التي تطالب بطرده أو بانتحاره « أيهما أسرع » وفي بيروت عاش نزار قباني المحنة العربية الكاملة ، حيث كانت هذه المحنة «فضيحة» غير مستورة ، تتكرر في كل دقيقة ، مع طلقات الرصاص ، والاغتيالات والاشتباكات المسلحة بين «الاخوة الأعداء» ، والسيارات الملغومة ثم الاجتياح الاسرائيلي الأخير الذي اصبح خبره واضحاً عند الجميع .

ان الغضب عند اي شاعر صاحب طبع سليم ، وضمير مستقيم ، واحساس صادق هو الانفعال الطبيعي في مثل هذه الظروف التي تمر بها الأمة العربية ، وليس المهم أن يكون ما يقوله الشاعر نتيجة لانفعاله الغاضب خطأ أو صواباً ، فالحقيقة لا تظهر الا بالمناقشة ، ولا تظهر الحقيقة أبداً بطرد الشعراء أو ذبحهم أو دعوتهم الى الانتحار .

وإذا التفتنا الى تاريخ الأدب العالمي ، فسوف نجد أن « أعلامه الكبار » من الشعراء ، كانوا غاضبين بصورة من الصور ، وكان انتاجهم الادبي الاساسي هو « انتاج الغضب » ، وليس « انتاج الرضا » والاسترخاء » فأدب شيكسبير ـ على سبيل المثال ـ هو في جوهره نوع من « أدب الغضب» ، فهو غاضب في مسرحيته « يوليوس قيصر » على الطغيان والاستبداد والانفراد بالرأي في القضايا العامة وهو غاضب في مسرحيته «ماكبث» على الطموح الشخصي المريض الذي يؤدي إلى الخيانة والجريمة ، ويدمر القضايا الخاصة والعامة ، ويأكل الأخضر واليابس في طريقه ، ويقود أصحابه إلى التعاسة ، حتى لو كانت بدايتهم مغرية بالنجاح والسعادة ، حيث ينتهي الأمر بالعكس إلى الفشل والدمار .

وشيكسبير في مسرحية « الملك لير » يكشف خطورة النفاق في العمل السياسي ، وقيمه التحفظ والنقد الصادق الصريح ، فما وقعت ماسي « الملك لير » كلها إلا بسبب تصديقه للنفاق واختلاط الامور في ذهنه بين النفاق والحب الحقيقي والولاء الصادق ، ولو أن الملك لير صدق ابنته الصغيرة المتحفظة ، والتي لم تشأ وهو في قمة سلطانه أن «تسحره » بالكلمات المعسولة والوعود الخادعة ، لما تعرض لمآسيه التي وقعت له بعد أن تخلى عن السلطة ، فقد نفض المنافقون أيديهم منه في أول لحظة ، ووقفت إلى جانبه الابنة الصادقة التي كانت متحفظة ذات يوم ، وكانت حريصة على الصدق معه أيام أن كان في قوته وعنفوانه . وفي مسرحية «هاملت» يغضب شيكسبير أيضاً ، وكان غضبه في هذه المسرحية موجهاً إلى ذلك « الشيء العفن في الدانيمرك » ، وقد ملأ شيكسبير مسرحيته بما يؤكد أن المجتمع « في الدانيمرك أو غيرها » لا يمكن أن يقوم على « شيء عفن » ، وخاصة إذا كان هذا العفن في قمة المجتمع ، فلا نجاة لأي جماعة تتسرب إلى حياتها « قطرة من العفن » فقطرة العفن سرعان ما تتحول إلى بحر هائج وهادر يؤذي الجميع ، ظالمين ومظلومين ، ويحمل الدمار إلى كل شيء .

لم يكن شيكسبير شاعراً راضياً ، بل كان شاعراً متمرداً ، وكان من أكبر الغاضبين في تاريخ الشعر العالمي ، ومع ذلك كانت مسرحياته هذه تظهر في عصره ، وكانت الملكة « اليزابيث » ، مع كبار رجال الدولة والمجتمع في عصر شيكسبير يحضرون عرض هذه المسرحيات ، ولم يقل أحد منهم: اطردوا شيكسبير من انجلترا ، فالتاريخ والأساطير التي يجعل منها إطار مسرحياته ما هي إلا أوهام ومحاولة لتضليل الرقباء عن حقيقة ما يعنيه الشاعر من نقد.

لم يقل أحد فى عصر شيكسبير هذا القول بل كان الشاعر هو الذى يقول ما يحس به ويعانيه .

المتنبى والمعرى

وإذا نظرنا إلى تاريخنا الأدبى العربى وجدنا أن أكبر شاعرين فيه وهما المتنبى والمعرى كانا فى حقيقة أمرهما شاعرين غاضبين ، فكل شعرهما الرئيسى إنما هو تعبير عن الاعتراض والرفض والطموح إلى ما هو أفضل وأرقى ، وقد دخل المتنبى معارك الحياة فى عصره ، فتعرض للسجن فى شبابه ، وتعرض لحروب أخرى مختلفة فى بقية حياته ، حتى انتهى به الأمر إلى أن يموت قتيلا على يد بعض أعدائه ، وعندما اختلف المتنبى مع سيف الدولة ، الذى عاش المتنبى فى ظله تسع سنوات ، أعلن الشاعر غضبه فى أعنف صورة ، وكتب قصيدته المشهورة التى قرأها فى مجلس سيف الدولة والتى قال فيها :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
بأننى خير من تسعى بـــه قـدم

ولم يكن موقف المتنبى مبنيـــاً على « الغرور » كما يبدو فى الظاهر ، بل كان نوعاً من الدفاع الغاضب عن النفس ، ونقداً شديداً لأوضـــــاع لم يكن المتنبى يرتضيها لنفسه ولا لأفكاره فى بلاط سيف الدولة ، وذهب المتنبى بعد ذلك إلى مصر بدعوة من كافور واتفاق معه ، ولكن كافور نقض اتفاقه مع المتنبى وجعل من إقامته فى مصر عذاباً أليماً للشاعر الكبير ، فانتفض الغضب فى قلب المتنبى ، وكان الغضب فى هذه المرة عنيفاً قاسياً ، فكتب المتنبى قصائده الهجائية الحادة ضد كافور وضد عصره ونظامه السياسى ، وقد جاء فى هذه القصائد الهجائية ما يبدو أنه نقـد لمصر وشعبها ، مثل قوله فى احـــدى قصائده :

وكم ذا بمصر من المضـــحكات
ولكنـــه ضـحك كالبـــــكا

أو قوله :

أغايـة الديـن أن تحفوا شواربـكم
يا أمـة ضحـكت من جهلهـا الأمـم

غير أن الأدباء والباحثين فى مصر ، جيلابعد جيل ، لم ينظروا إلى شـــعر « المتنبى » فى « كافور » على أنه نقد لمصر وشعبها ، بقدر ما اعتبروه نقداً لكافور وعصره ، ولذلك فديوان المتنبى مطبوع ومقروء فى مصر ، وأفضل شرح عصرى لهذا الديوان أعده أديب مصرى هو الشـــيخ عبد الرحمن البرقوقى ، والأدباء المصريون يحفظون قصائد المتنبى فى هجاء كافور ، بل ان شاعراً مصرياً كبيراً هو حافظ ابراهيم قد كتب فى احدى قصائده الغاضبة هذا البيت :

وكم ذا بمصر من المضحكـــات
كما قال فيهـــا أبو الطـــيب

والجامعات المصرية تدرس شعر المتنبى وهناك بحث كبير ممتاز أعده أحد الأساتذة الجامعيين فى مصر عن « كافوريات المتنبى » أو بعبارة أخرى عن « قصائد المتنبى فى مصر » والباحث الجامعى هـو الأســـتاذ الدكتور النعمـــان القاضى ، وأغلب الظن أنه يقوم بتدريس بحثه لتلاميذه فى الجامعة ، ولم يجد هذا الباحث عائقاً من « مصريته » يمنعه من دراسة أشعار المتنبى الغاضبة عن كافور وعن مصر ، بل درس شعر الشاعر بموضوعية ، وأدرك أن غضب الشاعر كان له ما يبرره ، من سوء معاملة كافور للمتنبى ومن فساد الحياة الثقافية والأدبية فى عصر كافور .

ونحن الآن إذا أردنا أن نبحث عن وثائق حية ، نرى فيها جانباً من جوانب الحقيقة فى عصر كافور ، فسوف نجد أمامنا قصائد المتنبى فى مصر ، إن هذه القصائد لا تثير فينا الشعور « بالاستفزاز » أو « النفور » ، بقدر ما تثير فينا الحماس والحيوية وكل المشاعر التى تجعلنا نرفض دائماً أن تتكرر الأخطاء التى كانت تقع فى عصر كافور ، من طغيان وعدم احترام للفكر والأدب والثقافة ، وغير ذلك من الظواهر التى يرفضها الضمير فى مصر على مر العصور . فأشعار المتنبى الغاضبة فى مصر ، مازالت حتى اليوم تعمل فى نفوسنا عملها الايجابى ، وتحرك فى مشاعرنا كراهية لأي طغيان يسيطر على مقادير الناس والبلاد .

وإذا تركنا المتنبى لنتحدث قليـــلا عن « المعري » وجدناه هو الآخر « شاعراً غاضباً » على المجتمع والناس فى عصره ، ولذلك فقد اعتزل الحياة ، ورفض أن يخوض أي معـركة فى عصره ، سوى تلك المعركة الكبرى ضد ما كان يراه شراً فى هذا العصر ، وقد بقى لنا شعره الخالد ، ليحرك فينا منذ أكثر من ألف سنة إلى الآن قوة « الغضب » ضد الخطأ والشر والطغيان والتفرقة بين الناس فى أي عصر أو مكان .

ونحن لم نسمع بأن أحداً يطالب بمنع قراءة المتنبى أو المعري ، أو بمنع دراستهما فى مدارسنا وجامعاتنا ، رغم ما يقـوم عليـه أدب الشاعرين الكبيرين من الغضب والنقد والرفض ... لقد جنينا من غضب الشاعرين أدباً عظيماً ، يعيش بيننا جيلا بعد جيل ، ولسنا وحدنا الذين ننظر إلى أدب المتنبي والمعرى هذه النظرة بل إن العالم المتحضر كله ينظر إلى أدب هذين الشاعرين على أنه جزء من الأدب الانساني الخالد على مر العصور ، وليست الدراسات التي كتبها الأوربيون عن المتنبي والمعري ، بأقل فى قيمتها من الدراسات التى كتبناها نحن العرب عن هذين الشاعرين على أن الأهم من ذلك كله ، هو أن المتنبي والمعري فى شعرهما الغاضب إنما يعيشان فى أعماق الضمير العربي ، فنحن نقرأ شعرهما الغاضب فنشعر بالواجب نحو عروبتنا وتاريخنا وكرامتنا العامة والشخصية « فى شعر المتنبي » ونحو أنفسنا ومجتمعنا وقيمنا الانسانية « فى شعر أبى العلاء » ، وهكذا فاننا لم نخسر شيئاً من غضب الشاعرين الكبيرين بل كسبنا الكثير ، أما أدب الرضا والاسترخاء والتزويق الشكلي الخارجي ، فلا أثر له ولا قيمة فى حياتنا اليوم ، ولم يكن له أثر ولا قيمة فى حياة الأجيال العربية السابقة ، فهو أدب « للزينة » ، نقرأه فى لحظات الترفيه ثم ننساه عندما ندخل معركة الحياة ونتعرض لمطالبهـا الصعبة ، وتحدياتها العنيفة ، فنحن نتذكر شعر المتنبى والمعري فى كل مواقف الحياة الصعبة ، ولكن من منا يتذكر شعراء الترف واللهو والرضا بالحياة والبحث عن جانبها اليسير السهل والحرص على التلاؤم معها وقبولها كما هي على علاتها مهما كان فيها من أخطاء تثير الغضب والتمرد والرفض ؟!

محنة بيروت

ونصل أخيراً إلى الشعر العربي المعاصر لنجد الجانب الغاضب فيه جانباً أساسياً له تأثيره الكبير وله قدرته على أن يحركنا ويوقظ فينا حيوية الضمير ، وبدون هذا « الغضب الشعري » فاننا نكاد نبدو أمام أنفسنا وأمام العالم كله أمة ميتة ، وجثة حضارية هامدة لا أمل فيها ولا حياة ، فالشعر الغاضب يمثل فينا علامة أساسية من علامات الوجود والاستمرار ، بعد أن سقطت قلاعنا المادية والروحية ، وأصبحنا نتشبث بأمل واحد هـو المستقبل .

ماذا يمكننا أن نطلب من الشعر ونحن نرى محنة بيروت ، ونتفرج عليها فى مشاهد تلفزيونية مفجعة تمر بنا كل يوم ... ماذ يمكن أن ننتظر من الشعراء إن كانوا صادقين وموهوبين وحساسين لمشاكل أمتهم سوى ذلك الشعر الغاضب الممتلىء بالمرارة ، وهذا ما نجده عند الشاعر غازى القصيبي ـ مثلا ـ عندما يكتب عن « بيروت » قصيدة غاضبة تملأنا

لا تخافوا من غضب الشعراء

بالسخط على انفسنا وتضعنا أمام مسئوليتنا الروحية والمادية فى وجه المأساة ، فيقول فى هذه القصيدة :

بيروت نحن الآلى ساقوك عارية
للموت يصرخ فى عينيك تعذيب
كم ناشدتنا شفاه فيك ضارعة
وكم دعانا عفاف فيك مسلوب
فما استفاق ضمير فى جوانحنا
مخدر فى ضباب الزيف محجوب
حتى إذا ضحك الجلاد .. ما دمعت
عين ولا غص بالآهات مكروب
سقطتِ وانتفض التاريخ يلعننا
واطرقت فى أسى المجد المحاريب

وفى هذه القصيدة الغاضبة الصادقة ، ما هو أقسى من هذه الأبيات وأعنف منها ، مما قد لاتستطيع نشره مجلة عامة مثل « الدوحة » ، فليقرأ بقية القصيدة من يبحث عن غضب حقيقي فى الشعر ، هدفه أن يوقظ هذه الأمة ويحرك وجدانها ، ويثير فيها عزم الحياة وقوة الارادة ، حتى تصبح قادرة على مواجهة المحنة والوقوف فى وجه عدو لا يعرف الاسترخاء ولا يعترف بالحق والعدل .

نقد عنيف

والنموذج الأخير الذى أقدمه فى هذا المجال هو مقاطع من شعر عبد الرحمن الشرقاوي ، فقد كتب الشرقاوي فى الستينات مسرحيتين ، إحداهما عن ثورة الجزائر باسم « جميلة » سنة ١٩٦٢ ، والثانية أيام حرب اليمن باسم « الفتى مهران » سنة ١٩٦٦ ، والمسرحيتان مليئتان بالشعر الغاضب ، ولقد كان عبد الناصر عند ظهور المسرحيتين فى قمة قوته وسلطته ، ومع ذلك فقد تم عرض المسرحيتين على مسرح الدولة ، رغم ما أحس به الجمهور والنقاد والسلطة جميعاً من ان المسرحيتين مليئتان بالنقد العنيف الغاضب ، ولم يقل أحد للشرقاوي ارحل عن مصر ، بل لم يصدر قرار من عبد الناصر بمنع عرض المسرحيتين أو إحداهما ، ولم يتكلم الذين يتكلمون الآن ضد نزار قباني ... لم يتكلموا بشيء ضد الشرقاوي ولم يثيروا ما يثيرونه اليوم من الاعاصير ضد نزار .

فى مسرحية « جميلة » يقول الشرقاوي :

دولة الصياد عادت لا تبالي
والمسوخ الشائهات اليوم تستل النخاع
من رؤوس الحكماء
إنه عصر الأفاعى .. عصر مصاصي الدماء .
إنما الديدان تقتات باعصاب الفضائل
ها هي الغيلان فوق السور حراس علينا
كل شيء شاحب من حولنا
مضطرب لا بل وكاذب
وقمىء وزري !
العقارب
وثبت تنهشنا من كل جانب
ومعاني الحب جفت
والخمائل
سحل الذئب عليها
والرذائل
تسكر الآن باعصاب الوجود
زمن الرعب يعود
ها هي الفوضى تسود !
.....
عاد سلطان الذئاب
نحن فى عصر العذاب
.....
هو عصر الخِرَق المرقعة
هو عصر الخرق المرقعة

أما فى مسرحية «الفتى مهران» فاننا نجد الشرقاوى يشتد ويعنف أكثر من ذلك «ولنذكر مرة أخرى أن هذا الشعر قيل فى عصر عبد الناصر وفى أيام قوته وسلطانه النافذ قبل ١٩٦٧» ... يقول الشرقاوى فى «الفتى مهران» :

.....
وهذا كله من حصاد الخوف
هذا الخوف منك
يجعل الناس كاعواد تردد
كل ما ينفخ فيها من عبارات الولاء
إن هذا الخوف منك
هو لن يهدم غيرك
فاعتراض صارخ ممن يحبك
لهو خير الف مرة
من رضا كاظم غيظ يرهبك

ويقول «الشرقاوى» فى نفس المسرحية :

إننا ننذر إنذار الصديق
إنه لو ظلت الحال على هذا لشاع اليأس
واليأس مضلل

ثم يقول «وكان عرض المسرحية سنة ١٩٦٦ ، وكما أشرت ، كانت حرب اليمن مستمرة فى ذلك الحين» :

.. لا تسر بجيش البلاد الى ما وراء
حدود الوطن
فإنّا سنؤخذ بالناصية
جميعاً وانت على رأسنا
ويلقى بنا الى الهاوية

وما أكثر التلميحات الأخرى فى هذه المسرحية ، بل إن تسميتها بالتلميحات ليس دقيقاً ، فهى تصريحات واضحة ، ذات مغزى مباشر . وعندما أثير الهمس حول هذه المسرحية وما تقصد اليه وتعنيه ، ذهب وزير الداخلية فى ذلك الحين وهو السيد شعراوى جمعة ، لمشاهدتها واتخاذ قرار أمنى بشأنها وكان هذا القرار هو استمرار عرض المسرحية وعدم ايقافها ، واستمر عرض المسرحية بالفعل فوق خشبة المسرح القومى منذ ٩ يناير الى ١٥ فبراير سنة ١٩٦٦ ... ولم تتعرض لها سلطة من سلطات المنع والايقاف .

إن الأدب العربى والعالمى ملىء بشعر الغضب ، بل إن شعر الغضب هذا هو أبرز ألوان الشعر العالمى وأكثره اتصالا بوجدان الأمم وضميرها ، فهو شعر يمثل دافعاً قوياً من دوافع الحركة والحياة والتطور ومواجهة الصعوبات الكبرى التى تعترض الشعوب . ولم يكن شعر نزار قبانى «الغاضب» إلا لوناً من ألوان الشعر الذى يحرك الضمير ويوقظ الروح والنفس . ويحض الانسان العربى ويحرضه على عدم السقوط فى الرضا والاسترخاء والاستسلام للواقع ، خاصة وأن الواقع العربى ملىء بالمشاكل والمصاعب الكبرى ، بل إن العرب جميعاً إنما يمرون اليوم بما يمكن تسميته بمفترق الطرق ، فاما أن ينهضوا ويقيموا مجتمعاتهم على أساس حقيقى راسخ من العدل والحرية والتحضر ، أو أنهم سوف يصبحون فريسة لقوى تؤدى بهم الى الدمار والتدهور ، وتجعل الحياة السليمة بالنسبة للأجيال العربية نوعاً من المستحيل .

الشعر والأمن

فلتسكت هذه الأقلام التى تهاجم نزار قبانى ، وغيره من الشعراء الغاضبين وليعلم أصحاب هذه الأقلام أن « الشعر الغاضب» لا يخيف الأمم الحية ، بل يدفعها الى النهوض والقوة ويوقظ ضميرها وقدرتها على المواجهة ، فى المواقف العصيبة . وليتوقف أصحاب هذه الأقلام عن أن يكونوا أكثر حرصاً « على الأمن » من «أجهزة الأمن» فالكاتب الحر ليست مهمته هى أن يشارك أجهزة الأمن فى وظيفتها التى تعرفها جيداً ، ولكن مهمته دائماً هى أن يدافع عن العقل والضمير وحرية الغضب عند الشاعر والفنان والكاتب ، فالغاضبون هم الذين يحسون حقاً بما يعانيه الانسان فى بلادهم من ألم ومعاناة .

الغاضبون حقاً ... هم الصادقون .

رجاء النقاش



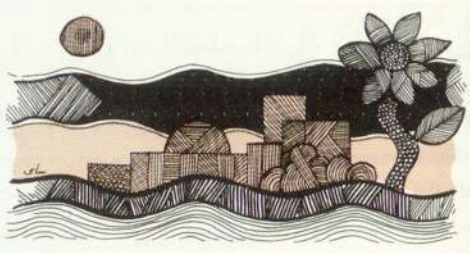
محمد الفهد العيسى

رسالة

عَلَى (جِذْعِ الدَّوْحَةِ) .. لوَّنْتُ .. كتبتُ أنا بالأمس
حرفاً يَكْتَالُ الفَيْء
وحُبَيْبَاتِ الطَّل ..
الآتى بين يديْ مَركَبَةِ الشَّمْس
التَّوقُ .. الشَّوقُ .. على الشاطىءِ ..
موالٌ فوقَ جناحِ نُسَيْمَاتِ اللَّيْـــلْ ..
وعِقْدُ الفلِّ الثلْجِيّ ..
على الجيدِ الغجريّ ..
يَشْرَقُ فى لاعجِ أسطورةِ بَابل
فى عينيَّ وُلُوعٌ ..
ما أقْسَى أنْ يَغرَقَ فى ومْضَةِ هَمْس

• • •

سارَرْتُ حمامةَ أيكٍ ..
أن تحمِلَ فى ظلِّ جنَاحَيْها .. رَشْقَةَ عِطْرٍ
مما أَبقَيْتِ بكَفَّيَّ .. وبوْحَ قصيدَه
هَدَلَتْ .. رفَّتْ .. رفَّتْ ..
حطَّتْ فوْقَ الشُّرفَةِ فى (الرَّيانِ) ..
(شَلَحَتْ للطفلةِ غَمْراً ..) ..
من أحرفِ حبٍّ ..
نَسَج الدوحُ نشيدَه



ثورة طه حسين على نفسه

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

تحدث الباحثون كثيراً عن الفارق النوعى بين كتابى « فى الشعر الجاهلى » و « على هامش السيرة » لطه حسين ولكن لا أدرى ان كان أحد الدارسين قد لاحظ الفارق الكبير ، بل التحول النوعى أيضاً ، فى المنطلق والاهتمام وطبيعة المعاناة بين كتاب طه حسين « مستقبل الثقافة فى مصر » الذى أصدره عام ١٩٣٨ ، وبين كتابه الآخر « المعذبون فى الأرض » الذى كتب مقالاته بين ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧ ثم جمعها تحت العنوان المذكور عام ١٩٤٩ .

أما أنا فأرى ان طه حسين فى « المعذبون فى الأرض » لم يثر فحسب على مجمل الأوضاع الاجتماعية والعامة بمصر فى ذلك الوقت ، ولكنه ثار أيضاً على اتجاه طه حسين نفسه . الفكرى والحضارى ، وعلى مجمل أفكاره ومواقفه السابقة التى يمثلها خير تمثيل كتابه « مستقبل الثقافة » .

أى أن طه حسين ، اتباعاً للحق،قدثارعلى طه حسين قبل كل شىء ! والفارق الزمنى بين الكتابين ضئيل بعدد السنين ، لكنه غير يسير بمقياس الأحداث لأن السنوات القليلة الفارقة كانت سنوات الحرب العالمية الثانية بكل ثقلها وضغطها وتفاعلاتها على الساحة العالمية والعربية وعلى الساحة المصرية ، بوجه الخصوص ، حيث تأزمت المعضلات الاجتماعية والاقتصادية بعد الحرب إلى درجة تنذر بالخطر وتتطلب تفكيراً جديداً ومعالجات جديدة لأوضاع المعذبين فى الأرض .







ثلاث لقطات للدكتور طه حسين الاولى بالعمامة والثانية وهو يلبس الطربوش والثالثة بدون غطاء للرأس

أما كتاب « مستقبل الثقافة » فقد كتبه طه حسين انطلاقا من إنجاز معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا التى اعتبرها حدثا إيجابيا ومشرفا – رغم انتقاد المعارضة الوطنية لها – ووجد فيها خاتمة سعيدة لنزاع مصر مع أوربا سياسيا ، وبداية جديدة واعدة باحياء جذورها « المتوسطية » – أى صلتها الحضارية بالغرب – وعودتها إلى المشاركة فى الحضارة الأوربية « الأم » التى اعتبر مصر جزءاً منها منذ عهود الفراعنة والاغريق ، وذلك عبر الرابطة للتوسطية ، أي التفاعل الدائم من خلال البحر الأبيض المتوسط ، وهى الرابطة ذاتها التى ما يزال الاتجاه المستغرب أو التغريبى فى لبنان يستند إليها فى تبرير ارتباط لبنان بالغرب ، والتى حاول عدد من الأدباء المصريين ، مثل توفيق الحكيم ولويس عوض ، العودة إلى إحيائها فى مصر قبل سنوات قليلة ، عندما دعا الأول إلى حياد مصر على الطريقة السويسرية وانعزالها عن شئون منطقتها ، وعاد الثانى الى الكشف عن افكاره القديمة ، فى رفض الرابطة العربية واللغة العربية – ايضا – وإلى إحياء اللهجة العامية وإقامة قومية إقليمية على نمط القوميات الأوربية . (راجع كتاب « الانعزاليون فى مصر » للأستاذ رجاء النقاش) .

ولقد كان طه حسين من جانبه شديد الحماسة ، قوى الايمان بفكرة إنهاض مصر بأسلوب الحداثة الغربية والنهضة الأوربية شكلا ومحتوى ، طريقة وغاية . وهو من هذا للنطلق كان شديد التفاؤل عندما رأى جانباً من خلاف مصر السياسى مع القوة الأوربية للحتلة ينحل – أو هكذا بدا له – بمعاهدة ١٩٣٦ (التى سماها النحاس باشا « معاهدة الشرف والكرامة » عندما وقعها ، والتى قرر إلغاءها بنفسه عام ١٩٥١ باعتبارها مخلة بالشرف والكرامة) .

وقد استنتج طه حسين ساعتئذ ان الفرصة التاريخية قد حانت – بعد التوصل للمعاهدة – لتحديث النظام الدستورى الليبرالي الذى بدأ بمصر رسمياً بدستور عام ١٩٢٣ والذى رأى فيه طه حسين تعبيراً عن اعتناق مصر للحضارة الغربية اعتناقاً لا رجعة عنه منذ مطلع نهضتها وتفضيلا منها للقيم الأوربية الخالصة على القيم التى ورثتها عن شرقها العربى الاسلامى فى الدين والسياسة والاجتماع ، أى فى مجمل الانتماء الحضارى ، فعمد من هنا إلى تاليف « مستقبل الثقافة » ليطرح فكرته هذه ويدعو إلى العمل بها .

غير أن الاحداث والتطورات والشواهد للصرية الواقعية اثبتت له انه كان تبسيطيا فى نظرته تلك وتفاؤليا إلى درجة مثالية مفرطة .

ولأن طه حسين رجل شديد الحساسية ، وذو ضمير حى ونفس صريحة تتقبل الحق وتنشده وتعلنه بوضوح وإباء حتى لو كان على ذاتها ، فقد اخذ يتكشف له ان ما تعانيه الغالبية العظمى من مواطنيه من ضنك وفاقه وما يعتمل فى صدرها من تطلعات وما تؤمن به من قيم لا يتفق مع حلمه الليبرالي التغريبى الذى يريد أن يضع مصر فى خانة الدول الأوربية المختلفة عنها فى الظروف والنظم والجذور ، بينما هى فى حقيقتها جزء من عالم آخر وحضارة اخرى وانتماء قومي مغاير وطبيعة مختلفة . من هنا سر هذه الثورة العارمة التى اعتملت فى كيانه ودفعته لكتابة تلك المقالات الغاضبة التى تضمنها كتابه « المعذبون فى الأرض » ، وذلك منذ أن وضعت الحرب أوزارها عام ١٩٤٥ وانكشفت نوايا الغرب ومخططاته تجاه « حلفائه » و « أصدقائه » من المصريين والعرب الآخرين .

زمان آخر مختلف

وكان طه حسين جديراً بهذه المراجعة وهذه للصارحة مع النفس قبل غيره لأن التحولات اصابته هو بالذات فى صميم فكرته التحديثية للوالية – حضارياً – للغرب والتى ذهبت إلى حد القول بان : « مصر كانت دائماً جزءاً من أوربا فى كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية » !!

لهذا ينضح كتاب « المعذبون فى الأرض » بتلك الروح التى تجسد ضيق طه حسين وبرمه بما آل اليه النظام الليبرالى الذى علق أكبر الآمال على تطوره وإصلاحه . يقول : « صدقني ان الخير كل الخير للرجل الحازم الأديب أن يفر بقلبه وعقله وضميره من هذا الجيل . فان أعجزه الفرار الى بلاد اخرى ، فلا أقل من أن يفر الى زمان آخر من ازمنة التاريخ » .

والزمان الذى يفر إليه طه حسين فى هذا الكتاب ليس هو الزمان الذى حلم به فى كتاب « مستقبل الثقافة » . انه ليس زمان التاريخ للتوسطى القائم والواصل بين الفراعنة والاغريق وبين الخديوى اسماعيل والملك لويس الرابع عشر ، ولكنه زمان آخر مختلف تماما . انه زمان العدل المثالى فى صدر الاسلام يقارن بينه وبين زمان المحنة فى مصر الليبرالية ، ويقدم من مناقبه أمثلة يأمل أن يحتذيها الأثرياء

ثورة طه حسين على نفسه



من معاناة طه حسين وثورته على نفسه بين كتابيه ؟

الحقيقة كما رآها

الدرس البسيط الواضح : هو ان اى كاتب ، مهما بلغ من شان ، لابد ان يتجاوز ذاته ، ويتجاوز قناعاته وافكاره ، عندما تثبت الاحداث خطاها ، ليعود إلى حقيقة امته ويتعمق فى فهم جذورها التى هى جذوره . فالبحث عن الانتماء من خارج الذات هو بحث عن السراب وتعبير عن النقص والعجز تجاه الآخرين .

والنقلة التى قام بها طه حسين من التطلع فى السراب عبر البحر المتوسط حيث أطياف الحلم الغربى او التغريبي ، الى الرجوع الى ارض الواقع أرض المعذبين فى الأرض حيث الانتماء الحقيقى رغم معضلاته هذه النقلة يحتاجها عدد من المثقفين والادباء الذين خامرتهم الاوهام ذاتها فى السنوات الاخيرة حول إمكانية احياء تلك الاوهام التغريبية هربا من وطاة الواقع ومسئوليات الانتماء ، وجريا وراء حوار حضاري مزعوم ليس فيه أى طعم للتحضر ..

والتاريخ فى الجوهر يعيد نفسه ، فهل يعيد الادباء الحالمون بالعودة الى الغرب و « بالحوار الحضارى » مع مخلفاته فى شرقنا ، هل يعيد هؤلاء من واقع التجربة تلك الروح الناقدة الفذة التى املت على عميد الأدب العربى أن يعيد النظر فى قناعاته ، ويتركها غير مأسوف عليها ، ليعلن الحقيقة كما يراها على أرض الواقع الصلب ؟

ذلك هو السؤال الذى تطرحه هذه المقارنة بين كتابين وبين موقفين . ونعتقد ان كتاب « المعذبون فى الأرض » من الكتب الجديرة بالعودة اليها فى مثل هذه الظروف العربية ، لان الكتب والآراء الشبيهة بكتاب « مستقبل الثقافة » قد تناثرت كاوراق الخريف ، وعلاها الاصفرار قبل ان تزهر ، لانها ولدت ميتة أصلا ، من صلب جيل عقيم مشرف على خريف العمر وخريف الفكر .. ولم يجد ما يجتره غير هذه الأفكار الميتة .

وكل ما نرجوه ان يجد مؤرخو المستقبل فى المقارنة بين صدق جيل طه حسين .. وجيلنا الحاضر .. ما يعيد لهذا الجيل بعض اعتباره أمام التاريخ !

د . محمد جابر الأنصارى

للمصريون العصريون . وهنا يخفت بريق التاريخ للمصرى المتوسطى ، الفرعونى الاغريقى الرومانى ، ويبرز وجه مصر الواقعى الذى خرج منه عبر المعاناة والالم صبي كتاب « الأيام » نفسه . ويغيب كلمح البصر ذلك الحلم التغريبى ، وتلتقى البداية بالنهاية فى ساعة الحقيقة ، فاذا « المعذبون فى الأرض » عام ١٩٤٩ صبيان مصريون ريفيون تؤرقهم عوامل الخوف والجوع والعلل فى منتصف القرن العشرين كما ارقت صبي كتاب الايام فى نهاية القرن التاسع عشر (ولد طه حسين عام ١٨٨٩) .

لنتامل مثلا فى قصة الصبى « صالح » ابرز شخصيات الكتاب ، لنبصر على ضوئها النموذج الاجتماعى الذى يرمز إليه حيث يقول عنه المؤلف : « واكبر الظن ان صالحا هذا لم يوجد قط لانه يملأ المملكة المصرية من شرقها الى غربها ومن شمالها إلى جنوبها ، يوجد فى القرى ويوجد فى المدن .. يملأ مصر نعمة وخيراً وهو مع ذلك يشعر الناس بان مصر هى بلد البؤس والشقاء » .

وابرز تطور يمثله الكتاب فى فكر طه حسين بوصفه معبراً عن الاتجاه الليبرالي التفاته الملح الى خطورة المشكلة الاجتماعية فى بناء النهضة وتحسسه لمشكلة التفاوت بين القلة المترفة والكثرة البائسة بشكل لم يسبق له مثيل فى تفكيره من قبل ، حيث كان تصوره حتى صدور كتابه « مستقبل الثقافة » بان الهم الرئيسي للنهضة هو استيعاب النظام التربوى الثقافي الغربى ومن ورائه قيمه وهويته الحضارية الاوربية .

ويختم طه حسين كتاب « المعذبون فى الأرض » بهذه النصيحة الحارة التى اثبت التاريخ جدية مخاوفها : « إن المصريين بين اثنتين لا ثالثة لهما : إما ان يمضوا فى حياتهم لا يحفلون إلا بانفسهم ولذاتهم ومنافعهم ، واذن فليثقوا بانها الكارثة التى لا تبقى ولا تذر ، وإما ان يستانفوا حياة جديدة كتلك التى عرفوها فى اعقاب الحرب العالمية الاولى (يقصد فترة ثورة ١٩١٩) قوامها التضامن والتعاون وإلغاء المسافات والآماد بين الاقوياء والضعفاء وبين الاغنياء والفقراء .. وإذن فهو التازر على الخطب حتى يزول » .

غير ان هذه الصيحة ، وإن سبقت حركة ٢٣ يوليو ببضع سنين فانها تاتي متاخرة قياساً بما كان يتوجب تاسيس النهضة عليه من رؤية اجتماعية محدودة ، وهى مازالت فى بداياتها بمطلع القرن .

ومن تجربة طه حسين هذه ، وتحولاته ، يمكن القول إن الليبرالية المصرية عرضت منجزاتها للاجهاض باغفالها امر المعضلة الاجتماعية ـ حتى وقت متاخر جداً ـ وقصورها عن رؤية التناقضات الاجتماعية ومضاعفاتها الكامنة ، فى وقت كانت فيه قدوتها ، الليبرالية الاوربية ـ تتكيف مع التطورات الاجتماعية فى اوربا وتستبق مضاعفاتها وتتقبل ما تحتمه من حلول اجتماعية .

الفـــارق الجوهرى

واذا كان طه حسين لم يقل صراحة ان كتابه الثانى يلغى كتابه الاول وينقضه فان المتتبع لتطور فكر الكاتب يستطيع أن يرى بوضوح الفارق الجوهرى البالغ حد التضاد بين اهتمامات الكتاب الاول وميوله وبين اهتمامات الكتاب الثانى ورؤيته الجديدة . وبلا جدال فان طه حسين قد فقد إيمانه وتفاؤله بمستقبل الاتجاه التغريبي لاخفاقه فى تحقيق الحد الادنى من العدالة الاجتماعية للغالبية الفقيرة الأمية من المجتمع التى أصبح الاصرار على القول بانها تنتمى حضارياً لاوربا ، وان «عقلها» عقل أوربى ، ضرباً من الترف الطوباوي الذى لا تستسيغه صراحة طه حسين ولا حقيقة الأشياء .

واخيراً .. ما هو الدرس الذى نستخلصه

قصيدة جديدة من : أمل دنقل

زهور



تناولت الدوحة فى افتتاحية العدد الماضي قضية الشاعر الكبير أمل دنقل الذى يرقد الآن مريضاً فى إحدى مستشفيات القاهرة ، يصارع المرض ، حيث تحيط به قلوب محبيه من قراء الشعر الرفيع فى الوطن العربي كله ، وقد أرسل لنا « أمل » هذه القصيدة الجديدة الرائعة ، مع رسالة قصيرة يقول فيها :

« قرأت اليوم كلمة الدوحة ، وأشكركم على العاطفة التى أملت عليكم الوقوف بجانبي فى هذه الأيام . وأرجو أن ألفت انتباهكم إلى أن علاجي الآن صار على نفقة الدولة بقرار من رئيس الوزراء ولم يعد هناك لاثارة ـ لا أستحقها ـ حول نفقات العلاج . وأرفق لكم قصيدة كتبتها بالأمس . تحياتي للجميع ، وأرجو أن تطمئنهم وتطمئن ـ أمل دنقل » .

عنوان أمل لمن يشاء أن يكتب إليه من عشاقه ومحبيه هو « شارع القصر العيني ـ معهد الأورام ـ القاهرة » .

..وسلال من الورد ؛
ألمحها بين إغفاءة وإفاقه
وعلى كل باقه
كلمة في بطاقه

... ...

تتحدث لي الزهرات الجميله
أن أعينها اتسعت ـ دهشةً ـ
لحظة القطف ،
لحظة إعدامها .. فى الخميله !
تتحدث لي ..
أنها سقطت من على عرشها في البساتين ،
ثم أفاقت على عرضها في زجاج الدكاكين ،
أوبين أيدي المُنادين ،
حتى اشترتها اليد المنفضلة العابره
ثم جاءت إلىَّ ..
(وأحزانها الملكية ترفع أعناقها الخضر)
كي تتمنى لي العمر !
وهي تجود بأنفاسها الآخره !!

• • •

(آه .. أيتها الزهرة الباكيه
إنني أتشبث بالغصن ـ طيلة ساعاتي الباقيه
أتنفس ـ بالكاد ـ ثانية .. ثانيه)

... ...

كل صبح وليد
أتنقل ـ مثلكِ ـ بين الإناء الصناعي
والبسمة الكاذبه
غير أنكِ حين تموتين ..
ترتحلين بألوانك الصاخبه
وأنا ليس لي غير لون وحيد
لون شمسي النحاسية الغاربه !

تعالوا نقدّس حرّية الكلمة!

بقلم : خالد محمد خالد

كان سقراط يقول قولته الصادقة : « ان الحياة لا تستحق الاعتبار اذا لم نقومها بالحوار والمناقشة » .

واذا سلمنا بهذا المبدأ وهذه الحقيقة فعلينا أن ندرك بداهة أن الحوار لا يكون بالأذرع والعضلات ، وانما هو مرهون بالكلمة ملفوظة أو مسطورة .

ومهما نكتب عن جلال الكلمة وقداستها وحقها المطلق فى الحرية فسوف يظل الموضوع فى حاجة إلى المزيد . لاسيما فى بلادنا هذه . بلاد العالمين العربى والاسلامى ، حيث تعيش شعوب أمست ذاكرتها مثقلة بالصمت النائح ، وأمست لا تجد حقها المسلوب فى أن تتحدث عن مصيرها وسياستها بقوة ووضوح .

ان الامم تجاوز الظلام ، وتتخطى العماء ، وتخترق اسوار العزلة .. بل انها لتعطى شهادة ميلادها ووثيقة آدميتها اذا قدست فيها حرية الكلمة ، وقدت عنها كل الكوابح والأغلال . أما قبل ذلك فانها تكون الى السوائم أكثر قرباً .

ولقد كان بدء انطلاق البشرية يوم ازاحت عن الأفواه اقفالها . يومئذ أرهص المصير الانسانى بكل مغانمه المقبلة ويومئذ تغيرت صورة الأرض . فلم تعد كما كانت من قبل غابة .. بل صارت وطناً .. وأتيح للجنس البشرى أن يكتشف وجوده وجوهره .

لقد أصبحنا بشراً يوم تفتح فينا الفكر وتفجرت الكلمة من بين شفاهنا ، ومن بين انامِلنا التى تحمل الأقلام .

وحين نقول الفكر والكلمة ، فنحن لا نعنى شيئين متغايرين ، فالفكر ووسائل التعبير عنه شىء واحد . والكلمة التى هى لوضح أدوات التعبير تمثل الضوء المنبعث من الكوكب العظيم .

وحرية الفكر ، تعنى تماماً حرية الكلمة .. وحين تفكر فانت تتكلم حتى لو لم تنفرج شفتاك ويتحرك لسانك ، إذ أن عملية التفكير نفسها إنما تشكل حديثاً نفسياً ـ فالتفكير حديث العقل مع نفسه ، ولقد اثبتت تجارب العلم أن الحبال الصوتية تهتز حين يفكر الانسان فى صمت تفكيراً عميقاً .. فخنق الكلمة خنق للفكر ، وخنق الفكر إلغاء لدور الانسان ووجوده ، لأن الانسان لم يعد انساناً الا حين غرس الله العقل فى دماغه ، والكلمة على لسانه وبنانه .. !!

● ●

والكلمة المسطورة بصفة خاصة ذات مقام عظيم ومنزلة حافلة . فهى السفير الذى يقضى العمر جواباً بين العصور والأجيال ، يصل بينها ما انقطع ، ويحيى ماأندثر . وهى وحدها التى تهب الخلود لآثار البشر وتاريخهم .. هى التى تجمعنا وتجمع الأجيال الوافدة بافذاذ الخلق ورواد الحياة .

فسقراط الذى اختفى عن دنيا الناس منذ حوالى ألفى عام وأربعمائة عام ، تجمعنا به الكلمة المطبوعة ، وكأنه حى بيننا يغدو ويروح ، مطلا علينا بجبهته العريضة وحكمته الكاسحة .. وهى التى تسمعنا تغاريد بوذا عند سفوح الهملايا ، وتنقل الينا حكمة حمورابى من أعماق بابل !!

كم هى رائعة هذه « الكلمة » ..

فبينما ينقض الموت على الناس ، وياخذهم بعيداً بعيداً عن الحياة الدنيا وكانهم لم يوجدوا ، نرى الكلمة المسطورة او المطبوعة تستنقذ من ذلك الموت الداهم اخبارهم وتراثهم وحكمتهم ، وتستبقى للأجيال أفضل وأغنى ما فى حياتهم من روح وفكر ، ثم تهب ذلك جميعاً خلوداً تتحطم على ذراه كل إرادة الفناء ومحاولات العدم ..

وبهذا ـ أيضاً ـ تمكن الحياة الانسانية من أن تبلغ رشدها ، وتتيح للتقدم الانسانى أن يواصل مسيرته ويحقق اكتماله .

فالكلمة المسطورة التى سجل بها ديمقريطس ، وأبيقور حدسهما عن الذرة وما فى جوفها من طاقة ، بقيت جنيناً حياً نامياً يتقلب فى الوعى الانسانى عصراً بعد عصر وجيلا فى اثر جيل بلغ فى عصرنا هذا اشده وأطلقت طاقة الذرة من مكمنها ..

والكلمة المسطورة التى سجل بها العالم المسلم « علاء الدين بن النفيس » فكرته عن الدورة الدموية وتنقية الدم فى الرئتين بسبب امتزاجه بالهواء الخارجى .. هذه

الكلمات التى سطرها « ابن النفيس » فى القرن الحادى عشر كانت النور الذى ظل يحث عقول الباحثين فى هذا المجال حتى وضع العالم البريطانى « هارفى » يده أخر الأمر على قانون هذه الدورة كاملا .. والكلمات المسطورة التى أودع فيها إخوان الصفا ، وابن مسكويه أحاسيسهم ورؤاهم عن أصل الأنواع وتطور الانسان فى أواخر القرن العاشر الميلادى وأوائل القرن الحادى عشر ظلت هى الأخرى تنمو فى وجدان العقل حتى استحالت أخيراً على يد « لامارك » و « دارون » الى نظرية لم يجد العلم حتى اليوم بديلا عنها من العقل لتفسير النشوء والتطور .. والكلمة المسطورة التى سجل بها العالم الأغريقى « ارسطرخس » فى القرن الثالث قبل الميلاد حدسه الواعى بأن الأرض ليست مركزاً للكون ، وأنها تدور حول نفسها مرة كل يوم كما تدور هى والكواكب الأخرى حول الشمس ..

هذه الكلمات ظلت منارا يرسل أضواء هذه الحقيقية حتى صارت علما وثيقا وبديهة كبرى .

والكلمات المسطورة التى خطها فلاسفة أثينا ، والهند ، ثم توم بين،وفولتير ، وروسو عن الحرية وكرامة الكائن البشرى ، كم أشعلت من ثورات وحررت من أمم وجماعات .

ومهما نضرب الأمثال على قيمة الكلمة المسطورة وجلالها ، فستنفد الأمثال قبل أن تنفد هذه القيمة وهذا الجلال !!

والحق أن جنسنا البشرى مدين للكلمة ديناً كبيراً .. وما تاريخ البشرية فى جوهره وحقيقته الا تاريخ الفكر والكلمة .

وإن الارادة الانسانية التى دهمت المصاعب ، ودغدغت الصخور ، وصنعت المعجزات لم تكن ستبلغ من أمرها شيئاً لولا الفكر يزجيها والكلمة تشد أزرها وتهديها ..

ولم يمر بتاريخنا ثائر عظيم ، ولا رائد مقتحم ، ولا زعيم صادق إلا كانوا جميعاً تلاميذ للفكر يجلسون بين يديه ، وللكلمة المسطورة تكتحل بها أعينهم عند منامهم ، وتتفتح أول ما تتفتح عليها حين يقظتهم . ولنقلب أبصارنا حيث نشاء ، ولنستعرض ثورات التحرير من مصر القديمة الى أثينا ، الى روما الى أوربا ، الى الشرق والغرب ، فسنجد بين أيديها جميعاً فكراً باسلا ، وكلمات أشد مضاء من السيوف المرهفة وأهدى فى الظلمات من كل نور .

وان انتصارات البشرية فى مجالات العلم والفن والأدب والاجتماع انما ربحتها الكلمة الدءوب المثابرة .

القوة التى حطمت عروش الجبارين وأزاحتهم من طريق الشعوب كانت الكلمة ..

والنور الذى هدى البشرية الى مدارج ارتقائها وأخرجها من ظلام التخلف والجهل ـ كان الكلمة .

ومع هذا فان فريقاً من الناس لم يحذقوا الدرس جيداً .. فكبلوا الكلمة وشقوا عليها عصا الطاعة وتربصوا بها السوء ، وزجوا بأبطالها فى السجون . لقد شهد التاريخ ولا يزال يشهد صراعاً مخبولا بين السلطة والكلمة . وأقول مخبولا ، لأن السلطات تتحدى الكلمة كما تتحدى الحقيقة فى خبال خال من كل عقل ومن كل روية ، ومن كل تمييز .

والكلمة الحرة الشجاعة تخرج من هذه الصراعات بكثير من الجروح والدم المنزوف بيد أن شعارها كان دائماً ولا يزال يتمثل فى هذه الكلمات الثرية الوضيئة : « كل مالا يقتلنى يحيينى » .. !!!

ومن ثم ، فالظفر دوما لها والمستقبل دائماً معها .

● ●

إن تنظيم القانون لحرية العمل أمر مرغوب فيه وضرورى لتنظيم العلاقات فى المجتمع .

لكن حرية الفكر لا ينظمها قانون . انما ينظمها ويرسم تخومها الفكر وحده .

فالفكرة الخاطئة ، لا يدحضها الا فكرة محقة .. ومقاومة الفكر مهما يكن ثورياً بقانون ، يشبه إطفاء النار بقاذفات اللهب .. والفكر العادل لا خوف منه ، والفكرة الباطلة لا بقاء لها .. !!

وإنه لمن أكثر التجارب صدقاً قول القران العظيم : « فأما الزبد فيذهب جفاء . وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

ومقاومة الفكر باسم الحق والعدل والخير ، عمل ينافى كل قواعد الحق والعدل والخير ، لأن هذه جميعاً ثمرة الفكر الحر الرشيد .

إن كل قيم حياتنا الانسانية إنما كشفها الفكر وجلاّها وعليه وحده تبعة حفظها والتبشير بها واعداد مكانها الأثير فى المستقبل . وليس من حق عرف أو سلطة أو قانون أن يزعموا لأنفسهم غيرة على هذه القيم أصدق من غيرة الفكر الأمين .

وإذا كان الفكر قانون نفسه ، فالكلمة كذلك . إذ الفكر فى التحليل النهائى له هو الكلمة . وحرية التفكير تعنى فى نفس الوقت حرية التعبير .. وأكثر الأفكار عظمة ونفعاً لا تساوى شيئاً إذا هى ظلت هواجس مخبوءة وخواطر مكبوتة . لكنها تؤتى نفعها وتصبح أفكاراً عظيمة وخطوات ناجحة حين تبزغ فى كلمات يقرؤها الناس ويتدارسونها .

وكل الحقوق التى تصون سيادة الفكر ، انما تصون فى نفس الوقت ولنفس السبب سيادة الكلمة ، فأنت تستطيع أن تدير فى خاطرك أكثر الأفكار خطراً دون أن يحس بها أحد ، أو تؤاخذك عليها سلطة . لكن الصعوبات تبدأ حين تأخذ أفكارك فى الافصاح عن نفسها ـ حين تتكلم أو تكتب .

وهكذا فالصراع بين السلطة والكلمة صراع يخوضه الفكر داخل الكلمة .

وحين نتملى ظروف ذلك الصراع وطريقته ونتائجه يواتينا اقتناع راسخ بعدالة الحقوق والقضايا التى ناضلت الكلمة دفاعا عنها ، وجهاداً فى سبيلها .

لقد كانت الكلمة عند الغاشمين من الحكام كابوسا ثقيلا يزعجهم ويزلزل سكينتهم .. أو كانت على أحسن الفروض كالعصفور المبشر بالعاصفة . فهم يخنقون العصفور . ولكن هل يمنعون العاصفة ؟!

على أن معظم القضايا التى تبنتها الكلمة ، وهتفت بها ، واضطهدت من أجلها لم تلبث الا قليلا حتى صارت عقائد للناس وقوانين تسنها وتحافظ عليها السلطات المتطورة والمتجددة .

● ●

وقد نعالج فى مقال قادم موضوع شهداء الرأى والكلمة ، ونرى كيف أنهم كانوا من أكثر الرواد صدقاً وأعلاهم قدراً . وكيف انهم البناة الحقيقيون والعظام للتقدم الانسانى كله .. وكيف ظفروا بخلود لم يظفر به ولم يظفر بمعشاره أولو السلطان والصولجان الذين حاولوا بكل ما توفر لهم من قوة وبأس أن يكمموا أفواههم ويكسروا أقلامهم .

لا شىء يبدد الظلام وينشر الأضواء مثل حرية الفكر ، وحرية الرأى والكلمة .

ولن تقدس أمة تضع حرية الكلمة فيها على شفا الهاوية أو تضع لها الشكائم .

ولن يخلد سلطان يدخل مع الكلمة والفكر فى معركة هى بالنسبة له خاسرة ثم خاسرة .

ها هى ذى الكلمة ، كما كانت دائماً تقرع الأبواب بكبرياء . وستتفتح لها الأبواب طوعاً أو كرهاً .

فتعالوا نحن لها الجباه ، وتعالوا نقدس حرية الكلمة .

خالد محمد خالد

أول امـــرأة أوروبيّـــة في العصـــر الحديث تتخذ قرار الحـــرب



مارجريت ثاتشر المرأة الحديدية

رسالة لندن من : جمـــال الكنانى

لم يخطىء السوفييت أو يبالغوا يوم لقبوا مسز تاتشر ، رئيسة وزراء بريطانيا ، بالسيدة الحديدية ، فهي بحق أصلب الحـــديد عوداً .. ويشهد على ذلك موقفها الأخير فى ميدان السياسة الدولية ، إذ واجهت الجنرال جالتييرى ، رئيس جمهورية الأرجنتين الذى أمر قواته بغزو جزر فوكلاند التابعة لبريطانيا دون أن يحسب حساب هذه النمرة فى ثوب الحمل ... لم يدر بخلده ، أنها ترسل قواتها عبر المحيطات إلى جزر صغيرة تبعد عن بلادها بثمانية ألف ميل ..

وعلى الذى يريد أن يعرف مدى صلابة هذه السيدة وقوة عزمها الا أن يسأل رؤساءنقابات العمال فى بريطانيا رأيهم فيها ، وكانت تلك النقابات قبل انتخاب مسز تاتشر رئيسة الوزراء تصول وتجول وتتحكم فى البلاد بكل صلف وتفرض إرادتها على الناس والحكومة جميعاً ، وتتحدى كل سلطة بما في ذلك سلطة القانون ، وتستعمل سلاح الاضراب لشل حركة البلاد وإذلال العباد والاساءة للمرضى وكبار السن وإسقاط الوزارات ...

وقصة عمال المناجم ونقابتهم التى اسقطت حكومة المحافظين التى كان يرأسها ادوارد هيث مازالت ماثلة فى الأذهان ... فهي قصة أدخلت الرعب حتى فى قلوب حكومة العمال التى تساندها النقابات ... فما إن خلفت حكومة العمال ، حكومة إدوارد هيث ، حتى أخذ رئيس الوزراء العمالي جيمس كالاهان يبالغ فى مهادنة النقابات ومجاراتها فكان يبادر بدعوة رؤساء النقابات للتفاوض فى دار رئاسة الوزراء ، ١٠ داوننج ستريت ، كلما اظهروا عدم الرضا ، أو بان من نواجذهم قدر نصف أنملة ، ويقدم لهم ما لذ وطاب من سندويتشات وبيرة .. أما اليوم فالذى يواتيه الحظ وتطأ قدمه دار رئيسة الوزراء من رؤساء النقابات ولو بعد طول انتظار ، ويشرب فيها كوباً من الماء ، يعتبر انه قد نال شرفاً عظيماً ... ولقد تغير الحال حتى كاد أسود النقابات أن ينضموا إلى اتحاد « النعام » ، بعد ما سنت السيدة الحديدية من قوانين تحد من سلطة النقابات وبعدما أعلنت عن قوانين أخرى تنوي عرضها على مجلس العموم لتقلم أظفارها وتعيد التوازن إلى المجتمع البريطاني ... ترى من تكون هذه السيدة ؟ .

فى صباح يوم ١٣ اكتوبر ١٩٢٥ ولدت بياتريس إثيل روبرتس ثاني بناتها وأسمتها مارجريت هلدا روبرتس (مسز مارجريت تاتشر بعد الزواج) فى شقة متواضعة فوق دكان البقالة الذى يملكه الأب فى مدينة جرانثام .. فمارجريت إذن لم تولد فى حجرة العز أو أحضان الثروة والنعيم شأن من سبقوها من رؤساء وزراء بريطانيا المحافظين باستثناء إدوارد هيث .. كان أحد اجدادها اسكافياً والثاني عاملا فى السكة الحديدية (عطشجى) .. ولم يكن للبيت الذى ولدت فيه مارجريت حديقة أو حمام ، بل وكان مرحاضه من الخارج .

ويذكر الجيران أن أبوي مارجريت كانا ممن يقومون بالواجب تجاه الناس وتجاه الكنيسة وكانا على جانب من قوة الايمان يراعيان الله فى معاملة الناس وفى التجارة .. وكان الأب واسمه « الفرد » حازماً دون أن يكون صارماً فى تربية بنتيه ، إذا كلف إحداهما بعمل رفض منهما أي اعتذار من قبيل « لا استطيع » أو « هذا يصعب علي تنفيذه » .

كان الأب وبناته يتبادلون الطواف بالبيوت مرتين أو أكثر كل أسبوع لاستلام الطلبيات وتسليم البضائع للزبائن ، وكانت مارجريت واختها تقضيان أيام العطلة الدراسية فى الدكان .. وكان أهل المدينة يعرفون الأب الفرد روبرتس معرفة أكيدة لأنه كان دائم الاشتراك فى أعمال المجلس



جالتيبرى رئيس جمهورية الأرجنتين
لم يحسب حساب هذه « النمرة » فى ثوب « الحمل »

المحلي ، كما كان يعمل فى نادى الرواد .. ولكنه كان يوجه النصيب الأكبر من جهده للكنيسة وخدماتها .. إذ كانت هي هوايته المفضلة . وانعكست هذه النزعة القوية على طريقة تنشئته لبنتيه ، وكان يصر على أن تتقن البنت كل ما تكلف به من عمل وأن تراعى نظافة ملبسها وغرفتها وكل ما يتعلق بها ، كما عود البنت على أن تتخذ قراراتها بوحي من ضميرها وأن لا يكون تقليد الغير هو أساس تلك القرارات .. ولم يكن يسمح لأي من بنتيه بالخروج فى عطلة آخر الأسبوع إلا نادراً ، فاذا سمح ، كان الخروج تحت رقابة دقيقة ... واهتم الأب بثقافة بنتيه ، وبدأت مارجريت دروس البيانو وهي فى الخامسة من عمرها ... وكان الأب يشجعها على القراءة ، فعبت من الأدب كثيراً كما انتظمت فى حضور المحاضرات العامة التى كان يتطوع بها اساتذة زائرون .

كانت مارجريت فى مدرستها تهتم بلعبة الهوكي كما كانت فى مقدمة بنات صفها فى معظم المواد إلا مادة الرسم .. وفى السنة قبل النهائية من المرحلة الثانوية كان عليها أن تختار بين فرع العلوم وفرع الآداب .. وبعد شيء من الروية والتفكير اختارت العلوم وأتمت دراسة الكيمياء فى الجامعة

أما كيف احترفت المحاماة ومارست القانون قبل انتخابها لمجلس العموم فهو أن أباها كان يعمل متطوعاً كواحد من قضاة الأمن فى المدينة ، وهي وظيفة فخرية يعين فيها مواطنون غير متخصصين فى القانون تكون لهم مكانة وسمعة طيبة فى مجتمعهم ... وحدث أن صاحبت مارجريت أباها ذات يوم إلى دار المحكمة حيث قضت يومها تستمع للقضايا والمرافعات وأحبت ما رأت وما سمعت لأنها كانت تميل إلى القانون ميلا كاد أن يكون غريزيا ... وفى فترة الغذاء قابلت رئيس المحكمة وتناولت معه الغذاء فى صحبة أبيها ، وسألته رأيه فى موقفها وهي تدرس الكيمياء بالجامعة وتميل لمهنة المحاماة فى الوقت نفسه فطمأنها القاضي وأعلمها أنه هو نفسه درس الفيزياء بالجامعة ثم درس القانون بعد ذلك ، وأكد لها انها تستطيع دراسة القانون فى أوقات فراغها .. وقد تم لها ما أرادت ...

القدرة على المناظرة

عرفت مارجريت أثناء دراستها بقدرتها على المناظرة ... كانت تتكلم بطلاقة وتدلى بالحجة القوية .. وعرفت كذلك بقوة ارادتها .. وتذكر ناظرة مدرستها أن الجامعة اشترطت على مارجريت امتحاناً فى اللغة اللاتينية قبل التحاقها فما كان من مارجريت إلا أن أتمت مقرر خمس سنوات فى سنة واحدة نجحت بعدها بتفوق ودخلت كلية سومرفيل بجامعة اكسفورد .

فى سنى الدراسة الجامعية تفتحت أمام مارجريت روبرتس أبواب كثيرة واندمجت فى الحياة الجامعية وعبت منها ما استطاعت .. وفازت بحب الزملاء واحترامهم فاختاروها وهى فى السنة الثالثة رئيساً لمجلس ادارة اتحاد الطلبة المحافظين ... ومن هنا بدأ اتصالها بالحزب وأقطابه .

لم تهتم مارجريت ـ أو «ماجى» كما يسميها الأصدقاء ـ كثيراً بالعلاقات الشخصية مع زملائها من الشبان ، فلم تتخذ من بينهم صديقاً على مألوف عادة الفتيات فى مثل سنها .. ولكن تذكر احدى صديقاتها قصة طريفة حدثت فى يوم عيد ميلادها الحادى والعشرين ... ذلك أنها شوهدت وفى يدها قرنفلة جميلة ، هدية من شاب تعرفه . وصممت مارجريت على أن تحتفظ بالزهرة حية أطول مدة ممكنة فأخذت تبحث فى كتبها عن مادة كيماوية تطيل عمر الزهرة ولكن البحث لم يثمر ، وانتهى الأمر بأن وضعت القرنفلة فى كوب من الماء مع قرص من الأسبرين .. وعاشت الزهرة فترة لعلها كانت أطول من دوام العلاقة بين «ماجى» و «روميو» صاحب القرنفلة .

وتؤكد السيدة وكستيد ، وهى صديقة مارجريت لأربعين سنة ، انها لم تقابل فى حياتها إنساناً واحداً فى مثل طاقة رئيسة الوزراء وقدرتها العجيبة على العمل .. العمل المتواصل المنتظم ... فهى تدير بيتها وتربى أولادها وتؤدى وظيفتها بكفاءة منقطعة النظير .. وهى عملية للغاية تقوم

المرأة الحديدية

بطلاء جدران بيتها بنفسها وتصلح ما قد يفسد من حنفيات او يسقط من ستائر .. ولها قدرة غريبة على التعاطف مع الناس دون تكلف ... وبلغ من قوة اخلاقها ومتانتها أن خمر السلطة لم تلعب برأسها فلم يدخلها زهو أو غرور .. فهى اليوم أكثر نضجاً وتواضعاً وأقرب الى قلوب الناس .

وتروى ناظرة المدرسة الثانوية التى كانت فيها مارجريت ان الجامعة طلبت رأيها فى هذه الطالبة قبل قبولها نهائياً فاضطرت الناظرة ، أو «الست الناظرة» للرجوع الى التقارير المدرسية التى كتبت عنها ولفت نظرها عبارتان كانتا تتكران فى كل تقرير «انها منطقية التفكير» وان لها عقلا صافياً .. والمقربون من رئيسة الوزراء يؤكدون صفاء تفكيرها ومنطقه .

التحقت مارجريت روبرتس بجامعة اكسفورد عام ١٩٤٣ وهى فى السابعة عشرة من عمرها .. فكانت تبدأ يومها فى السادسة والنصف صباحاً وتعمل دون توقف حتى المساء ، وكانت مع ذلك لا تحرم نفسها فرص الترفيه والمتعة البريئة ، ففى اكسفورد سنحت لها لأول مرة فرصة الاشتراك فى حفلات الطلاب الراقصة ... على أن هذه الحفلات لم تخفف من شعورها بالوحشة والحنين لبيتها وأسرتها .

كانت مارجريت كما علمها أبوها تتطوع للقيام بالخدمات الاجتماعية .. وفى صيف ١٩٤٤ عملت مدرسة لفترة قصيرة وفى نهاية العمل اشترت لنفسها بعرق جبينها دراجة تركبها شأن الكثيرين من طلاب جامعة اكسفورد .

لما انتهت الحرب العالمية الثانية تقرر اجراء انتخابات عامة فى بريطانيا .. وكانت المعركة الانتخابية فى اكسفورد حامية الوطيس بين «كوينتن هوج» مرشح المحافظين ونظرائه من مرشحى الاحزاب الاخرى . وبذلت مارجريت روبرتس جهوداً فى مساعدة مرشح حزبها دون أن يطوف بخاطرها أن تحاول دخول مجلس العموم .

الصدفة تلعب دورها

أما تفكيرها فى خوض بحر السياسة فقد بدأ بمحض الصدفة إذ حضرت ذات ليلة حفل عيد ميلادها صديقتها مارجريت وكستيد وهناك دار بينها وبين أحد



المدعوين حديث قال فيه محدثها «يبدو لي ان رغبتك الكامنة هى أن تكونى عضوة فى البرلمان» وفكرت مارجريت روبرتس فى ذلك فلم تجد أن ذلك بعيد الاحتمال .. إلا أن هدفها الاول كان إذ ذاك هو اتمام دراستها الجامعية والحصول على عمل .

تخرجت مارجريت روبرتس فى الجامعة بدرجة الشرف من المرتبة الثانية فى علم الكيمياء وبعد ذلك بسنوات أى فى ١٩٧٠ منحتها الجامعة عضوية كلية سومر فيل وهى أعلى درجات الشرف التى تمنحها الجامعة .

شغلت مارجريت روبرتس حال تخرجها فى الجامعة احدى وظائف البحوث فى مصنع للبلاستيك ولكن كان ولعها بالسياسة شديداً رغم اهتمامها بعملها ، فانضمت لاتحاد حزب المحافظين فى مدينة كولشستر ، وبعد عامين من ذلك حضرت مؤتمر الحزب ، فكان هذا الحدث هو الخطوة الأولى على الدرب الموصل لرقم ١٠ داوننج ستريت ، وهو مسكن رئيس وزراء بريطانيا .

لعبت الصدف والأقدار دورها فى تشكيل حياة مارجريت روبرتس إذ رتبت لقاءاً فى عام ١٩٤٨ كانت نتيجته أن رشحها حزب المحافظين لخوض المعركة الانتخابية عن دائرة دارتفورد . والذى حدث هو انها ركبت القطار الى «لانداندنو» فى شمال ويلز لحضور مؤتمر حزب المحافظين . وكان فى القطار أحد أصدقائها جون جرانت ، يجلس بجوار صديق له ، جون ميلر ، رئيس لجنة حزب المحافظين فى دائرة دارتفورد الانتخابية .. وذكر ميلر فى حديثه مع جرانت أنه يبحث عن مرشح صالح يمثل الدائرة فى المعركة الانتخابية فساله جرانت «هل ترضى أن يكون ممثل الدائرة امرأة ؟» فقال «قطعاً .. لا» .. ورد جرانت بقوله « لا تقطع حتى تقابل من أعنى . قابلها أولا .. فهى شابة فى الثالثة والعشرين .. قد تكون المرشح المثالى فى دائرة صعبة كدائرة دارتفورد وهى معقل عمالى» ... وأدرج اسم مارجريت روبرتس فى قائمة المتقدمين لتمثيل الدائرة وما أن واجهت لجنة الاختيار حتى اجمع الأعضاء على ترشيحها .

ولمدينة دارتفورد دور اخر فى حياة مارجريت روبرتس ، فهناك قابلت لأول مرة الميجور دنيس تاتشر ، وكان يعمل إذ ذاك مديراً عاماً لشركة بويات تملكها أسرته .

وشاءت الأقدار أن يكون دنيس الرجل الذى رضيت به مارجريت زوجاً لها ... وكان ذلك الشاب قد اشترك فى الحرب فى فرنسا وصقلية وايطاليا وأنعم عليه بميدالية الامبراطورية البريطانية وذكر اسمه فى الوقائع الرسمية .. وتقول مارجريت فى ذلك «قابلت دنيس لأول مرة فى الليلة التى تم فيها اختيارى مرشحة الحزب عن دائرة دارتفورد .. وكان علي بعد ان اختارتنى اللجنة أن ألقى خطاباً وأرد على اسئلة أعضاء الحزب .. وطال الاجتماع وكان علي أن أعود الى كولشستر فى نفس الليلة لأزاول عملى فى صباح اليوم التالى .. وهب دنيس لنجدتى واوصلنى بسيارته الى المحطة حيث لحقت باخر قطار » .

خاضت مارجريت روبرتس أولى معاركها الانتخابية ولم تفز فيها واحتفظ العمال بالمقعد ولكن أغلبية الأصوات التى نالوها هبطت بنسبة الثلث وزادت الأصوات التى حصل عليها المحافظين بنسبة ٥٠٪ وبنت مارجريت لنفسها فى هذه الحملة سمعة طيبة كما فازت باعجاب خصومها واحترامهم وظلت على علاقة ودية بالعضو العمالى الفائز ـ نورمان دودز ـ الذى دعاها لتناول الغذاء فى مجلس العموم فى اليوم التالى لفوزه .

يبدو أن مارجريت روبرتس لا تتشاءم من الرقم ١٣ ... فهى كما ذكرنا قد ولدت يوم ١٣ اكتوبر كما انها تزوجت من دنيس تاتشر يوم ١٣ ديسمبر ١٩٥١ وكان يوماً عبوساً مظلماً كئيف الضباب ولكن الزواج الذى تم فيه يعتبر من أسعد ما عرف .

كانت مارجريت قد بدأت فى دراسة القانون قبل زواجها فواصلت دراستها بعد الزواج رغم انها رزقت بتوأمين بعد عامين من زواجها ، ولد اسمه مارك وبنت اسمها كارول وكان ذلك فى اغسطس ١٩٥٣ ، وبعد

تلك بأربعة أشهر نجحت فى الامتحان النهائى للقانون ودخلت سلك المحاماة .. وفى ذلك دليل آخر إن لزم الدليل ـ على قوة ارادة هذه السيدة ... السيدة الحديدية .

وتخصصت مارجريت تاتشر فى قوانين الضرائب وقضاياها .. وحاولت رغم ما اصابت من نجاح فى المحاماة أن تفوز بترشيح الحزب لها لكى تخوض معارك الانتخابات فلم توفق حتى عام ١٩٥٨ اذ اختارها المحافظون مرشحاً عن دائرة فنشلى وهى احدى دوائر مدينة لندن .. فلما نجحت فى انتخابات ١٩٥٩ توقفت عن العمل محامية .. ودخلت مجلس العموم .. ودبت قدماها على أديم « هوايت هول » وداست دهاليز السلطة يوم عينت وزيرة فى عام ١٩٧٠ .

التواضع وعدم المغالاة

يرى بول جونسون شيخ المعلقين السياسيين ان مارجريت تاتشر تتميز بتواضعها الجم وعدم المغالاة فى تقدير مواهبها وقدراتها . كما يرى أن طبيعتها قد تنطوى على شىء من التشاؤم لأنها صادفت فى حياتها كثيراً من العقبات .. فهى لا تأخذ أى شىء على أنه قضية مسلمة ولا تسلم بانها لابد ستنجح فى كل ما تعمل وهى تؤمن بانها لن تحقق أى شىء الا بالتركيز الى أقصى حد وبذل أكبر جهد ممكن وبالعمل المتواصل .. بل وانها بعد ذلك كله ستحتاج الى بسمة من بسمات الحظ .. ولقد اختلف النقاد فى الحكم على مدى نجاحها أو فشلها ايام كانت وزيرة للتربية والتعليم ولكن لا خلاف على أنها تعلمت من اخطائها وهذه علامة من علامات السياسى الناجح .. اذ ليست القدرة على تحاشى الخطأ هى ما يقاس به النجاح ، لأن الانسان غير معصوم من الخطأ .. والمقياس هو القدرة على التعرف على الخطأ عند الوقوع فيه وعدم تكراره .. والأهم من ذلك هو ان نتعلم من اخطائنا . وكانت تلك احدى ميزات الرئيس جون كندى وتشاركه فيها مارجريت تاتشر فهى من بين وزراء حكومة ادوارد هيث ١٩٧٠ / ١٩٧٤ اكثرهم نقداً للذات . وفى ذلك يقول بول جونسون :

« كنت أقول لهاروا لسون أثناء رئاسته للوزارة ـ حاول ولو مرة واحدة أن تقول باخلاص انك اخطأت وستجد أن الناس تحبك » وكان يجيب « أقبل ما تقول يا بول فهو صحيح وسأفعل ذلك ـ ولكن المشكلة هى أنى لا استطيع ـ اذ لا أظن انى ارتكبت اى خطأ » .. ومارجريت تاتشر على النقيض من ذلك فهى تنتقد نفسها بشدة .

ويرجع بول جونسون السبب فى نجاح تاتشر وانتخابها رئيسة لحزب المحافظين ـ رغم أن الحزب بطبيعة تكوينه يؤثر أن يكون رئيسه رجلا ـ هو شجاعتها المطلقة ، اذ كان فى الحزب بعد الفشل فى الانتخابات تذمر ولغط وهمس حول تصرفات ادوارد هيث ولكن لم يكن فى الحزب خليفة بارز يخلفه .. وخاف من كانوا يستطيعون ترشيح انفسهم لخلافته وأعرضوا عن ذلك .. اما مارجريت تاتشر فكانت العضو الوحيد الذى له من الشجاعة ما يمكنه من الوقوف فى وجه ادوارد هيث .. لهذا نجحت ففى الحزب عدد كاف من الاعضاء الذين يقدرون الشجاعة ويحترمونها ويعتبرونها أهم الفضائل السياسية .. ويعترف أعند خصوم مارجريت تاتشر بانها تملك قسطاً كبيراً من نوع خاص من الشجاعة التى تنسب لونستون تشرشل عادة .

ويقدر بول جونسون فى رئيسة الوزراء عدداً من الصفات أولها انها سيدة تتمسك بأهداب دينها ، وتكاد من هذه الناحية تكون فريدة بين زعماء الأحزاب .. فهى تؤمن بالوصايا العشر وتفرق بوضوح بين الحق والباطل ، بين الفضيلة والرذيلة بين الصواب والخطأ .. وهى ثانياً ذكية متنورة مثقفة تجيد الاصغاء وتهتم بالأفكار .. وقد لا يوافق البعض على ما تقول ولكنهم يرون حتما ما فى كلامها من افكار .. والصفة الثالثة هى ما عندها من قدرة وطاقة على العمل فهى تجد المزيد من النشاط كلما اشتد بها التعب .. والصفة الرابعة التى حازتها على غيرها هى أمانتها المطلقة فهى ابدا تؤثر الخط المستقيم فى كل ما تعمل وتكره الالتواء . وهى تحسن الاختلاط بالناس وتحبهم وتتعاطف معهم . وقد لا تكون لها شعبية كبيرة بين الطبقات الارستقراطية والفوق متوسطة ولكنها محبوبة من الطبقات الفقيرة وما دون المتوسطة لأن الناس لا ينسون انها ولدت فوق دكان بقال وأنها امرأة شقت طريقها فى دنيا يسيطر عليها الرجال ، وأنها بلغت القمة بتصميمها وعزمها وكدها وشجاعتها وذكائها . ولهذا أهميته فالنساء فى بريطانيا لا تصوتن هذه الأيام حسب ما يشير به الأزواج .

سئل برايان وولدن وكان من أبرز نواب العمال وهو اليوم معلق سياسى تليفزيونى له برنامجه السياسى الخاص ، عن رأيه فى المسز تاتشر فقال « ليس في عالم السياسة اليوم من يريحنى أن اثق به أكثر من هذه السيدة » وأكد أنه يمكن للانسان أن يأتمنها تماماً على أسراره ، فهى لن تخون من يأتمنها حتى وان تعارض ذلك مع مصالحها الخاصة .. وهى فى رأيه سيدة دافئة الشعور دمثة الاخلاق ، متواضعة ، رغم ان اكثر الناس صلفاً هم بعض من يصلون الى القمة من أولاد السفلة لأنهم يشعرون بعدم الاطمئنان ويعانون من مركب النقص .. ولمارجريت تاتشر القدرة على مواساة الناس اذا كانوا فى هم .. ومن أبرز خصالها ، كدها ومثابرتها وقدرتها على أن تسيطر على تفاصيل أى موضوع . ولعل دربتها القانونية هى التى تعينها على ذلك . ومجلس العموم لا ينسى الدرس الذى لقنه مارجريت تاتشر وهى فى صفوف المعارضة على « دنيس هيلى » وزير المالية العمالى أثناء مناقشة اقتصادية دارت فى المجلس . ولقد استطاعت كما يقول الانجليز « أن تنزع عنه سرواله » ، لا لأنها خطيب مفوه ولكن لأنها كانت قد درست الموضوع دراسة عميقة وتحكمت تماماً فى التفاصيل والأرقام والاحصائيات .

ويرى برايان وولدن أن ثانى ميزات تاتشر هى عزمها الذى لا يلين وأرادتهاالحديدية ، وان كانت هذه الارادة لا تبدو واضحة فى العادة لأنها سيدة مفرطة فى الطيبة تميل الى المرح والبساطة الا اذا هوجمت . أما من يحسن معاملتها فانه يجد فيها طيبة قلب ووداعة .

والصفة الثالثة التى ينسبها برايان وولدن لمارجريت تاتشر هى أنها تمثل شعور الأغلبية فى البلاد فهى تجذب خيال الناس وتشد انتباههم وتحتفظ بهما فى قبضة يدها لأن معتقدات الناس هى معتقداتها .. فهى اذن تجسم رأى الأغلبية .. وتأتى بعد ذلك صفة المرونة وسهولة التكيف والقدرة

المرأة الحديدية



على امتصاص الهزيمة واستيعابها ، والعودة الى الحلبة لمواصلة النزال .

ويأخذ عليها برايان وولدن ميلها الى ائتمان الناس وافراطها فى ذلك ويرى انها قد تحسن صنعاً اذا استعانت بشىء من الشك .. وسوء الظن عصمة ..

ويتوقع برايان وولدن الذى يصف مسز ناتشر بالوقار والاحتشام وبعض الجمود ان يكون حكم هذه السيدة مختلفاً تماماً عن حكم من سبقوها من عمال ومحافظين فهى بحق المدافع عن المجتمع اللبرالى لأنها تؤمن بكل ألوان اللبرالية الكلاسيكية الانجليزية وهى لا تريد ان يتزايد الدور الذى تلعبه الدولة فى ادارة شئون الناس لأنها تؤمن بأن الرجل العادى أقدر من الدولة على اتخاذ القرارات التى تمس صميم حياته . وأهم القضايا السياسية حالياً فى بريطانيا هى الجواب على السؤال التالى : هل يتواجد الناس حقاً لخدمة الدولة أو هل تتواجد الدولة لخدمة الناس ؟ ولمارجريت تاتشر فى ذلك رأى واضح يعرفه الجميع وهو ان مهمة الدولة هى خدمة الشعب وأن الدولة أداة مفيدة يجب ان تكون لها وظائف معينة .. وبذلك تقدم مارجريت للشعب اختياراً جديداً وفرصة جديدة وبهذا تطبع مارجريت بصماتها على المجتمع البريطانى .

ومارجريت تاتشر ترحب بالنقد البناء النزيه الصادر عن نية حسنة ، ولا يقصد به مجرد السب .. وهى ترعب اليساريين وتخيفهم لأنها لا تتورع عن شجب الماركسية ومن يعتنقها أو يدافع عنها .

حسن الاصغاء والانتباه

وتجمع الآراء على أن مارجريت تاتشر كزعيم سياسى تتحلى بصفة حسن الاصغاء والانتباه لما يقال فهى تعطى محدثها كل انتباهها . ولقد اشرنا من قبل الى هذه الناحية من أخلاقها وقلنا انها تساعدها على التمكن من ادق التفاصيل ونذكر فى هذا المجال قصة نائب مدينة برمنجهام الذى زارها على رأس وفد وهى وزيرة للتربية والتعليم . ولقد ذهل أعضاء الوفد لسرعة ادراكها للب القضية التى كانوا يعرضون ولدقة الأسئلة التى وجهتها اليهم .

كانت المدارس الثانوية موضوع الزيارة ولم يكن النائب يعرف عددها فى برمنجهام على وجه التحديد ولكن مارجريت تاتشر كانت تعرف العدد بالدقة وتعرف مشكلة كل مدرسة .. فلما اقترح الأعضاء ضم مدرستين معينتين بعضهما لبعض اعترضت هى فوراً لبعد المسافة بينهما وذكرت لهم المسافة بكل دقة ! .

لما فاز حزب العمال فى انتخابات ١٩٧٤ دار الهمس فى حزب المحافظين حول رئاسة ادوارد هيث للحزب كما ذكرنا . وبدأ بعض الأعضاء ينادون باختيار رئيس جديد للحزب وفاتح بعضهم مارجريت تاتشر فى ذلك فرفضت أول الأمر أن ترشح نفسها لأنها شعرت ان الحزب لم يكن مستعداً لتنصيب امرأة رئيساً له . فلما وافقت بعد ذلك لم يكن الدافع رغبة فى الاساءة لادوارد هيث ولكن لأن الموقف استدعى ان يرشح بعض الاعضاء انفسهم ليكون هناك انتخاب فعلى واقعى ، وكان جل الاعضاء الرجال قد تنحوا عن دخول المعركة فرشحت نفسها لأنها كانت « الرجل الوحيد » الذى قبل ان يتصدى لرئيس الحزب .. وكانت مارجريت تاتشر تعلم ان فى فشلها قضاءاً مبرماً على حياتها السياسية .

والى جانب هذه الشجاعة تتحلى « ماجى » بصفة الوفاء .. حدث ذات يوم فى عام ١٩٧٧ أن اتهم فيرجس مونتجومرى ، سكرتيرها البرلمانى ، بسرقة كتابين من متجر . وقبل الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى اتصلت مارجريت وسألته عما يزمع عمله خلال اليوم فقال ان عليه أن يتوجه الى المحكمة فى الصباح وانه قرر العودة الى بيته بعد ذلك مباشرة لأنه لا يستطيع ان يواجه الناس بعد ما حدث ولكنها اقنعته بالذهاب الى مجلس العموم بعد فراغه من المحكمة لأن واجبه يقضى بمواجهة المشكلة ، وفى تأجيل المواجهة ما يزيد الموقف سوءاً . واستقبلت مارجريت تاتشر سكرتيرها فى مبنى المجلس وصحبته فى جولة حول دهاليز المبنى ليراه الناس فى صحبتها ثم عادت معه الى غرفة الشاى .. وفى سبتمبر نظرت القضية وصدر الحكم ضد السكرتير فكانت أول من اتصل به واستقبله فى المجلس .. بعد ذلك حكمت محكمة النقض ببراءة السكرتير ، وراح الى المجلس وفى نيته ان يتصل بمارجريت تليفونياً لينقل اليها الخبر ولكن زوجته قالت « وفر على نفسك عناء المكالمة .. ها هى مارجريت بنفسها » .. واتجهت مارجريت نحو سكرتيرها وطبعت على جبينه قبله وقالت « أتريد أن أفصح عما فى نفسى ؟ » .

وأخيراً .. ملاح ماهر

اتهم الخصوم مارجريت تاتشر بأن حكمها وسياستها الاقتصادية سببت فى البلاد بطالة زادت عن ثلاثة ملايين متعطل .. فما كان منها الا ان شرحت للشعب حقيقة الموقف وبينت للناس ان البطالة كانت موجودة طوال الوقت وان ما فعلته لم يزد عن انها نقلت تلك البطالة من داخل المصانع الى خارجها حتى لا يزيد ثمن المنتجات بسبب الأجور التى يتقاضاها هؤلاء المتسكعون وبذا يمكن منافسة ما تنتج الدول الصناعية الأخرى .. ثم شرحت للناس ان نقابات العمال هى السبب فى البطالة لأنها فرضت على اصحاب العمل ان يشغلوا عاملين أو ثلاثة للقيام بمهمة يقوم بها عادة عامل واحد .

ومارجريت تاتشر شخصية لا يمكن أن توصف بالسلبية فهى نفاذه تثير الغضب والحقد فى قلوب أعدائها والاعجاب فى قلوب انصارها فهى بالحق ظاهرة مدهشة . ومارجريت تاتشر تعبر عن الأفكار التى ظلت مطمورة فى عقول الناس .. وسيحكم عليها التاريخ بما تحقق من انتعاش اقتصادى داخل البلاد ومن صيانة لكرامة الدولة فى الخارج .. وأكبر الظن أنها ستتغلب على عواصف جنوب الاطلطنى وتقاوم أعاصير الفوكلاند وأنوائها وأن سفينتها لن تحيد عن طريقها المرسوم لأن مارجريت تاتشر ملاح ماهر يعرف كيف يشق طريقه فى بحر السياسة مهما اشتد هياجه وزاد صخبه .؟

هيئتان للفضاء الوسيع

شعر : حلمي سالم
بيروت

(١) الفاكهاني

هدوء .
هدوء .
هدوء .
قطة ملغومة تموء .
وموقف الندى .
يسوء .

• •

فحيح .
فحيح .
ذلك البدن المدلى من الأراجيح
بهلوان ،
أم جريح ؟
وذلك المدى المقبب الطري
عنفوان ،
أم ضريح ؟

• •

ضجيج .
صوت مجاور لطلقة الأهازيج .
والابتسام شرخ فى النشيج .
(هذه الدماء :
أريج)

• •

وبيروت
صورة قديمة على خشبة التابوت .
نبضة ، لا تموت ، حينما تموت .

(٢) بلاد

النبطية أرض ، تتشوق للأرض
النبطية شرف ، أو عرض :
نبض يتصاعد من وجع النبض
وهى الترتيلة ،
وهى الفرض .
صور .
صور
صور .
لحظة نار طارئة ، وعصور .
صور .
وردان : فورد ينكسر فينتصر ،
وورد مكسور منصور .
صور .
دم عربي . معصور .

• •

الرجال فى الجنوب
يمنحون للرياح نكهة النسيم أو عصفة الهبوب .
الرجال فى الجنوب
طيوب تعيد بانفجارة الندى صياغة الدروب .
الرجال فى الجنوب
دروب .

• •

(اللون يستطيل يستحيل ماسورة ،
والمدى يستعيد كل ليلة لونه القرمزى النحيل ،
والعربان يحفرون بعض القبور على شاطيء رملى
للبحر المليء بالزوارق التى تصب الثرى على القتيل)

• •

وتصعد الجليل .
هذه البلاد ممكن يعانق المستحيل .

● الفاكهانى : حى مشهور فى بيروت . وهو الحى الذى ضربه اليهود بطائراتهم فقتلوا مئات وجرحوا مئات آخرين .

وقف التنفيذ.. روحيًا

بقلم : عبد الله الجفري

وقفة أيام استطالت إلى أكثر من أسبوع .. كان الزمن فيها حلقة مفرغة وساخنة .. ليس فيها ثمين مانح ، وإنما افتقار وخواء ، واجترار لشعور يحتمل منطق الثقة ، ولفكرة استقرت ، واحتفظ بها الذهن بلا نقاش اني !

وليست كل « وقفة » أيام .. هي – بالضرورة – تافهة وفجة وهشة ، كذلك .. يبدو من المحزن أحياناً أن تأكل أيام خاوية أهمية زمنك ، وتحجز عن تأملاتك أفكار العالم !

أسبوع بكامله – هو مطلب إنساني – يفكر فيه الانسان ، ويقدم على تجربة جديدة ويتعلم ، ويتأمل ، ويفلسف ، ويسقط بعض اشيائه التى مسخت ، ويرتقى بالذى استشرفه ، وأحس به « تواجداً » فى حياته ، ليكون الحصاد « معنى » يساعده على امتلاك مقود أيام جديدة ، وأسبوع يخلو من الضن ، ويزخر بالعطاء !

ذلك ما قد يفتقده الانسان مرة ، فيتحول إلى مخلوق مرتطم (!)

والارتطام ... هو حكم باللاحياة على الروح مع وقف التنفيذ .

بمعنى أن الانسان يعيش أيامه مقعياً .. رأسه وأصابع قدميه بلا فوارق .. نظراته وأظافره علامات فقط .. محفورة ومثبتة فى جسده .. قد يركض بنظراته بدل قدميه .

إلا أن ذلك الركض لا يعنى وجود حوافز وقيم وأماني .. بل دوار يعتري الذهن فى رحلة موغلة فى احضان اليم إلى غير اتجاه

هذه « حالة » ربما اعترتني فترة من الوقت .. لا أدري !

كل الذى اعرفه – الآن – أنه كانت بين يدي رواية جديدة للكاتب القاص العالمي « شارلز جارفس » .. نفرتني بدايتها .. كانني كنت أشاهد فيلماً امتدت إليه يد الرقيب لتحذف منه فقرات ، لكني تبينت أن هذا الكاتب ينحى هذا السبيل فى كتابة الرواية .. يعطيك فقرة محذوفة من بداية الرواية فى منتصفها .. ليس لأن هذا مكان المشهد ، وإنما لكي تبدو قارئاً متتبعاً ، يقظاً .. يريدك أن تشاركه فى بناء الرواية .

والرواية بطلها شاب رفيع المكانة بدون أن يعرف . تدله بالرسم .. أصبح يعشق الريشة وتغيب نظراته فى الألوان .. ليعرف كيف يكون الامتزاج بين لونين واكثر ؟ والفنان دائماً يبحث عن « لوحة » تلهمه .. تجعله يستغرق فى التأمل . ويتخلى « جودفري » عن لقبه الكبير ليحظى « بوقفة الأيام » على لحظة حب لا تنتهي مع « كمبلين » التى أحبها ، فامتزجا !

هذا الذى أتذكره من الرواية – رغم انهائى لفصولها – جرياً وراء صورها ، وحوار أبطالها ، ومشاهد الحياة المنقولة على الورق !

لا أدري – حتى هذه الثواني – هل كانت مجرد « حالة » تعترى القارىء أحياناً ، فيبدو « ماحياً ! » ، غبياً ، فاقداً .. أم أنها كانت « وقفة أيام » .. الساعات فيها ، والليل والنهار .. أطراف يقضمها الزمن بكل جوع ونهم .. فقط لأنه زمن مصاب بمرض « أبو عرض » .. ؟!

تبينت اليوم ، وبعد انفراج فى النفس ، واطمئنان لخفق القلق ، أن الانسان يقرأ أحياناً ويتحدث ، وقد يقهقه أيضاً .. ليعاند « وقفة الأيام » فى رؤاه .. ليطرد قلقاً نفسياً تملكه من غموض .. لكنه يكون طيلة الوقفة تلك مشغولا « بافطار » أفكاره ، وخفقه .. بعد أن عانى فى الوقفة « صيام » ذهن ، وصيام وجدان .. إلى درجة لا تبعد عن الاضراب عن الطعام ، أو توقف صوت المدفع

طيلة أسبوع أحسست أن أفكاري تصوم مع معدتي .. وأن « قلبي » يقسر على الارتضاء «بالصوم» .. لسبب واحد فقط .. هو الشعور بأن الأيام فى « وقفة » فارغة ، وسمجة .. خالية من المنح ، والغدق .. فقيرة بالفرقة . خسرت لحظة لقاء .. ربما تمت عبر سطور تتراءى من خلالها ملامح « كمبلين » عزيزة اللورد سابقاً « جودفري » ، أو ملامح « مسز سمبسون » !

وعندما كانت أصابع يدي «تنفش» الوريقات – محتوى هذه الرواية – قرأت عبارة كتبها المؤلف بلسان بطل الرواية .. تقول :



جان بول سارتر .. كان يرى أن الفرق بين الانسان والحيوان هو أن الأول يستطيع ان يقتل نفسه .. بينما الحيوان لا يستطيع !

ـ «تعالى .. لا أستطيع الانتظار .. ان كل شيء يتوقف» !

فى هذه الثانية .. كانت عبارة لسارتر تخبط راسى بعنف ، كانها جاءت استطراداً للمعنى .. لم أتذكر أين قراتها ، لكنها تقول :

● «ان تنقذى انساناً يا صغيرتى .. ليس هذا كل شيء .. المرغوب حقاً أن تعطيه وسيلة الحياة أولا» !

لكن .. كيف ؟!

تساءلت شجاعاً ، وقد تخلصت من «وقفة الأيام» ، وانتظرت الانفتاح المؤمل فى ذهنى ان يجيب بلا عقابيل ، بلا وقفة ، بلا أيام . يجيب بعطاء الزمن .. باحترام الزمن ونحن ننصهر فيه من أجل امتلاك وسيلة الحياة !

وتموجت اجابتى .. كانها نسمة ليل فى أعماقى .. كنت أبعد عن تصورى حاضر «سارتر» وأقرب حاضر «ديجول» ، وأتذكر أيام «سارتر» قبل «وقفتها» الأخيرة ، وأقول :

إن معنى الانقاذ الفعلى أن تتحد الرغبة ـ أولا ـ ثم .. تلتئم الوسائل حتى المزج ! .. بعدها ـ وبعدها فقط ـ أمتلك زمام شجاعة جديدة تجعلنى أموسق عبارة مجنحة حفظتها ، هى للشاعر الاسبانى «جستافو ادلفو» وتعنى :

● «حينما أرنو الى الأفق الأزرق الذى يتلاشى من بعيد .. يخيل الي أنى أستطيع انتزاع نفسى من تلك الأرض الموحشة ، وانى أستطيع أن أطفو على الغمام العائم» !

عبارة غنية بالشعر .. إلا أن تامل الحياة فى ذاته ننسجه من هذا الاحساس .. نمنح الروح متنفسها ، حتى لا يحدث بينها وبين العقل ذلك «الارتطام» مرة أخرى .. وحتى لا يكون هناك حكم يشمل «وقف التنفيذ» .. لكنه يستهدف الروح ، وبذلك يتعرض العقل لـ «وقفة الأيام» كما عبر عن ذلك أحمد الزيات يرحمه الله !

التساوى فى العواطف بين اثنين .. بداهة «ـ ان لم تتاكد ـ فان القيم الحسية ، والاعتبار الشعورى ، والاحترام لمعطيات الروح تتحول الى انفلاشات تقتل الانسان بشيء لا يدريه .. تجعله أشبه ما يكون بالحيوان الرطيء ، وليس كل الحيوانات تقتل نفسها باللادراية .. بينما هناك كثير من الآدميين يفنون أنفسهم بكل العلم ! ولا أدرى كيف تناسى «سارتر» عبارته التى عرق لحظة صياغتها ، والقائلة : «ان الفرق بين الانسان والحيوان هو أن فى استطاعة الانسان أن يقتل نفسه ، بينما الحيوان لا يستطيع» ! .. ذلك أن سارتر مفكر كان «يتعاطى» احترام المثقفين له فى العالم .. فى الوقت الذى وقف هو «يوماً» فامن جداً وحتى العدم باللاتساوى فى العواطف بين اثنين .. فاصيب بالانفلاش الوجدانى الذى أبعده أن يلائم بين قيم الحس ، واعتبار الشعور من جهة .. وبين ارتفاع الانسان بفكره ، ومبادئه من جهة أخرى .

التساوى فى العقول ، والذهن .. بعيدة بداهتها . لكن «الارتطام» يتمثل عندما يحدث الانفصام بين الشعور والفكر !!

إن «شالز جارفس» ليس أكثر من روائى اشتهر فى العالم بجودته للحبكة فى الرواية .. مع ذلك ، ومن خلال قراءتى التى أخذت فى تذكر معانيها ، هو لا يصنع العداء بين شعوره وفكره الى درجة الارتطام !

فى رواية «شارلز جارفس» انتصر الحب على اللقب وعلى الفوارق ، وسما الشعور بالفكر .. صهر الارهاصات التى أضنت التفكير ، وبلورت كل التاملات الوافدة من «توقع» يحسب حساب «وقفة الأيام» . والحصيلة التى بدت ـ أخيراً ـ أن العاطفة والفكر هما التزاوج الملح الذى يعكس معنى «وسيلة» الحياة .. أما الحياة نفسها فانها تاتى فى تنشيط أشياء تتوقف أحياناً .. تتوقف لنقول لها : تعالى .. لا أستطيع الانتظار !!

«كمبلن» لم تنفصل عن نفسها .. كانت مع نفسها ، فاحبت الانسان لا اللقب .. بينما «الليدى ماريون» بطلة الرواية الثانية احبت اللقب والانسان واللذة .. لكنها ارتفعت بعمق الحب عن كل هذا ، لتحب الصداقة فى الانسان !

إن الروح دائماً هى جوهر الحياة ، وبذلك يأتى الانتصار .. بعد كل انتظار مرهق تذيبه دعوة متحدة .. فيها امتزج الشعور والتامل !!

مسافر على الرصيف



المعداوي

بين رشدي صالح وسيد قطب

بقلم : محمود السعدني

أغرب شيء انني عندما رأيت أنور المعداوى لأول مرة فى حياتى على قهوة محمد عبد الله ، حسبته ضابطاً بالقوات المسلحة . فقد كان طويل القامة متين البنيان رافع الرأس على الدوام . ولم يكن وحده حين رأيته أول مرة ، ولكن كان بصحبته صديقان قدر لهما أن يشتهرا فيما بعد . أحدهما كان يسارياً اشتغل بالسياسية فى البداية ثم طلق يساريته نهائياً بعد أن ذاق مرارة السجن ، واحترف الصحافة فى النهاية ومات مقهوراً ، فقد كانت نهايته عكس بدايته ، وكان سلوكه عكس معتقداته ، وذهب دون أن يترك أثراً فى حجم موهبته !

والآخر كان اشتراكياً اسلامياً ، واشتهر بعد ذلك كأحد زعماء جماعة الاخوان المسلمين ، ثم قدر له أن يدفع حياته ثمناً لكتاب أصدره فى الستينات هو « معالم الطريق » وبالرغم من غيابه عن دنيانا كل هذه السنين ، إلا أنه لا يزال يعتبر الأب الروحى لكل الجماعات الدينية المختلفة التى ظهرت فى مصر وربما فى العالم الاسلامى ! كان الأول هو أحمد رشدى صالح ، وكان الرجل الآخر هو سيد قطب . وكان الثلاثة يجلسون فى قهوة عبد الله ، وكان الحديث بينهم يدور حول مجلة جديدة فى طريقها الى الصدور ، هى مجلة « الفجر الجديد » . الغريب أن الثلاثة تجرعوا الموت قهراً وان اختلفت الوسائل . لقد اكتشف رشدى صالح أن الكفاح طريق ليس له نهاية فآثر أن يبتعد ، وارتاد طريقاً آخر هو طريق أكل العيش . ولكنه اكتشف بعد فترة انه كسب عيشه وخسر موهبته ! وكانت النتيجة الاحساس بالقهر والمرارة ثم الموت بعد ذلك . وكان موته الأدبى قد سبق موته الرسمى بفترة طويلة .

وكان سيد قطب نموذجاً يختلف كل الاختلاف عن رشدى صالح . اكتشف منذ البداية أن الطريق الذى يسلكه يؤدى الى السجن والى القتل ، فأسرع الخطى على الطريق الذى اختاره ، وعندما صعد على حبل المشنقة أدرك أن طريقه المادى قد انتهى ليبدأ طريقه اللانهائى ، وهو الذى أدى به الى الخلود والى الأبدية ! وكان أنور المعداوى نموذجاً ثالثاً . لم يكن سلبياً متعايشاً مع الظروف كرشدى صالح ولم يكن فدائياً كسيد قطب رفض الخضوع مع العيش الناعم ، ورفض الثورة حتى الموت . وعندما اكتشف أن قوى البطش أعتى وأعنف ، انفجر فى داخل نفسه شيء ما ، ولم يلبث أن قاطع الحياة كلها ومات .

ولعل هؤلاء الثلاثة هم مصر كلها فى تلك الفترة . ولن تجد بين طائفة المثقفين نماذج خارج هذا المثلث : رشدى صالح ، المعداوى ، سيد قطب !

وقد يقول قائل ، هناك نماذج أخرى انسجمت أهدافها مع أرزاقها ، فعملوا وانتجوا ولمعوا فى كل عهد ، وتضخموا وتضخمت أرصدتهم فى كل وقت !

وأجيب هؤلاء بأننى أتكلم عن طبقة المثقفين ولأن الثقافة ليست معلومات ولا هى حرفة ولا هى فهلوة أو عملية تفتيح عين . ولكن الثقافة هى وجهة نظر ، وهى موقف ، وهى طريق يختاره المثقف ويكون مستعداً لأن يدفع حياته ثمناً له ! ولقد كان هؤلاء الثلاثة من خيرة المثقفين فى مصر . كان رشدى صالح من أهالى البر الشرقى فى الصعيد ، وهى أفقر منطقة فى مصر وربما فى العالم . وعندما تخرج فى كلية الاداب كان قد وضع كتابه عن « الأدب الشعبى » هو العمدة حتى الآن فى هذا المجال . وهو المرجع الوحيد عند علماء الغرب عن الفن الشعبى المصرى الحديث . ومن خلال هذا الكتاب كان رشدى صالح قد حدد موقفه تماماً من الأشياء والناس وصراع الحياة . ولقد ساقه هذا الموقف الى السجن فقضى خلف أسواره عدة سنوات كانت كفيلة بتغييره من الضد الى الضد . وعندما اجتاز بوابة السجن كان شخصاً آخر هو الذى خرج . واضطر من شدة الخوف أن يؤلف كتباً ضد رفاق الطريق السابقين . وان يقاطع شلة شبابه المبكر . حتى قهوة عبد الله لم يعد يتردد عليها . وفى النهاية قطع صلته بأقرب الناس اليه ، ولم



انور المعداوى
قهر وغيظ

سيد قطب
صلابة واستشهاد

رشدى صالح
هروب وسلبيه

يشاهده أحد خارج دائرة عمله مدة عشرين عاماً متصلة !

سيد قطب كان شيئاً آخر يختلف .

كان اشتراكياً اسلامياً ومع ذلك لم يتردد لحظة فى ان يشارك رشدى صالح فى اصدار مجلة ضد حكومة ذلك الزمان ! وكان يختلف عن كل الذين يجالسهم فى قهوة عبد الله ، ويختلف معهم ، ولكنه أبدا لم يقطع حبل الود بينه وبينهم . كان يحب الجميع ويحترم الجميع أيضاً ، وبالرغم من مشاغله الكثيرة كان حريصاً على التردد على قهوة عبد الله بين الحين والآخر . لم ينقطع عنها إلا بسبب سجنه .. وعندما غادر سجنه كانت القهوة قد زالت من مكانها ! بل لقد حرص خلال فترة سجنه الطويلة على أن يسرب خطاباً من خلف الأسوار الى صديقه أنور المعداوى . بعكس رشدى صالح الذى استوقفته ذات مرة فى الشارع وأبلغته بأن المرض قد اشتد على أنور المعداوى ، وأنه فى طريقه الى الموت . عندئذ نظر الى رشدى بلا مبالاة وقال فى هدوء « ما احنا كلنا عيانين ياعم سعدنى» ولم يزد حرفاً بعد ذلك !

واذا كان سيد قطب قد مات شهيداً ، ورشدى صالح قد مات ضائعاً ، فان أنور المعداوى كان يقف فى المنتصف تماماً بين رشدى وسيد قطب . فهو لم يكن من طبقة الشهداء ، كما انه لم يكن من النوع الذى يأكل عيشه بالجبن ، ولذلك مات مقهوراً وانفجرت شرايين دماغه من شدة الغيظ ! ولكنه حتى برغم المحنة لعب دوراً رئيسياً فى حياة الجيل الذى سبقنا والجيل الذى ننتمى إليه . ذات مساء كانت القهوة عامرة بنخبة من الأدباء والشعراء والفنانين . وكان زكريا الحجاوى يتحدث عن مجلته الجديدة « الميزان » التى فى طريقها الى الصدور ! وراح زكريا الحجاوى يتحدث بحماس عن الواقعية الجديدة التى سترفع شعارها مجلة « الميزان » . وفى النهاية طلب من جميع الحاضرين أن يساهموا فى المجلة باقلامهم وانتاجهم . ثم خص أنور المعداوى برجاء أن يكتب افتتاحية « الميزان » . ولكن أنور المعداوى أبدى فتوراً شديداً واعتذر بحسم ، ووعد زكريا بالتفكير فى الأمر بعد صدور المجلة . وبعد أيام تقدمت باصول قصة قصيرة لتنشر فى « الميزان » . وانتظرت على نار موعد صدور المجلة . فلما صدرت أصابنى احباط شديد فقد خلت صفحاتها من قصتى ، وكانت بعنوان « الواعظ » ، وهى عن واعظ كفيف مهمته إلقاء خطبة الجمعة فى مسجد ليمان طره الرهيب . ولم يكن يؤم مسجد الليمان الا المحكوم عليهم بالسجن مدى الحياة . وبالرغم من ذلك لم يخرج الواعظ الضرير عن خطبة واحدة كان يكررها كل أسبوع ، وكانت عن مناسك الحج الى بيت الله الحرام ، وشروط الزكاة !!! وزاد من همى اننى قرأت بحثاً فى « الميزان » منشوراً على ثمانية صفحات للأستاذ بكر الشرقاوى ، وبالرغم من كل الجهد الذى بذلته لم أفهم حرفاً واحداً من البحث المنشور ! وشعرت بأننى لست أديباً ولن أكون !! لأن كلامى مفهوم يفهمه أى طفل وأى إنسان ولو كان حظه يسيراً من التعليم ! وقلت لنفسى هذا هو الأدب الصحيح . لا يفهمه إلا الأديب الذى كتبه وربما حلقة ضيقة من الكتاب والأدباء . كان البحث حافلا بتعبيرات من نوع « الاستبطان الاستغلاقى والشواشى العليا للبرجوازية الكومبرادورية التى تحقق مصالح طفيلية من أجل ضرب النمو الاستاتيكى والديناميكى على السواء » !! وفى المساء كنت أجلس حزيناً مهموماً على قهوة محمد عبد الله ، وحين جاء أنور المعداوى أدرك أننى مهموم وان كان لم يدرك السبب . وعندما سألنى عما إذا كنت قد قرأت الميزان ، أجبته بنعم ، ونطقتها بأسى شديد . وراح أنور المعداوى يبدى رأيه فى مجلة الميزان . وانزاح همى كله عندما اكتشفت أن أنور المعداوى – وهو أديب لاشك فى ذلك . لم يفهم هو الآخر حرفاً واحداً من بحث بكر الشرقاوى . كما أن المجلة بلا هوية وبلا اتجاه .. كما أن كتابها .. أقل من المستوى وبعضهم لم ينضج على الاطلاق » !! وشكوت لأنور المعداوى ما حدث لقصتى واستبعادها من النشر ! وطلبها أنور المعداوى وبعد أن قرأها وضعها فى مظروف وكتب بضعة سطور لصاحب مجلة أدبية شهيرة تصدر حتى الآن فى بيروت ! وقلت له بيروت ؟!! مستحيل . انهم لم يسمعوا باسمى قط فكيف سينشرونها ؟ وابتسم المعداوى وقال فى هدوء ، بل سينشرونها أولا لأنها قصة جيدة ، وثانياً لأننى قدمتك إليهم ! ولا أستطيع الآن أن أصف مدى سعادتى حين اشتريت نسخة من مجلة الآداب لأكتشف أن قصتى التى رفضت « الميزان » نشرها ، منشورة فى « الآداب » وكانت أكثر المجلات الأدبية احتراماً فى الوطن العربى . وهذا الموقف الذى اتخذه أنور المعداوى منى ، تكرر كثيراً فى حياته القصيرة . أدباء مغمورون لم يسمع بهم أحد ، وكتاب يزحفون فى سراديب عالم الأدب ، أخذ أنور المعداوى بيدهم إلى عالم الأضواء ، ولم يكن له شروط الا أن يكون الكاتب واعداً ومبشراً وموهوباً بحق . وأما الآخرون فلم يكن يسخر منهم ، ولكنه كان يتجنبهم فقط وأحياناً كان يسدى لهم النصيحة فى لين شديد ، وفى حب أشد ! مرة واحدة فقط ، ضبطت أنور المعداوى فى موقف حاد نوعاً ما تجاه أحد الأدباء . كان الأديب إياه ثقيلا ويفرض إنتاجه على الآخرين دون مراعاة لظروف وأحوال الجالسين ! ذات مرة جاء وجلس معنا فى القهوة ، ثم راح يحدثنا عن قصيدته الجديدة العصماء . وكيف ستحدث هزة فى عالم الشعر والأدب . ثم استأذن الحاضرين فى أن يسمعهم القصيدة ، ورد أنور المعداوى بهدوء « بلاش دلوقت ، خصوصاً إن عندى صداع ودماغى مش رايقة » ! ولكن اعتذار أنور الرقيق لم يقنع الأستاذ الشاعر ، وفجأة سحب قصيدته من جيبه ، وراح يخطب على طريقة خطباء الأسواق وعندئذ هب أنور المعداوى واقفاً كمن لدغته عقرب ، وقال وهو يسرع الخطى « عن إذنكم أنا ورايا ميعاد » !

وكانت هذه هى المرة الأولى والأخيرة التى رأيت فيها أنور حاداً على نحو ما !

نحن جيل الدَّرَبُكَّه

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

أيام كان العرب يناضلون ليتخلصوا من ربقة الاستبداد العثماني ، في مستهل هذا القرن ، ثار مرة جدل بين عربي وتركي حول مزايا شعبيهما وأهلية كل منهما ليكون أمة حديثة ، وعندما أخذ العربي يعدد الأفذاذ من بني قومه ويشيد بخصال الفرد العربي من ذكاء وفطنة ، ومن كرم وشجاعة وحمية قال التركي :

ـ نعم . نعم ... لا يسعني أن انكر ما تقول . ولكني الخص المقارنة بيننا فيما يلي : الفرد العربي حبة رمل ... حبة صلبة قاسية ، وهي في نفس الوقت حبة جميلة لأنها مصقولة ولماعة . في حين أن الفرد منا نحن الأتراك ذرة من تراب ، وكثيراً ما تكون ذرة هشة تافهة . ولكن جرب أن تجمع حبات الرمل وتجبلها لتصنع منها حجراً . انه سيكون حجراً قليل المقاومة ، سريع التفتت تحت أخف الضربات . اما ذرات التراب الهشة فانها حين تجبل بالماء تصبح حجراً سهل التقولب ، ثم صخرة صلبة مقاومة ...

أتراه كان صحيحاً تشبيه ذلك التركي ؟ في الواقع أن الناس عامتهم وخاصتهم ينعون بهذا التشبيه وامثاله على العربي فرديته التي تجعله يؤثر الاستقلال بنفسه على الاندماج في مسيرة الجماهير الموحدة الطريق والموحدة الهدف . وفي عصرنا هذا عصر الاممية الكبيرة ذات الأهداف الشاملة، الشاملة في خيرها أو الشاملة في شرها ، تكون الفردية المفرطة حجر عثرة في سبيل الجماهير الى أهدافها ، فلابد من تشذيب هذه الفردية وتهذيبها حتى تتلاءم ومقتضيات العصر . ولعل هذه هي احدى غايات الثورات المتلاحقة في بلادنا العربية أو احدى وسائلها لتحقيق تلك الغايات .

فالى أي مدى استطعنا أن نخرج بالفرد العربي من طور حبة الرمل العصية على الاندماج الى طور ذرة التراب الهشة ، القابلة للتلاحم والتماسك مع مثيلاتها الذرات الأخرى ؟

● بين الشعر والموسيقى

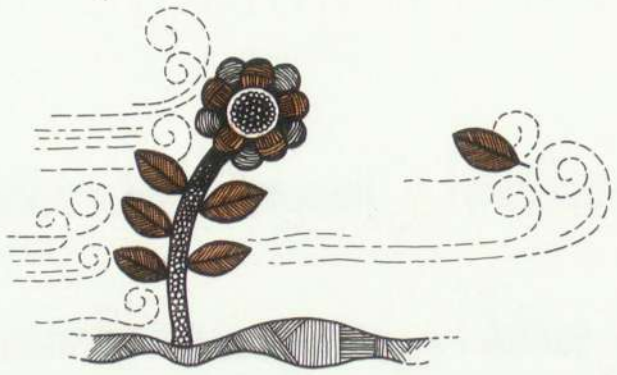
منذ أسابيع استمعت الى محاضرة صديق لي كان يعرض قضية فردية العربي بطريقة أخرى ، أو بتشبيه آخر مخالف لتشبيه التركي ذلك الذي ذكرته آنفاً . قال صاحبي المحاضر ان طبيعة الفرد في الأمة العربية هي طبيعة شاعرية ، في حين أن طبيعة الأفراد في الأمم المتقدمة في عصرنا هذا هي طبيعة موسيقية . بمعنى ان الفرد العربي شاعر ، يشعر بنفسه وينشد شعره وحده ، ويظل دوماً في ما ينظم وما ينشد منفرداً . بينما يبدو أفراد الأمم الأخرى كالموسيقيين الذين يتالفون ويتعاونون ، وكل منهم يعطي من عنده ، فينتج من عطاء الجميع عمل فني متكامل . ومن هذا التشبيه انتهى المحاضر الى الدعوة الى أن يتطور الفرد العربي ، أو يتغير ، ليتحول من الشاعرية الى الموسيقية ، ومن البيت المفرد أو القصيدة المستقلة ، الى الانتاج الاوركسترالي أو السمفوني الرفيع .

ولقد أعجبني هذا التشبيه الذي أورده صديقي في محاضرته ، على ما يمكن أن يرد عليه من مآخذ . فالموسيقى ليست بعيدة دوماً عن الفردية . بل انها كثيراً ما ترتد الى الفردية عندما تبلغ ذروة رقيها ، مثلما كانت فردية في بداية نشوئها . اعمال شوبان للبيانو وكمنجة باغانيني وفيولونسيل بابلو كازالس مثال على ذلك . بل ان الفردية في الموسيقى قد تصل الى درجة تكون فيها الأوركسترا كلها تبعاً ، وسمعها خادماً ، لآلة واحدة أو اثنتين ، كما في الكونسرتو ، ولكن هذا لا ينفي صدق التشبيه بصورة عامة ، ولا سيما اذا تذكرنا ان الشاعرية في الروح العربية صفة مؤكدة تبرز في كل ميدان ، كما برزت قبل في كل العصور .

● ثورات وثورات

اعجبني هذا التشبيه كما قلت . لقد استطعت به أن أتصور ، أو أن أصور لغيري بشكل أوضح ، المقارنة بين ثورات بلادنا الشاملة التي يراد بها تحقيق الانسجام ، أو على الأقل تحقيق التماثل الذي يقود الى الاندماج بين أفراد شعوبنا وبين الثورات الجزئية التي تنفجر بها الشعوب الغربية بين الحين والحين .

فليس من شك أن شعوب الغرب أخذت تتمخض كذلك بالثورات . ثورات كثورات



الاعتراض التي عصفت بفرنسا في مايو ١٩٦٨، واخرى كثورات الهيبيين والبتنيك وحشاشي الماريجوانا والـ ل . س . د . انها ثورات على الانضباط والنمطية . وبالتشبيه الموسيقي هي صيحات نشاز او صفير استهجان ممن ملوا الرتابة في عزف الاوركسترا الكبيرة او ممن لم تعجبهم القطع الموسيقية التي تعزفها تلك الاوركسترا! بينما تهدف الثورات في البلاد المتخلفة الى القضاء على تفاوتات المجتمع في محاولة ادخال الهارموني إلى جو النشاز المستمر والتنافر الدائم بين العازفين أعني بين أفراد الشعب .

ورغم اعجابي الذي ذكرته بتشبيه صاحبي للفردية والتعاونية بالشاعرية والموسيقية ، فقد اردت ممازحته متظاهراً بمعارضته وقلت له :

ـ أنا لست من رايك في ان التعاون على الطريقة الموسيقية هو الذي يصنع التقدم . إذا اتبعنا طريقتك في التعبير نحن الآن موسيقيون ، قد تركنا الشاعرية منذ زمن طويل ، ولكن عللنا لا تزال على حالها .

قال : كيف ؟ نحن لا نزال شاعريين ، أعني فرديين . ومن هذا نتجت اغلب عللنا واليه ترجع اكثر هزائمنا .

قلت : بل لقد دخلنا الطور الموسيقى في مختلف جوانب حياتنا ، في العلم والفن وفي السياسة والاجتماع . واذا اردت الدقة في التعبير ، فنحن الآن من مراحل تطورنا الموسيقي في مرحلة الدربكة ...

قال متسائلا : مرحلة الدربكة ؟ إني لا افهم ما تعنيه بهذا ...

ضابط الايقاع

قلت لصاحبي : ـ ساوضح لك هذا . لنترك جانباً تلك الميادين التي ذكرتها ، ميـــادين العـلم والاجتماع والحـــرب والسياسة ، وناخذ مثالا لما اقول تطورنا في ميدان الموسيقى بالذات ، ويمكنك ان تقيس عليه حالنا فى بقية جوانب حياتنا الاخرى فهل تنكر اننا تجاوزنا مرحلة الآلة المفردة ، مثل الربابة والناي والعود ، ودخلنا في طور التعاون الموسيقي ، اعني طور الاوركسترا ؟

قال مستنكراً : الاوركسترا ؟ اين هي الاوركسترا في موسيقانا ؟ قلت : طول بالك ... كانك نسيت التخت الموسيقي . التخت ليس الااوركسترا صغيرة ، وكل صغير يكبر ...

قال : ولكن الفرق كبير بين التخت الموسيقى والأوركسترا السمفونية .

قلت : انا معك في ان الفرق كبير . ولكننى ، فيما احسب ، نختلف فى نوعية هذا الفرق ، ربما رايت ان الفرق يتركز فى عدد العازفين مثلا ...

قال : صحيح . خمسة او ستة او عشرة عازفين فى التخت الموسيقى الشرقي . وستون او سبعون او مائة وعشرون عازفا فى الاوركسترا الفيلهارمونية ..

قلت : إنه فرق لا يماري فيه . ولكن الفارق الأساسي ليس فى عدد العازفين بل انه فى القيادتين ، قيادة التخت وقيادة الأوركسترا . انت تعرف بان الذى يقود الأوركسترا هو مايسترو نابغ فى فنه ، اتقن العزف على التين او ثلاث من آلات اوركستراه ، محيط بالعلوم الموسيقية وحافظ لكثير من السمفونيات عن ظهر قلب . وهو ذو شخصية قوية وحس مرهف يدرك به نقاط الضعف والقوة فى افراد فرقته ويعرف كيف يتجنب بعض هذه النقاط ويستفيد من بعضها الآخر . هذا عن قائد الأوركسترا ، اما قائد التخت فمن هو ؟

قال صاحبي : ليس هناك قائد تخت .

قلت : بلى ، انه الذى يسمونه ضابط الايقاع . وهو كما تعرف ناقر الدف ، او انه فى بعض الاحيان الضارب على الدربكة ..

قال : هذا صحيح .

قلت : الضارب على الدربكة غالبا ما يكون اقل افراد التخت نصيباً من المعرفة الموسيقية ، ومع ذلك فانه هو الذى ينظم حركات التخت فيحتل بهذا مكان القيادة فيه . لماذا ؟ لأن آلته اضخم الآلات صوتا ، ولأن ضربة كفه اقوى من نقرات انامل العازفين على العود او من سحبات ايدى عازفى الكمنجة . وإذا تاملت فى آلته وجدتها طبلا فارغا ... جلدة عقيمة مشدودة على فراغ ...

قال صاحبي : كلامك صحيح . ولكن ...

قلت : دعنى من ولكن . هذه هي الحقيقة ربما كان هناك امل فى ان يتطور تختنا الموسيقى فيصبح اوركسترا حقيقية ذات قيادة جديرة بهذه الصفة . اما الآن فلابد لك من الاعتراف اننا نعيش من تطورنا فى مرحلة الدربكة . وان جيلنا الحاضر ، إذا قيس تقدم الأجيال بالمقياس الموسيقى ، هو جيل الدربكة ...

من فلسطين المصرية إلى فلسطين العربية

بقلم : فتحي رضوان

هذه حقائق مثيرة يجب أن تعرفها الأجيال الجديدة من العرب والمسلمين عن تاريخهم وكفاحهم ضد المؤامرات الدولية المختلفة . فما يجرى أمام أعيننا اليوم هو ثمرة لمحاولات جرى الاعداد لها منذ اكثر من أربعمائة سنة بلا توقف ... لقد عرف أعداؤنا معنى « الصبر التاريخى » من أجل تحقيق أهدافهم ، ولم يعرفوا معنى اليأس ولم يضيقوا أبداً بالفشل ... وما أحوجنا إلى أن ندرس هذه المحاولات لنتعلم أن التاريخ ليس جولة واحدة ... واقرأوا هذا المقال :

فى العدد الأسبق من الدوحة ، تحدثت عن السلطان عبد الحميد الثانى ، آخر سلاطين تركيا العثمانية العظام ، وقلت إن المطامع المتأججة التى أحاطت بهذه الدولة العظيمة التى حملت لواء الخلافة الاسلامية ، بعد الخلافة العربية قروناً ، جعلت من عبد الحميد ، فريسة تناهب ملكها الأعداء فى اليمين والشمال ، واجتمع عليها الطامعون فى مركزها الجغرافى الفريد وفى سلطانها الروحى والمادى المديد ، وفى تحطيمها ، ثم تقسيمها بينهم اشلاء ، لينتهى اسم الاسلام فى هذه المنطقة من العالم ، وليتوارى علم الخلافة من دنيا السياسة ومجال الاقوياء .

ولقد كانت الصهيونية ، وهى رابضة على أبواب الشرق الاسلامى ، تتامل مداخله ومخارجه ، وتتسلل الى منافذه ، تتصل بكل حركة فى هذا الجانب من الدنيا ، أيا كان اسمها وأيا كان هدفها . فتصل نفسها بزعمائها ، وتنسب الى نفسها ، إيمانها بمبادىء هذه الحركة ، وسعيها الى تحقيق أهدافها ، فهى مع الصهيونية الصريحة التى تعمل على الاستيلاء على فلسطين باسرها ، وتحويلها الى وطن لليهود اول الأمر ، ثم دولة يهودية صريحة بعد ذلك ، وهى مع المجاهدين العرب الذين كانوا يئنون تحت الحكم العثمانى فى أخريات أيامه ، حينما تدهور وفسد ، وفقد حيويته الأولى ، وكفايته التى صاحبت مولد الدولة ، والذين كانوا يريدون أن يقوضوا دولة بنى عثمان ليعلنوا استقلال الولايات العربية : العراق ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين . وكانوا ـ أى الصهاينة ـ مع دول أوروبا



السلطان عبد الحميد الثاني : منع اليهود من وضع اقدامهم فى سيناء .

الشرقية : اليونان ، والبلغار ، والرومانيين وأهل الصرب والجبل الاسود وكرواتيا الذين يعملون على مقاومة الحكم التركى فى بلادهم بالحديد والنار من خلفهم النمسا ، والروسيا ، وبريطانيا ، وفرنسا .

وإذا كنا نتحدث طويلا الآن عن شبه جزيرة سيناء ، وعن مستوطنات الصهاينة فيها ، وعن جلاء دولة اسرائيل عن الجزء الباقى منها ، فان الحديث عن (سيناء) امتد سنين وسنين ، وقد بدأ هذا الحديث لا من عقد من السنين ، ولا من قرن ، بل من قرون . وبالذات منذ سنة ١٥١٧ ، عندما دخلت جيوش سلطان تركيا سليم الأول القاهرة ، وأصبحت مصر ، ولاية تركية .

منذ أربعة قرون

وقد حدثنا المؤرخ الكبير الأستاذ الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى فى موسوعته العظيمة عن تاريخ «الدولة العثمانية» عن بداية هذه المطامع من هذه السنة ، أى منذ أكثر من أربعة قرون متصلة ، فقال : لما فتح السلطان سليم الأول مصر ، عام ١٥١٧ ، أصدر فرمانا يمنع اليهود من الهجرة إلى سيناء . ولما تولى ابنه (سليمان القانونى) عرش الدولة عام ١٥٢٠ أصدر فرمانا لاحقا أكد فيه ما جاء فى الفرمان الأول ، ولما قبض (سليمان القانونى) الى رحمة الله ، خلفه سلاطين ضعفاء ، فانتهز اليهود فرصة ضعفهم ، وبدأوا يهاجرون فى موجات متتالية ومتقاربة الى الطور ، وكانت آنذاك مدينة عامرة بها مزايا عديدة ، منها أنه كان لها ميناء يصلح لرسو السفن التجارية ، وكانت تقصده بالفعل سفن قادمة من ينبع وجدة من موانى الحجاز ، وسواكن من موانى السودان والعقبة والقلزم والسويس من موانى مصر ، كما كانت ترتبط بخطوط برية للقوافل مع القاهرة والفرما . وبذلك يكون اليهود فى الطور قد جمعوا بين الحسنيين العزلة عن العالم المائج بالحركة الذى يمكن أن يحصى عليهم خطاهم ، وبين الاتصال الهادىء المستقر بالحركة التجارية برا وبحرا .

وقد تزعم حركة الهجرة الى (الطور) ، تطلق عليه الوثائق ـ كما يقول الأستاذ الدكتور الشناوى ـ ابراهام اليهودى . وقد بدأ الرجل بنفسه فاستوطن هو وأولاده الطور ثم لحق به سائر أفراد أسرته . وكان يمنى نفسه أن تمر السنوات العديدة دون أن يفطن أحد الى وجوده ، والى الحركة التى يشرف عليها ويدبرها فى صمت ودأب ، وكان يهمه فوق كل شىء ألا تلقى الحكومة العثمانية بالا لوجوده ، ولما يقدم عليه لصالح طائفته . وكان يمكن أن يتحقق أمل (ابراهام اليهودى) لولا أن اليهود كالعهد بهم تعرضوا بالأذى لرهبان سانت كاترين ، فشكوا الى (الباب العالى) أى للسلطان ورياسة الحكومة ، وكانت حكومة تركيا شديدة الحرص على رعاية أهل الذمة : أى المسيحيين واليهود . وكانت فى الوقت نفسه لا تحب أن تغفل عن تسلل اليهود الى سيناء فما كاد النبأ يصل الى سمعها حتى أصدرت ثلاث فرمانات جديدة ، وكانت كلها فرمانات ديوانية أى صادرة من الباشا الوالى الذى يحكم الولاية التى يتبعها الموقع محل الشكوى ، وكان الوالى فى حالتنا هذه هو والى مصر ، وكان أول الفرمانات يحمل تاريخ جمادى الأولى سنة ٩٨٩ هجرية والثانى صفر عام ٩٩١ هجرية والثالث فى ذى الحجة سنة ٩٩٣ هجرية ومعنى ذلك أن هذه الفرمانات صدرت فى شهر يونية سنة ١٥٨١ م والثانى فى شهر فبراير سنة ١٥٨٣ والثالث فى شهر ديسمبر ١٥٨٥ ، وكان كل فرمان من الفرمانات الثلاثة يتضمن شكوى رهبان دير سانت كاترين ، كما ينطوى على أوامر مشددة باخراج (ابراهام اليهودى) وزوجته وأولاده وسائر اليهود من سيناء ومنعهم فى قابل الأيام منعا باتا من العودة اليها ، بما فيها مدينة الطور أو الاقامة فيها ، وقد طلبت هذه الفرمانات من الموظفين الذين وجهت اليهم تنفيذ هذه الأوامر بلا تردد ، فلا يجوز لأى منهم أن يتأخر عن هذا التنفيذ يوما واحدا ، ثم ختمت هذه (الفرمانات) بوجوب رعاية رهبان سانت كاترين وبعبارة : «وامتثلوا بالأوامر العالية وقابلوها بالسمع والطاعة» .

وهذه الفرمانات والظروف التى صدرت



هرتزل : رأى أن يبدأ الصهاينة باستيطان العريش ، على عكس ما فعل اليهود عام ١٥٨١ .

« .. انصحوا هرتزل بألا يتخذ أى خطوات فى موضوع اقامة جامعة عبرية فى القدس .. إنى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد فى الأرض ، فهى ليست ملك يمينى ، بل ملك شعبى . لقد ناضل شعبى فى سبيل هذه الأرض ، رواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم . وإذا مزقت امبراطوريتى يوماً ، فانهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، أما وأنا حى فان عمل المبضع فى بدنى بلا مخدر ، لأهون علىّ من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتى وهو أمر لا يكون . إنى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن أحياء » .

« السلطان عبد الحميد الثانى »

فيها ، والاهداف التى استهدفتها والالفاظ التى استعملتها تدل على امور منها :

اولا : إن الصهاينة كانوا يضعون أعينهم على سيناء منذ أكثر من أربعة قرون ، باعتبارها مجرد مدخل الى فلسطين كلها وهذا أمر يجب ان نتعلم منه ونتعظ به ، فالآخرون لا يفعلون فعلنا ،يطلبون الشيء ، فاذا بعد عنهم ، وقامت صعوبات فى طريقهم صرفوا النظر عنه ، ويئسوا من الوصول اليه ، وربما لعنوه . ولكن هؤلاء ، الصابرين ، الصامدين يصلون فى آخر الأمر الى غايتهم ، فى حين يبقى الفشل وخيبة الامل من نصيبنا .

ثانيا : ان الدولة العثمانية منذ دخولها الى مصر وتحملها مسئولية الدفاع عن أرضها ، وحقها فى وجه الصهاينة الطامعين اخذت للأمر عدته ، فمنعت اليهود من وضع قدم لهم فى سيناء ، وتشددت حتى طردت رجلا واحداً وأسرته من الطور ، ونبهت موظفيها بالا يعود اليها بأى سبب ، وهذا مسلك يليق بدولة عظيمة ، فالدول العظيمة لا تستصغر شراً ، وإن بدا حقيراً ، فالشرور الصغيرة تلد المصائب الكبيرة ، ومعظم النار من مستصغر الشرر . ولعل شدة حرص السلاطين العثمانيين فى كل ما يتصل بفلسطين وسيناء راجعة الى ما عرفته تركيا من أحابيل ، وكيد اليهود وزعمائهم .

ثالثا : إن حرص الدولة التركية على تطهير سيناء من الوجود الصهيونى مهما ضعف ، كان مقروناً بمودة عظيمة لرهبان سانت كاترين لثلاثة بواعث : الأول ان هؤلاء الرهبان من رعايا الدولة ، ولهم عليها حق توفير الأمن والدفاع . والثانى ان هؤلاء الرهبان جماعة مستضعفة فلا يليق أن تترك نهباً للصهاينة الطامعين والمزودين بجماعات غنية تنفق عن سعة ، وتستعين بنفوذ الكثيرين فى الدولة البريطانية والفرنسية والروسية القيصرية . والثالث ان هذه الحماية التى تقدم لرهبان سانت كاترين تكسب للدولة العثمانية مودة العقلاء والمنصفين فى العالم الغربى ، وترد عن الدولة العثمانية الاتهامات العنيفة بأن تركيا دولة الخلافة العثمانية ، هى دولة متعصبة ضد أهل الكتاب أيا كان اسمهم او مذهبهم او موقفهم من الدولة .

هذا كله حدث قبل أن يصل السلطان عبد الحميد الثانى ، الى سدة العرش فى سنة ١٨٧٦ ، وكان لابد أن تزداد الأطماع الصهيونية فى دولة بنى عثمان ، فقد مرت السنون وهى تحمل لتركيا كل يوم سبباً من أسباب الضعف ، وتحمل لدول الغرب مبرراً من مبررات الطمع فى أملاك هذه الدولة ، والانقضاض عليها ثم التهامها .

الرجل المريض

فاذا كانت الدولة العثمانية قادرة على ان تقفل باب (شبه جزيرة سيناء) فى وجه الصهيونية الشرهة ، التى يطير صواب زعمائها ، كلما راوا فلسطين فى يد الاتراك الذين مال عليهم الزمان ، وحرمهم السلطة والسطوة ، بعد عز ضخم وحكم باذخ ، وقد كان أعظم ما يشعل نار الأطماع الصهيونية هو ما تسامع به أهل السياسة من مفتريات تصور لهم السلطان عبد الحميد ، بانه رجل مأفون ، تصل ذقنه الى ركبته ، من فرط الضعف والعجز عن ان يقيم رأسه ، وان عينيه مغمضتان تغطيهما اجفان ثقيلة مسدلة ، لا يستطيع السلطان العجوز أن يرفعهما ، وصوت مختنق خافت لا يكاد يخرج من بين شفتى السلطان ، فلا يسمعه جليسه . هذا الى خطى ثقيلة ينتقل بها من مقعد الى مقعد ، وكانه السلحفاة .

هذه الصورة الرهيبة ، التى صنعها الاستعمار الغربى لنفسه ، ثم روجها لغيره ، كان يقصد منها ان تركيا التى أسموها (الرجل المريض) فى أوروبا يحكمها رجل أكثر منها مرضاً وانها لذلك جديرة بأن تزال عن وجه الأرض إذ لا يمكن ان يصدر عن شخص اعتلت صحته ، واختل عقله الى هذا الحد قرار حكيم ولا تصرف سليم ، ولكن قد سئل جمال الدين الأفغانى عن السلطان عبد الحميد فقال فى وصفه : إن السلطان عبد الحميد لو وزن بأربعة من نوابغ رجال العصر لرجحهم : ذكاء ودهاء وسياسة ، خصوصاً فى تسخير جليسه ... ولا عجب إذا رأيته يذلل ما قام فى ملكه من الصعاب من دول الغرب ويخرج المناوىء له من حظيرته راضياً عنه وعن سيرته مقتنعاً بحجته ، سواء فى ذلك الملك والأمير والوزير والسفير .

وقد كتب للسلطان عبد الحميد أن يواجه الزحف الصهيونى فى أخريات القرن التاسع عشر وأوليات القرن العشرين ، وتعرض لضغوط هذا الزحف ، بوسائلها العديدة المالية والسياسية والادارية ، الداخلية والخارجية . وكان الزعماء من دهاقين السياسة ، يظنون ان هذا الرجل العجوز الذى تتردد انفاس صدره ، والذى يغمض عينيه كالحرباء فكانه لن يصحو ، والذى يسمع أكثر مما يتكلم ، ويطرق طويلا بين الجملة والجملة ، والالفاظ تخرج من شفتيه وكأنها تأبى ان تنطلق ، ظنوا أنهم قادرون على ان يحملوه حملا على الاذعان لأمرهم والخضوع لمطلبهم .

فلننظر ماذا فعل هرتزل زعيم الصهاينة ، وصاحب فكرة (الدولة اليهودية) والسياسى المرن ، الدوار ، الكرار ، الفرار ، والصحفى اللامع البراق الجذاب .

فى حلبة المصارعة

قال الأستاذ الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى فى موسوعته العظيمة «الدولة العثمانية» دولة مفترى عليها :

إن تيودور هرتزل قد اطلق على (سيناء) اسماً معبراً هو «فلسطين المصرية» ليتخذ منها فى قابل الأيام نقطة وثوب الى فلسطين الآسيوية أو فلسطين بمعناها المتعارف عليه . ورأى هرتزل أن يبدأ أنصاره الصهيونيون استيطان منطقة العريش ، أى فى شمالى سيناء بدلا من جنوبها أى على عكس ما فعل اليهود عام ١٥٨١ عندما حاولوا

استيطان منطقة الطور ودير سانت كاترين . ولذلك دخل هرتزل فى مفاوضات سنة ١٨٩٨ مع بعض أعضاء الوزارة البريطانية وبخاصة جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات واللورد لاتردون وزير الخارجية من اجل توطين اليهود فى سيناء على أساس اقامة دولة يهودية فيها تتمتع بالحكم الذاتى فى نطاق الامبراطورية البريطانية (١) «ص ٩٧١ من كتاب الدولة العثمانية للدكتور عبد العزيز الشناوى » .

إذن التقى هرتزل وعبد الحميد ، فى حلبة المصارعة ، او التقى السبع بالنمر ، ولكن الأسد يبدو هزيلا ، اثقلت الأيام حركته ، وقيدت قوته ، فى حين كان النمر صغيراً شاباً كثير الحركة ، يقبل ويدبر ، ويلف ويدور ، فكيف انتهت المعركة ؟

ورحب الوزيران البريطانيان بالاقتراح الذى تقدم اليهما ، لتاذن الحكومة الانجليزية باستيطان اليهود فى سيناء ، واغرى الصهاينة الوزيرين على قبول هذا الطلب بثلاثة فوائد : هى أن تتولى الدولة اليهودية حماية الضفة الشرقية لسيناء ، وعزل مصر عن الولايات العربية فى غربى اسيا ، وإضعاف الدولة العثمانية .

وإحيل الطلب الى حكومة مصر ، فى وقت كان فيه «اللورد كرومر» هو حاكمها الفعلى ، وملك وادى النيل غير المتوج ، فالفت لجنة مصرية من ستة موظفين بالحكومة المصرية ، لم يكن فيهم مصرى واحد ، ولا يبعد أن يكون فيهم يهودى أو أكثر . وغادرت اللجنة القاهرة فى يناير الى سيناء وعادت فى مارس وأوصت بأن تكون البداية هى استيطان العريش ، على أن توضع خطة لتعمير سيناء على أسس علمية يستعان فى تنفيذها بمهندسى الرى والزراعة والسكك الحديدية والموانى وأن يسمح لها بجلب ماء النيل ، وأن تكون آخر الامر دولة بريطانية أى احدى دول الكومنولث ، ولا تكون تابعة لمصر باية صورة من الصور .

وينتقد الدكتور محمد عوض فى كتابه «الاستعمار والمذاهب العسكرية» الصادر فى سنة ١٩٥٦ الحكومة المصرية أنها فرطت



كرومر : نظر الطلب الخاص بتولى اليهود حماية الضفة الشرقية لسيناء .

فى حق الوطن حتى سمحت للجنة أجنبية أن ترتاد سيناء بقصد النظر فى توطين اليهود فيها ، أو رفض ذلك . والغريب أن يصدر هذا الانتقاد من عالم مصرى ، يعرف جيداً درجة خضوع الوزارة المصرية للمعتمد البريطانى الذى يملك فى البلاد كل شىء .

وكان ذلك أول تصادم بين هرتزل والسلطان عبد الحميد ، فقد رفض السلطان هذه الفكرة رفضاً نهائياً لا هوادة فيه ، وأرسل للحكومة البريطانية يقول ان سيناء جزء من مصر ومصر ولاية تركية ، فلا شان لبريطانيا بها ، وقد اضطرت بريطانيا الى ارسال مذكرة لهرتزل فى يونيو سنة ١٩٠٣ مضمونها انه يتعذر المضى فى مشروع توطين اليهود فى سيناء ، ثم عززتها بمذكرة ثانية فى ١٦ يوليه عام ١٩٠٣ (أى نفس العام) تؤيد المذكرة الاولى وتقرر انها قررت نهائياً العدول عن هذا المشروع .

وفى سنة ١٨٨١ قتل القيصر اسكندر الثانى امبراطور روسيا ، وقالت دوائر الامن العام فى موسكو ، ان التحقيقات اثبتت انه كان لليهود يد فى هذه الجريمة ، فاشتد اضطهاد اليهود وكانوا أصلا يعانون من تعذيب مستمر على يد السلطات الروسية . واشتد طلب اليهود ليهاجروا إلى سيناء باذن من السلطة العثمانية ، ولكن حكومة السلطان عبد الحميد فى ٢٨ من ابريل ١٨٨٢ أصدرت قراراً بمنع جميع اليهود الراغبين فى الهجرة الى سيناء (او أى موقع فى فلسطين) من السفر اليها ، إلا إذا كان السفر بغير رغبة الاستقرار فى سيناء وعلى أن الاقامة فى فلسطين لا تزيد عن ثلاثين يوماً ، وبقصد زيارة الاماكن المقدسة ، وبعد ضغوط هائلة ، على السلطان عبد الحميد طالت هذه المدة الى ثلاثة أشهر وذلك فى سنة ١٨٨٧ وللحجاج فقط .

وقد حاول هرتزل مقابلة السلطان عبد الحميد ، وبذل من الجهد لتتم هذه الزيارة الشىء الكثير ، وقد تمت اربع مقابلات فعلا بين الرجلين ، فاستعمل هرتزل كل بلاغته فقال للسلطان إن الحركة الصهيونية هى حركة (إنسانية !) ، وانها لا تبغى الاذى باحد ، والغريب انه حينما منى هرتزل بالفشل فى إقناع السلطان بفتح أبواب سيناء أو فلسطين لليهود ، قال لبطانة السلطان ، فليعوضنى السلطان عن هذا الرفض بمنحى وساما ، فمنحه السلطان وساما ، وراح هرتزل يزعم للناس انه مقرب من خليفة المسلمين ومن مريديه ، فقال السلطان كلاماً نختم به هذا البحث :

« انصحوا هرتزل بالا يتخذ اى خطوات فى موضوع إقامة جامعة عبرية فى القدس إنى لا استطيع أن اتخلى عن شبر واحد فى الأرض ، فهى ليست ملك يمينى ، بل ملك شعبى ، لقد ناضل شعبى فى سبيل هذه الأرض ، رواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم وإذا مزقت امبراطوريتى يوماً ، فانهم يستطيعون آنذاك أن ياخذوا فلسطين بلا ثمن ، أما وانا حى فان عمل المبضع فى بدنى بلا مخدر ، لاهون على من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتى وهو أمر لا يكون . انى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن أحياء » .

فتحي رضوان

قصة العلاقات العربية الهندية

بقلم : أحمد العناني

تَمْثُل شبه الجزيرة الهندية مثولا بارزاً فى التاريخ العربى الاسلامي منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا ، ويدخل الفكر الهندى وأدب الهنود وإخصاب المشاهد والتجارب مع الهند ، فى أدبنا وعاداتنا وبعض مفردات لغاتنا ، وفى أشد الفصول طرافة من كتب رحالينا وعلمائنا ، واخبار تجارنا وبين ثنايا القصص الشعبى لا سيما فى شرقي شبه الجزيرة العربية ، وفى كل من السودان ومصر ، حيث كان لابد من اتصال بين البحر الاحمر والخليج بالهند ، قد ينشط من كليهما احياناً ، وقد يشتد بين احدهما والهند على حساب الآخر لفترة تعود بعدها الأمور لسابق عهدها .

تشكل البلدان الواقعة فى حوض المحيط الهندى وحدة اقتصادية اجتماعية بكل ابعاد الكلمة ، ويدخل فى هذه المنطقة بلدان بحر العرب وخليج عمان . ففيها جميعا ، وعلى تفاوت فى الكمية تسقط الامطار الموسمية ، وتتشابه الاحوال المناخية ، والاحوال والاعراف الملاحية .

وتنتقل بين الجانب والآخر العادات والتقاليد الاجتماعية ، كما تتوافر الجاليات السكانية فى المرافىء والمواقع التجارية ..

ومن مجموع هذه الحقائق فان علاقات بلدان الخليج واليمن وسواحل البحر الاحمر بشبه القارة الهندية هى علاقات اقدم من التاريخ المكتوب ، واذا كانت الفتوح الاسلامية ابتداء من فتح السند على يد محمد بن القاسم فى القرن الاول للهجرة ، وتالياً فى عهد الدولة الغزنوية قد ادخلت تلك العلاقات أشد مراحلها نشاطا وسعة اتصال ، إلا انها على مستوى اقل كانت قائمة على امتداد العصور فالكلام عن السيوف الهندية والهندوانية ، والطيب الهندى ، حديث سابق للاسلام . لكنه يجب الاعتراف بان مسافة البعد بين مناطق المحيط الهندى كبيرة ، وان الاحوال السلمية المواتية للتجارة سواء فى الهند او فى بلاد العرب كانت دائماً الشرط اللازم لازدهار تلك العلاقة التاريخية فيما بينهما ، ومع ذلك ، ففى اشد الظروف سوءاً ، فان المتاجرات بالمواد الاساسية لم تكن تتوقف بالسفن الصغيرة فى المثلث الشامل للخليج وافريقيا الشرقية والهند ، وليس كذلك الحال مع الصين مثلا حيث لم تبدا التجارة الناشطة على اى مستوى معها إلا بعد استلام اسرة صنج (٩٦٠ ـ ١٢٠٦م) مقاليد الحكم هناك ، وما يزال الصينيون يتكلمون عما يسمونه مدينة « ماذون » ويعنون بها صحار فى عمان ، ذلك بان « صحار » كانت عاصمة المنطقة التى عرفت باسم « ماذون » خلال فترة الاحتلال الساساني لقسم من الساحل العربى فى القرن الثالث الميلادى (١) .

السلام الاسلامى

لم تعرف آسيا العربية وآسيا الوسطى وشرقى افريقيا فترة أحفل بالازدهار ونشاط الاتصال على عدة مستويات ومحاور كما عرفت ذلك فى العصرين العباسيين الاول والثانى بخاصة وما زال العالم كله يستمتع بالآثار العظيمة للسلام الاسلامى الذى هيمن على هذه المناطق طوال ستة قرون ونيف من الزمان . إذ لم تقتصر الأمور على التبادل التجارى الذى ادخل بضائع الهند وافريقيا الى كل بيت ميسور فى اوروبا ، ولكنه انتج آثاراً عظيمة فى إيجاد نوع من الثقافة العالمية ولغة للتجارة دولية ، كما لوجد نظام التحاويل المالية وجعل من الدينار الذهبى الاسلامى عملة عالمية تقاس عليها قيم العملات المحلية (٢) وكان مصدر الذهب الأساسى مناجم السودان بمعناه

الواسع أن كان السودان عند المسلمين (٣) آنذاك يشمل العديد فى الجمهوريات الافريقية امتداداً إلى ساحل العاج فى غربى افريقيا . ومن الحياة المزدهرة التى أوجدها ذلك العصر نشأ قصص ألف ليلة وليلة وفيه الكثير عن حياة البحر وأوصاف شتى للهند وسيلان ، وفى خلاله جرت بعض الرحلات المشهورة كرحلة ابن بطوطة ، وفيها يشكل كلامه عن الهند واحداً من أطول فصول رحلته وأكثرها امتاعاً وتدقيقاً ، ومع أن هيمنة السلام الاسلامى لم تعد بكل قوتها التى كانت حتى لواخر القرن الرابع الهجرى إلا أن الآثار المترتبة على ذلك السلام ظلت ماثلة فى منطقة المحيط الهندى إلى مجيء البرتغاليين فى مطلع القرن السادس عشر للميلاد ، منتصف القرن التاسع الهجرى .

قصة الفتوح الاسلامية فى الهند

لقد كانت قمة الفتوح التى باشرها العرب المسلمون هى غزوة محمد بن القاسم الثقفي فى الجزء الجنوبى الغربى من حوض نهر الاندوس ، وذلك ابتداء من عام ٩٠ للهجرة (٧١٠ م) لكن تلك الغزوة لم تكن أول تحرك للعرب ناحية الهند ، فقد كان عرب الخليج يعرفون تلك البلاد وخيراتها وإمكانات الدعوة الاسلامية فيها بخبراتهم السابقة فيها قبل الاسلام ، وكان من نتائج حماستهم فى هذا الصدد أنهم اقنعوا عامل (والي) البحرين لعمر ابن الخطاب رضى الله عنه وهو عثمان بن ابي العاص الثقفي بان يغزو موقعاً قريباً من بومباى الحالية يدعى « تانه » فى السنة الخامسة عشرة للهجرة راكبين البحر دون استئذان مسبق من الخليفة الذى أمر بعدم تكرار مثل تلك الغزوة انطلاقاً من تخوفه المعروف على جند المسلمين من ركوب البحر لكن العهد التالى لعمر شهد غارات سريعة متعددة وصل بعضها الى جزيرة سيلان .

لقد كان أمراً طبيعياً أن يقع الصدام بين القوة الصاعدة للمسلمين والممالك الهندية المفككة حيث لم يعد بد أن تصبح الدولة البرية الأولى هى المهيمنة ايضاً على الطرق التجارية .. وأمام مثل هذه الحتميات تكثر الأساطير الشعبية كانما هى تعبير عن الرغبات المكبوتة للأمة الناهضة فى تعجلها للحلول محل القوى المتراجعة أمامها .. وما دامت فارس كلها قد أصبحت بايدى المسلمين منذ عصر الخلفاء الراشدين فقد كان حتماً اصطدام المسلمين بالهنود براً وبحراً ..

وفى مقابل اسطورة الالياذه فى أسباب وكيفيات صراع الاغريق مع الحيثيين فى بواغيز البحرين الأسود والمتوسط عند موقع استانبول الحديثة ، وصراع القراطجة مع الرومان لاحقاً عند البوغاز الفاصل بين صقلية وجنوب ايطاليا ، فقد كان للمسلمين ايضاً اسطورتهم مع الهنود حيث تقول المصادر التقليدية للتاريخ الاسلامى (٤) ان ملك جزيرة الياقوت اراد التقرب من الحجاج بن يوسف الثقفي ـ عامل الامويين على العراقين الغربى والعجمى ـ فاهدى له نسوة ولدن مسلمات من آباء لهن كانوا تجاراً مقيمين فى بلاده ، فعرض للسفينة التى كن بها قراصنة هنوداً فاستلبوا النسوة منها فصاحت إحداهن ، وكانت من بنى يربوع « يا حجاج » وبلغ ذلك الوالى الاموى فصاح « يا لبيك ! » وارسل من فوره رسولا إلى داهر ـ من ملوك السند ـ يطلب تسليم النسوة فاعتذر داهر بانه لا يستطيع أن يامر قراصنة البحر فاغزى الحجاج اثنين من عماله (ولاته) فى مكران لكن القوة التى كانت مع كليهما فى الحالتين كانت اقل شانا من تحقيق الغاية فاستشهد الرجلان تباعاً ومعهما معظم جندهما .. واذ ذاك قرر الحجاج أن يتعامل مع الموضوع على مستوى اكبر فوجه الى ابن عمه محمد بن القاسم بان يوقف مهمة سابقة له فى بلدة الري بخراسان وعقد له على مكران وثغر السند وأمره أن يقيم بشيراز إلى ان توافيه الامداد وكان فيها عشرون الفاً من أفضل مقاتلة البر من المسلمين ، واسطول بحرى يسير بمحاذاة طريق المشاة فى مكران ومعه تجهيزات كاملة من عدد الحرب وخمسة منجنيقات ضخمة ومؤن ومهمات معدة احسن إعداد .

والواقع أنه كان لابد للمسلمين من السيطرة على الطريق البحرى ووقف نشاط القراصنة وذلك هو الدافع الاساسى لمثل تلك الحملة .. أما هذه القصة الشعبية عن استغاثة المراة المسلمة فانها لا تنهض طويلا أمام النقاش وحتى لو حصلت فعلا فلم تكن غير معجل لحوافز الحرب لا سبباً لها .. ونظير ما أعنيه مثلا ما يقال عن تقدم القبائل النجدية من عتوب وقطريين واحتلالهم البحرين وانتزاعها من عرب فارس من آل نصر الكعبيين الذين كانوا يؤدون الجزية لفارس وذلك عام ١٧٨٣ فلا تكاد تجد راوية من رواة الاخبار هنا إلا ويقول لك ان الحرب ما كانت لتقع لولا اعتداء بعض خدم آل نصر على بعض خدم لأهل الزبارة ، والصحيح المقبول عقلا ان تلك القبائل النجدية المتحفزة للحياة كانت بحاجة الى مكان كالبحرين لضمان تجاراتها فى اللؤلؤ ومغاصاتها ما بين البحرين وقطر وان الاصطدام بآل نصر كان حقيقة حتمية سواء أقتل خادم لأهل الزبارة فى سترة بالبحرين أم لم يقتل .

لكنه من أسف بالغ أن الفتوح الاموية لم تكن تحمل سمات الفتح فى أيام الراشدين ، وأن عامل الغنائم والربح المادى بات حافزاً اساسياً فى عهد الامويين وان لم يعلن عنه ومن هنا كان انحسار الاثر العربى الاسلامى على السند والهند رغم كل البطولات الظافرة التى برهن عليها محمد بن القاسم وجنوده ولنا إلى هذا رجعة ان شاء الله تعالى .

احمد العناني

● كان أمراً طبيعياً أن يقع الصدام بين القوة الصاعدة للمسلمين والممالك الهندية المفككة

● عندما وجد المسلمون ضرورة أن يسيطروا على الطريق البحري ووقف نشاط القراصنة

(١) دائرة المعارف البريطانية مادة «تاريخ الهند»
(٢) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ـ آدم متيز ـ ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريده ـ دار الكتاب العربى / بيروت .
(٣) د . حبيب جنحاني تاريخ التجارة الاسلامية فى القرنين الخامس والسادس / جامعة تونس .
(٤) البلاذري ـ فتوح البلدان وغيره .

سيناء .. ودرب الحاج

بقلم : درويش مصطفى الفار

فى يوم الخميس ، غرة يونيو (حزيران) الأسود سنة ١٩٦٧ ، كنت فى رحلة عمل مع الشاعر البدوى ، سويلم بن دخيل الله ، شيخ قبيلة الحويطات فى سيناء ، لاستطلاع مظان لخام المنجنيز ، فى كتلة المرتفعات المعقدة بين بئر (جبيل حسن) ونقب (إم إثلة) الذى اشتهر فى معارك سنة ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ باسم مضيق (متلا) لخطأ فى الترجمة طالما وقعنا فيه عند النقل من الخرائط البريطانية ، دون ان نرجع لأهل البلاد ، من العارفين ... وبعد انتهاء الاستطلاع ، وقفنا على قمة ، نستشرف طريقا يتدفق فوقه سيل مزمجر من الفولاذ ، متجه نحو الشرق ، بدعوى الاستعداد للثار واسترداد الارض والكرامة ... كما كانت تصور لنا القيادات آنذاك .. وطفقت مع الشيخ الشاعر البدوى . أحلم بعودة الحياة إلى « درب الحاج » ، بعد ان يبطل مفعول اللغم العائق الموضوع ، باتفاق تام بين الغرب والشرق عمداً مع سبق الاصرار والترصد ، لفصل المغرب العربى عن مشرقه ... وحدثت الكارثة ، التى لا تزال تجرجر أذيالها ، عقب تلك الرحلة باربعة أيام ، واختفت سيناء فى غيهب لم يسبق له مثيل فى تاريخها الطويل العريض ، وأصبحت كلا مباحاً لكل شذاذ الآفاق على سعة العالم كله ، زهاء خمسة عشر عاما ميلاديا الا اثنين واربعين يوما ..

اما وقد عادت سيناء فان موضوع (إحياء) درب الحاج ، عبر وسط سيناء ، يستحق وقفة تامل جديدة ... فلهذا الدرب بالذات شان فى تاريخنا يفوق الدروب الأخرى للحجاج إذ ان الذى اختطه اصلا هو ، قاهر التتار ، الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٥٨ هـ ٦٧٦ هـ) بعد ان طهر راس خليج العقبة من بقايا الغزوة الأوربية الصليبية . وظل هذا الدرب طريق الحاج إلى مكة المكرمة منذ سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) لكل مسلمى غرب وشمال افريقيا حتى سنة ١٨٨٥ م ، حيث بدا استخدام النقل البحرى الحديث بين السويس وكل من مينائى « ينبع » و « جدة » . وكانت القوافل تقطع ذلك الدرب فى عشرة أيام من السويس غرباً إلى العقبة شرقاً ..

ومن باب التصديق باننا حقيقة جادون فى البحث عن مسالك وأبواب لراب الصدع ولم الشعث ، وجمع الشمل ، والالتقاء فى نقطة ما ، فاننى أدعو العرب جميعاً ، للبحث عن طريقة يتعاونون فيها جميعاً ، بعيداً عن السياسة ، وباسلوب يسقط كل الاعتراضات التى قد يثيرها الأصدقاء ، قبل الاعداء ، وذلك بالتخطيط العلمى الصحيح لاحياء « درب الحاج المصرى » .

وليس المقصود بهذه الدعوة مجرد انشاء طريق معبد مرصوف يسلكه الراغبون فى الحج برا من مصر وشمال وغرب افريقيا ... ولكن المقصود هو إنشاء شريط من العمران الكثيف ، فيما بين السويس غرباً وبئر طابا شرقاً ، باموال عربية محضة ، تحت لواء هيئة شعبية عربية من كل بلاد العرب ، تقوم بدراسة جميع الامكانيات التى يمكن بها جعل ذلك الطريق ، درب الحاج المصرى ، عامراً بالحياة والبشر العاملين المنتجين ، تعدينياً ، وزراعياً وسياحياً ، واتخاذه شرياناً للوصل بين المغرب والمشرق فى الوطن العربى ، على الرغم من الوضع القائم فعلا ... ونضع أمام تلك الهيئة العربية التى تضطلع بتمويل وتخطيط وتنفيذ هذا المشروع ، الجديد فى نوعه ، بعض الحقائق على الصورة التالية :

١ ـ ليست هنالك ، فى ما أعتقد ، أية حساسية ان تنشأ مثل تلك الهيئة من العرب جميعاً ، فى قطر عربى ، هو فى هذه الحالة مصر ، نظراً لاننا ، مثلا ، قبلنا بمبدأ « القوة المتعددة الجنسيات » ومن غير العرب . وربما تكون هذه سابقة حسنة يقتدى بها لمشاريع مماثلة ، ولكنها ليست على نفس الدرجة من الأهمية الموضوعية والوحدوية مع هذا المشروع .

٢ ـ هنالك إمكانيات فى تواجدات الماء الباطن على جانبى ذلك الدرب وإلى أعماق مختلفة جنوباً وشمالا ، يمكن عليها قيام عمران زراعى مرموق .

٣ ـ هنالك ايضاً إمكانيات تعدينية ، لصناعة الاسمنت مثلا ، ولاستخراج الأملاح والخامات المعدنية المختلفة لا باس بها ولا يمكن إغفالها .

٤ ـ هنالك إمكانيات سياحية ، يكفى ان نذكر منها ، قلعة صلاح الدين الأيوبى فى وادى صدر ، فضلا عن ان مثل هذا المشروع سوف يقتضى شمول الامكانيات السياحية بطول سيناء وعرضها ، من معبد سرابيط الخادم ، ودير سانت كاترين وساحل البحر الأبيض المتوسط وسواحل خليجى العقبة والسويس .

٥ ـ إن جميع الأساليب والأجهزة التى اضطلعت بجوانب من التعمير فيما قبل سنة ١٩٦٧ كانت قاصرة بل ثبت فشلها فى كثير من الحالات ، وثبت انها تنفق المال بلا تخطيط ولا روية ولا استخدام علم ، مما يقتضى بالضرورة ، أن تكون الهيئة العربية المقترحة لاحياء مشروع درب الحاج المصرى واعية لما يلى :

ا ـ أن لا يندس ، تحت أى ضغط ، بين صفوفها ، احد من غير الأكفاء المولعين باحياء موات الصحارى العربية .

ب ـ أن يكون لها نظام مالى صارم ، غير معوق ، ولكنه يعرف اين ينفق كل درهم ودينار ولماذا .

حـ ـ أن ترصد ممتلكات القائمين بالعمل فيها ، وتجعل لمبدأ « انى لك هذا » فعالية واحتراما .

د ـ أن تجعل فى محاذاة الحوافز والمكافاة على العمل الجيد ، ايضاً العقوبات والروادع ضد العمل الردىء .

٦ ـ إن إحياء درب الحاج المصرى ، ليس وقفاً على موسم الحج الى بيت الله الحرام فقط ، فهو ايضاً طريق مستمر للمعتمرين والمتنقلين برا بين المغرب العربى والمشرق طوال العام .

٧ ـ إن من مقتضيات إحياء ذلك الدرب إنشاء عدة مدن ذات اغراض محددة ، فمدينة لمستشفى عربى عالمى المستوى ، ومدينة لجامعة علمية عربية تخرج من ابناء العرب كل تقني وعالم يغنى عن استيراد الخبرات ، ومدينة لصناعة الدواء من الأعشاب الطبية الصحراوية للاستهلاك العربى والتصدير إلى مختلف انحاء العالم ومدينة لتدريب رجال الشرطة العرب على كل أساليب وتقنية الأمن والمرور ، بحيث تتخذ هذه المدن الطابع العربى الأصيل ، وتحمل كل منها اسم القطر العربى الذى مول إنشاءها ، فهذه دوحة سينا ، وتلك كويت سينا ، وهاتيك ينبع سينا ، وغيرها ، دبى سينا ، وبغداد سينا ، وأبو ظبى سينا ، وهكذا دواليك .

ويلحق بهذا المشروع دون أدنى تردد ، مكملا لصورته القومية الواسعة مشروع تعمير جزيرتى تيران وصنافر بمدخل خليج العقبة ، بايجاد الوسيلة التى تمدها بماء البحر المحلى بالطاقة الذرية أو بالغاز ، لزرع أكبر مساحة منهما بالأشجار والمحاصيل المناسبة ، وانشاء مركز علمى لدراسة علوم البحار ، ومصنع لتعليب وتجفيف السمك (والجمبرى) والمحار ، ومرفق للترويح السياحى الخالى من شوائب العصر ومفاسده ، يلجأ اليه محبو الهدوء والقراءة والبحث والاستجمام الأخلاقى النظيف .

ويستكمل الطريق البرى بين السويس وبير طابا بجسر بحرى عائم ينقل المسافرين من البر المصرى إلى الساحل السعودى ، لمواصلة الرحلة برا ، حتى يقضى الله بامره فيما هو قائم من عوائق ..

وليس الذى ذكرت هو كل تفاصيل المشروع ، وكل ما أوردت من تفاصيل مجرد علامات على الطريق ، يمكن ان تتخذ حجمها الطبيعى اذا وجد هذا المشروع اذانا عربية صاغية واعية ..

فهل آن الأوان ، وإعتباراً بما واجهناه باخطائنا منذ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ان نتخذ من سيناء قاعدة نضال (حضارى) هادىء النبرات تثبت بها الأمة العربية (كلها) انها تستطيع ان تتحدى التحدى الحضارى واعصابها فى (ثلاجة) بعيداً عن الشعر والخيال والعنتريات ، بدأ بانشاءات حول درب الحاج المصرى تستكمل المسيرة إلى الهدف الاسمى الذى سعى إليه منشىء ذلك الطريق .

فى رحاب السماء

شعر : محمد بن همام العبد الله

إلى روح الدكتور علي علي لاظ الذى سقط شهيد الواجب فى ساحة الجامعة

يَا رفَاقِى وكلُّ شىْءٍ قَضَاءْ ... وَدّعونى ولا تطيلُوا الرثاءْ
كلُّ هَذا الوجُودِ كانَ شقاءً ... اى قلبٍ يطيقُ هذا الشقاءْ
ودِّعونى فَرَاحَتِى فى مَمَاتِى ... مثْلَمَا راحةُ الربيع الشِّتَاءْ
أىُّ دنيا رغبتُ فيها وعَيْشٍ ... لم يَزَلْ مذ وَعَيْتُ غير البَلاَءْ
أين صَحْبِى وأَيْن منهمْ حبيبٌ ... صادقُ الودِّ والصَّفَا والوَفَاءْ
لم يكنْ فى الحياةِ غير شعاعٍ ... باسِمِ الوجْهِ مشرقٍ كالضِّيَاءْ
نفحةٌ من تُقًى ومنْهَلُ علمٍ ... يَتَسَاقَى بعَذْبِهِ العُلَمَاءْ

أيها الوَالِدُ الشهيدُ ودَمْعِى ... كيفَ يرثيكَ ؟ هل يفيدُ البُكَاءْ
حينَ أرثيكَ لا أرى غيرَ نَفْسى ... ميِّتًا فى مَمَالِكِ الأَحْيَاءْ
سوفَ تبكيكَ يا صديقى عقولٌ ... كنتَ نُوراً لها وكنْتَ سَنَاءْ
وبكتْكَ القلوبُ لو كنْتَ تَدْرِى ... كلُّ قلْبٍ بكَاكَ حتى العَيَاءْ
ايها الراحلُ العزيزُ وداعاً ... فى جِنَانِ الخلودِ ثَمَّ اللقاءْ
فى رحَابِ الأَلهِ ضيفٌ تَقِىٌّ ... عبقرىُّ الخَلاَقِ جم العطاء
للخلودِ المَدِيدِ أَنْتَ ونحنُ ... لأَسَانا . وللإِلهِ البَقَاءْ

آراء حرة

رَدّ على : خالد محمد خالد

التفرقة بين الحب لأهل البيت والإنصاف لحقائق التاريخ

بقلم : إسماعيل الكيلاني

● لا يخفى على الأستاذ خالد محمد خالد ، ولا على غيره من المهتمين ، وهو الأزهرى ، ما بذله جامعو السنة النبوية ومدونوها في تنقيتها وتمحيصها وتنظيفها من شوائب الوضع المكذوب ، والتزوير الضار الذى قامت به طوائف وشيع ، لا سيما في أيام الفتن التى عصفت بالمسلمين منذ أواخر خلافة عثمان ذي النورين رضى الله عنه وما بعدها .. حيث انقسم المسلمون ، وبدأت بعض الفئات أو الطوائف تضع من الأحاديث ما يخدم غرضها ، ويوافق هواها ، ويحقق بالتالى ما تتوهمه مصلحة لها ..

هذا على الرغم من التحذير الشديد ، والوعيد المخوف الذى يقصم الظهور : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .. » .

فاذا كان هذا الاجتراء على الوضع فى مجال السنة النبوية والحديث الشريف فما بالك بأخبار الخلفاء ووقائع التاريخ .؟! وقد قيل قديماً : (وما آفة الأخبار إلا رواتها) . وها هو شيخ المفسرين والمؤرخين المسلمين أبو جعفر الطبري رحمه الله يقول فى مقدمة تاريخه : (... فما كان فى كتابي هذا مما يستنكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجه فى الصحة ، ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا ، وإنما أديناه على نحو ما أدى إلينا) ويسترسل رحمه الله موضحاً ومعتذراً عن هذا الايراد فيقول (... إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج ...) ولو أنه كان يروي الأخبار ليحتج بها، أو ليرتب عليها حكماً وقضية ، كالحديث الشريف مثلا ، لما تركها هكذا ولالتزم فيها مناهج المحدثين فى الجرح والتعديل وقواعد النقد الصحيح .. ولكنه أورد الروايات بأسانيدها تاركاً لمن أراد الاحتجاج أن يتثبت ويتحقق ..

ثم إننا نعيش الآن فى عصر تقدمت فيه وسائل الاعلام وتطورت ، وأصبح الاتصال بين بني البشر ميسوراً سهلا مهما كانت المسافات بعيدة .. فى عصر ساد فيه التدوين والتاريخ ، وتقدمت وسائل الكتابة والطباعة والنشر تقدماً كبيراً .. وعلى الرغم من هذا كله نجد أن كثيراً من الوقائع والأحداث التى قد يكون الانسان معاصراً لها أو معايشاً إياها ، دونت وتناقلها النـــاس على غير حقيقتها ، أو غير الوجه الذى يجب أن تدون عليه . فكم من هزيمة قدمت للناس على أنها نصر مؤزر ، وكم من متزعم أو متسلط رويت سيرته وقدمت على أساس أنه من أعدل العادلين ، وكم من مظلمة اجتماعية قدمت على أنها عدالة بين الناس ومساواة فى التوزيع .. الخ ..

هذا بالنسبة لأحداث عاشها أو يعيشها الانسان فى عصره ، فما بالك بأحداث القرون التى تطاولت ، ونقلت مشافهة فى بداية أمرها ثم دونت ، وكثيراً ما كانت تدون أحداث بعض الدول والرجال فى عهود معادية لهم ، قامت على أنقاضهم ، وكل همها تتبع عوراتهم ، وقد تدعي عليهم ما ليس فيهم ..

فى ذكرى كربلاء

والذى دعا إلى هذه الكلمة ما كتبه الأستاذ خالد محمد خالد فى مجلة «الدوحة» العدد الحادي والسبعين ، تحت عنوان : « فى ذكرى كربلاء العظيمة » حيث لم يكتف الأستاذ خالد ببيان أن الولاء يجب أن يكون للحق وحده دون غيره ، وأن خروج الحسين رضى الله عنه لم يكن لتحقيق مغنم أو لبناء مجد شخصي .. وإنما كان لاحقاق الحق ، وتضحية جليلة فى سبيل هذا الحق ، حتى تبقى مثل هذه التضحيات مناثر تضيء طريق الحق للسالكين .. ولو أنه اكتفى بذلك لكان حسبه ، حيث إن الحسين رضى الله عنه قتل شهيداً مظلوماً فى سبيل ما اعتقد من حق وصواب ..

ولكنه دندن حول أمور أفضى أصحابها إلى الله عز وجل ، وجاء بروايات يلمح القارىء من خلالها تكفيراً لواحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وليته عند اختياره ما اختار من روايات قام بتمحيصها ما دام يريد أن يرتب عليها قضية ، كما كان يفعل أسلافنا من المحدثين رحمهم الله تعالى ، وليته أيضاً ذكرها للقارىء بسندها

فى العدد « ٧١ » من « الدوحة » .. كتب الكاتب الكبير خالد محمد خالد مقالا بعنوان « فى ذكرى كربلاء العظيمة » .

وفى هذا العدد يرد الأستاذ إسماعيل الكيلانى مسئول البحوث الاسلامية برئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر ، على بعض ما ورد فى مقال الأستاذ خالد محمد خالد .

أو ذكر المصدر الذى استقاها منه ، حيث لا تخرج فى حقيقتها عن كونها رواية من مجموعة روايات تحتمل الصدق وغيره ، وقابلة للفحص والاختبار ..

فأبو سفيان بن حرب الذى أورد الأستاذ خالد الرواية التى تشكك فى إسلامه ناقلا على لسانه وهو يوصي أهل بيته بالتمسك بالملك قوله : (لقد صار الأمر إليكم ، فلا تدعوه يفلت ، وتلقفوه تلقف الكرة ، فانما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار ..)

وما زعم من أن أبا سفيان وقف على جدث (قبر) سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وهو يقول : (يا أبا عمارة ، إن الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيوف قد صار إلى غلمان بني أمية ..)

ما الذى صار إلى بني أمية ؟ الذى صار إليهم ـ بزعم الأستاذ خالد محمد خالد ـ هو الملك ، فهل كان حمزة رضى الله عنه يجتلد مع بنى أمية على الملك ، أم أنه كان يجاهد لاعلاء كلمة الله تعالى وقد استشهد فى سبيلها ؟!

أبو سفيان بن حرب هو الذى ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على «نجران» ، ومات عليه الصلاة والسلام وهو أمير عليها .. فما قيمة ما يورده الكاتب من رواية بجانب اعتماد رسول الله صلى الله عليه وسلم له فى الامارة ، وهى أمانة ومسؤولية ..

وكذلك ألم يكن كثير من أمراء النبى صلى الله عليه وسلم على الأعمال من بنى أمية .. ألم يستعمل عتاب بن أسيد بن أبى العاص ويستعمل خالد بن سعيد بن العاص ، وأبان ابن سعيد وغيرهم .. ؟ (منهاج السنة : ٢ / ٢٢٢) .

ألم يشارك أبو سفيان في معارك الفتح الاسلامي ؟ فلو لم يكن صادقاً في دينه ، وما يدري أجنة أم نار ؟! أكان يعرض نفسه للهلاك فى اليرموك ؟

عن أبى أمامة ، وكان شهد اليرموك هو وعبادة بن الصامت رضى الله عنهما ، قال : « إن النساء قاتلن يوم اليرموك ، فخرجت جويرية بنت أبي سفيان وكانت مع زوجها وأصيبت بعد قتال شديد ، وأصيبت يومئذ عين أبي سفيان ، فاخرج السهم من عينه أبو خيثمه .. » (منهاج السنة : ٣/٤٠١) .



خالد محمد خالد

ويروى ابن كثير فى تاريخه (٩/٧) أن أبا سفيان بعد أن وعظ المقاتلين وشجعهم ، وذكرهم الله عز وجل ، ذهب أيضا إلى النساء فوصاهن ، ثم عاد فنادى :

« يا معشر أهل الاسلام حضر ما ترون ، فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم » ثم سار إلى موقفه رحمه الله.

أهذه كلمات رجل ما يدري أجنة أم نار ، أم كلمات قلب عامر بالايمان ، مؤمن بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!

ويبدو أن الأستاذ خالد محمد خالد لم يطلع على رواية التابعي الجليل سعيد بن المسيب عن أبيه الذى كان حاضراً غزوة اليرموك ، أو اطلع عليها لكنه ذهب وراء تشكيكه .. قال سعيد عن أبيه :

هدأت الأصوات يوم اليرموك ، فسمعنا صوتاً يكاد يملأ العسكر يقول : « يا نصر الله اقترب .. الثبات يا معشر المسلمين .. » فنظرنا ، فاذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد .. (ابن كثير : ٧/١٤) .

لقد ثبت يومها ابنه يزيد ، كما ثبتت ابنته جويرية ، وقاتل قتالا شديداً ، وقد أوصاه والده قائلا :

« يا بني ، عليك بتقوى الله والصبر ، فانه ليس رجل بهذا الوادى من المسلمين إلا محفوفاً بالقتال ، فكيف بك وباشباهك الذين ولوا أمور المسلمين ؟ أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة .. فاتق الله يابنى ، ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب فى الأجر والصبر ولا أجرأ على عدو الاسلام منك .. »

فقال يزيد رضى الله عنه : أفعل إن شاء الله .. وقد فعل ، وكان من ناحية القلب وقاتل قتالا عظيماً . (ابن كثير : ٧/١٣) .

واستمع إلى قوله وهو يتجول بين الصفوف قبيل المعركة : « الله الله ، إنكم ذادة العرب وأنصار الاسلام ، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك ، اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك .. » (الطبري : ٣/٣٩٧ ـ ابن كثير : ٧/٩) .

صحيح أن أبا سفيان كان من أعدى أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بذل الأموال والجهود وجيش الجيوش لقتاله والصد عن دين الله عز وجل ، لكنه عاد فأسلم ، والاسلام يجب ما قبله ، كما جاء فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص وقد أراد الدخول فى الاسلام وقال : أريد أن أشترط .. أن يغفر لي . فقال عليه الصلاة والسلام :

« أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله .. » .

ودخل أبو سفيان فى دين الله عز وجل ، كما فعل كثير من أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم كعكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه مثلا ، الذى بذل أقصى ما يستطيع فى سبيل رفعة هذا الدين حتى استشهد يوم اليرموك ومعه ولده علي رضى الله عنهما ، وهو الذى قال عندما اشتد وطيس المعركة يوم اليرموك : قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواطن ، وأفر منكم اليوم ؟ ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور فى أربعمائة من وجوه المسلمين .. ولما ترجل يقاتل الروم وراه خالد بن الوليد رضى الله عنه وناداه أن يرفق بنفسه ، قال له : مهلا يا خالد ، فوالله لقد قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفلا أذود الآن عن الاسلام وأرجو أن تكون هذه بتلك .. ومشى حتى قتل رضى الله عنه ..

وفى صحيح البخاري : لما أسلمت هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان قالت : «والله يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض

أهل خباء أحب إلى أن يذلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلى أن يعزوا من أهل خبائك .. »

التجنى على (حقائق التاريخ)

فما هى مسوغات التشكيك من الناحية العلمية ، وما هى فوائده لمجتمع المسلمين اليوم من الناحية العملية إلا تعميق الهوة ، وإيجاد الشروخ ، وتكريس التنابذ ، وإثارة الأحقاد ..

أيقبل الأستاذ خالد محمد خالد أن ينسب إليه القول بفصل الدولة عن الدين ، وأن الاسلام كالنصرانية ؟! . أم أنه يرد على من ينسبه إلى هذا ، بأنه أعلن توبته وتراجعه وأنه سجل على نفسه .. (ويبدو أنني يومها ـ عندما قال إن الدين لا يعنيه أن يكون دولة ولا يعنيه أن يتدخل فى بناء الدولة ـ كنت متأثراً بتصور مسيحي عن الحكومات الدينية ، لا سيما تلك التى قامت تحت ظل الكنيسة فى أوروبا فى عصور الظلام ، ناسياً يومها أن الاسلام مختلف جداً ، وأن الدولة بشكلها ومضمونها كانت تعنيه إلى أبعد مدى .. وفى الاسلام بالذات لا يمكن عزل الدين عن الدولة إلا إذا أمكن عزل الدين عن الدين ..) جريدة الأخبار القاهرية العدد ٧٨٥٨ الثلاثاء ٢٣ اغسطس ١٩٧٧) .

وأكد أن الاسلام دولة ودين ، وأنه أصدر كتاباً سماه « الدولة فى الاسلام » .

فاذا الأستاذ خالد لا يقبل ، بعد أن تراجع ، أن ينسب إلى ذلك الموقف الذى تبرأ منه !! فكيف يجيز لنفسه أن ينسب لنا سفيان إلى موقف تبرأ إلى الله عز وجل منه بقوله وفعله وجهاده فى سبيل هذا الدين ..

ونحب أن نلفت نظر الأستاذ خالد محمد خالد إلى ما ورد فى صحيح البخارى ، وغالباً أنه قد اطلع عليه لكنه لم يذكره ، من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على المنبر ، والحسن رضى الله عنه إلى جنبه ينظر إليه مرة والى الناس مرة .. ثم قال : « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فقد أخبر أن الحسن رضى الله عنه سيد ، وأنه يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، وقد تحقق ذلك .

إن الحقيقة التى لا يجادل فيها ، أننا نقرأ فى كتب التاريخ كثيراً من الأخبار التى نسبها بعض الشعوبيين إلى بني أمية وبني العباس .. هى أحط ما ينسب إلى خلفاء ورجال ، ونقرأ كذلك فى كتب القصاصين أخباراً منسوبة إلى الخلفاء وأهل العلم والأدب هى أقبح كثيراً مما نقرأه لدى المؤرخين ، والحقيقة التى يجب أن لا تغيب عن الأذهان :

ان النزاع السياسي بين هذه الشيع المختلفة هو الذى أدخل كثيراً من الشوائب فى التاريخ الاسلامى ، مما يجعل الحقائق التاريخية ، ولا سيما فترة صدر الاسلام والأمويين ، تشبه الدر الملقى بين أشواك ، يحتاج مريد استخراجه من تلك الأشواك إلى أناة وروية وصبر وتقليب نظر في وجوه السلامة من أذى الشوك ، وليس هناك أسلم من طريقة المحدثين .. وإلا كان الظلم والتجني ، ونسبة أناس إلى أمور هم منها براء ..

أما يزيد بن معاوية الذى يسميه الكاتب بـ « يزيد القرود » ويقول عنه : إنه كان يتلهى عن أمر الاسلام والمسلمين بفهوده وقروده .. هكذا ..

قبل أن نتطرق لهذه النقطة التى أثارها الاستاذ خالد واعتمدها وبنى عليها حكمه نقول : إن قتل الحسين رضى الله عنه معصية لله ورسوله ، ممن قتله أو أعان عليه أو رضى به ، كائناً من كان .. وهو مصيبة أصيب بها المسلمون من أهله وغير أهله ، وهو فى حقه شهادة له ، ورفع درجة ، وعلو منزلة .. وقد قتل مظلوماً شهيداً .

أما يزيد بن معاوية فانه ولي أمر المسلمين بعد والده ، ونحن لا نريد هنا أن نبرئه من الخطأ ، وقد أفضى إلى الله عز وجل الذى يحاسبه ، فان شاء عذب وإن شاء غفر .. ولكنا نقول : إن الأخطاء التى حدثت وارتكبت فى عهده لا تجيز لنا أن ننسب إليه ما ليس فيه ، والأمانة العلمية تقتضينا التثبت أولا ، وعدم تضخيم هذه الأخطاء ووضعها تحت المجهر ، ولو كان فيها أحقاد وسخائم قرون متطاولة .. علينا أن نذكر الحقيقة كاملة ، ولا نكتفي بالسوء من القول وباطله ..

ففى صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم » .

وكان هذا الجيش بقيادة يزيد بن معاوية فى عهد والده ، وفيه جلة من الصحابة رضى الله عنهم ، كأبي أيوب الأنصارى رضى الله عنه الذى استشهد ، ودفن تحت أسوار القسطنطينية ، ومازال قبره إلى الآن هناك .

وفى الصحيح أيضاً عن أبى نعيم قال : سمعت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وسأله رجل عن المحرم تقتل الذباب ؟

فقال : يا أهل العراق ، تسألوني عن قتل الذباب ، وقد قتلتم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام : « هما ريحانتاي من الدنيا » .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى (منهاج السنة : ٢/٢٤٩) :

والذى نقله غير واحد أن يزيد لم يأمر بقتل الحسين رضى الله عنه ، ولا كان له غرض فى ذلك ، بل كان يختار أن يكرمه ويعظمه كما أمره بذلك والده .. ولكنه كان يختار أن يمتنع الحسين من الولاية والخروج عليه ... فلما قدم الحسين ، وعلم أن أهل العراق يخذلونه ويسلمونه ، طلب أن يرجع إلى يزيد ، أو يرجع إلى بلده ، أو يذهب إلى الثغر .. فمنعوه من ذلك حتى يستأسر .. فقاتلوه حتى قتل مظلوماً شهيداً رضى الله عنه .. وأن خبر مقتله لما بلغ يزيد وأهله ساءهم ذلك وبكوا على قتله ... ولم يسب له حريماً أصلا ، بل أكرم أهل بيته وأجازهم حتى ردهم إلى بلدهم .. وقال : لعن الله ابن مرجانة ـ يعني عبيد الله بن زياد ـ أما والله لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله ، قد كنت أرضى من طاعة أهل العراق دون قتل الحسين . (انظر أيضاً ابن كثير والطبري فى حوادث سنة ٦١ هـ) .

لكنه مع ذلك ما انتصر للحسين ، ولا أمر بقتل قاتله ، ولا أخذ بثاره .. وما عدا ذلك فتزيد وافتراء ..

إن الوضع فى الأخبار والتزيد فيها ، والتجني على حقائق التاريخ كان يتم قديماً لمصلحة الشعوبية عدوة الاسلام والمسلمين .. وفى عصرنا الحاضر يتم هذا على أيدى أصحاب النزعة الاستعمارية الذين كان همهم : إثارة أحقاد الماضى الدفينة ، وإيقاظ سخائم النفوس ، بغية إبعاد المسلمين عن أمجاد تاريخهم التليد بقطع صلتهم بالجيل القدوة ..

من هنا وجب على كل من يتصدى لحوادث ذلك التاريخ اليوم ألا يختار من الروايات إلا ما يصح حسب قواعد النقد العلمى التى وضعها أسلافنا رحمهم الله ليحقق للمسلمين خيراً فى حياتهم المعاصرة وينير الطريق الصحيحة للأجيال القادمة .. والله من وراء القصد .

اسماعيل الكيلاني

ارتهان الحصان



شعر: حسن عبد الله القرشي

الشاعر العربي المعروف حسن عبد الله القرشي ، سفير السعودية فى الخرطوم ، شغلته الحياة الديبلوماسية فى الشهور السابقة ، وهاهو يعود إلى قرائه الكثيرين بهذه القصيدة الجميلة التى أرسلها إلى « الدوحة » من السودان :

تساءلت فيم ارتَهَنْتُم حصانى ؟
سلبتم عنَانَ الحصانْ
وسرْج الحصَانْ
وسمَّرتُمُوا برصاصِ الخيانةِ حافرَه فى الطَّريق ؟
وأجبرتُمونى على السَّير فى جمْرةِ القيظِ وحـــدى
اخوِّض فى المنحدَرْ
حنانيكمُـــو
أنا ما كنت يوماً ولا ســـاعةً
واحداً من رعاة البقرْ
ولم أحترفْ مرة أن اخبِّئَ ظِلِّى
وراءَ الشجَرْ !
وأندسُّ تحتَ ستار المطَرْ
حنانيكمُـــو
أنا ما كنتُ لصّـــاً لقافلةٍ
غادرًا بالرفيقْ
ولا سارقاً حفنةً من قطيع
ولا قاطعاً للطريقْ
ولا معجَباً بلصوصِ البشَرْ !

● ●

تساءلت وارتدَّ منى التساؤلُ
وانطفأَ الزهْوُ ..
ألغيت كل عقـــودَ المحبَّـــةِ
حطمتُ تمثالَ فينوسَ ..
سرتُ وحيداً على لجةِ الأملِ الموجعِ
انتحرتْ نغمتى عبر موجِ الضجيجِ
وضاعتْ مع السفن الغارقة !

● ●

وكنت بريئاً
فهانتمو هؤلاءِ
تبيعوننى
رهْنَ مذبح غدر المرابين والمستبدِّين والادعياءْ
شقَقْتُمْ قميصى ..
جرحتُمُ الحلُمَ الغضَّ
حطمتمُو كلَّ سهمٍ حواه وِفاضى
فها هى ذى جعبتى
افرغُ اليوم من ظُلَّةِ العنكبوتْ

● ●

برغم الحصارِ
برغم انحسارِ المدى وانتحارِ النهار
برغم ارتهانِ حصانى
سابقى أنـــا
أحاول أن أستردَّ السَّـــنَا
ولكننى عدتُ أرجوكمو
أن تعيدوا الى حصانى
وسرجَ حصانى
وخلوا لديكم عِنـــانى
إذا شئتموا أن تغلوا زمانى
ولا تحـــــذروا
فارسُ الامس
لمَّا يعدْ مثلما كانَ
عادَ حطاماً كما شئتموهُ
لَقىً فى الدروبْ
وَهَى عزمةً وخبا بَصَراً ثاقباً
وذوى عـــودُه
فارسُ الامس
ماذا تخافونَ من حُزمةِ الحُزْنِ ؟
من كتلةِ الشوكِ ؟
من ومضةٍ فى المغيب ؟!

والشعراء الأسبان أيضاً يقفون على الأطلال

بقلم : عبداللطيف عبدالحليم

ليس للشعر موضوع يقف عنده ، وينحصر فيه ، وإلا حصرنا الحياة ذاتها فى هذا النطاق فلا تخرج عنه ولا تتعداه ، لأن الشعر صورة الحياة يعبر عنها فى ضروبها المختلفة ، وأشكالها المتباينة .

والوقوف بالطلول أحد الموضوعات الأثيرة فى الشعر العربى ، لأن الطلول كانت تلابس البدوى فى تنقله واستقراره ، لذا لم يكن غريباً أن تجيش بها نفسه جيشاناً عارماً فيفرد لها الأبيات الطوال ، وتأتى طواعية فى مستهل قصيدته «مقدمة طللية» كما يسميها صديقى وأستاذى الدكتور الطاهر مكى ، يبكى فيها الرسوم الدواثر فى الطبيعة أمامه والشاخصة فى نفسه ذكرى آسية .

لم يكن الشاعر العربى آنذاك يتقيل نموذجاً مرسوماً ، إنما كان شيئاً يجيش به صدره ، فيقذفه على لسانه ، لكن حين فسدت الملكات ، وغلبت الصنعة على الطبع ، صار الوقوف على الطلول «طللا مسجلا» احتذاء للأولين ، حتى أن الشاعر الحضرى راح يبكى الأطلال الدوارس وهو لم يرها ، وبات الأمر لدى صغار النقاد العرب واجباً مفروضاً أن تستهل القصيدة بالبكاء الطللى ، ثم بوصف المحبوبة متخلصاً منه الى غرض القصيدة الأصلى إن كان فى القصيدة غرض أصلى .

ثار أبو نواس ـ بشعوبيته ـ على الوقوف بالطلول مستبدلا إياه بوصف الخمر ، منددا بالعرب ، مزريا عليهم ، ساخراً بهم .

قل لمن يبكى على رسم درس
واقفاً ما ضر لو كان جلس ؟

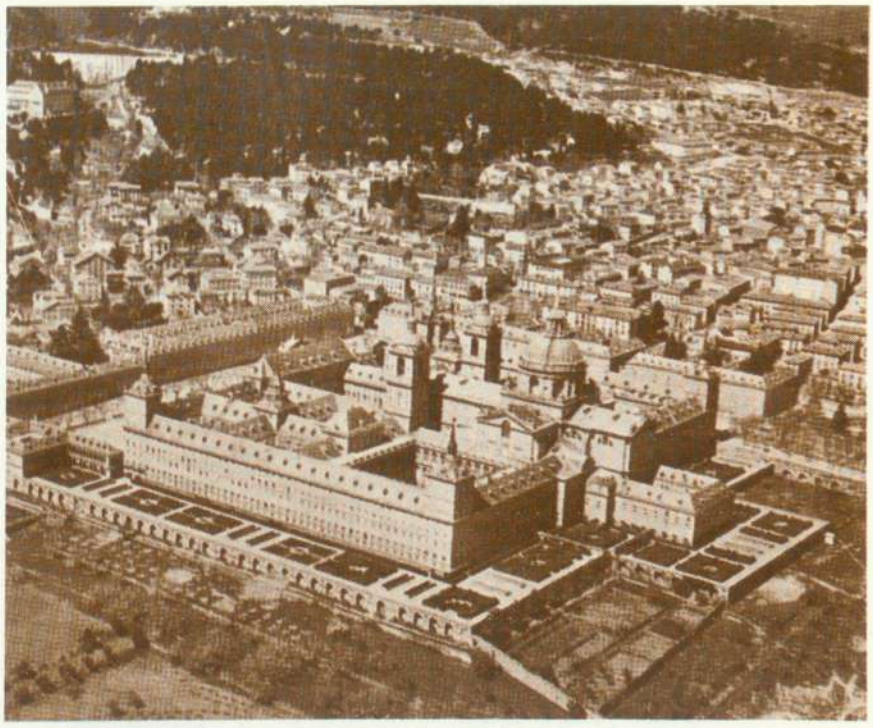
والحق أن أبا نواس لم يصنع شيئاً بتمرده ذاك ، جل أمره أنه استبدل شيئاً بشىء آخر ، فهو تقليد فى كراهية التقليد .

ولعل «سينية» البحترى فى إيوان كسرى نمط نادر فى الشعر العربى ، صدق لهجة ومشاعر ، ونقاء فكر وتعبير ، يقل رصيفها فيما نظمه شعراؤنا إن إبداعاً وإن تقليداً ، لأن البحترى لابس الموضوع فيما هو انسانى فيه ، فهو عربى الوجه واليد واللسان ، والايوان كسروى ، لكن الشاعر استطاع أن يريق على الموضوع وهجاً انسانياً خالداً ، يقول :

ذاك عندى ، وليست الدار دارى
باقتراب منها ، ولا الجنس جنسى

وقد عرف الشعر الأندلسى موضوعاً أثيراً وحزيناً ، هو الوقوف على المدن والممالك المسلوبة . نعم سبق المشرقيون إخوانهم الأندلسيين فى هذا المضمار ، لكنه سبق البداية فحسب ، لأن هذا الموضوع أندلسى خالص ، أبدع فيه أهل الأندلس وبذوا المشارقة ، ربما لظاهرة المدن الضائعة التى تفرد بها الأندلس ، وكثرة الحزن تعلم المرء البكاء كما يقولون ، ولدراسة هذه الظاهرة يمكن الرجوع الى ما كتبه صديقى العلامة الدكتور الطاهر مكى فى كتابه «دراسات أندلسية» .

ويفيض المؤرخون العرب والاعاجم فى الحديث عن مدينة الزهراء ، وبنائها ، وعمارتها ، وكان مبلغ قول أحد المؤرخين العجم عنها أنها «فرساى» المسلمين ، بناها عبد الرحمن الناصر تخليداً لجاريته الزهراء فى سفح جبل العروس بينها وبين قرطبة ثلاثة أميال تقريباً ، وجعلها المقر الملكى ومقر الحاشية وأرباب الدولة ، واستمر العمل فيها من عام خمسة وعشرين



كانت مدينة قرطبة وغيرها من مدن الاندلس الضائعة موضوعا للشعر الاندلسى الذى اتسم بالحزن والبكاء !

وثلاثمئة الى آخر دولة الناصر وابنه الحكم وذلك نحواً من أربعين سنة . غير أن هذه المدينة الجميلة لم تزدهر سوى ردح يسير من الزمن ، فقد زاحمتها مدينة «الزاهرة» التى ابتناها المنصور بن أبى عامر .

اتت على المدينة حوادث الزمن ، فانطمرت تحت الأرض الى أن بدأ الحفر للكشف عنها فى القرن الماضى أو على التحديد عام ١٨٥٤ . وفى عام ١٩١٠ بدأت الدولة الاسبانية الحفريات من جديد على نحو منتظم حتى يومنا .. كان «ريكاردو بلاثكيت بوسكو» أول من اضطلع بهذه الحفريات عام ١٩١٠ ، واكتشف فى هذه الحفريات الأولى قصر الخلافة والمجلس الغربى .

وبعد أن توقفت الأعمال بسبب الحرب الأهلية عادت من جديد عام ١٩٤٤ وحققت نتائج باهرة فى زمن محدود ، إذ اكتشفت قاعة عبد الرحمن الناصر الى جانب مبانى ملحقة .

وفى عام ١٩٦٤ تلقت حفائر مدينة الزهراء دفعة قوية من الدولة ، وفى هذا العام نفسه تم تنظيف مسجد الزهراء تماماً ونقوشه الأدبية معروفة جيداً وأوردها عدد من المؤرخين وكان يشرف على أعمال الحفر المهندس «هرناندث خمينيث» ، كما أن المهندس «باسيليو بابون ملدونادو» قام بالدراسات المعمارية (أفدت من مقال رفاييل كاستيخون عن حفائر مدينة الزهراء ، وترجمه الدكتور الطاهر مكى) .

القصائد التى تأتى مترجمة بعد هذه الكلمة هى لثلاثة من الشعراء ، يلقب أولهم بشاعر مدينة الزهراء ، لأنه قرطبى أولا ، وخصص ثانياً ديوانا كاملا عنوانه «مرائى مدينة الزهراء» . ويدعى باسم «ريكاردو مولينا» ، وترجمت له قصائد «شاعر عربى ـ طلول ـ الصيف ـ اغنية اندلسية ـ الساقى» وترجمت للشاعرة «خوانا كاسترو» قصيدة «الزهراء من عند الزهراء» . وثالثهم ترجمت له قصيدة «الزهراء وردة» وهى للشاعر سباستيان كويباس نابارو» . والقصائد كلها من كتاب خصصت صفحاته للحديث عن مدينة الزهراء أصدرته مديرية الثقافة فى مدينة قرطبة ، وعنوان الكتاب «حنين وحضور مدينة الزهراء» . وأرى فى القصائد هذه نفساً اندلسياً خلفه أسلافنا الاندلسيون فى أصحاب هذه القصائد وفى غيرهم ، وقد أتيح لهم أن يقرأوا الشعر العربى مترجماً الى الاسبانية فى مطالع هذا القرن قام بترجمته بعض المستشرقين الاسبان وان كان من الملاحظ أن فيه أيضاً نسيجاً سيريالياً غامضاً ، يتمثل فى تركيب الصور والعبارات ، وأدع حضرات القراء فى النهاية مع هذه القصائد .

● من قصائد الشـــاعر « ريكاردو مولينـــا » :

شـــاعر عربى

الرجـال الذين يتغنون
بالياسمين والقمـــر
لورثونى أساهم
وهواهم ، واوارهم ، ونارهم

● ●

الغرام المضنى
للشفاه المتاججـة
والعبودية
للجمال الذائب الرقـة

● ●

وحـــزن
الرغبـــة الخـــالدة
التى لا يستمر جوهر لذتها
سوى لحظة واحدة

طلـــول

عظيم مصنع المرمر
القصر النبيل بجدرانه ذات الشرفات
الأبواب المعدنية ، من الأرز والبرونز
بيد أن الأعظم من العظمة ذاتها
هو رغبـة القدرة التى تلهب
باجيجها اللاعج الضلوع العزلاء .

● ●

جميلة القاعة المانوسة المطرزة
من أجل الحب ،
النبع الصافي الموسيقى الذى ينتحب ، ويغنى
فى زاوية خفية
بيد أن الأجمل من الجمال ذاته
هو ذاك الشوق المر الذى يستيقظ

● ●

ماذا بقى من المئذنة ؟ .
ماذا بقى من القصر ؟ .
ماذا بقى من السلطان ؟
ماذا بقى من الارادة ؟

بقى رنين الحجـــارة ،
بقى اسم شرير ، زائف ،
ريح حزينـــة .

● ●

والشعراء الأسبان أيضاً يقفون على الأطلال

تهوى الأنجم من سمائها الرائعة
واحدة واحدة ، رمادا ،
استحال الحب ، والسلطان ، والارادة
رمادا ، رمادا تذروه الرياح ...

الساقى

ظمأى ، ونعشق الظما .
ضوء عميق يهدهد أعماقنا
ويعانى فوق شفاهنا

• •

باطل أن نغنيها ، الأهم
أن نشعر بها ،
أن نهواها إذا عانت أو
غنت حزينة ووحيدة

• •

قل لى : لماذا تقدم لنا
الأقمار مرة والكئوس مرة اخرى
تحوم حول رغباتنا دائراً
فى لوذعية ؟

آه !! أيها الساقى ،
شفاهك الوردية . فى ظلال الشوق
الذى يؤرقنا .. تخجل الورد .؟

• •

من الذى فى وسعه أن يطفىء الظما الذى يقتلنا .
لو كان القمر وفيا لذاته ،
قمراً ، وشراباً ، وثغراً .؟

أغنية أندلسية

سحب ، وطيور ، ونجوم ،
تمضى .. وأبقى أنا
قريباً ، وقريباً جداً ،
فوق العمود المهشم ، وعلى
حاجز الشرفة المهشمة
مازال الحب يغنى

تسمع شدو العصفور
الذى بقى معى ،
هنا ، وقت الأصيل ،
تظل السماء متشحة باغصان المشاعر كلها

• •

سلام البقاء
حالمة الروح تكاد تضرب فى الأسل
قريباً من ابريل ، قريباً منى
قريباً ، وقريباً جداً ، هنا .



الصيف

كان يجثم الصيف السعيد البطىء
فى البهو بين الأزاهر
بينما تغفو الروح فى النسيان اللذيذ
مقعيا فى ركن قديم ، فى مملكة وادعة

• •

الأصيل المتوهج فى أواخر اغسطس
كان يسترخى بين الأزاهر
بينما كانت يد لدنه تهدهد فى الأحلام
قيثارة المساء الخفية

• •

اللجين الخفى لهذه اللحظة الساجية
كان ينثر سلاماً رطباً ،
وحياة القمر الغضة
والنسيم فوق البهو فى الظلال .

من قصائد الشاعرة « خوانا كاسترو » :

الزهراء من عند الزهراء

أ ـ الصباح :

يتقاطر الطل من النرجس
علامة النصر
يتباعد جناح الضباب
مثل الغراب
لا مكان للنحيب حيث الأزاهر
والزنابق والرتم يبزع منها معاً
براعم حياتها الفانية
ونحن معها الفانون الباقون ،
مع الضوء المبعوث من الغناء ،
فانها لا تموت وإن دمروها .

ب ـ الأصيل :

جبل العروس مليء بالزهر تحت جذوة الشمس
ولدى قدميه تشهد الطلول بالعظمة .
وباسم الله الرحمن الرحيم
يسجع الحمام .
الذى مر فحسب هو الزمن ، جواده المخادع ،
وأسراب النحل ـ فى يونيو القائظ ـ في جيئة
وذهاب من الأزاهر الى الخلية .
الأصيل مثل الجذوة ، وكذلك شقائق النعمان ،
والعبق مثل العقد يطوق لهب الرياح الباذخ
لقد مر الزمن فحسب .
وبقيت الذكرى .
ويجثم المجد فى التراب الحريرى ،

وتنفث كف الريح الحمى فى أوراق اللوز
الصغيرة الواهنة ، حيث تكون المياه
مثل أفعى حلوة ، رطبة الأنياب .
لا يمر سوى الزمن
لقد مر الزمن فحسب .
إن الشاعر يعيد برؤيته صياغة العالم ،
حجراً ، حجراً ،
كلمة تحت نار الأيام ، ونظراته السعيدة
تصلح
خلل الأقواس ، ولغته هى الفجر .
لقد مر الزمن فحسب .

ج ـ الليـــل :

من الزهراء اتذكرك بشغف ،
وانت لا تدرين ، ياربة هذا الليل ـ
انك تملئين الليل ، فتشرب عيونى :
هاته الكاس من النبيذ التى تطفح زهراً
مثل كتفيك ، فتسحر عينى .
تسحرنى كتفاك ، وضفيرتاك
وانت لا تدرين ـ ياربتى ـ حتى هذا ـ
انك تتوهجين مثل النجم بل أشـــد
وهجاً منه
وانت لا تدرين ـ ياربتى ـ الآن ، حين يكون
الليل النطفة الباردة الكبرى للغمائم
العذبة
التى اشربها بخلايا عيونى الظامئة .
من الزهراء اتذكرك بشغف ،
وظما الملح يمزق حنجرتى ، فاملؤها بك ،
وبذكراك ، وبضفيرتيك الذهبيتين ،
وبكتفيك من الثرى العبق .
ياربتى التى لا تقبل إلا لماما ، تعرفين
مصاحبة المجد
ورؤيتك هنـــا :
هنا حيث الظلول تخلد النصر فوق
الضباب
العسلى الأسود ، على ظلال الزمان .

من قصائد الشاعر « سباســـتيان كويباس نابارو » :

الزهراء وردة

ـ ١ ـ

لقد ماتت الأزاهير ، والياسمين ، والزنابق ،
والسرو .
وذبلت الزهرة
وعبد الرحمن عبر الحبق يبحث فى الظلال
عن الياقوت البارد فى عمامته .
ورياح القرون الطويلة غيض الغدران فى
القاعة المذهبة .
ونبات الجهنمية يناوش القبيلة فى رقصته
الزئبقيـــة ،
وفحول الجياد العربية تحتضر اعرافا
وشقائق نعمان .
وفضل المغنية تنهض مثل الشحرور الغض
فوق بساط اللهب ،
والمباخر تتوهج ، والحكم يحلم بالكتب
وبقناديل البرونز
والمدينة الوردة تتبختر فوق سوريا
وبيزنطة وبغداد ، وفارس
والمدينة الدلفى ، واللبلاب وزهرة العسل
تزهر زهرة
من الجيـد الى الثغر ،
والباز يلمحك منعطفة بالعوســـج
والكروم
مثل عنقود غنائى بين كهرمان الصهد
المشمس .
وأبنوس جبل العروس حيث تنتظر
العروس .

ـ ٢ ـ

الأظافر المفسدة نخلت المرمر
وخمشت الأقواس ، ووشى الدمقس
ولطخت شجر اللوز بالتراب .
حمامة لؤلؤية تدمى فى الثرى ،
من الأزرق السماوى الى الوردى
ثمة قطاف من تيجان الاعمدة
والعشب الأخضر والعاج ...
وربوة بيضاء من الكافور تنساب من
اشبيلية الى المغرب
من فلورنسا إلى اللوفر ،
وزهرة إكليل الجبل تنتثر مثل مـــاء
الايمـــان
حينما تهوى الزهراء متناثرة .

ـ ٣ ـ

لا أحد فى استطاعته أن يمحق الربيع
مادامت العصارة هاجعة فى الجذور
التى يتجدد شباب بذورها
وفى الجيل الكامل من نبات الغار
برغم النار ، والسيف ، يرضع نبـــات
الشوبان
والعوسج جذوره بين الجير والجص ،
والأعمدة تتنفس بين الجرشف ،
والطلع النباتى يخضوض دواما
من شجرة تين الى اخرى ،
ليس فى استطاعة العقرب أن يلـــدغ
الأقواس
ولا أن يبدد خزامى الثمار ،
الخراج تحيط بالأسس ،
ولا يصل طعام الكسكسى بالعســـل
والقطلب (١) ،
وعقد من السوسن والخرشوف يتدلى
من الزليج والمخدع ،

فى الجو الفخارى تنبت بذرة الخصب
الخالدة ،

فان الزهراء الوردة دائما مخصبة .

(١) نوع من النبات من فصيلة الخلنجيات

عبد اللطيف عبد الحليم ـ مدريد

الميلاد

● قصـــــة ●

بقلم: عبدالله الطوخي

رأيت نفسي حاملا نعشي وسائراً نحو القبور . كنا في غبشة البكور ، ولا قدم إنسان أو حيوان تدب على الأرض . الكل في هجعة النوم الأخيرة . لم أكن أقصد ألا يراني أحد بنعشي . إنني لا أتصرف في الخفاء . لكني قصدت أن انفذ قراري بسهولة . ألا يناقشني أحد فيما اتخذت من قرار !

كان سور المقابر يلوح من بعيد .. هناك على الضفة الأخرى من الترعة وسط الحقول .. مضيت أغذي الخطو بثبات وهدوء !

لفت نظري فجأة ، قرص الشمس الذهبي وهو يبزغ ويطل وليداً على الوجود ابتسمت في نفسي وشددت من قبضتي على نعشي : اننى اموت مع ميلاد يوم جديد . ذلك هو المغزى العميق !

كان ضوء الشمس حاداً ، لكنه غير مؤلم والأفق ممتداً ورحيباً وناعم الزرقة .. وحقول القمح المزروعة منذ وقت قريب ، ما رأيتها أبداً بكل هذه الخضرة الصافية المترعة ، وهذا التماوج الراقص لأعواد القمح مع النسيم ، وفكرت أن الطبيعة تودعني بمنظر جميل ، قلت شكراً أيتها الحياة التي انطلقت في رحابك كل هذه السنين . شكراً .. ووداعاً .. فلكل رحلة نهاية .. هذا هو القانون .

كنت أود أن أقول كما يقول المحبون لحظة الفراق : « .. والى اللقاء أيها الأحباب » لكنه الفراق الأبدي هذه المرة ، والصمت العميق الهادىء المريح ..

وداعاً إذن يا حقول القمح ، ويا أشعة الشمس ، ويابروتينات الأرض ، ويا ذئاب البر ، ويا عرائس النهر . وداعاً يا كل شيء .. وداعاً يا قانون الجاذبية الذي ينظم ويضم كل عناصر الكون ، فلقد حاولت أن ابقى جزءا من الدورة . حاولت بكل ما منحتني الحياة من قدرة . لكن القدرة نضبت مرة واحدة ولم أعد قادراً على الحصول حتى على شرف المحاولة . بل إن المأساة وصلت الى قمتها حين رأيت الدورة نفسها فقدت حيويتها ومعناها .. أصبحت الحركة تأكيداً للثبات وللسكون . ليس الآن اعظم من شرف الموت . وداعاً فقد سئمت وأصبحت في حاجة الى الراحة العميقة .. الراحة الأبدية بجوارك أيتها الحقول ، ويا أيتها الأشجار الشاخصة الهاجعة .

وتنبهت فجأة الى اننى واقف بنعشي وأتكلم مع عناصر لا تنطق . ولاننى كنت قد تعودت الحديث مع النفس طويلا في الأيام الأخيرة فقد جذبت نفساً عميقاً وقلت بحزم : هذا هو آخر الأنفاس ، وآخر الكلام مع النفس ..

لقد انتهت الرحلة !

وعدلت من وضع النعش على كتفي ، ومضيت مواصلا السير في اتجاه القبر .

غير اننى فجأة وجدتني أتوقف على صوت :

ـ دقيقة .. لوسمحت .

رحت أنظر حولي باحثاً عن مصدر الصوت ، لكني لم أر أثراً لانسان غيري .

وهم إذن ما سمعت . واندفعت مواصلا السير ، غير أن نفس الصوت عاد .. بغضب وحسم : قلت لك انتظر . مثلما استمعنا إليك ، يجب ان تستمع الينا .. !

واذ أيقنت أن الصوت ليس وهما ، بل بالتأكيد حقيقة ، واذن فهي صادرة من عالم الخفاء .. تجمدت في مكاني .. هاجمني خوف كاسح غريزي أوقف حركة جسمي وعقلي . لكني سرعان ما تنبهت لسخرية الموقف وخطورته وقلت لنفسي : انت سائر الى الموت . فلماذا .. ومن ماذا الخوف .؟!

ياله من تراث ثقيل وكريه ذلك الذي اسمه الخوف يظل يلاحقنا حتى ونحن سائرون إلى قبورنا . (وازدادت قبضتاي قوة على نعشي) هذه هي اللحظة التي يجب ان أرى فيها نفسي فوق الخوف . ان الذين اختاروا الموت ، لا يصح ان يخيفهم من الحياة أي شيء !

ـ نشكرك انك استجبت ووقفت . (واحسست بابتسامة ود في الصوت) ومادمت قد قررت الموت ، فهي ليست بكارثة أو جريمة لو أضفت الى عمرك بضع دقائق .. نتكلم فيها .

كان القمح هو الذي يتكلم . لم أتعجب . فقد كنت منذ قليل أكلمه وأناجي خضرته وأودعه :

ـ وفيم تريد ان نتكلم .؟!

ـ أنزل نعشك أولا الى الأرض .. كي تتكلم براحتك .؟

ازددت تشبثا بنعشي وقلت :

ـ لقد أصبحت لا أتكلم براحتي ، الا اذا كنت حاملا نعشي . واحب ان انبهك الى حقيقة هامة عني ، وهي أن عهد المناقشات قد انتهى من حياتي .. وشيء آخر أكثر أهمية : لو كنت تفكر في اقناعي بالعدول عما أنا ذاهب اليه فالأفضل أن توفر جهدك .. وشكراً على مشاعرك الرقيقة . لقد حسمت القضية .

قال ساخراً :

ـ حسمتها بالهروب .. أليس كذلك .؟ الحق كان يجب أن تكون خجلا من نفسك ! (استفزتني العبارة .. واللهجة) .

ـ ومم أخجل .؟

ـ الهارب من الحياة يجب أن يخجل من نفسه .

انطلقت مني ضحكة مقهقهة ساخرة تردد صداها في فضاء الحقول ووصلت الى سور القبور وقلت : قديمة .. قديمة .

قال بدهشة : ما هي القديمة هذه .؟ !

ـ نغمة الاتهام بالهروب . فلم أكن لحظة اتخاذ القرار بطلا أو حتى جنديا في معركة ثم هربت منها . انما الحياة بالنسبة لي أصبحت دورة عقيمة ، والخجل الحقيقي كان هو أن ابقى مستمراً على قيد الحياة ، لا تسلني أرجوك عن تفاصيل . لقد ناقشت قضيتي طويلا وحسمت امري : الموت الآن بالنسبة لي هو الشجاعة .. وهو الشرف ..

وهو أعظم المواجهات !

(ندت عنه ضحكة ساخرة مستهزئة) .

ـ تتكلم عن المواجهة ثم تذهب الى الموت . إنك حقا لتضحكنى !

قلت مستهزئا باستهزائه :

ـ ذلك لانكم معشر النباتات قمة فرحتكم فى مجرد التواجد بالحياة . يزرعكم شخص ويخلعكم آخر ، ولا لوم عليـــكم فانتم لا تعرفون شيئا عظيما اسمه « إرادة الحياة » .. وحين تنعدم هذه الارادة يبقى لكم شىء اسمه « ارادة الموت » . أن نحيا باختيارنا وارادتنا .. فان لم .. فبارادتنا واختيارنا نموت . وهذا هو صميم موقفى . اظنه اتضح الآن .. ولن أزيد .. معذرة .. سلام ..

كنت قاطعا فى لهجتى فلم يعاود الحديث . داخلنى نوع من السرور . من المؤكد أنه اقتنع بكلامى ، ولسوف يبارك ميتتى العظيمة ، ويكون من الشاهدين .

وعاودت الانطلاق بنعشى بثبات ويقين .

غير أنى ماكدت اقترب من السور حتى فوجئت برجلين يظهـران بغتة ويعترضان طريقى ..

كانت هيئتهما غريبـــة ، وأسنانهمـــا بالذات كريهة .. وتوجست من التارجح السريع لنظراتهما . كانا يريدان الاطمئنان لعدم وجود أحد غيرنا فى المكان . وفكرت على الفور أنهما لصان . ولكن ماذا سيسرقان منى ؟ كل الأشياء تخليت عنها ، ولم يبق لى غير روحى .. وروحى هى الأخرى حالا ساتخلى عنها !

غير انى فوجئت بهما يمدان اذرعهما الأربعة نحو النعش ويقولان :

ـ عنك أيها الرجل الصالح . لابد أنك تعبت من حمله . نريد أن نكسب ثواب مساعدتك !

ودون أن ينتظرا منى رداً ، امسكا بالنعش من حوافيه الأربع .. قفزت متراجعا بالنعش الى الخلف وصرخت فيهما : لا . لا . ثوابكما أن تتركانى حاملا نعشى . لست متعبا . اشكركما .

بدا عليهما الضيق . تبادلا نظرة . قال احدهما :

ـ فلتسمح لنا اذن بثواب المشي فى جنازتك .

وأردف الآخر :

ـ إن جنازة بلا مشيعين شىء يثير الحزن والأسى .

لم تكن فى لهجتهما ذرة صدق .. بل وازدادت ريبتى . قلت ولهجتى يختلط فيها الغضب بالتوسل :

ـ لكنى ، ومعذرة ، لا اريد أن يمشي أحد فى جنازتى . كل واحد منا يصنع جنازته كما يشاء . اتركانى وحدى لوسمحتما .

عاودا تبادل النظرات . قال احدهمـــا للآخر وقد كشر عن أسنانه الكريهة :

ـ هذا الأسلوب لا ينفع معه . فلننته من الأمر بسرعة .

وبحركة خاطفة انحنى وجذبنى من أسفل ساقى ، فوقعت انا والنعش على الأرض . صرخت وانا احتضن نعشى بقوة :

ـ لماذا تفعلان هذا ؟ ما الذى تريدانه منى ؟

ـ نريد هذا النعش !

تاكـد احساسى . إنهما لصان . وعلى ابشع مستوى . يسرقان نعوش الموتى . وهاهما يريدان اغتصاب نعشى منى .. !

تعبا صدرى بالكراهية . ورايت زحف المهانة يدب الى صدرى لو أن هذا حدث فعلا .. تختتم حياتى بهزيمة .. حتى نعشى لا أستطيع المحافظة عليه . صرخت : لا .. والف لا .

تحولت أسنانهما الى انياب .

ـ أيها الاحمق (وشهر واحد منهما مدية حادة فى وجهى وقال) يجب ان تدرك حقيقة وضعك . نحن اثنان .. وانت واحد .. واعزل .. يجب أن تسلم فوراً .

إزددت احتضانا لنعشى : لا . لست وحدى . نعشى معى .. ولست بالأعزل . نعشى هو سلاحى . اتفهمان . نعشى هو سلاحى وساحاربكما به !

كشراً عن انيابهما البشعة . وفى لحظة كانت المعركة قد نشبت ، وثارت من الأرض سحب التراب ، وانا ممسك بنعشى ، واذا بالنعش متين وراسخ بين قبضتى ويئز فى الجو محدثا ذبذبات كهربائية مخيفة . كان فى لحظة درعاً يتلقى عنى الضربات ، وفى لحظة أخرى سلاحاً .. عموداً .. جذعاً .. يوجه الضربات .. اعنف الضربات ..

وإذ أصاب كل منهما من النعش ضربة دوختهما فتمايلا وراحا يترنحان ، زغرد قلبى بتباشير النصر ، وبدا لى النعش الذى كان منذ قليل دليلا للموت ، رمزاً للحياة ..

واحسست بشحنات تتفجر من داخلى وتتوالى .. كانت انفاسى تتدافع .

ـ آه .. لطالما استرخت عضلاتى أيها الكلاب حتى تشحمت ويبست .. الآن تندفع الدماء فى عروقى .

ولاحظت ان الزرع فى الحقول يرقب المعركة بلهفة ، فتضاعفت قوتى ، وعلت صيحات الحرب ، وانات الالم الوحشية .. ثم فى لحظة بدا لى أن قواى نفدت ، وانى على وشك السقوط الأخير بنعشى .. غير أنى سمعت اعواد الزرع تصيح على .. تشجعنى .. ليست اعواد القمح فقط ، بل اعواد القطن والذرة وقصب السكر ... ليس فقط الزرع .. بل بشر أيضاً ، فتيان وعرائس جاءوا ليشاهدوا رجلا يحارب بنعشه . لست بطلا فى مسرحية ، بل بطلا على مسرح الحياة . رجل كان يحمل نعشه ليودع الحياة فاذا بالنعش بين يديه سلاح يصرع به اللصوص والطغاة ..

ورأيت الكل يصفق لى ..

كان اللصان قد سقطا على الأرض بلا حراك ..

وقفت التقط انفاسى .. واسترجـــع ما كان ..

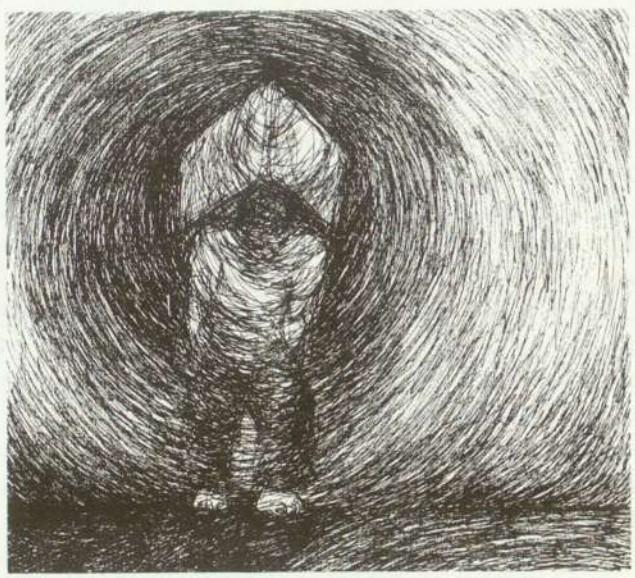
كان سور المدافن قريباً منى .. والنعش ملقى على الأرض ..

ـ لا .. ليس الآن ..

وأعطيت ظهرى للقبور ..

ورحت اخترق الحقول .. متجها الى البيوت .

عبد الله الطوخى



ديجول والبحث عن العظمة

بقلم : محمد العزب موسى



صورة نادرة للجنرال ديجول اثنـاء التجائـه إلى بريطانيـا بعد هزيمـة فرنسا سنة ١٩٤٠

قال عنه الكاتب الفرنسى اندريه موریاك « انه يشعر كما لو كان مبعوثاً من فرنسا التاريخية الى فرنسا المعاصرة كى تتذكر كم هى عظيمة تلك الدولة » !

وقال عنه الصحفى الامريكى جون جنتر « انه يتقمص شخصية فرنسا أو أن روح فرنسا تتقمصه .. فالقائد والرسالة والامة لديه واحد » !

وقال عنه أحد معارفه « ان مشكلة الجنرال الوحيدة هى أنه ليس كائنا بشرياً»!

هذا هو مفتاح شخصية ديجول .. الاحساس بالعظمة ، والبحث عنها والعمل من أجلها .. وهى حقيقة يعترف بها خصومه وأنصاره على السواء وكانت مصدراً لما ناله فى حياته من قدح وثناء ..

ولم تكن هذه الحُقيقة خافية عن الجنرال ، فقد كان يصل أحياناً فى تقديره لنفسه الى حد العجرفة ، فعندما ساله بعض أنصاره يوماً عما يفعلونه من بعده قال « عليكم أن تبحثوا عن ديجول آخر » ! وعندما اقترح عليه البعض أن يوجه شكراً الى الأمة الفرنسية لتاييدها لسياسته فى الاستفتاء على مصير الجزائر رفض قائلا « كيف تشكر فرنسا نفسها ؟ » ! وكان أحياناً يشير الى ذكرياته عندما كان زعيماً لحركة فرنسا الحرة قائلا « آه .. هذا حدث عندما كنت أنا فرنسا » !

ولكن ديجول كان يختلف عن لويس الرابع عشر الذى قال « أنا الدولة » فالدولة فى حد ذاتها لم تكن تعنى ديجول كثيراً ، بل كان ما يعنيه هو اقالة فرنسا من عثرتها ويا لها من عثرة تاريخية كبرى ، بدأت بانهيارها فى الحرب السبعينية فى القرن التاسع عشر ، وامتدت الى هزيمتها فى الحرب العظمى ، ثم الى مهانتها فى الحرب العالمية الثانية ، ثم الى ورطتها فى حروبها الاستعمارية بالهند الصينية وشمال افريقيا والجزائر فى الخمسينيات .

فديجول كان يغذى فرنسا من روحه وارادته وصموده ، أما لويس الرابع عشر فكان يتغذى على فرنسا ومجدها وترفها ، وهذا هو الفرق بين الرجلين .

ومن الغريب أن هذا الرجل الذى وصل فى كبريائه واحساسه بذاته الى هذا الحد كان يتميز فى الوقت نفسه بالبساطة والتواضع ، وتروى عن رقة قلبه النوادر ، فعندما كان قائداً لقوات فرنسا الحرة بالجزائر منعه الاطباء من تناول الطعام لمرض أصابه وسمحوا له فقط بشرب اللبن ولكن ديجول رفض أن يشرب اللبن قائلا انه لا يستطيع ان يشارك أطفال الحرب غذاءهم الوحيد . وعندما جاء الى الحكم عام ١٩٥٨ أبى رغم مشاغله الا أن يرد بخط يده على جميع رسائل التهنئة التى تلقاها .. وكانت تبلغ زهاء الخمسة آلاف !

وفى قمة مجده كرئيس للجمهورية ، وزعيم للشعب ، وشخصية عالمية ، لم يغير

ديجول نمط حياته البسيطة مع زوجته « العمة ايفون » ـ كما كانوا يسمونها لطيبتها وبعدها عن الاضواء ـ وظلت دائماً سهرته المفضلة ان يجلس مع زوجته للسمر أمام التليفزيون بعد ان يتناولا عشاء منزلياً بسيطاً كاية اسرة متوسطة من ملايين الاسر فى فرنسا .

وعندما كانت سهام النقد تصوب على ديجول من كل مكان ، وعندما كان رسامو الكاريكاتير يصورونه كالديك الرومى المنتفخ الاوداج او يلبسونه تاج شارلمان او طيلسان لويس الرابع عشر او قبعة نابليون .. كان هو يمضى فى طريقه غير عابىء بهذه الحملات ، فهدفه الوحيد هو تحقيق « المعجزات » لفرنسا . ولم يكن يدرى ـ ربما ـ ان معجزته الكبرى هى انه استطاع ان يقود بكفاءة شعباً من اكثر الشعوب استعصاء على الحكم والقيادة شعباً وصفه بيير دانينوس « مذكرات الرائد طومسون » التى ترجمها الدكتور ثروت عكاشة باقتدار بانه « ينقسم الى ثلاثة واربعين مليوناً من الفرنسيين » !

فى مواجهة الألمان

ولد شارل جوزيف مارى ديجول فى نوفمبر ١٨٩٠ فى اسرة من الطبقة المتوسطة اشتهرت بعدد كبير من الاسماء اللامعة فى الادب والسياسة . كان والده استاذاً للفلسفة والادب الفرنسى فى احدى كليات الجيزويت الشهيرة بباريس ، وكانت مكتبته حافلة بامهات الكتب فى التاريخ والادب والاساطير وتراجم العظماء وسير القديسين ، وتعود ديجول فى طفولته وصباه ان يقضى بها الساعات الطوال يعب من ذخائرها التى لا تنضب .

وكان مولد شارل بمدينة « ليـــــل » الصناعية باقليم الرور الذى رزح تحت الاحتلال البروسى زمناً وفيه قضى طفولته قبل ان ينتقل مع اسرته الى باريس ، وكثيراً ما كان الطفل يسمع والديه يحكيان ذكريات مريرة عن الغزو البروسى وكارثة «سيدان» فى الحرب السبعينية حين اجتاحت جحافل الالمان ارض الوطن كالطوفان ، واذاقوا فرنسا امر هزيمة فى تاريخها ، وظلت هذه الصورة الرهيبة عالقة فى ذهن الطفل تمده باحلام اليقظة فى ان ياتى يوم يكبر فيه ويثار لوطنه من ذل الهزيمة .

وما ان اتم ديجول دراسته الثانوية حتى التحق بكلية « سان سير » العســـكرية العريقة تراوده احلام طفولته فى ان يصبح

ديجول فى قمة مجده .. عندما اصبح زعيماً للشعب وشخصية عالمية





الجنرال ديجول اثناء اعلانه حكومة فرنسا الحرة

جندياً يدافع عن فرنسا . وهذه الاكاديمية اسسها نابليون بونابرت وظلت مركزاً متخصصاً فى الدراسات النابليونية ، وفيها درس شارل ديجول بالتفصيل سيرة نابليون وعصره وخططه وحروبه ، واصبح من اشد المعجبين به وجعل منه مثله الاعلى ، وتخرج ديجول فى كلية « سان سير » عام ١٩١٢ برتبة ملازم ثان ، والتحق بسلاح المشاة وتنقل فى الخدمة العسكرية بمختلف انحاء فرنسا .

وفى سن الرابعة والعشرين اتيحت له الفرصة لتحقيق حلمه القديم ـ او هكذا تصور ـ اذ هبت ريح الحرب العظمى على فرنسا (١٩١٤) واشترك ديجول فى الحرب برتبة الملازم فى الكتيبة (٣٣ مشاة) تحت قيادة الكولونيل بيتان .. الرجل الذى شاءت المقادير ان يواجهه بعد ذلك فى أعنف صراع وطنى !

واثبت ديجول خلال السنتين الأوليتين للحرب شجاعة فائقة ومقدرة عسكرية كبيرة مما لفت اليه انظار بيتان فقربه منه ، وجرح ديجول اثناء الحرب مرتين ليعود الى ساحة القتال بمجرد شفائه ، واشترك الى جانب بيتان فى معركة « فردان » اليائسة التى كانوا يطلقون عليها « المعركة المفقودة » ولكن بيتان بعبقريته العسكرية استطاع تحويل دفة النصر الى جانب الفرنسيين ، وكانت هذه المعركة اساس مجد بيتان وشهرته .

جرح ديجول فى معركة « فردان » وافاق ليجد نفسه فى اسر الألمـــان حيث قضى السنتين الأخيرتين من الحرب ، وقام اثناء الاسر بخمس محاولات للفرار بهدف ان يعود لمواصلة القتال ، وفى كل مرة كان يقبض عليه بالقرب من المعتقل ويعاد من حيث اتى لتوقع عليه العقوبات . واخيراً عقدت الهدنة فى « نوفمبر ١٩١٨ »وعاد ديجول الى فرنسا محتفظاً بروحه المعنوية العالية ، فتقدم رغم ضعف صحته الى الخدمة العسكرية العاملة من جديد .

وكانت تنتظره حرب اخرى مريرة ، ولكنها لم تكن دفاعاً عن الوطن هذه المرة ، ففى عام ١٩٢١ ارسل ديجول الى البانيا ضمن حملة الدول الغربية ضد الثـــورة البلشفية ، وكانت الحملة تحت قيادة الجنرال ويجان ، احد الاسماء اللامعة كذلك فى تاريخ العسكرية الفرنسية وقد لعب ايضاً دوراً حاسماً فى حياة ديجول فيما بعد ، وحققت القوات الفرنسية بقيادة ويجان انتصارات متفرقة على الجيش الاحمر ، ولكن ذلك لم يحل دون حملة الغرب العسكرية والفشل ، وعاد ديجول مع القوات المنسحبة يعانى ضعفاً وارهاقاً بالغين فحصل على اجازة طويلة من الجيش وخلد الى الراحة ليسترد صحته المفقودة .

عكف ديجول خلال فترة نقاهته الطويلة على قراءات متعمقة فى كتب التـــاريخ والفلسفة والادب والفنون العسكرية ، كما اخذ يجرب موهبته القديمة فى الكتابة ، تلك الموهبة التى ورثها عن ابيه واسرته ذات الميول الادبية والتى سوف تحقق له نفعاً كبيراً فى المستقبل . ولم يعد ديجول الى حياة المعسكرات بعد شفائه ، وانما تقلب فى فترة ما بين الحربين بين عديد من المناصب الأكاديمية والادارية والقيادية ، فعمل محاضراً فى مادة التاريخ العسكرى



ديجول والبحث عن العظمة

فى أكاديمية « سان سير » ، وعين فترة ياوراً عسكرياً لبطل فردان ومعبود الجيش الجنرال بيتان وكان عندئذ قائداً عاماً للقوات الفرنسية المسلحة ، وأرسل فى مهمة خاصة لدراسة الأوضاع فى الشرق حيث مكث ثلاث سنوات متنقلا بين حلب ودمشق وبغداد ، ووضع فى هذه الفترة أول كتبه «جيش الشرق» ولقى رواجاً كبيراً ، كما عين بعد عودته من الشرق فى عام ١٩٣٢ سكرتيراً عاماً للمجلس الأعلى للدفاع الوطنى ، وظل يشغل هذا المنصب الهام لربع سنوات ، ثم عاود دراساته فى الاستراتيجية العليا بكلية أركان الحرب ، وعين فى عام ١٩٣٧ قائداً لحامية « ميتز » المطلة على الجانب الألمانى ، وظل يشغل هذا المنصب حتى قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ .

وفى ميتز لمس ديجول بنفسه خطورة ما يجرى على الجانب الألمانى من استعدادات جادة ولهفة مجنونة على التسلح ، وحاول ديجول أن ينبه مواطنيه الى مدى الخطر الألمانى ، وأن يشحذ همتهم للاستعداد العسكرى ، فوضع كتابين هما ، « فرنسا وجيشها » و « جيش المستقبل » دعا فيهما الى انشاء قوات ميكانيكية حديثة تساير متطلبات العصر ، فلم تعد الحرب كما كانت فى الماضى تعتمد على شجاعة الجندى وقدرته على الخوض بالسلاح الأبيض أو بالاسلحة النارية الصغيرة فى صفوف الاعداء ، وانقضى الزمن الذى كان يمكن فيه لفرنسا أن تضمن سلامتها بان تقبع وراء خط ماجينو الشهير فالحرب الحديثة أصبحت تعتمد كلية على الآلات والمحركات ، على الدبابات الثقيلة وقاذفات القنابل والمدافع البعيدة المدى ، وينبغى على فرنسا فى وجه الخطر الألمانى الداهم أن لا تتوانى فى تسليح نفسها باحدث الاسلحة وأن تنتهج سياسة الهجوم كخير وسيلة للدفاع .

ولكن بنى وطنه أعاروه آذاناً صماء ، فالقيادة العسكرية تحت سيطرة ضباط تقليديين صنعوا لأنفسهم أسماء لامعة فى الحرب العالمية الأولى منذ عشرين سنة واستكانوا اليها وتخلفوا عن التطور ، والقيادة السياسية غير مدركة لحتمية الحرب التى يستعد لها الألمان وتمنى نفسها بأن هتلر يجهز جيشه ليطلقه ضد الاتحاد السوفيتى فى الشرق بحثاً عن مجاله الحيوى ، وكانت هذه فى الواقع هى نظرة الغرب كله فى ذلك الوقت بعد أن خرج لتوه من اتفاقية ميونيخ مكللا بالتخاذل والعار .

ولكن نظريات ديجول حازت اهتماما كبيراً من الجانب الآخر .. من الألمان ، فقد كان أهم ما يشغل المانيا الهتلرية فى ذلك الوقت تكوين جيش حديث قوى يستطيع أن يثأر من هزيمة ١٩١٨ ، وكان الألمان مجنونين بصفة خاصة بسلاح الدبابات الذى تسبب فى هزيمتهم فى الحرب العالمية الأولى حين اخترع البريطانيون الدبابة فجاة قبيل انتهاء الحرب فقلبوا بها ميزان القتال ، كما كانوا مهتمين بانشاء سلاح جوى قوى تحت اشراف جورنج ، ومشحونين بأفكار الحرب الخاطفة واكتساح الخصوم ، وحين وقع كتابا ديجول « فرنسا وجيشها » و «جيش المستقبل» فى يد ضابط ألمانى يدعى الجنرال « جودريان » أدرك على الفور أهميتهما وخطورتهما البالغة ، وأنصت جودريان الى خصمه ديجول وهو يكاد يهمس فى أذنه وحده باسرار الاستراتيجية الحديثة ، ضرورة التخلص من وسائل الحرب التقليدية .. من المدفعية الثابتة ، والخنادق ، والحصون ، والمعارك الصغيرة . والاعتماد بدلا من ذلك على الدبابات والطائرات والمصفحات والمدافع الثقيلة ، وانتهاج أسلوب الهجوم الكاسح المباغت الذى لا يترك للخصم فرصة للاستعداد . ووضع جودريان كتابا بعنوان « احرصوا على التسلح » أودعه نظرياته فى الحرب الحديثة والتى لم تكن أكثر من صياغة المانية لنظريات ديجول ، بل أن كتاب جودريان يضم صفحات مترجمة حرفياً عن كتاب ديجول « جيش المستقبل » ولم يلبث كتاب جودريان أن أصبح انجيلا للقوات المسلحة الألمانية ، واهتم هتلر وكبار مساعديه كل الاهتمام بنظريات الجنرال جودريان وكانوا يسمونه « جنرال المحركات » ، وفى أوائل الحرب بعد استيلاء هتلر على مصانع الاسلحة الشهيرة فى واينر – نوشتات بالنمسا والتى تقع فى قلب مركز صناعى غنى بالحديد والصلب ثم استيلائه على مصانع « سكودا » التشيكية ، أمدت هذه المصانع الفوهرر بالخامات والتكنولوجيا اللازمة لتجهيز ٤٠ فرقة مدرعة حديثة ، وهكذا تحقق حلم الجنرال جودريان فى انشاء فرقة « البانزر » الالمانية الشهيرة التى وضع ديجول فكرتها الأصلية ، وهكذا – لسخرية القدر – كان ديجول أبا لفرقة البانزر النازية التى اكتسحت أراضى فرنسا ودكت مدنها ، ومرغت هامتها فى الرغام !

عندما سقط السيف

اجتاحت جيوش النازى النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا بسرعة خاطفة ، وفى أوائل مايو ١٩٤٠ أخذت القوات الألمانية تتقدم عبر بلجيكا الى شمال فرنسا .. طوابير من الدبابات والمدافع والمصفحات وسيارات نقل الجنود والقطارات المحملة بالعتاد العسكرى تقتحم الأراضى الفرنسية من كل اتجاه ، الجو مشحون بأناشيد القتال الألمانية والطرق مفتوحة أمام قوات هتلر الغازية ، فلا خطوط دفاع فرنسية منيعة ، ولا روح معنوية عالية ، والفلاحون الفرنسيون يهجرون قراهم أمام تقدم فرق العاصفة ويتدفقون فى سيول لا تنقطع على باريس ليملأوا قلوب أبنائها وجلا بحديثهم عن الرعب النازى والجيش الذى لا يقهر .

فى هذه الأيام العصيبة برز وجه الجنرال ديجول صلباً مصمماً على القتال حتى النصر ، كان عندئذ قائداً لاحدى فرق الدبابات فى شمال فرنسا ، واستطاع أن يصمد مؤقتاً فى وجه الغزاة بل واوقع بالألمان المتقدمين على الأرض الفرنسية عدة هزائم تكتيكية ولكنها لم تؤثر كثيراً فى مجرى الأحداث ، اذ كان ديجول يأمل أن يهب الى نجدته الجيش الفرنسى من الجنوب ليسد الثغرة بين أمبين – بايوم فى وجه التقدم الألمانى ولكن جيش الجنوب لم يصل وركز الألمان من ضغطهم حتى اجتاحوا مقاومة ديجول وتمكنوا من احتلال شمال فرنسا ، وأصبح الطريق مفتوحاً أمامهم الى باريس .

كان يرأس وزراء فرنسا فى ذلك الوقت بول رينو وهو من أنصار فكرة المقاومة ، واستدعى بول رينو الجنرال ديجول – وقد استيقظ القوم فجاة على صدق نبوءاته ! – وعينه مساعداً لوزير الدفاع الماريشال بيتان ، ووافق ديجول على شرط واحد هو أن تستمر فرنسا فى القتال مهما حدث سواء على أراضيها أو من افريقيا والامبراطورية الفرنسية فيما وراء البحار

اذا استدعى الامر ، ووافق بول رينو على ذلك واعطاه المواثيق الكافية ، وطلب ديجول تكليفه بمهمة الدفاع عن باريس ، وكان من رأيه تكريس كل القوات الميكانيكية الفرنسية للدفاع عن العاصمة لأن سقوط باريس وهى القلب العسكرى والسياسى والاقتصادى للبلاد معناه سقوط فرنسا باسرها . ولكن الجنرال ويجان قائد الجيش لم يأخذ بوجهة نظر ديجول ، وبدلا من التركيز على الدفاع عن باريس قام بتقسيم الجيش الفرنسى الى شراذم متفرقة بحجة عدم المقامرة بضياع الجيش باكمله ، ولم تستطع هذه الشراذم الصمود فى القتال ، وانهارت الخطة الدفاعية ، ودخل الالمان باريس .

وارغم قادة الجيش بول رينو على تقديم استقالته فى محاولة منهم لتحميل السياسيين مسئولية الهزيمة ، وخلفه المارشال بيتان ـ جندى فرنسا الأول ! ـ الذى طلب توقيع الهدنة مع الالمان «انقاذا لباريس من التدمير» وكانت شروط الهدنة قاسية للغاية ، ويقال ان هتلر شخصيا أصر على التشدد فى شروطه امعانا فى اذلال فرنسا ، ولكن المارشال بيتان وقع هذه الشروط صاغرا ، وهذه هى الجريمة التى حوكم من أجلها فيما بعد بتهمة الخيانة العظمى على أساس أن شروط الهدنة كانت اهانة وطنية لا تغتفر .

كانت فرنسا حينئذ فى قمة اليأس والروح الانهزامية ، ولم تكن هزيمتها على هذا النحو المهين نتيجة لضعفها العسكرى بقدر ما تعود الى افتقارها للزعامة الوطنية القديرة ، فلم يكن هناك فوش ، ولا بوانكاريه ولا كليمنصو ، وها هو المارشال بيتان جندى فرنسا الأول ، بطل فردان قد القى السيف ..

كانت فرنسا تتطلع الى زعيم يستطيع ان يحمل من جديد ذلك السيف الذى القى فى الوحل ، ويغسل عنه العار . وتقدم شارل ديجول كى يلتقط السيف .

فرنسا الحـــرة

كان من رأى ديجول ، مساعد وزير الدفاع ، أن تواصل فرنسا الحرب من الامبراطورية ، وبحث الزعماء الفرنسيون بالفعل تحت الحاحه الشديد مشروعا بنقل القيادة العسكرية والحكومة الى الجزائر ومواصلة الحرب من هناك ، وسافر بعض القادة والزعماء العسكريين بالفعل الى الجزائر استطلاعا لهذه المهمة . ولكن حكومة بيتان المستسلمة ، وكان مقرها فيشى ، حاربت الفكرة بلا هوادة اعتقادا منها بأن اية مقاومة فرنسية فيما وراء البحار من شأنها أن تجعل النازيين يشتطون فى معاملة الشعب الفرنسى ، وقد يدمرون باريس منارة العالم !

وهكذا لم يكن أمام ديجول بدا من أن يخرج عن طاعة بيتان ويفر الى بريطانيا ليواصل القتال ، ويحكى تشرشل فى مذكراته عن الحرب العالمية الثانية كيف استطاع ديجول الفرار من فرنسا رغم الرقابة المشددة التى فرضتها عليه حكومة بيتان ، فقد تظاهر ديجول بتوديع شخصية بريطانية كبيرة فى مطار باريس ، وعندما اوشكت الطائرة على التحرك قفز اليها ديجول فجأة واقلعت الطائرة أمام أعين رجال المخابرات الفرنسية المذهولين .. وكان تشرشل هو واضع خطة تهريب ديجول !

ومن راديو لندن ارتفع صوت ديجول يدعو الى الثار الوطنى ومواصلة القتال :

« ايها الضباط الفرنسيون ، والجنود الفرنسيون ، والطيارون الفرنسيون ، والمهندسون الفرنسيون .. اينما تكونوا ابذلوا جهودكم للحاق بهؤلاء الذين يصرون على مواصلة القتال » .

« اننى أعدكم بانه سوف يأتى اليوم الذى نتمكن فيه بقواتنا ، قوات النخبة الفرنسية ، قواتنا الميكانيكية فى البر والبحر والجو وبالاشتراك مع حلفائنا .. من اعادة الحرية للعالم ، والعظمة لبلادنا » ..

« ينبغى أن يكون هناك مثل أعلى. ينبغى أن يكون هناك أمل .. ان شعلة المقاومة الفرنسية سوف تسطع وتلتهب فى مكان ما » .

« ان الوطن لم يمت ، والحرب لم تضع ، ولتحيا فرنسا » ..

وواصل ديجول دعوته للمستعمرات الفرنسية للانضمام الى حركة فرنسا الحرة التى جعل مقرها لندن ، فاستجاب له البعض ورفض البعض ولاء أو خوفا من حكومة فيشى ، وحدث أن هاجمت البحرية البريطانية بعض وحدات الاسطول الفرنسى فى أعالى البحار واغرقتها لتمنع الالمان من الاستيلاء عليها ، وبالرغم من أن تشرشل لم يستشر ديجول ولم يبلغه بأمر هذا الهجوم مقدما إلا أن الحادث أساء الى صورة ديجول لدى الفرنسيين ، واستغلته حكومة بيتان لاظهار ديجول بمظهر الخائن الذى يتامر ضد بلاده مع الانجليز خاصة وقد كان عليه أن يبرر الهجوم البريطانى فى اذاعاته من صوت فرنسا الحرة براديو لندن ، وأصدرت حكومة بيتان قرارا بتجريده من الجنسية الفرنسية ومصادرة املاكه ثم حاكمته غيابيا وحكمت عليه بالاعدام فى ٢٣ أغسطس ١٩٤٠ .

ولكن هذه الرياح المعاكسة التى واجهت حركة فرنسا الحرة فى أيامها الأولى لم تلبث أن تحولت الى رياح مواتية فقد قرر قادة الاسطول الفرنسى فى ميناء طولون اغراق الاسطول حتى لا يقع فى أيدى الألمان ، وخلال ليلة واحدة نزلت الى أعماق البحر فى مياه طولون ٧٣ قطعة حربية فرنسية من أحدث القطع البحرية فى العالم منها بارجة كبيرة ، وبارجتان صغيرتان ، و٧ طرادات ، و٢٩ مدمرة و ١٦ غواصة وعدد من زوارق الطوربيد .. لقد انتحر الاسطول الفرنسى غرقا ! واستشاط هتلر غضبا لهذا الحادث فامر قواته باجتياح فرنسا كلها . واخضع البلاد للاحتلال العسكرى الالمانى السافر ، وهنا سقطت حجة حكومة فيشى فى ان التعاون مع الالمان يحمى فرنسا من الاحتلال ، وعادت المانيا هى العدو الوطنى اللدود للفرنسيين ، وبدأ الراى العام الفرنسى يتجه الى تاييد حركة المقاومة السرية فى الداخل ، وحركة فرنسا الحرة فى الخارج ، وفى مارس ١٩٤٣ اختارت المقاومة السرية داخل فرنسا ديجول قائدا لحركتها فانتصر بذلك على منافسه جيرو الذى كان ينافسه على زعامة فرنسا الحرة من مقره بالجزائر

ولم يكن النضال ضد الالمان ، وحكومة فيشى ، ومنافسة جيرو هى كل ما يشغل ديجول فى هذه المرحلة العصيبة ، بل كان عليه أن يخوض صراعا آخر ضد حلفائه لنفسهم ، وقد شعر ديجول أثناء الحرب بمرارة شديدة تجاه حليفيه القويين تشرشل وروزفلت فى حين بادله ستالين بعض الود . وبالرغم من أن تشرشل كان أكثر حدبا عليه من روزفلت ، فهو الوحيد على الاقل الذى يمده بالمال والسلاح ، إلا انه كان يضع نفسه فى مركز الأخ الأكبر أو بالأدق فى مركز الوصى على ديجول وحركته وهو وضع لم يكن يرضى ديجول الذى يريد أن يزعم لفرنسا مركزا مساويا لحلفائها .

وازداد الخلاف بين الرجلين عندما أيد تشرشل فى واخر شهور الحرب استقلال سوريا ولبنان ، فاتهمه ديجول بانه يسعى لتصفية الامبراطورية الفرنسية فى المشرق العربى ووراثتها ، وسافر الى الشام ليحول دون وقوعه فى أيدى القوات البريطانية . اما روزفلت فلم يكن يخفى استهانته بديجول وحركته ، وظل الى قرب انتهاء



ديجول والبحث عن العظمة

الحرب لا يعترف باللجنة الوطنية الفرنسية التى يراسها ديجول كحكومة شرعية فى المنفى ، وظل لفترة طويلة يفضل التعاون مع حكومة فيشى على أمل أن تفتح له ثغرة وراء خطوط الألمان .

وقد صدر حديثاً فى فرنسا كتاب بعنوان « تشرشل وديجول » لمؤلفه فرانسوا كير سودى يلقى مزيداً من الضوء على علاقة ديجول المتوترة بحلفائه فى الحرب ، فنقرأ عن روزفلت يحكى عن قصة لقائه لأول مرة بديجول قائلا لمن حوله : « تقدم نحوى ديجول وهو يشد قامته الطويلة وأعلن : أنا جان دارك .. أنا كليمنصو ! واخذ روزفلت ديجول بطرافة ، وكان يراه فاشياً أو مغامراً أو مشروع دكتاتور فى المستقبل ، وكان يردد أن ديجول سوف يسقط بجدارة فى أية انتخابات حرة تجرى فى فرنسا بعد التحرير ، وعلى أحسن الأحوال كان يراه طفلا مدللا وينصح تشرشل قائلا : عليك أن تؤدبه بحرمانه من الطعام !

ولكن تشرشل لم ير فى ديجول شيئاً مسلياً على هذا النحو ، بل كان يقدر عزمه على مواصلة القتال تقديراً عالياً ويرى فيه « تجسيداً لرفض الهزيمة » ، ولكنه فى نفس الوقت يشك فى انه « مجنون بعض الشىء » ويعترف بأن هذا الجنرال بنزواته الغريبة يسبب له من المتاعب اكثر مما يسببه جميع حلفائه الآخرين مجتمعين ، أما ديجول فبالرغم من حنقه على تشرشل كان يشيد باتساع أفق الرؤية لدى مضيفه ، وقدرته على التخيل ، ونشاطه الذى لا يهدأ وكثيراً ما كان يصفه قائلا : « ياله من فنان عظيم » !

وبالرغم من أن ديجول لم يكن يملك موارد كبيرة سواء من المال أو الرجال أو المعدات الا انه كان راغباً عن اتباع خطى حليفيه الكبيرين مصراً على تنفيذ خططه الخاصة ، وكثيراً ماكان ينتقد الانجليز فى مجالسه ويتهمهم بانهم « يعقدون صفقة حرب مع هتلر » وانهم يخططون للاستيلاء على المستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار بل كان يتحدث احياناً عن احتمال أن يصحب قواته ويذهب للحرب فى صفوف ستالين !

كان همه الأكبر أن يعقد لواء زعامته على كل المستعمرات الفرنسية فى الخارج والمقاومة الفرنسية فى الداخل ، ويرغم الحلفاء على الاعتراف بفرنسا الحرة التى يمثلها كشريك محارب لا قوة ملحقة ، وكان يتصرف باعتباره الممثل الوحيد للروح الفرنسية التى لم تهزم حتى لو تعارضت تصرفاته مع المصالح العليا للحلفاء . ولذا كان تشرشل يضيق به احياناً وصاح فى وجهه مرة : انت تزعم انك فرنسا ، انك لست فرنسا ، انا لا أعترف بك كفرنسا ! وقال فى وجهه مرة اخرى : عليك ان تعلم تماماً اننى لو خيرت بينك وبين روزفلت لما ترددت فى اختيار روزفلت !

ويؤكد كيرسودى فى كتابه « تشرشل وديجول » أن تشرشل كان فى أعماقه شديد الكراهية لديجول ، ولا يثق فى نواياه ، وكثيراً ما كان يضيق بضيفه المرهق . وقد رفض أن يطلع ديجول على خطة غزو « نورماندى » لفتح الجبهة الغربية ضد المحور ، أو ما يسمى فى تاريخ الحرب « دى ـ داى » ، وفى ليلة الغزو أمر تشرشل بابعاد ديجول الى الجزائر ، وأصدر تعليماته الى معاونيه : تحت أى ظرف من الظروف لا يجب السماح للجنرال بدخول فرنسا مع قوات الغزو . وكتب أحد مساعدى تشرشل فى مذكراته يقول « ان رئيس الوزراء يبلغ أحياناً فى كراهيته للجنرال حد الجنون » !

وأثناء تقدم قوات الحلفاء فى الأراضى الفرنسية بعد النزول الكبير فى الأسبوع الأول من شهر يونيو ١٩٤٤ علم ديجول أن نية الجنرال ايزنهاور القائد الأعلى لقوات الحلفاء تتجه الى اقامة ادارة عسكرية أمريكية فى المناطق الفرنسية التى يتم تحريرها ، ومعنى هذا أن فرنسا التى تتحرر من الاحتلال الألمانى ستخضع للاحتلال الامريكى ، وهنا تجلت عبقرية ديجول وسرعته فى التصرف ، إذ بعث فوراً ببعض أعوانه حاملين معهم تفويضات منه بتولى الشئون الادارية فى فرنسا باسم حكومة فرنسا الحرة فى المنفى ، وهبط هؤلاء الرجال بالمظلات سراً فى شتى انحاء فرنسا حيث استولوا على دور المحافظات والبلديات فى الاقاليم الفرنسية ، وكانت كلما دخلت قوات الحلفاء مدينة فرنسية محررة وجدتها تحت سيطرة رجال ديجول المزودين بتفويضاته القانونية ، وبذلك حفظ ديجول فرنسا من أن تتحول الى مستعمرة امريكية يطول بشأنها الخلاف بعد الحرب

وفى ٢٠ أغسطس ١٩٤٤ وصل الجنرال ديجول الى فرنسا ولم تكن المعركة قد حسمت بعد ، فلا تزال القوات الالمانية تحارب متقهقرة ، ولا تزال باريس تحت الاحتلال الالمانى ، وتولت قوات ديجول بقيادة القائد الفرنسى الشاب الجنرال « ليكير » دخول باريس وتحريرها من قبضة الألمان بعد معركة شرسة فى شوارع العاصمة شارك فيها الشعب بينما كان ديجول يدير المعركة من بلدة « رامبوييه » القريبة من باريس .

وفى يوم ٢٦ أغسطس دخل الجنرال ديجول باريس وقصد الى نصب الجندى المجهول بميدان « ليتوال » حيث كانت جموع الفرنسيين قد خرجت عن بكرة ابيها منذ الليلة السابقة لتحية الجنرال المحرر والالتفاف حوله ، وحملته الجماهير الى كنيسة « نوتردام دى بارى » عبر شارع الشانزليزيه حيث عقدت له البيعة كرئيس مؤقت للجمهورية الفرنسية الجديدة .

ولم يكن أمام حلفائه سوى الاعتراف له بما اعترف به شعبه ..

أعاصير السياسة

خرجت فرنسا من الحرب العالمية الثانية دولة ضعيفة مفككة فقدت جيشها واسطولها كما فقدت كرامتها وكبرياءها ، وخسر ملايين الفرنسيين أرواحهم أو صحتهم أو أموالهم ، وأصاب الدمار والانهيار الصناعة الفرنسية والمركز الاقتصادى للبلاد ، وبدأت فرنسا تواجه سلسلة من المتاعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخطيرة ، وكان عليها أن تعتمد كلية على المساعدات الامريكية التى يوفرها مشروع مارشال .

ولم يكن الانهيار الاقتصادى هو المأساة الوحيدة التى واجهتها فرنسا بعد الحرب بل كانت هناك مأساة اخرى لا تقل عنفاً وخطراً هى عدم الاستقرار السياسى والاجتماعى ، اذ تمزقت البلاد شراذم متفرقة وضربت فيها المتناقضات والانقسامات والخلافات ، فالى جانب الأحزاب السياسية التى عدت بالعشرات كانت هناك انقسامات عميقة أخرى بين مختلف الفئات الاجتماعية .. الكاثوليك والعلمانيين .. البرجوازيين والشيوعيين .. الرأسماليين والعمال .. سكان المدن وأهل الريف ، وكل جماعة من هؤلاء تختلف مع الأخرى فى كل شىء ابتداء من سياسة

التعليم والخدمات الاجتماعية الى السياسة الخارجية .

أما المتاعب الخارجية الطاحنة فلم تكن مما يستهان به كذلك ، فقد ورثت فرنسا ما بعد الحرب العالمية الثانية امبراطورية حبلى بثورات التحرر الوطنى ، واخذت الثورات والحروب والقلاقل تندلع فى كل شبر من الامبراطورية الفرنسية المترنحة ابتداء من شمال أفريقيا الى الهند الصينية ومن مدغشقر الى أفريقيا الاستوائية ، وظلت فرنسا أمام هذه المتغيرات جميعاً تتجاهل الواقع وتتصرف بوحى من أساطير عظمتها الآفلة ، فتزداد بالتالى الهوة اتساعاً بين الواقع الفرنسى والفكر الفرنسى ، وتزداد تبعاً لذلك حدة المشاكل التى تعانيها البلاد .

هذا هو المناخ العام الذى ساد فرنسا بعد الحرب ، والذى كان على ديجول أن يتلمس بين أعاصيره توجيه دفة السفينة الفرنسية ..

وعندما تولى ديجول الحكم كرئيس مؤقت لفرنسا فى مرحلة ما بعد التحرير ، بدءاً بصيف ١٩٤٤ ، كان المسرح السياسى يسيطر عليه تقريباً الشيوعيون بحكم أنهم تحملوا العبء الأكبر فى حركة المقاومة السرية ضد الألمان فى حين كان البرجوازيون الفرنسيون اكثر تعاطفاً مع نظام الماريشال بيتان المنهار ، ولم تكن أى من هاتين القوتين تثق فى الجنرال ديجول أو تعتبره ممثلا لها . وهكذا وجد ديجول نفسه ـ رغم التاييد الشعبى الكاسح الذى لقيه عند دخوله باريس مظفراً ـ فى عزلة سياسية بين الشيوعيين من جانب والبرجوازيين من جانب آخر .

ولما كان الوقت مبكراً لاجراء انتخابات عامة ، فقد اكتفى ديجول بتكوين حكومة مؤقتة يشارك فيها الشيوعيون الى جانب القوى السياسية البارزة الاخرى وتعيين مجلس استشارى من ٢٤٨ عضواً ليقوم مقام البرلمان . وركز جهوده فى متابعة المجهود الحربى لاستكمال تحرير فرنسا ومواجهة مشاكل ما بعد الحرب ، واعترفت الدول العظمى بحكومته المؤقتة ، ومنحت فرنسا مقعداً دائماً كدولة كبرى فى الأمم المتحدة التى يجرى انشاؤها ، وزار ديجول موسكو فى ديسمبر ١٩٤٤ ووقع معاهدة صداقة مع ستالين .

ولكن ديجول لم يلبث أن اصطدم بشدة مع اليمين واليسار .. فقد أصدر خلال الشهور الأولى من عام ١٩٤٥ قرارات بتأميم عدد من المرافق والبنوك والصناعات الرئيسية بهدف احكام سيطرة الدولة على عملية التنمية الاقتصادية لازالة آثار الحرب مما أغضب البرجوازيين واتهموه بالشيوعية . ثم جرت عليه اجراءات التطهير التى قام بها ضد المتعاونين مع النازى غضباً مضاعفاً من جانب قطاع آخر قوى من الرأى العام يتركز اساساً فى الجيش والبوليس والادارة ، وبالرغم من أن هذه الاجراءات شملت عدداً ضخماً من الأفراد قد يصل الى ١٣٠ الفاً فى بعض التقديرات ـ وعلى رأسهم الماريشال بيتان الذى حكم عليه بالاعدام فى يوليو ١٩٤٥ ـ إلا أن اليسار الفرنسى بقيادة الشيوعيين اعتبروا ان هذه الاجراءات غير كافية واتهموا ديجول بالفاشية !

وفى اكتوبر ١٩٤٥ اجريت انتخابات المجلس التأسيسى الجديد وقدم ديجول استقالته كرئيس مؤقت ، واعاد المجلس انتخاب ديجول كأول رئيس دائم للجمهورية الجديدة . كان لا يزال هو القاسم المشترك الأعظم الذى يمكن أن تتفق عليه الاحزاب المتناحرة .

وهنا بدأ الصدام العنيف بين ديجول والشيوعيين ، كان الحزب الشيوعى قد خرج من الانتخابات العامة كاقوى حزب على الساحة السياسية ، اذ حصل ـ اكثر من أى حزب آخر ـ على ١٥٠ مقعداً فى البرلمان ، وكان بذلك يمسك فى يده مفتاح الموقف السياسى ، وبالرغم من أن الشيوعيين لم يكونوا يعترضون على شخص ديجول بدليل انهم ساهموا فى انتخابه رئيساً للجمهورية إلا أنهم كانوا يرون الحد من سلطاته ، أو تحويله الى رئيس فخرى يراس ولا يحكم ، كما كانوا يطالبون بأهم ثلاث وزارات فى حكومته الائتلافية وهى الخارجية والداخلية والدفاع وعلى هذه المطالب اعترض ديجول بشدة فهو أولا يريد سلطات واسعة تمكنه من اجراء الاصلاحات اللازمة بعد التحرير ، كما اعترض ثانياً على رغبة الشيوعيين فى الانفراد بالقوة الحقيقية فى فرنسا ما بعد الحرب . وعلى هذا أقدم ديجول على تقديم استقالته بعد ثلاثة أيام فقط من انتخابه رئيساً ، وقصد بنفسه الى دار الاذاعة حيث ألقى بياناً على الأمة الفرنسية أعلن فيه أنه لا يعترض على أن يساهم الشيوعيون على أوسع نطاق ممكن فى جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية ولكنه يعترض ولا يمكن أن يسمح بأن يسيطر الشيوعيون على الاعصاب الأساسية لسياسة فرنسا وهى الدبلوماسية والجيش والبوليس . وبمجرد اذاعة البيان خرجت جماهير الشعب الفرنسى الى الشوارع تعلن تمسكها بالجنرال محرر البلاد ، ولم يقبل المجلس التأسيسى استقالته ، واضطر الشيوعيون الى التراجع عن موقفهم . وهكذا عاد ديجول رئيساً للجمهورية بما يشبه البيعة العامة أو التفويض الشعبى لتنفيذ سياساته . وقد علمته هذه الواقعة مادرج عليه فيما بعد من اللجوء الى الجماهير مباشرة فى استفتاءات شعبية للحصول على ما يشاء من تفويضات .

ولكن ، استمرت مناورات الشيوعيين والقوى السياسية ضده فى الجمعية الوطنية ، وفى يناير ١٩٤٦ لم توافق الجمعية الوطنية على الميزانية المقدمة من حكومته مما جعل ديجول يلوح باستقالته مرة أخرى اعتقاداً منه بأن الشعب الفرنسى سيهب الى تاييده كالمعتاد ، ولكن الشعب لم يفعل هذه المرة ، وكانت صدمة كبرى لديجول ، فاكتفى بتوجيه بيان الى الأمة أعلن فيه انه يرفض التناحر الحزبى المقيت ويرى من واجبه أن يتنحى .

وفى ٢٣ يناير ١٩٤٦ قرر المجلس التأسيسى تعيين رئيسه فليكس جوان رئيساً مؤقتاً للجمهورية ، واختفى الجنرال ديجول من المسرح السياسى .

لجأ ديجول الى العمل السياسى من خارج الحكومة ، فكان يصدر البيانات السياسية ويلقي الخطب يدعو فيها الى اقامة دولة قوية تحكم شعباً موحداً ، ويهاجم الانقسام الحزبى ، والتناحر الفئوى ، وبالرغم من أنه كان يمقت الحزبية ويريد أن يظل بعيداً عن الأحزاب ، وفوق الأحزاب ، إلا أنه اضطر إزاء هذا المناخ السائد فى السياسة الفرنسية الى الاعلان عن تكوين حزب سياسى له باسم «تجمع الشعب الفرنسى» فى ابريل ١٩٤٧ ، وقفزت عضوية الحزب الى المليون خلال سنة واحدة ، وقدر عدد مؤيديه بثلث الشعب الفرنسى ، وكان الأديب الفرنسى الكبير أندريه مالرو يلازم ديجول فى نشاطه السياسى ، ويكتب له خطبه وينظم اجتماعاته . وشن ديجول حملة واسعة النطاق ضد الحكومة والبرلمان والأحزاب ، كما أسس صحيفة أسبوعية أسماها «الشرارة الفعالة» وتلاها باخرى أسماها «حرية الفكر» كان لها فضل كبير فى منع استقطاب الحركة الشيوعية للمثقفين الفرنسيين .

وفى انتخابات عامة أجريت فى شهر يونيو ١٩٥١ فاز حزب ديجول بأكبر عدد من المقاعد فى البرلمان ، إذ حصل على ١١٨ مقعداً يليه الشيوعيون الذين حصلوا على ١٠٣ مقاعد ، ثم الأحزاب الأخرى باعداد متفاوتة . وكان من الممكن بسهولة أن يتولى حزب ديجول السلطة إذا آزرته أحزاب الوسط ، ولكنها ضنت عليه بذلك ،



ديجول والبحث عن العظمة

واستمرت بالتالى سلسلة المناورات البرلمانية والأزمات التى أخذت بخناق البلاد فى الخمسينات ، ويكفى أن نذكر أنه تعاقبت على فرنسا خلال عهد الجمهورية الرابعة الذى استمر ١٣ عاما (١٩٤٥ ـ ١٩٥٨) ١٨ وزارة ائتلافية أى بواقع وزارة واحدة كل تسعة أشهر تقريبا سقطت جميعا لأنها لم تحرز التأييد الكافى فى البرلمان .

ومرة أخرى تبين لديجول أن الحزبية ليست طريقا لاستعادة مجد فرنسا ، فنفض يده من حزبه ، وعاد الى موقفه المترفع عن المعترك الحزبى ، بينما أخذ الحزب يتفتت وتهجره عناصره وبقيت منه مجموعة من النواب لا يحملون من الديجولية سوى اسمها ويتورطون كغيرهم من الجماعات السياسية فى لعبة المناورات الحزبية والكراسى الموسيقية ، ويشتهرون بمعارضة كل شىء .. وهكذا فشل ديجول تماما فى انقاذ فرنسا سياسيا بعد أن أنقذها عسكريا ، وكان لابد له أن ينسحب ، فانزوى فى قريته الصغيرة «كولومبى لي ديز ايجليز» بعيدا عن السياسة يقرأ ، ويتأمل ، وكان ذلك فى عام ١٩٥٥ ، ونسيه الناس أو كادوا ، وكاد هو نفسه يشرف على الفقر لولا أن ظهرت فى الأسواق مذكراته عن الحرب العالمية الثانية التى عكف على كتابتها أثناء عزلته ، فدرت عليه ثروة كبيرة .

على أكتاف الفاشية

وتاريخ الفاشية الفرنسية قديم يرجع الى ما قبل الحرب العالمية الثانية ، أو بالتحديد الى عام ١٩٣٤ عندما ظهرت حركة فاشية فرنسية تسمى «وكات» حاولت القفز الى الحكم بأساليب موسولينى فى ايطاليا ، وقد أثارت هذه الحركة الذعر فى صفوف اليساريين والديمقراطيين فتجمعوا تحت راية «الجبهة الشعبية» التى تولدت عنها حكومة ليون بلوم عام ١٩٣٦ ، ولكن هذه الحكومة أثارت بدورها مخاف اليمينيين والمحافظين فاتحدوا فى جبهة تسمى «اتحاد لجان العمل الدفاعى» وكانت حركة شرعية يعترف بها القانون ولكنها تخفى وراءها منظمة ارهابية سرية اشتهرت باسم «لاكانمول» ، وحصلت على تأييد رجال الصناعة والبنوك ومساعداتهم السخية ، وتمكنت هذه الحركة من شراء الأسلحة وتنظيم الخلايا السرية بل وحاولت القيام بانقلاب مسلح فى فرنسا قبيل الحرب العالمية الثانية بمساعدة فرانكو ، ولكن المحاولة أحبطت وزج بزعماء الحركة فى السجن ، وعندما احتل النازيون فرنسا أطلقوا سراح المعتقلين الفاشيين الذين أصبحوا من أشد أنصار حكومة بيتان ، وبعد الحرب ألقى القبض على الكثيرين من هذه العناصر الفاشية ومعظمهم ممن كانوا يعملون فى أجهزة الادارة والشرطة ، وتمكن البعض منهم من الفرار الى الخارج وبالذات الى الجزائر وشمال افريقيا . وفى عام ١٩٤٧ تمكنت هذه العناصر الفاشية من انشاء ما يسمى «برابطة قدامى رجال البوليس» التى سجلت كجمعية قانونية تحمى مصالح جماعة فئوية ولكنها كانت فى الواقع منظمة فاشية ارهابية هدفها عرقلة عمليات التطهير ضد بقايا المتعاونين مع النازية . وفى عام ١٩٥٣ توسعت الرابطة وأصبح اسمها «جمعية قدامى رجال البوليس الوطنى والادارة البلدية فى فرنسا وأقطار ما وراء البحار» ، وضاعفت من نشاطها ونفوذها حتى أصبح أنصارها يسيطرون على المراكز الحساسة فى أجهزة الأمن الفرنسية بما فيها الجمارك والحدود ، ويركزون جهودهم فى أوساط المستوطنين الفرنسيين فى الجزائر انتظارا للحظة مواتية ينقضون فيها على أجهزة الحكم .

ولم تلبث أن أخذت قوى أخرى تصب فى النهر الفاشى ، وعلى رأس هذه القوى عدد كبير من ضباط الجيش الفرنسى ذوى الأصول الارستقراطية والخبرة الاستعمارية والذين آلمتهم وأذلتهم هزائمهم فى الحرب العالمية الثانية ، ثم فى الهند الصينية ، وأخيرا فى شمال افريقيا خاصة بعد اندلاع حرب الجزائر .

واتسع معسكر الفاشية بانضمام عنصر ثالث هو المستوطنون الفرنسيون فى الجزائر ، هؤلاء الذين يسمون بأصحاب الأقدام السوداء ويتميزون بعقلية سطحية وغباء سياسى عنيد وربوا منذ نعومة أظافرهم على احتقار الجنس العربى ، وقد شعروا بالانزعاج البالغ من الثورة الجزائرية وأخذوا يطالبون حكام باريس بسحقها بدون هوادة . وهم الذين تجمعوا بعد ذلك مع عناصر عسكرية فى منظمة الجيش السرى .

هذه القوى تكتلت جميعا فى معسكر واحد يلقى التأييد والتعاطف من جهات قوية كثيرة ، من الكنيسة الكاثوليكية ، وحلف الأطلنطى ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وخيل اليها مع احتدام أزمة الجزائر الطاحنة أن الخلاص يتوقف على الاطاحة بنظام الحكم المهترىء فى باريس ، والاتيان برجل قوى يستطيع أن يثبت أقدام اليمين الفرنسى ويسحق ثورة مسلمى الجزائر . ومن يكون هذا الرجل سوى ديجول بماضيه الوطنى ، وايمانه بالامبراطورية الفرنسية ، ومعارضته لنظام الجمهورية الرابعة ؟

وأخيرا سنحت الفرصة يوم ١٣ مايو ١٩٥٨ عقب أزمة وزارية مستحكمة ، إذ قام بعض جنرالات الجيش بانقلاب عسكرى فى فرنسا والجزائر ، وحمل الجنرالات المتمردون زميلهم القديم شارل ديجول من بيته الريفى فى «كولومبى لي ديز ايجليز» الى قصر الاليزيه بباريس .

وبينما كانت سيارته تقطع الطريق الى قصر الاليزيه بعد انقلاب ١٣ مايو كان الشعب الفرنسى يفترش الطريق أمام السيارة هاتفا «لن تمر الفاشية» . وهكذا جاء الجنرال ديجول الى الحكم مرة أخرى . فى المرة الأولى على أكتاف خير ما فى فرنسا .. حركة المقاومة الشعبية والعسكرية ضد الاحتلال النازى ، وفى المرة الثانية على أكتاف أسوأ ما فى فرنسا .. الحركة الفاشية المعادية للتقدم ، والتحرر الوطنى ، واستقلال الجزائر .

ولكن ديجول ـ وهنا تكمن عظمته ـ لم يبق لحظة واحدة أسيرا للفاشيين ، بل رغم محافظته على خطه اليمينى الوطنى الواضح سرعان ما عاد معبودا للشعب الفرنسى ومنقذه من الفوضى والحرب الأهلية ، وبدلا من أن يقضى على الديموقراطية أصبح صمام الأمن للحرية ، وبدلا من أن يسحق ثورة الجزائريين منحهم الاستقلال ، وبدلا من أن يبقى على الامبراطورية بالحديد والنار حولها الى كومنولث يتبادل المصالح ، وبدلا من أن يمكن لحلف شمال الأطلنطى انسحب من الحلف ، وبدلا من أن يصبح تابعا للأمريكيين وقف ندا لهم ، وبدلا من أن يخضع للحركة الصهيونية أدان اسرائيل فى عدوان ١٩٦٧ وحرمها من الأسلحة ، وبدلا من أن يرضى باعتبارات التوازن الدولي القائم ثار عليه ورفض توازن القوتين وعمل على تحويل أوربا الى قوة فعالة ثالثة .

ولكن كيف فعل ديجول ذلك .. هذه هى عظمته الحقيقية ، ولم يكن كل ما سبق سوى مقدمة !

محمد العزب موسى

للمقال التالى والأخير : ديجول والجمهورية الخامسة

وجهان لعملة واحدة!

شعر: عبد المنعم عواد يوسف

١ ـ « النكـــــران »

تسأل : هل تعرفُه حقاً ؟
ـ حقاً . ؟! إسْمَعْ هذا .
كان صبياً من أبنائى
كان نباتاً يطلعُ رِخْواً ذَاتَ زَمَانْ ..
كم أسْبَغْتُ عليه ظِلاَلى سَاعَةَ كان صَغِيراً يحبُو
فى بُسْتانِى
كم ذا أغدَقْتُ عليه الصافىَ من ينبوعِ حنانى
أمنَعُ عنه الحَرَّ ، وأحْجُبُ عنه الريحَ ، وأحميهِ
أعاصيرَ الأيّامْ
يملأ قلبَكَ زَهْواً أن يحضِنَ بستانك نبْتاً غضاً ،
يشربُ ماءَ الحكمَةِ من ينبوعِكَ صفْواً ،
يكبُرُ ، يُزْهِرُ ، يتَمَدَّد ساقاً وفروعاً
ـ أما الآن ؟
ـ حقاً حقاً .. أما الآن ..
يالتصاريفِ الأزمان !
ماذا تصنع حين ترى الأشوَاكَ محلَّ الزَّهْر ،
تجرحُ أولَ من غرَسَ النبْتَةَ ذاتَ زمان ،
ماذا تملكُ إلاَّ أن يأكلَكَ القهر ؟
أن تَغْرِسَ فى يوم نبتاً .. أمَلاً حُلْوَا ،
تُودِعُ غرْسَكَ رَحِمَ الأرضِ ، وتَبْقَى ترقُبُ ما يُطْلِعُه غَرْسُك
يُطلِعُ زَهْراً ،
يثمرُ خيْراً ،
يَنْشُرُ عِطراً ،
يُبْهِجُ نَفْساً ،
يُسْعِدُ قَلْباً ..
لكن أن يفْجَأَكَ الشَّـــوْك
يبْرز من بين الأوراق
يجرحُ كفا ذات زمان ،
منحت هذا الغرسَ حياتَه ،
شيءٌ مُرّ ،
مثل مرارة هذا الثمرِ الطالعِ من بين الأشوَاكْ
وتجيءُ لتسألَنى الآن : هل تعرفه ؟
انا لا أعرف إلا أن مرارةَ كل الصَّبارات تُعَلْقِمُ حَلْقى .

٢ ـ التنـــاسى

تسأل : هل تعرفُه حقاً ؟
أعرف ؟! إسمَعْ هذا
كان صديقى يوماً من ذَاتِ الأيامْ
كانت تجمعنـــــا الصحبةُ ، تتوحَّدُ فينا إشراقاً
أحلى آفاقِ الأحْلامْ
كنا أكثَرَ من أخوَيْن
ولكم كنا نتقاسَمُ خبزَ الاخلاَصِ وملْحَ الوُدّ ..
نتساقى أكوابَ الفرحَةِ فى أيام أدبَرَ عنها الفرْح
نغرسُ بَذْرَ وَدادٍ فى بستانِ القلب
نسقى الشجَرَ الطالِعَ ماءَ الصَّفو
يُزهِر وداً ، يثمِرُ حباً ..
ما أروَعَ عِطْرَ الأحبَاب !
حين يضمِّخُ نَفْسَ المرْءِ ، فتنتعشُ الأعمَاق ..
تسبَحُ فى نورِ الإشرَاقْ
تَثِبُ الفرْحَةُ من عُمْقِ الأحْدَاقْ
هذا كانْ ..
ـ كانْ . ؟! ماذا تقصِدْ ؟ ..
أوَ مَا عادَ الوُدُّ الآن ؟
ـ اسْمَعْ قولى : نحنُ نعيشُ بزمَنِ الجدْب ..
أبْخَلُ من أن ينْبِتَ يوماً نبتَةَ حب ..
أبخلُ من أن يثمرَ يوماً حبةَ صفْو ..
أبخلُ من أن يطلِعَ يوماً زهرةَ وُدّ
هذا الصاحبُ نسلٌ صالحْ
من أصلابِ زمان طَالِحْ
لا تنبتُ أشجار العلقم إلا العلقم
هل يخرج فرد من جلده ؟
تسأل : كيف إذَنْ تبكيه ؟
لا ، وإبائى
لا ، معذرةً ، أبداً أبداً ما أبكيهْ
لا أبكى فيه الانسانْ
لكن أبكى عهداً كانْ
حباً أينَعَ ذات زمانْ
ـ أما الآن ؟
ـ هذا زمنُ الجدْبِ ، أجَلْ ، زمنُ النسيانْ ..

من روائع الفن العالمي

تقديم : جمال قطب



الفنان الفرنسي رينوار

الفنان الفرنسي رينوار

جمال المرأة في عصر هذا الفنان

كان رينوار يؤمن بأن الجمال والسعادة صنوان لا يفترقان .

وقد قيل لرينوار يوماً : عندما تنقب عيناك عن مكامن الجمال وتعثر عليه فهذا يعني أنه مقدمة لابداع جديد وأمل في سعادة قادمة ستتحقق .

ورد رينوار قائلا وكأنه يسطر دستور العمل الفني رسالته الخالدة : يكفي أن يكون الجمال موجوداً يعطر الأجواء من حولنا ، كالورود والرياحين ، يكفي أن تنظر اليها في أوج جمالها وازدهارها ، وليس من الضروري أن تقطفها وتستحوذ عليها وحدك ! المهم أن أرى الجمال فحسب !

كانت لمساته العبقرية تتدفق بالعطاء الآمل الملهم ، وهو واحد من فناني التاريخ العظام الذين جسدوا فتنة المرأة في شاعرية سامية توحي باحترام وتمجيد هذا الجمال في غير ابتذال أو إثارة تنحرف بالمشاعر أو تنحدر بالقيم الوجدانية النبيلة .

وهذه اللوحة هي نموذج مجسم للجمال الأنثوى فى عصر رينوار (النصف الثاني من القرن التاسع عشر) : الاشراق والثقة والصحة والتأنق والبذاخة والتفتح والترف ... تلك المعنويات التي كانت تميز (العصر الجميل) هذا العصر الذي عاشته الحياة الأوروبية عامة والفرنسية بخاصة في تلك الحقبة الوردية ،حتى عصفت بها الحرب العالمية الأولى في أوائل القرن العشرين!

● وقد ركز رينوار على المرأة في اللوحة وجعلها مركز الضوء ومحور اهتمام المشاهد ، فوجهها الساحر وجسدها الممشوق وملابسها المترفة ، تبدو جميعها كباقة من الورود اليانعة الندية .. ولكي يعمق هذا الاحساس عند الناظر لهذه اللوحة الخالدة ، أتى بالورود لكى يزين بها المرأة فى شعرها وصدرها ، وجعل الوجه الواثق الحالم ، يبدو كأجمل وردة تتوسط الباقة الرائعة وهذه الفاتنة هي (نيني لوبيز) المرأة التى كانت صديقة رينـــوار ونمـوذجه المفضل في ذلك الوقت . وقد هجرته بعد أن أحبت ممثلا ناشئاً وتزوجته .

أما الرجل في خلفية اللوحة ، فهو شقيق رينوار الأصغر (إدموند) الذي كان يعتبر رينوار مثله الأعلى ويكن له الحب العميق .

● اللون الأسود عند رينوار هو ملك الألوان جميعاً ، والدارس لفنه يجد أن الأسود يقوم بدور (التعريف بالتضاد) ، فهو يحصر النظر لتأكيد معنى حسي يريد الفنان أن يبرزه ، وفي هذه اللوحة ، يقوم اللون الأسود مع الأبيض بتناغم موسيقي مثير ، ولذلك وصف النقاد هذه اللوحة بأنها معزوفة لموزار تتكون ألحانها وأنغامها من ألوان راقصة على سطح اللوحة الخالدة !

● أما قيمة الفنان ودوره القيادي في الفن الحديث ، فلهذا مجال رحب آخر ، ويكفي أنه كان نقطة التحول التاريخية فاطلق الابداع من عقال التقاليد المتوارثة ونقطة البدء للحركات التحريرية فى الفن الحديث !

ومن أقواله الشهيرة التي تنم عن نظرته الآملة وشاعريته المرهفة :

مهما كان الموضوع الذى يصوره الفنان، يجب أن تكون الصورة شيئاً جميلا ومبهجاً !

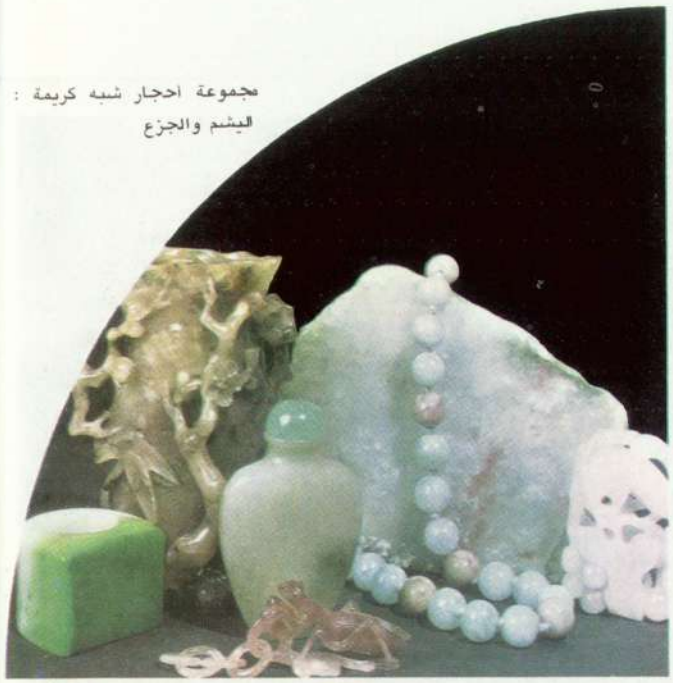
جمال قطب



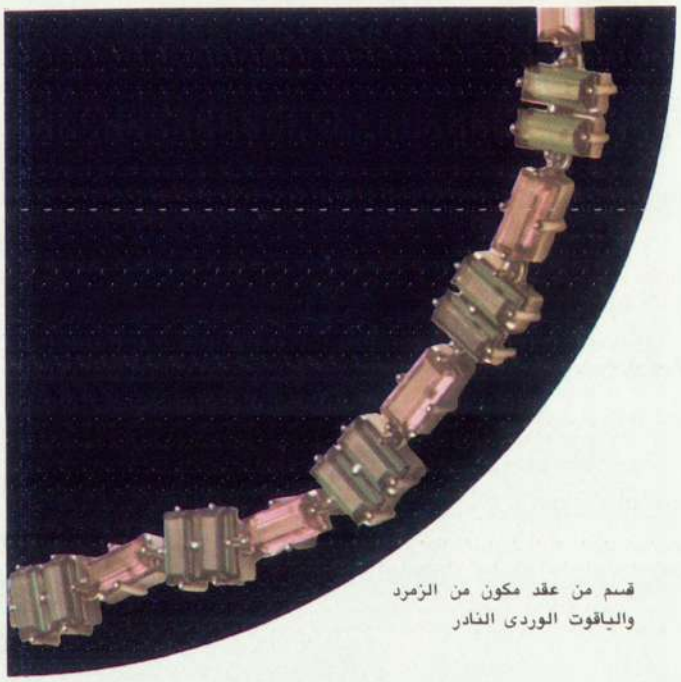
في المسرح .. للفنان الفرنسي رينوار (١٨٤١ ـ ١٩١٩) .



فص خاتم من المرجان الوردى



مجموعة احجار شبه كريمة : اليشم والجزع



قسم من عقد مكون من الزمرد والياقوت الوردى النادر



حجر خام الكهرمان (الكهرب)

سرّ جاذبيّة الأحجار الكريمة

بقلم : نجلاء العزي

هل تصدق أن فى الطبيعة أكثر من ألفى نوع من المعادن ، من بينها مائتا نوع فقط تابعة للأحجار الكريمة . ؟ إن هذه الأنواع النادرة من الحجارة المعدنية لها خواص فيزيائية تميزها عن غيرها من الأحجار ، وهذه المميزات هى التى أعطتها قيمة كبيرة دفعت الانسان منذ القدم لاستخدامها كحلية أو لترصيع الحلى بها ! ولكن ترى ما هى أهم المميزات التى تجعل للأحجار الكريمة جاذبية خاصة عند الناس وسحرايفوق الوصف . ؟



زوج أقراط من اللؤلؤ الطبيعى الرمادى اللون (النادر) والالماس



عقد من الزمرد (الاخضر) والياقوت (الاحمر) والالماس (ابيض)

إن أهم ما يميز الأحجار الكريمة عن غيرها : لونها الجذاب ، وبريقها اللامع ، ولمعانها واشعاعها ، وصلابتها العالية ، وخفة وسهولة حملها ، وأخيراً ـ بالطبع ـ ندرتها !

وليس ضرورياً أن تتوفر كافة هذه المميزات فى حجر واحد ، ولكن يكفى أن تكون هناك خاصية واحدة أو اثنتان من هذه المميزات حتى نطلق على المعدن اسم : الأحجار الكريمة !

والمعروف أن الماس يتصدر قائمة الأحجار الكريمة ، ويليه الياقوت والزمرد ، فهذه المعادن ـ بالذات ـ تحتوى على معظم خواص الحجر الكريم !

جواهر البحر

وقبل أن نتحدث عن حكاية الأحجار الكريمة وتاريخها عبر القرون والأزمان ، لابد أن نتوقف قليلا عند اصطلاح « الأحجار الكريمة » ، ففى اللغة العربية تسمى الأحجار الكريمة بالجواهر ، ومفردها جوهر ، وهى كما تذكر معاجم اللغة العربية ، لفظة فارسية معربة ، أطلقها العرب على ما يستخرج من البحر حلية كاللؤلؤ والمرجان وما يوازيه فى النفاسة من الحجارة كالياقوت والزمرد .. أما فى اللغة الانجليزية فان مصطلح جوهر GEMS مشتق من الكلمة اللاتينية GEMMA التى تعنى النقش على الحجارة الكريمة أو الحجارة المنقوشة بختم أو بنقش غائر أو بارز ، ثم صارت اصطلاحاً يطلق على الحجارة المعدنية المقطوعة والمشطوفة والمصقولة ، ثم توسع وصار يشمل بعض المواد ذات الأصل العضوى كاللؤلؤ والمرجان والعنبر !

الحكايات القديمة

وقد استخدم الانسان الحجارة لصنع آلاته وأدواته وأسلحته منذ فجر التاريخ واليها ينسب عصره ، المسمى بالعصر الحجرى ، وكان حجر الصوان أكثرها شيوعاً إلى جانب مواد أخرى كالعظام

سر جاذبية الأحجار الكريمة

والقواقع اضافة إلى المعادن .

وفى الالف الرابع قبل الميلاد عند بزوغ الحضارات القديمة ، حصل تطور كبير على استخدام الحجارة بسبب اكتشاف بعض الاحجار الغير عادية ، حيث استخدمت الحجارة للزينة اضافة للاغراض الاخرى ، وذلك واضح فى حضارة وادى الرافدين والهند والصين ومصر ، حيث طعمت بالحلى وصنعت منها الاختام أو الادعية والقلائد الدينية ، كما تميزت كل حضارة باسلوب معين فى استخدام الأحجار الكريمة ، فمثلا تميزت الحضارة السومرية (العراق القديم ، وادى الرافدين) بالحفر على الحجارة والمعادن واستخدام الحجارة الكريمة لتطعيم التماثيل والحلى خاصة اللازورد ، بينما امتازت الصين بالحفر على الحجارة الكريمة خاصة اليشم ، أما الهند فقد امتازت بقطع وشطف وصقل مختلف الحجارة الكريمة اضافة الى استخدامها بوفرة فى تطعيم الحلى التى كانت وافرة فى حضارة وادى السند القديمة ، كما بلغت صناعة الحلى والتطعيم بالأحجار الكريمة فى الحضارة المصرية القديمة ، القمة ، فقد استخدمت بوفرة ، حتى دخلت مختلف أوجه الحياة اليومية ، اضافة الى البلاط الملكى ومعابد الكهنة ، وكذلك كانت الحضارة الاغريقية والرومانية التى تلتها قد امتازت بالنقش بطريقة الحفر أو النقش البارز على الحجارة الكريمة ، واستمر هذا الأسلوب حتى العصور الوسطى ، خاصة فيما يتعلق باسلوب وصناعة قطع الحجارة الكريمة حيث مرت بفترة ركود ثم عاد التهافت على استخدام واقتناء الأحجار الكريمة فى نهاية العصور الوسطى خاصة النادرة والنفيسة منها كالألماس والزمرد والسفير بسبب التنافس الشديد بين رجال بلاطات ملوك أوروبا لاظهار آيات البذخ والترف الذى عم مختلف نواحي الحياة .

وكانت الأحجار الكريمة منذ القدم تؤدى غرضين أولهما تجميلي وثانيهما اقتصادى حيث تعتبر رصيداً مادياً لمختلف الأغراض فى الحرب أو فى السلم ، كما كانت مظهراً من مظاهر القوة . أما فى العصر الحديث اضافة إلى الزينة فقد دخلت الاحجار الكريمة فى مجال الصناعات خاصة الذرة والالكترونيات والكومبيوتر والادوات الكهربائية والمغناطيسية وذلك بسبب الخواص الفيزيائية الفائقة التى تملكها .

أما الأحجار الكريمة القديمة التى كانت منتشرة فى العالم فقد أصبحت تحفاً تمثل ماضياً عريقاً وثروة لا تقدر بثمن فقد وضعت داخل خزانات فى متاحف يشاهدها الناس فيها رمزاً لمجد وثراء البلد كما أنها تعرض أسلوب صناعة وفن التطعيم والتزيين بها . والبعض منها مازال يستخدم فى مناسبات خاصة كمجوهرات التاج البريطاني .

وكلنا نعرف أن هناك مجموعات كبيرة استخدمت فيها أكبر قدر من الاحجار الكريمة النفيسة وهى :

- مجوهرات التاج البريطاني .
- المجوهرات الملكية الايرانية .
- مجموعة الالماس الوافرة فى مجوهرات روسيا القيصرية .
- مجوهرات سلاطين آل عثمان فى اسطنبول . تركيا .
- مجموعات متناثرة بين المتاحف العالمية للآثار والتاريخ الطبيعى والجيولوجيا فى بريطانيا (المتحف البريطانى ومتحف فكتوريا والبرت) ، والولايات المتحدة الامريكية (فى متاحف نيويورك وشيكاغو وواشنطن) .

المعتقدات والأساطير

ومنذ أقدم العصور ارتبطت الاحجار الكريمة بمعتقدات واساطير نسجت حولها بسبب خواصها الفيزيائية كاللمعان والندرة واللون ، فمنها ما استخدم كطلسم أو تعويذة لدفع الخطر أو لجلب الحظ أو الثروة أو النصر ، وقد ورثنا فى العصر الحديث بعض هذه المعتقدات والتى أشاعها تجار الحلى والمجوهرات ، ومن هذه المعتقدات التى ، ذكرتها التوراة من أن لكل شهر حجراً كريماً معيناً وأن كل مولود فى ذلك الشهر له حجره الذى يرتبط بحياته والذى اذا ما اقتناه فانه يجلب له الثروة والحظ السعيد .

والأشهر الميلادية هى :

يناير ـ الجارنيت .
فبراير ـ الجمشت .
مارس ـ حجر الدم .
ابريل ـ الماس
مايو ـ الزمرد .
يونيو ـ اللؤلؤ ـ حجر القمر .
يوليو ـ الياقوت .
اغسطس الساردونيكس .
سبتمبر ـ السفير .
اكتوبر ـ المرو . اوبال .
نوفمبر ـ توباز .
ديسمبر ـ الفيروز .

جواهر صناعية

ونظراً للميزات الفيزيائية التى امتازت بها الأحجار الكريمة فقد ادى ذلك الى ارتفاع اثمانها وكثرة الطلب عليها وندرتها لذلك حاول الانسان ومنذ القدم على تقليدها ، ولكن لم ينجح الا فى العصر الحديث بسبب الثورة الصناعية الحديثة حيث نجح فى صنع جواهر نفيسة فى المعامل والمختبرات بطريقتين :

- جواهر اصطناعية :

وهى حجارة كريمة مصنعة ، أى أن الانسان قام بصنعها وهى غير موجودة فى الطبيعة تقليداً للحجارة الكريمة الطبيعية وهى تحمل كل صفات الحجر الكريم الكيماوية وبعض الصفات الفيزيائية التى صنعتها الطبيعة خاصة الالماس والسفير والياقوت والزمرد وهى الجواهر النفيسة العالية القيمة مما يسر للطبقات المتوسطة اقتناءها، هذا ولم تصنع احجار كريمة مقلدة للاحجار الكريمة الشائعة كالعقيق لأنه تجارياً لا يعد مربحاً .

- الأحجار الكريمة المقلدة :

وهى حجارة لها الشكل العام للاحجار الكريمة لكنها لا تحمل الخواص الفيزيائية (الطبيعية) للحجر الكريم الطبيعى والاصطناعى منه ، فمثلا يصنع من الخزف أو الزجاج أو البلاستيك أنواع كثيرة من الأحجار الكريمة الشائعة مثل العقيق والمرجان والفيروز والكهرمان .. الخ

تصنيف الأحجار الكريمة

هذا وتقسم دائرة المعارف البريطانية الأحجار الكريمة الى :

- احجار ثمينة أو جواهر نبيلة .
- احجار شبه كريمة .

ولكن يمكن تقسيم الأحجـــار الكريمـــة بالتخصيص الى :

- الجواهر النفيسة :

وهى الأحجار الكريمة التى تحمل كل صفات الحجر الكريم او معظمها مما يجعلها أعلى بقية الأحجار الكريمة قيمة وندرة وتشمل :

الالماس والزمرد ،الياقوت واللؤلؤ (تجاوزا لأنه من أصل عضوى حيوانى) .

- الاحجار الكريمة الثمينة :

وتاتى بالدرجة الثانية فى قيمتها وخواصها الفيزيائية وهى أوسع انتشارا وأكثر استخداما وتشمل العقيق ، ومنه الجزع .. والبلور ، ومنه البلور الصخرى واليشب .. والجمشت ، وفيه عين الهر .. والفيروز واللازورد والزبرجد .

- الأحجار الكريمة ذات الأصل العضوى :

وهى الأحجار الكريمة التى تتكون من أصل حيوانى عضوى وتكون قيمتها متراوحة بين الجواهر والأحجار الكريمة الثمينة وهى : اللؤلؤ والمرجان والعنبر (الكهرمان) والعاج واليشم .

- الأحجار شبه الكريمة :

وهى الحجارة التى تحتوى على أقل الخواص الفيزيائية التى يحملها الحجر الكريم وتستخدم لمختلف الأغراض اضافة الى الحلى ، كالادوية والصناعة أو الاوانى أو تحف الزينة

أما الأحجار الكريمة ذات الأصل العضوى ، فيقصد بها الأحجار والجواهر المتكونة من أصل حيوانى وليس ترابيا صخريا . ويأتى اللؤلؤ على راس قائمة الأحجار الكريمة ذات الأصل العضوى.

استخراج المرجان

والمرجان ـ بالذات ـ كما عرفنا من الأحجار الكريمة ذات الأصل العضوى ، ولفظة المرجان عند العرب كانت تطلق على اللآلىء اى اللؤلؤ الدق ، ثم صار يطلق اسم المرجان فيما بعد على العروق الحمر التى تطلع من البحر وتتخذ منها الحلى .

أما علماء الأحجار الكريمة من القـــدماء فيسمونه «البسذ» على وزن السكر أو البسر وهو باليونانية فادليون وبالهندية دوحم ويذكر أن اسمه اليونانى مرليون وان من اسمائه (القورال) . وقد عرفه الأوربيون باسم كورال .

وتقول المصادر الحديثة ان المرجان هياكل لحيوانات بحـــرية صغيرة وتركيبـــه الكيميـــاوى لا يختلف عن تركيب اللؤلؤ وهو حجر الكلس (كاربونات الكالسيوم) . وبعض المواد البروتينية ويسمى المرجان الأسود منه باليسر ويكون شفافا أما الشائع منه فهو الأحمر والوردى والأبيض ويستخرج من البحر الأبيض المتوسط من تونس والجزائر ومراكش وساردينيا وكورسيكا وفرنسا ونابولى ومن الخليج العربى يستخرج الأسود الشفاف (اليسر) ويستخرج كذلك من استراليا .

وتبلغ صلادته ٣,٥ ووزنه النوعى يتراوح ما بين ٢,٦ ـ ٢,٧ .

ويوجد فى المياه المتوسطة العمق ويوجد غاصة لاستخراجه حيث يتخذون لهم شباكا من قنب مثقلة بالرصاص يدلونها على شجر المرجان ويديرون الشبكة حول الشجرة حتى تلتف بها فيجذبونها حتى تنقلع . ثم يخرج من الماء أبيض لينا فاذا ما جف احمر وازيلت أصوله وهى (البسذ) وتفصل أغصانه قطفا كبارا وصغارا على قدر العقد ثم تحك على رخامة فيظهر لونه ويحسن ويثقب بالحديد الفولاذ .

ومن خواص المرجان :

ـ أجوده ، ما عظم جرمه واستوت قصبته واشتدت حمرته وسلم من السوء .

ـ رديئه ، ما مال الى البياض .

ـ اذا القي فى الخل لان وابيض .



مجموعة فصوص من الاحجار الكريمة الثمينة : الزمرد والياقوت والسفير (الازرق) والالماس

ـ اذا القي فى الدهن اظهر حمرته واشرق لونه .

ـ واذا أريد الكتابة عليه جعل على جميع الفص شمع وأخذ مواضع النقش فقط ويكتب عليه بابرة حتى ينكشف الشمع عن موضع الكتابة لا غير ، ثم يلقى فى خل حاذق لمدة يوم وليلة ثم يرفع ويزال عنه الشمع فيصبح موضع الكتابة وقد استحال الى لون أبيض وبقية الفص على حاله لم يتغير .

العنبر واليشم

ومن بين الأحجار الكريمة ذات الأصل العضوى هناك أيضا الكهرب (العنبر) .

واسمه بالرومية (القطرون) أوالكترون وتعنى الكهربا أو الكهرمان . ويسمى بالسريانية (دقنا). اما كلمة امبر الانكليزية فماخوذة من الكلمة العربية «عنبر» وإنما هو صمغ الكهربا (حجر صمغى) . وتذكر الموسوعة البريطانية ان الكهرب أو الكهرمان صمغ لأشجار صنوبرية وجدت منذ عصور ما قبل التاريخ ، وهو أصفر اللون يغمق بمرور الزمن فيتحول الى بني وقد يحتوى داخله حشرات ذات ملمس دهنى تتجمع داخله شحنة كهربائية اذا ما دلك ، وأجوده الرومى صاف يجذب التبن والريش والتراب بعد حكه بالشعر وهو من شجر السندروس .

وينصهر العنبر عند درجة ٢٨٠ م ويلين عند تسخينه . وتبلغ صلادته ٢ ـ ٢,٥ اما وزنه النوعى فيبلغ ١,١ ومواطنه الساحل الجنوبى لبحر البلطيق مدينة كوينز بيرك بالمانيا الديمقراطية . ورومانيا وصقلية وبورما .

أما اليشم فان معظم قدماء محترفى مهنة تجارة الجواهر لم يعرفوه ، وقد سمي (حجر الغلبة) واعتبره الصينيون من انفس الأحجار وينحت على هيئة تماثيل جميلة لكنه يستعمل للحلى وصنعت منه فؤوس ورؤوس سهام وحراب لانه حليف النصر .

وتذكر المصادر الحديثة انه يتكون من معدنين متقاربين فى المظهر هما النفرايت والجيديت ، ويؤلف النفرايت معظمه وتتراوح الوانه ما بين الخضرة الفاقعة والصفاة والحمرة أو الزرقة وهو نصف شفاف أو معتم . ويتكون من سيلكات الصوديوم والألمنيوم أو المغنسيوم والحديد مع سيلكات الصوديوم .

أما مواطنه فهى الصين والتركستان والاسكا ونيوزيليندة وشمال بورما والتبت والمكسيك وأميركا الجنوبية .

وهنا لابد أن ننتقل الى الحديث عن الأحجار الثمينة التى تاتى بالدرجة الثانية بعد الجواهر الثمينة ، وهذا يحتاج الى بحث اخر ، موعدنا معه فى الأعداد القادمة .

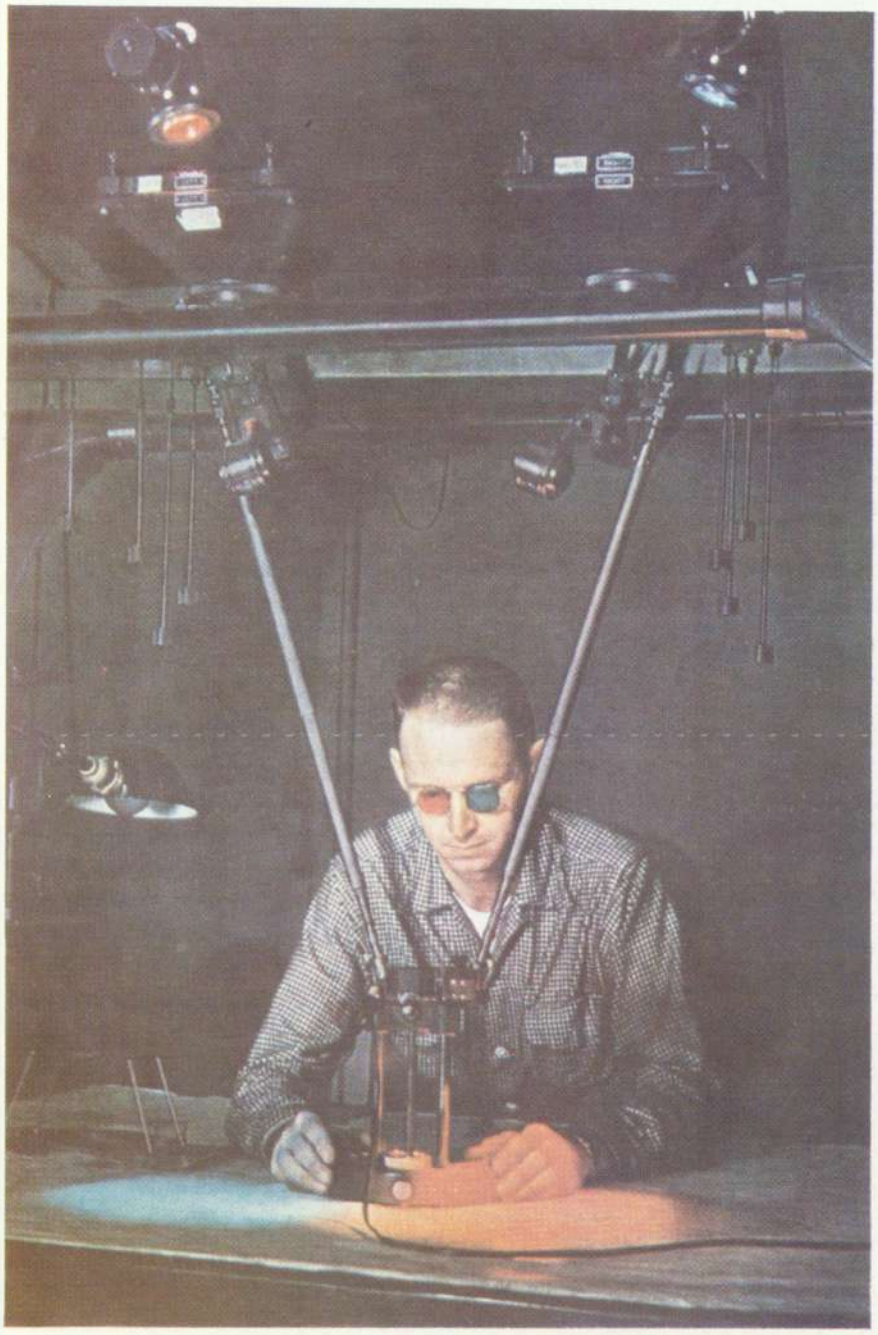
نجلاء العزى

لقطات من الكون المثير



عندما يقف شعر الرأس

الصورة حقيقية ، لكنها التقطت تحت ظروف غير عادية ، اذ ليس تعبير الوجه ، او جحوظ العينين ، او انتفاش شعر الرأس وتنافره ، ليس بسبب فزع فجائى ، لأن الفزع ـ مهما بلغت درجته ـ لن يؤدى الى بلوغ هذه الحالة ، بل يرجع ذلك الى ان الفتاة قد استقبلت كهرباء استاتيكية (اى غير سارية) بينما هى معزولة عن اى موصل ولقد ادى شحنها الى تنافر كل شعرة من شعرها كما تراه هنا ، لأن الشحنات الكهربائية المتشابهة تتنافر ، هذا وقد تصل الشحنة الى حوالى مليون فولت ، ومع ذلك لا يحس الانسان الا « بتنميلة » محتملة ، وما قد يصاحبها من سد فى العضلات ، تؤدى الى ما تراه هنا على الوجـــه من تعبيرات .



أغرب نظارة

لو إننا رأينا انسانا يضع على عينيه نظارة كالتى يضعها هذا الرجل ، فماذا سيكون حكمنا عليه ؟ .. قد يعلل البعض ذلك بالبله ، او لجذب الانظار على اساس مبدأ خالف تعرف ، او بعمى الألوان ، رغم ان ذلك لا يفيد فى مثل هذه الحالات ، لكن الرجل يستعين بهذه النظارة الغريبة ليقوم بتحديد معالم خريطة جوية ، اذ يستعين بالجهازين المكبرين الكائنين اعلى رأسه على اليمين واليسار ، لتسقط منهما الصور الجوية على الشاشة الموجودة امامه ، فيهيأ له أنه يرى صورة مجسدة من خلال تداخل الألوان وانعكاسها على نظارته الزرقاء الحمراء ، وبهذا يستطيع ان يحدد التضاريس ، ويرسم الخرائط المناسيبية (اى التى تظهر جميع الخطوط المتساوية الارتفاع فوق سطح البحر) .



الكبير هنا لا يأكل الصغير !

قالوا في الأمثال : السمك الكبير يأكل الصغير ، ومع أن البحار لا يحكمها قانون غير قانون الغاب ، ومع أن الصورة المنشورة هنا توضح ذلك أعظم توضيح ، إذ تظهر فيها سمكة صغيرة بين « أنياب » سمكة كبيرة ، إلا أن ذلك لا يعني أن الكبير يأكل الصغير ، بل يعني أن الكبير يرعي الصغير ، ويحافظ عليه من كل معتد أثيم ، فهذا النوع من السمك المعروف بسمك البلطي يسمي أيضا « سمك التربية أو الفقس الفم » ، لأنه يحتفظ ببويضاته الملقحة في فمه إلى أن تفقس ، فيبخ ذريته في الماء لتتغذى على الكائنات الدقيقة ، فاذا ظهر لها مهاجم ، أعطى الأب أو الأم اشارة خطر ، فيسرع الصغار إلى تجويف الفم للاحتماء به ، ولا تزال هذه العملية تتكرر على مدى عشرة أو خمسة عشر يوما ، حتى يكبر الصغار ، وتعتمد على انفسها .. بقى أن تعرف أن البلطي يصوم صوما غريزيا عن الطعام ، إلى أن يشتد عود الصغار ، ولو لم يفعل ، لأكل أولاده دون أن يدري ، أو يدري ، لسنا ندري !

صدق أو لا تصدق



فى كل عام تعقد مسابقات بين المزارعين ليقدم كل منهم اضخم واغرب ما تمخض عنه محصوله ، ليحقق به ارقاما قياسية جديدة ، وفى ابريل عام ١٩٨٠ تقدم كل من ايفان ولويد برايت من ولاية اركانساس بأمريكا بهذه البطيخة التى يلهو عليها طفلاهما ، ليظهرا مدى ضخامتها ، ولقد حققا بذلك رقما قياسيا لم يسبقه اى رقم آخر حتى الآن ، ذلك ان هذه البطيخة تزن ٩٠ر٧ كيلوجراما ، اى انها أثقل من وزن رجل بدين فمزيدا من هذه المسابقات التى تبشر بالأمال لعالم مليء بالأفواه الجائعة ! (نشرت هذا الخبرمجلة جريس جاردنز الزراعية) .

عالم الزواحف الخفي

مع مسيرة كائنات حية بدأت المشوار منذ مئات الملايين من الأعوام زاحفة عبر التاريخ ، وقبل أن يجيء الانسان ويعرف للقرون عدداً ، وبهداية الخالق سبحانه وتعالى علم الانسان ما لم يعلم ، استطاع علمـــاء الطبيعـــة والجيولوجيا والحفريات والوراثة والتاريخ الطبيعي أن يرسموا للتاريخ خطوطاً عريضة للحياة ، كيف بدأت ، وكيف سارت قبل أن يطأ الانسان بقدمه سطح الأرض ، ذلك بفضـــل ما تركته أسلاف الكائنات الحية من حفريات هي صفحات للتاريخ نفسه قبل أن يبدأ .

وشد انتباه الجميع تلك الكائنات الحية من الزواحف التي استطاعت بالرغم من بساطة تكوينها وبفضل ما وهبها الله من مميزات لكل نوع على حده وبما يتلاءم مع وجودها في كل زمان ومكان ، أن تزحف عبر مئات الملايين من السنين محافظة على أنواعها ، تنتشر هنا وهناك ، منها الضار ومنها النافع ، منها السام وغير السام ، وحتى السام منها ربما كانت من سمومه الناقعة نفعاً !

ومن الزواحف أيضاً من يعيش بضع سنين ، ومنها من يبلغ سناً عمره عمر البشر ، ومنها من يشهد ميلاد أجيال وأجيال ، ليبلغ من العمر قروناً عدة وهو ثابت لا يتغير والعالم من حوله يشهد حضارات وتطورات ، بل وحروب وسلام وليس له من هذه الدنيا وما فيها إلا النذر اليسير من الطعام والشراب ، الذي هو في غالبه قليل من أعشاب برية كانت أو بحرية وأحياناً حشرات صغيرة ضارة تتناولها تلك الزواحف كغذاء لها فتجنب الزرع والضرع شرورها ، وهي أيضاً لا تخلو من النفع فبعضها طيب اللحم شهي المذاق ، وهي بذلك لا تسلم منا نحن البشر ، فقد تفننا في البحث عما لذ وطاب بين ما خلق الله من كائنات ، حتى تلك السلاحف والسحالي التي هي موضوعنا في هذا اللقاء !



نوع من السحالي الافريقية الصحراوية التي تستخدم بروزاً خاصاً فوق ذيلها في الدفاع عن نفسها !

زواحف تعالج المرضى .. وأخرى تعطي الحيوية العجائز

بقلم : د. محمد الغباشي ربيع



السلحفاة الصحراوية التى تعيش فى شمال امريكا وهى تختفى تحت صندوقها الذى تستظل به من الشمس ويقيها من الاعداء !

الأنواع الباقية

وقد استطاعت السلاحف ان تحتفظ بكثير من الصفات التى كانت عليها اسلافها منذ ظهورها على سطح الأرض وعلى مر العصور الجيولوجية بالرغم من انها حبيسة داخل اغلفة عظمية !

واستطاع عدد كبير منها أن يشق طريقة دون أن يتعرض للانقراض ، حتى الآن إلا أن البعض منها قد شارف على الانتهاء !

ويوجد من جنس السلاحف ٢٢٥ نوعا تعيش فى مناطق متباينة من العالم ، منها السلاحف الأرضية والسلاحف التى تعيش فى الماء العذب واخرى تعيش فى البحار ..

وأهم ما تتميز به السلاحف هو اجسامها القصيرة العريضة ، فعدد فقرات العنق ثمانى فقرات والجذع عشر فقرات يليه عدد من الفقرات المختزلة هى فقرات الذيل ، لذا فانها تعتبر من الناحية المرفولوجية اقصر اجسام الفقاريات فيما عدا اجسام الضفادع !



هذا النوع من الزواحف ، صحراوى المعيشة ، وجدوه فى منطقتين مختلفتين من العالم



السحالى ذات القرون فوق الراس والذيل



سحالى صحارى تكساس ، وهى تمتاز بارجل خلفية قوية

ومن أهم ما يميز اجسام السلاحف ايضا وجود صفائح عظمية تكون علبة تحيط بمنطقة الجذع بها ست فتحات ، تخرج منها الرأس والذنب والطرفان الاماميان والطرفان الخلفيان ويمكن للحيوان أن يسحب اطرافه أو رأسه أو ذنبه الى داخل العلبة عندما يكون فى حالة سكون أو عندما يشعر بعدم الأمان فالأعداء كثيرون كالغربان وحيوان أبو منتن والجرذان وحتى الانسان !

أخطار الحياة

وتضع جميع أنواع السلاحف البرية منها والبحرية بيضها اليابس ،ويدل ذلك على أن السلاحف نشأت أصلا على اليابس ثم تحور البعض منها ليكون مائى المعيشة !

والسلاحف أكثر ما تكون عرضة للمخاطر أثناء وجودها داخل البيض أو بعد فقسها مباشرة ، إذ أن العلبة العظمية فى بدء حياتها تكون لينة وضعيفة وتزداد صلابة فى السنين الأولى من العمر لتصبح بعد ذلك قادرة على حماية الحيوان ، حتى أن السلحفاة اذا اجتازت السنين الأولى من حياتها استطاعت أن تعيش من العمر ما لا يستطيع غيرها من الطيور أو الثدييات أن يعيشه !

ومن مميزات بعض أنواع السلاحف أن لها القدرة على وضع بيض مخصب لمدة ثلاثة أو أربع سنوات بعد « سفاد » واحد كما هو الحال فى سلحفاة الصندوق !

والسلاحف الأرضية تعيش على اليابس ولها صدفة مقوسة ورجلان خلفيتان قويتان ، والنوع الافريقى منها له صدفة مرنة تمكنها من أن تدخل بجسمها تحت الصخور !

ويوجد من السلاحف الأرضية أربعون نوعا تعيش فى المناطق الدافئة من العالم ، وبعض هذا النوع أصبح نادرا الآن ، وذلك لأن الانسان يأكل لحومها ولأن الماشية قضت على النباتات التى تعيش عليها ، ويوجد أنواع صغيرة منها يهواها البعض ويقومون بتربيتها داخل المنازل كحيوانات زينة !

أشهر السلاحف

ومن السلاحف الشهيرة سلحفاة جوفر التى تعيش فى جنوب الولايات المتحدة الامريكية .. والسلحفاة الأرضية العملاقة التى تقطن جزر المحيط الهندى وهى فى طريقها للانقراض ، ذلك لأنها تعتبر طعاما طازجا دائما ومفضلا لمن يرتادون البحار ، فيحتفظون بها فى سفنهم فترات طويلة بلا غذاء دون أن تموت لتكون طعاما طازجا لهم ، وهى تبلغ أحيانا المتر

عالم الزواحف الخفي



إنها من ضمن الزواحف التى تعيش فى الرمال الاردنية .. وهى من نوع السحالى الصحراوية

ونصف المتر طولا ، وزنها يصل الى ٣٠٠ رطل ، وهى تعيش ١٥٠ عاماً على الأقل !

والسلاحف بصفة عامة تعتبر من أكثر الحيوانات المعمرة فبعضها يعيش ما بين قرنين الى ثلاثة قرون من الزمن ، وهى حيوانات مسالمة بطيئة الحركة يضرب بها المثل فى البطء الشديد !

ساكنات البحار

وسلاحف الماء العذب أعرض جسماً من السلاحف البرية ، ولها أصابع عريضة تساعدها على العوم ، ويوجد منها سلحفاة الطين أو السلحفاة النهرية ، ومنها نوع طيب اللحم وتسمى السلحفاة النفيسة ويربيها المواطنون فى أمريكا لجودة لحومها ، ومن هذه الأنواع أيضاً السلحفاة النهرية ذات الصدفة الرخوة ...

والسلحفاة النيلية تعيش فى نهر النيل ، لكنها اختفت تماماً الآن بعد بناء خزان أسوان وهى موجودة عند منابع النيل وجسمها مغطى بصندوق رخو ، ولها زوجان من الأطراف المتحورة على شكل عوامات تسبح بهما فى الماء ولون صندوقها بنى زيتونى به بقع داكنة ويصل طولها الى المتر ، وتسمى أيضاً بالترسة النيلية وهى تتغذى على النباتات وتضع البيض فى حفرة تعدها بنفسها قرب الشاطىء ليفقس وتخرج الصغار لتتجه مباشرة الى النهر بالغريزة !

والسلاحف البحرية تعيش فى البحار الدافئة من العالم ، وتذهب بانتظام لوضع البيض فى أماكن معينة خاصة فوق تلك الجزر القريبة منها ، مثلما يحدث لتلك الأنواع التى تعيش بالقرب من الجزر الصغيرة القريبة من مدغشقر ، وهذه السلاحف ليس لها أقدام بل زعانف ، ومن أنواعها السلحفاة المتراكبة والسلحفاة الحرة والحنفاء والسلحفاة ذات الصدفة الرخوة والتى يصل وزنها الى ٥٠٠ كيلوجرام ويعتبر لحمها من أجود اللحوم التى يتغذى عليها الانسان فى تلك المناطق !

بين الحذر والأفتراس

أما السحالى فهى زواحف تختلف عن السلاحف ، وهى تشمل ٢٨٠٠ نوع ذات طباع مختلفة وأشكال متباينة معظمها يمشى على أربعة أطراف ، وقليل منها يشبه الثعابين لعدم وجود الأطراف مثل حية الزجاج والأمفيسبينا !

وللسحالى فم متوسط الحجم بالنسبة لجسمها ولها أسنان وجفون متحركة وجلد مغطى بقشور قرنية ، والكثير منها له القدرة على بتر الذيل ذاتياً كلما دعته الظروف القهرية لذلك للفرار بجلده من الأعداء .

ومن السحالى ما يضع البيض لتفقس الصغار ومنها من يلد الصغار مباشرة ..

والسحالى تنقسم الى عشرين فصيلة ، على مجموعتين ، تشمل الأولى منها الأبراص والايجوانا والأجاما والحرابى وتلك هى المجموعة التى تسير دون تموج الجسم ولها عضو ذكرى بسيط ولسان غض ..

والمجموعة الثانية تضم اللاسرتيدات والسقنقور والورل والهبلودرما ، وجميعها تتميز بتموج الجسم عند السير ولها عضو ذكرى متعرج ولسان غير لحمى ..

والسحالى تكثر عدداً ونوعاً فى الأجزاء الدافئة من الكرة الأرضية وهى أكثر عدداً من الثعابين أو الزواحف الأخرى ، وهى على عكس الثعابين لها جفون متحركة !

وتتغذى معظم السحالى على الحشرات والقليل منها على النباتات ، والكثير من السحالى يضع البيض الجلدى الملمس وبعضها يلد صغاراً وان كانت الولادة هنا لا تعنى مفهومها لدينا فالبيض يفقس داخلياً ثم تولد الصغار ، وجميع أنواع السحالى غير سام إلا نوع واحد منها هو الجيلا العملاقة فهو سام .

ومعظم أنواعها حذر للغاية ، ويصعب حتى على الانسان أن يمسك بها رغم ضعف بنيتها والتى لا يتعدى طول معظمها عدة سنتيمترات الا تنين كومودو فى الهند الشرقية والذى يصل طوله ٣٣٠ سنتيمتراً !!

وفصيلة اللاسرتيديات والسحالى الليلية من فصيلة الزانتوسيديات هى من السحالى النموذجية ، ولهذه الأنواع أجسام نحيلة وذيول طويلة وأقدام ذات خمسة أصابع متقدمة التكوين ، وهى سحالى سريعة العدو وبعضها له القدرة على العوم أو التسلق أو الحفر بينما يعد التنين الطائر سحلية منزلقة !

وتتميز السحالى المفترسة ذات الأصابع بأن أصابعها حرشفية تمكنها من العدو فوق الرمال وأكبر فصائل السحالى هى الايجوانات والأجاما ، وتشمل الفصائل الأخرى المعروفة على الحرباء والسقنقور والورل والبرص !

وبمرور الزمن فقدت السحالى الحفارة أرجلها ، فأنواع السقنقور لها أرجل صغيرة وتتحرك عادة على بطونها مثل الثعابين بينما الثعابين الدودية والزجاجية لا توجد لها أطراف وان وجدت فهى آثار أطراف صغيرة جداً !

الدفاع السلبى

وذيل السحالى يستخدم فى حفظ التوازن واختزان الدهون التى تعتمد عليها أثناء بياتها ـ ويوجد عند قاعدة الذيل رباط ضعيف يرجع إليه السر فى التخلص من الذيل عند محاولة الامساك بها ، ولحسن حظها أن أكثر المحاولات امساكاً بها يكون من منطقة الذيل ، وعند انفصال الأخير فانها لا تتعرض لنزيف أو التهابات تكلفها حياتها ، فقد زودت بقدرة عظيمة على التئام تلك المنطقة بعد فصل الذيل آلياً ، وعندما ينفصل الذيل فانه يستمر فى حركة تموجية سريعة بعض الوقت ، وهى نوع من أنواع الدفاع السلبى لهذه الحيوانات ، وربما كان ذلك مناورة خبيثة منه لجذب أنظار العدو ، حتى تفر السحلية من منطقة الخطر مخلفة ورائها هذا الذيل ، الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فسرعان ما ينمو غيره من جديد فى كثير من أنواعها !

المخلوق الطبى

والسقنقور أو سمكة الرمل يعتبر من أكبر أجناس السحالى انتشاراً فى صحراء مصر العربية ، وجسمه مستطيل والرأس صغير مدبب عند الطرف الأمامى ، مما يساعده على الحركة السريعة فوق الرمال ، ومن هنا جاءت تسميته بسمكة الرمل ..

وينشط السقنقور فى جميع فصول السنة ، عدا فصل الشتاء ، فانه يختفى تماماً ويكثر نشاطه أثناء النهار ، لكنه يختفى فى فترات الظهيرة عندما تشتد حرارة الشمس فى طبقات الرمل البعيدة عن السطح وذلك فى جحور يعدها لنفسه ، ويلجأ السقنقور الى الاختفاء فى الرمال عند شعوره بالخطر ، يساعده على ذلك لونه الذى يشبهها ، وهو يتغذى على

الحشرات الصغيرة ، وكان السقنقور يستعمل فى تحضير بعض العقاقير الطبية الهامة التى افادت البشرية فى زمن انتشر فيه الداء وقل الدواء لذلك أطلق عليه السقنقور الطبى ، وعلينا أن نتصور كم من أعداد هائلة من البشر كتب لها الشفاء على حساب حياة هذا المخلوق الضعيف ، وربما كان جدك أو جدى واحداً من هؤلاء !

الضعيف الذاكرة

والضب واحد من فصيلة الأجاما ، وينتشر فى الصحارى المصرية وصحارى شبه الجزيرة العربية وصحارى شبه جزيرة قطر ، ورأسه قصير ومثلث الشكل ، وجسمه طويل وأطرافه قوية مزودة بمخالب حادة تساعده على حفر الجحور التى يعيش فيها فى الصحراء ، وذيله طويل ومدبب عند نهايته وتوجد عليه حلقات منتظمة من الحراشيف المسننة ـ ويصل طوله الى ٣٥ سنتيمترا وطول ذيله ٢٥ سنتيمترا ولونه أصفر أو زيتونى أخضر فوق الظهر ، أما السطح البطنى فابيض مائل الى الصفرة !

والضب من أكلات العشب والنباتات الصحراوية وعلى الأخص النبات المعروف باسم هالوكسيلون !

والضب بطىء الحركة وهو لا يبتعد كثيراً عن المنطقة التى يعيش فيها ، واذا ابتعد عنها تعذر عليه العودة الى جحره فهو ضعيف الذاكرة ، ومن السهل القبض عليه ، واذا هوجم فانه يدافع عن نفسه بأسنانه القوية الحادة ، وهو ينشط نهاراً ويختفى ليلا ، ومن الاعتقادات القديمة أن أكل لحم الضب أو أكل بيضه يساعد على النشاط والقوة عند المسنين من الرجال ، وعلى أية حال فان لحمه طيب المذاق غنى بالعناصر الغذائية !

أنواع سامة

وسحلية الجيلا أو الهيلودرما تعتبر السحلية الوحيدة السامة فى العالم ، وهى تعيش فى جنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا الوسطى ، وهى نوعان : النوع الأول هو الجيلا البشعة أو سحلية زيزونا السامة والنوع الثانى هو الهيلو درما للحبيبة ، وفى كلاهما تتصل أسنان الفك السفلى بغدة سامة يختلط افرازها مع اللعاب وقد يصل طول هذا النوع السام الى ٨٠ سنتميترا ، وذيلها قصير وغليظ حتوى على مواد دهنية مختزنة ، ويتغذى هذا النوع من السحالى السامة على البيض وصغار الثدييات ولكنها تفضل تناول النمل الأبيض الضار الا انه بالرغم من أن هذا النوع السام فانه سهل الاستئناس بعد خلع أسنانه وغدته !

أنواع متعددة

أما الورل فهو نوع من السحالى متباينة فى الحجم ، بعضها صغير والبعض الآخر كبير بدرجة ملفتة للنظر ، واضخمها حجماً هو تنين كومودو ، والذى يصل طوله ثلاثة أمتار ووزنه ٧٥ كيلوجراما وهو شديد الشبه بالثعابين فى ابتلاع الفريسة الا أنه غير سام !

والورل يتواجد فى افريقيا وآسيا وخاصة جزر الهند الشرقية كما يتواجد فى استراليا ، وبالرغم من أن أنواع الورل تشبه بعضها البعض فانها تقطن بيئات متباينة ، فبعضها يعيش فى المناطق الصحراوية بشمال افريقيا ويطلق عليه الورل الصحراوى بينما الورل النيلى يجوب الأنهار ، أما ورل البراسينوس فيعيش على الأشجار فى الغابات الاستوائية فى غينيا .

وجميع أنواع الورل مفترسة ، تتغذى الأنواع الصغيرة منها على الحشرات أما الكبيرة فانها تفترس أنواع أخرى من السحالى والثدييات والطيور الصغيرة ، والبعض منها يتغذى على البيض .. وورل النيل له القدرة على اكتشاف بيض التماسيح والتهامها !

وتضع أنثى الورل البيض فى حفرة تغطيها بالرمال والنباتات ثم تتركها لتفقس بتأثير درجة حرارة الجو المحيط بها ، وأنثى الورل إذا ما عثرت على عش النمل الأبيض سارعت دون تردد بوضع البيض فيه ثم يقوم النمل الأبيض بدفن البيض لها أثناء قيامه بالعمل فى ترميم جدار العش ، وتمر الأيام ويفقس بيض الورل لتخرج الصغار غالباً فى فصل الأمطار لتصادف قوافل النمل الموجودة فتحيا هى ويموت النمل الأبيض على موائدها !

ـ والايجوانا نوع آخر من السحالى ينتشر فى كندا وجنوب شيلى وفى جزر المحيط الهادى ويوجد منها ٧٠٠ نوع ، وتعتبر الايجوانا الخضراء أكبر الأنواع ، وتوجد فى وسط وشمال أمريكا الجنوبية ، ويصل طولها مع الذيل الى ١٨٠ سنتيمتراً ، ويوجد لها عرف على ظهرها وكيس منتفخ أسفل الحلق ، ومنها أنواع تعيش على الأشجار لا يتعدى طولها ١٢ سنتيمتراً ، والبعض منها بحرى يعيش فى جزر جلاباجوس ، ولها طباع خاصة اذ أنها تفضل الشواطىء الصخرية وتتجمع فوقها بأعداد كبيرة تصطلى الشمس وتغوص فى المياه بحثاً عن الأعشاب البحرية !

وأبو بريص من السحالى المعروفة وهو من زوار المنازل ، ويروق له التردد عليها والعيش فيها إذا سمحت له الظروف سعياً وراء الحشرات ، وهو يتسلق الجدران وحتى تلك الجدران والأعمدة الملساء لا تعوق مقدرته على التسلق حيث أن أصابعه العريضة المزودة بصفوف من زوائد صغيرة تمكنه من أن يتعلق حتى بأدق النتوءات على تلك الأسطح ، ولديه القدرة على تغيير لونه ليلائم تلك الأسطح التى يتسلقها ، وأحياناً يظل ساكناً ساعات طويلة فى انتظار فريسته من الحشرات ، ويعيش أبو بريص خارج المنازل على الأشجار وبين أفرع النباتات الصغيرة وهو قليل العدد فى المناطق الصحراوية ، ومن أنواعه أبو كف وينتشر فى مصر وشبه الجزيرة العربية والجزائر وسوريا والعراق والأردن ، وهو يتغذى على الحشرات ويخرج ليلا فى للبحث عنها وقليلا ما يخرج نهاراً !

ويعتقد الكثير من أهالى تلك المناطق أن الانسان إذا ما أكل طعاماً لمسه هذا النوع من السحالى فانه يصاب بداء البرص ولذلك أطلقوا عليه اسم أبو بريص !

أنواع غريبة

ومن السحالى غريبة الشكل سحلية الشيطان وهى تعيش فى المناطق الصحراوية الجافة فى استراليا وهى مزودة بأسلحة عبارة عن أشواك حارة تحميها عند محاولة الاعتداء عليها !

والحرباء تتبع فصيلة شاذة من السحالى ، ذات صفات غير عادية ، فعيناها محمولتان على مخروطين وكل عين مستقلة الحركة عن العين الأخرى ، وهى ذات أقدام كلابية تساعدها فى التعلق بالأغصان وحتى الصغير منها ، وهى فى استطاعتها أن تغير لون جلدها فى لحظات لتحاكى الوسط الذى تعيش فيه وأحياناً يكون تغيير اللون نتيجة انفعالها فرحاً أو خوفاً أو استجابة لتغير درجة الحرارة ـ ومن هنا جاء تشبيه الانسان المتغير بالحرباء فيقال إن فلاناً يشبه الحرباء لأن فى استطاعته تغيير لونه حسب ما تقتضى الظروف وهو تشبيه للسخرية وليس صفة من صفات البراعة ، ويتأثر تغيير اللون بالهرمونات أو الأعصاب التى تتحكم فى المواد الملونة الصفراء والحمراء والبنية القاتمة الموجودة فى الجلد !

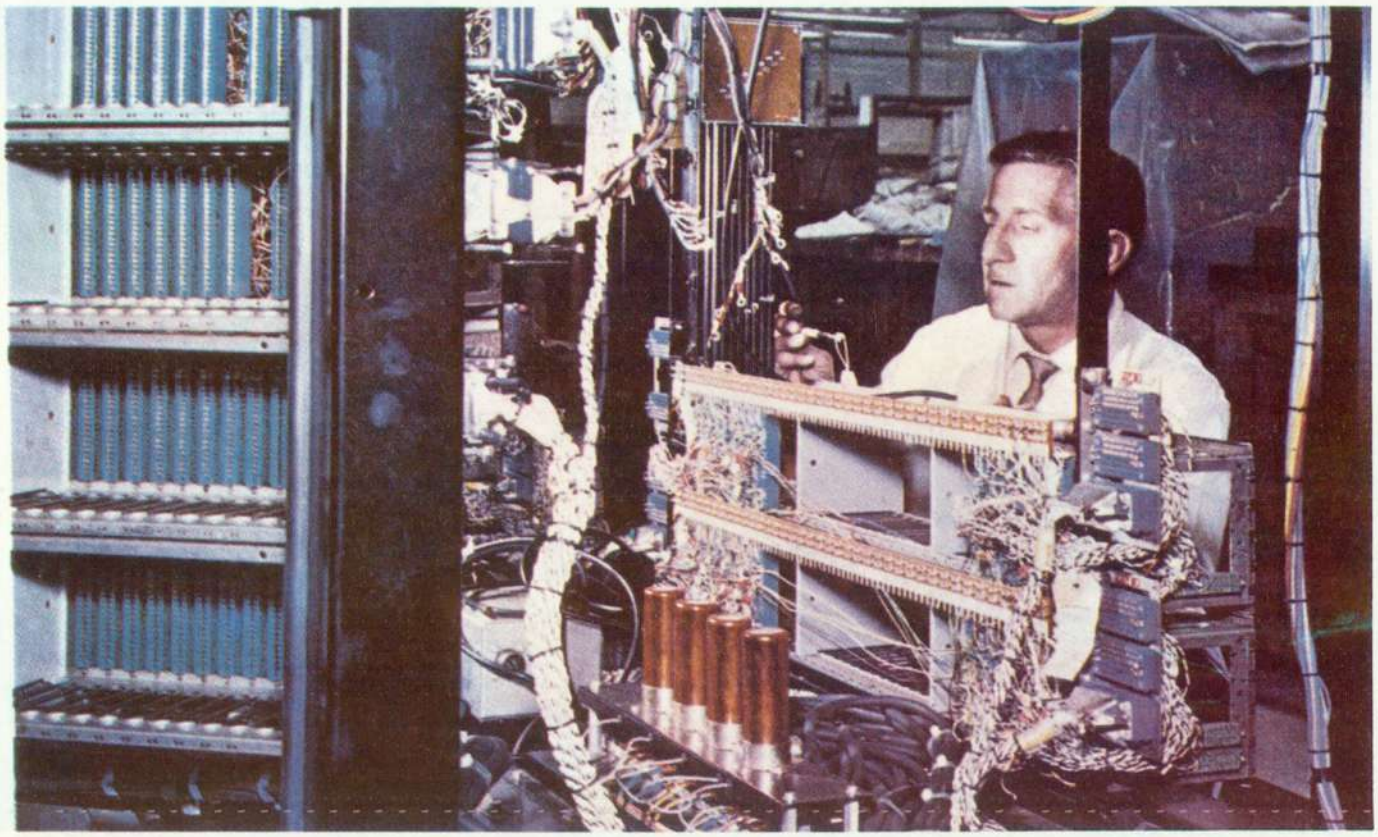
وقفة تأمل

ويوجد من الحرابى ثمانون نوعاً تعيش معظمها فى افريقيا ، والقليل منها يعيش فى آسيا وأوربا ، ويتراوح طولها من خمسة سنتيمترات الى ستين سنتيمتراً ، وهى تعيش على الأشجار ، وحركتها بطيئة ، وهى دائبة البحث عن الغذاء الذى هو فى معظمه الحشرات الضارة ، وهى تصطادها بلسانها الطويل اللزج

فهل لنا من وقفة تأمل فى هذه المخلوقات التى لم تخلق عبثاً فربما وجدنا فى حياتها وسلوكها عظات وعبر ؟! .

بالقطع سوف نتذكر ..... قول الله تعالى فى كتابه العزيز : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » ..

د . محمد الغباشى ربيع



احدى الحاسبات الاليكترونية القديمة نسبيا ، ومنها نرى ذاكرة التخزين التى تبدو على هيئة مكتبة قائمة بذاتها

بين عقول بشرية وعقول إليكترونية

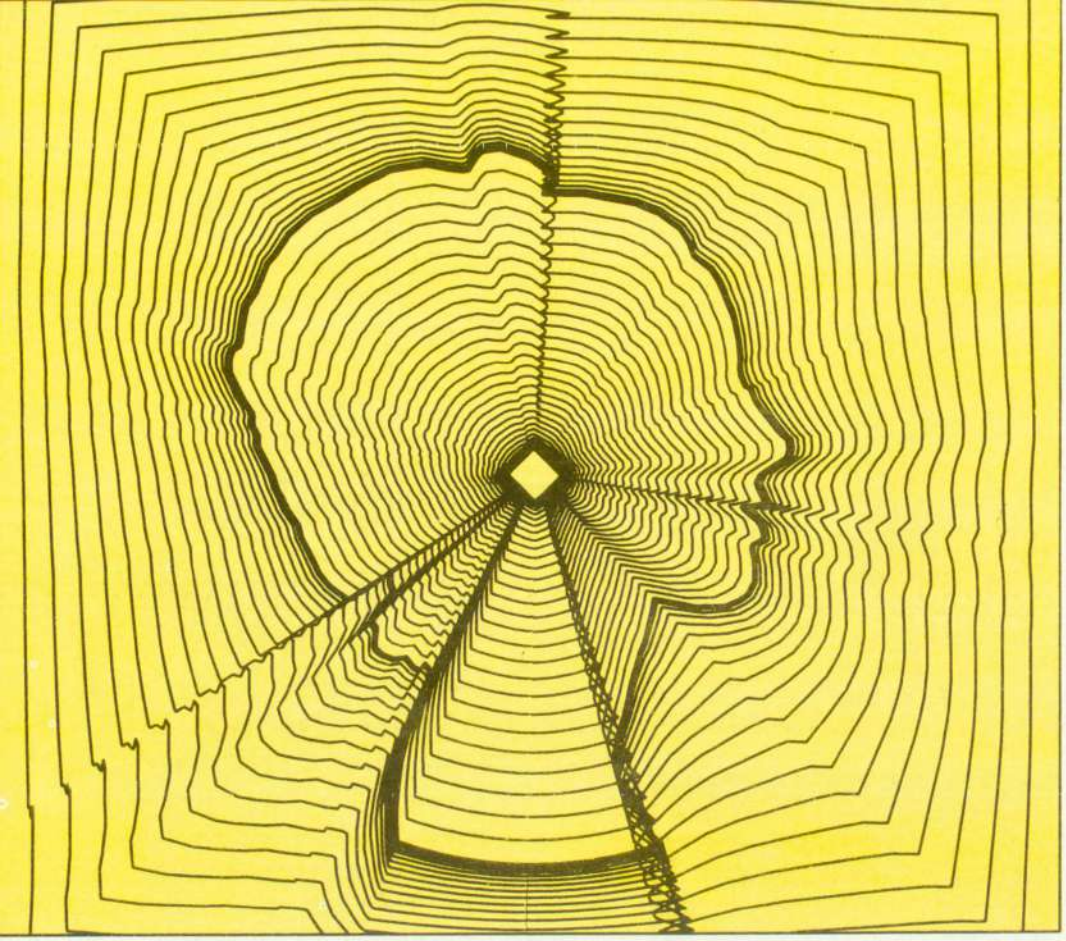
بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

بينما كان كاتب هذا المقال فى مهمة علمية بانجلترا منذ ١٤ عاماً ، جاءته دعوة لحضور الحصيلة العلمية السنوية التى تمخضت عنها البحوث العميقة والمتشعبة فى أحد المعامل الفيزيائية المتقدمة (المعمل الفيزيائى القومى بمقاطعة ميد لسكس) ، وفى احد الاقسام المتخصصة فى تطوير وصناعة الحاسبات أو « العقول » الالكترونية ، وقفت أمام حاسب كبير ، وأشار الى مرافقى ان اجرب حظى بسؤال قد اتلقى عليه رداً قبل ان يرتد الى طرفى ، وبدأت اكتب سؤالى على آلة كاتبة متصلة بالحاسب ، وكان السؤال المحدد هو : ان تاريخ ميلادى ٣٠/٢/ ١٩٢٨ ، فما هو اسم اليوم من الأسبوع الذى يوافق مثل هذا التاريخ ؟

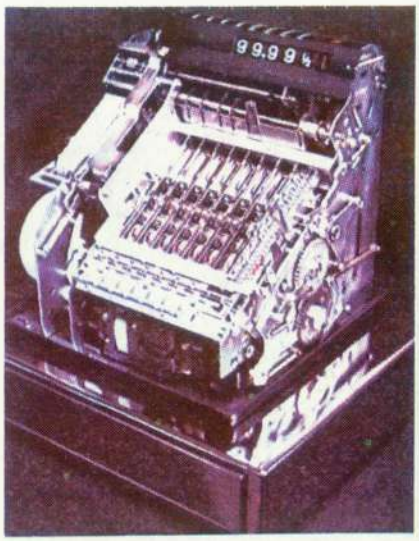
وبمجرد ان انتهيت من كتابة سؤالى ، ظهرت الاجابة هكذا : آسف .. هذا سؤال سخيف ، وجرب غيره من فضلك !

وجربت السؤال الصحيح ، فقدم لى الجواب الصحيح !

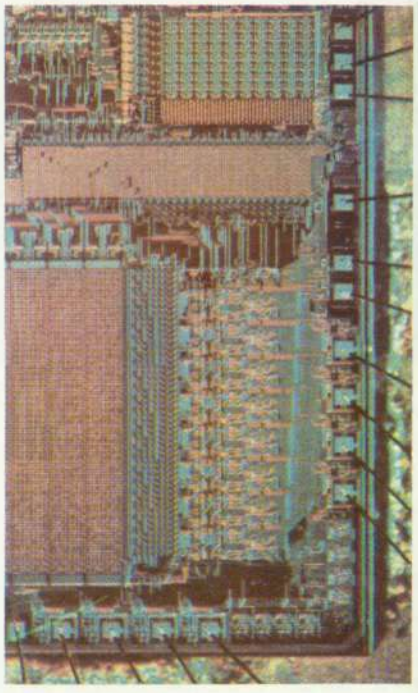
وربما تكون انت قد اكتشفت اصول الخدعة التى اردت ان امزح بها مع « العقل » الاليكترونى ، فلم يجز عليه ذلك المزاح ، بل اعتبر السؤال سخيفاً وخادعاً ، اذ ان فبراير لا يمكن ان يكون ٣٠ يوماً ، ولا هو أيضاً وارد في حساباتنا ومواقيتنا ، ومن اجل هذا كان الرد الذى اسعدنى وأعجبنى .



صورة فنية رسمها عقل اليكترونى حسب برنامج محدد فى ذاكرته .. وهى كما ترى خطوط متعرجة كونت راس انسان .



احدى الآلات الحاسبة ذات التروس المتداخلة وكانت النواة التى انبثقت منها الحاسبة الاليكترونية الصغيرة .



نسيج غريب متداخل من دائرة اليكترونية معقدة على رقاقة او شريحة تحتوى على ملايين الشفرات التى تتحول إلى حسابات ولغات

الاساس عقل الانسان

وطبيعى أن الحاسب أو العقل الاليكترونى لا عقل له ، رغم انه قد أحدث ثورة من الثورات العلمية والتكنولوجية الكبرى التى نشهدها فى زماننا هذا ، ولا يعلم الكثيرون منا الا اقل القليل عنها ، رغم انه يحسب أسرع منا ، ويفند الاجابات الصحيحة من الخاطئة ، ويدير مصانع باكملها ، ويكتشف حلولا للمسائل العويصة التى تجابه العلماء ، ويسعفهم بالحلول الفورية فى مجالات غزو الفضاء ، وتحديد بعض الأمراض التى قد يستعصى تشخيصها على كثير من الاطباء ، أو اكتشاف أدلة اجرامية تدين المذنبين فى ساحات القضاء ، أو الكشف عن الثروات الكامنة فى باطن الأرض وأعماق البحار ، أو التنبؤ بحالات الطقس ، أو استنباط وسائل جديدة فى البحوث العلمية ، وغير ذلك من مئات الأنشطة العقلية المعقدة التى قد لا يقدر على انجازها البشر ، حتى ولو اجتمعوا لها !

لكن ذلك كله لا يعنى أن « العقل » الاليكترونى يفكر كما نفكر ، أو يشعر كما نشعر ، أو يتعاطف ويحب ويكره ويغضب ويرضى ، إلى آخر هذه الأحاسيس التى يعرفها البشر فى حياتهم ، لكن من الممكن تقليد هذه الأحاسيس ، ووضعها فى برامج خاصة داخل « ذاكرة » هذه العقول الصناعية ، وبحيث تتصرف معنا بطريقة مهذبة ، أو قد تكون وقحة السلوك ، فتسب وتلعن .. كل هذا يتوقف على ما وضعه الانسان فيها من بروجرامات مضحكة أو مسلية او مازحة مزاحا لطيفا أو سخفيا .. الى آخر هذه الأمور التى قد توحى للكثيرين أن « العقل » الاليكترونى ذكى جدا ، وانه يفكر فعلا ، او ينفعل ، فتخرج منه الضحكات او الشتائم أو « تطييبه » الخواطر .. الخ .

والواقع ان سلوك العقول الاليكترونية هو انعكاس لما يدور فى العقول البشرية من افكار وانفعالات ، اضف الى ذلك اذ لهذه الحاسبات درجات تتوقف قيمتها على ما تحتويه برامجها من « خبرات » ومعلومات فبقدر ما تعطيها من بروجرامات ، بقدر ما تقدم لك من حلول مختلفة وسريعة ومتقنة .

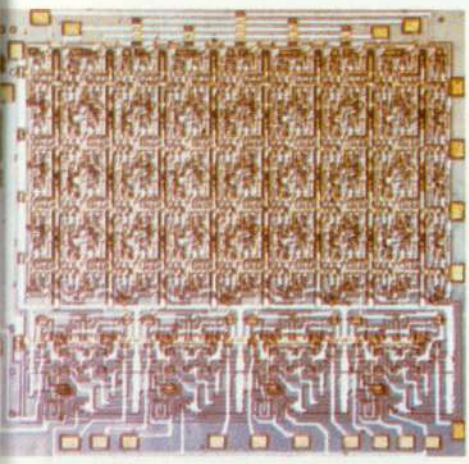
تطور مذهل

ومما لاشك فيه ان كل شىء يتطور الى الأحسن والأكفأ والأدق ، بفضل تطور خبرة الانسان وعلومه وتكنولوجياته ، فلقد جاء

بين عقول بشرية وعقول إلكترونية



على ثلث مساحة ظفر اصبع سيدة ترى رقاقة حاسب اليكترونى ذى ذاكرة لا تجارى

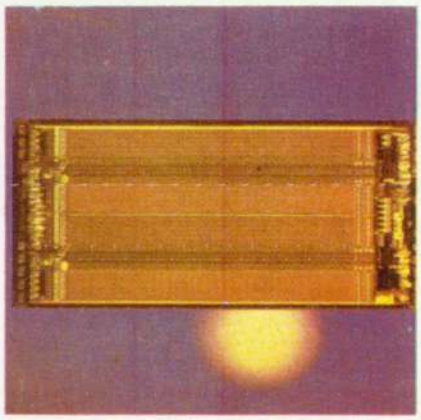


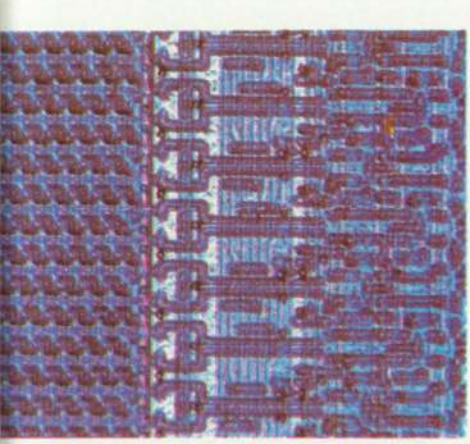
اخر ما توصل إليه العلم يتمثل لنا فى هذه الرقاقة التى لا يزيد طول احد اضلاعها عن ملليمترين لاغير ومع ذلك فهى تحتوى على ملايين المعلومات التى توجد فى مجلد ضخم .

على الحاسبات القديمة زمن كانت فيه ضخمة وثقيلة وبطيئة ومجهدة ، اذ ان بدايتها كانت يدوية ، اى عن طريق ذراع أو لزرار تدير تروساً ، وتحرك اجزاء ، وتعطيك الاجابات بعد جلبة وضوضاء ، ولهـــذا اصبحت هذه الالآت البدائية فى ذمـــة التاريخ ، وكان مثواها الأخير على الرفوف وفى المتاحف ، لتكون شاهدة على زمن ولى وأدبر !

ثم يجيء على هذه الحاسبات حين من الدهر لتدخل ضمن ثورة تكنولوجيـــة ، فحلت الدوائر الكهربية محل التروس ، واعطتها بذلك دفعة هائلة ، ثم انطلقت فى خطوات تطورية سريعة ، وكان الهدف دائماً ضالة فى الحجم ، وخفة فى الوزن ، وغزارة فى المعلومات ، وسرعة فى الأداء ، وزهداً فى الأسعار ، وسعة فى الانتشـار ، وليس أدل على ذلك من حاسبات الجيب الاليكترونية التى اصبحت أضأل من علبة السجائر وزناً وحجماً ، ومع ذلك تقوم باجراء الكثير من العمليات الحسابيـــة المعقدة ، ولقد ساعدعلى بلوغ هـــذه الطفرة الفجائية دخول الانسان عصر الفضاء ، فجاءت الحاسبات الاليكترونيـــة فى سفن الفضاء ، لتشغل فيها أضأل فراغ مع خفة فى الوزن ، وسرعة الأداء .

على ان مثالا واحداً نقدمه هنا ، سـوف يوضح لنا ذلك ابسط توضيح .. ففى عام ١٩٤٦ ظهر أول حاسب اليكترونى ليشغل صالة واسعة ، ويستهلك تياراً كهربياً تصل قوته الى ١٤٠ الف واط ، ليدخل فى تشغيل ١٨ الف صمام اليكترونى ، تتصل بشبكة هائلة من الأسلاك التى تبلغ أطوالها أكثر من مائتى كيلومتر ، ولابد من عمليات تكييف أو تبريد ، نتيجة لانطلاق كميات كبيرة من الحرارة ، ولقد تكلف



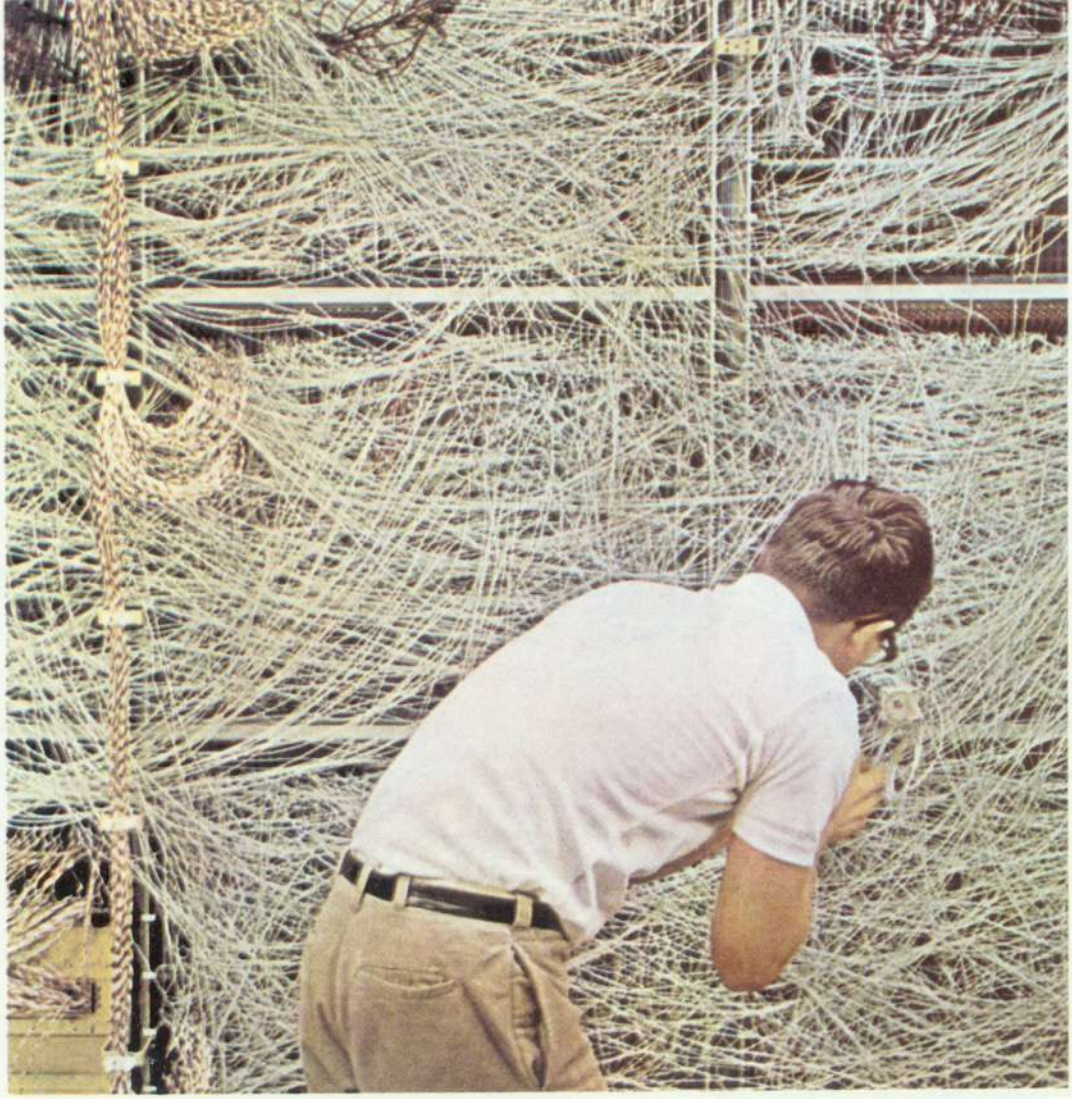


الصورة الأولى لرقاقة من السيليكون ذات ذاكرة اليكترونية ، ومكبرة عدة مرات والصورة الثانية جزء مكبر عشرات المرات .

انتاجه وقتذاك عدة ملايين من الدولارات ، وكان يعتبر فى عصره احـــدى معجزات التكنولوجيا الحديثة ، لكنه الآن – وبمعايير هذا الزمان – يعتبر شيئاً بدائياً ، اذ حلت محله رقاقة أو لوحة صغيرة من السيليكون قد لا يزيد حجمها عن حجم ظفر الأصبع .. أى كأنما التطور المذهل فى صناعة العقول لاليكترونية قد اختصر كل شيء الى حدود لا يمكن تصورها ، فصار الكبير جداً ، صغيراً جداً ، مع عـــدم المساس بكفاءته نوعاً وكماً ، وطبيعى ان هذا الاختصار الهائل فى المساحة والحجم والخامات والطاقة الدافعة .. الخ ، قد انعكس بدوره على اختصـــار هائل فى التكاليف ، مما جعل اسعار الحاسبات الصغيرة الحالية لا تقارن مثلا بأسعار الحاسبات التى ظهرت فى منتصف القرن العشرين .

ولكى يمكن استيعاب ذلك ، فقد قـــدم لنا كريستوفر ايفانز فى كتابه القيم عن العقول الاليكترونية مقارنة بعالم السيارات فلو ان صناعة السيارات قد سارت على نفس المنوال الذى سارت فيه الحاسبات الاليكترونية ، وفى نفس الفترة الزمنية ، لكان معنى ذلك ان سيارة « الرولزرويس » يمكن شراؤها بثلاثة دولارات الا ربعاً ، وتستطيع هذه السيارة ان تستهلك جالونا واحداً من الوقود لتقطع به مسافة تصل الى ٤٫٨ مليون كيلو متر ، وتنتج طاقة كافية لدفع بارجة ضخمة مثل كوين اليزابيث .. الخ .

وطبيعى ان هذه الأرقام تبدو خيالية الى أبعد الحدود ، ولا يمكن بحال من الأحوال تحقيقها ، لكنها مع ذلك قد تحققت فى صناعة العقول الاليكترونية .. لأن كل شيء فيها قد اختصر اختصاراً مذهلا .. الحجم والوزن والطاقة وبساطة التصنيع ، وانخفاض الأسعار .. الخ ، مع الحفاظ على الكفاءة ، او زيادتها باستمرار .



إن هذه المتاهات من التوصيلات المتداخلة فى احدى العقول الاليكترونية هى تطبيق بسيط وبدائى لفكرة الخلايا العصبية فى امخاخنا هذا ويبلغ مجموع أطوال هذه التوصيلات أكثر من مائة كيلومتر لتربط بين ٧٧٠٠ دائرة اليكترونية ، لتتداخل فى تشغيل حوالى مليونين من خلايا الذاكرة التى تكون هذا الحاسب الاليكترونى .

مقارنة مجحفـــة

لكن ذلك كله سوف يتضح لنا أكثر وأكثر كلما توغلنا قليلا فى الموضوع ، فالذى احدث هذه الطفرة الفجائية هو توصـــل العلماء الى فكرة الرقاقة التى تزخر بدوائر كهربية دقيقة غاية الدقة ، وهى التى تراها فى بعض الأشكال المقدمة على هـــذه الصفحات ، وكأنما هى نسيج متداخل ، ولا يمكن رؤيته الا اذا كبرناه عشرات أو مئات المرات ، وكأنما ذلك يذكرنا ايضا بنسيج امخاخنا ، فنحن لا نستطيع ان نرى وحدات النسيج ، الا اذا كبرناه مئات المرات ، وعندئذ تبدو لنا خلاياه وكأنما هى أشبه بغابة غريبة متداخلة الاغصان ، فالمخ ذاته يحتوى على حوالى ١٢ الف مليون خلية عصبية ، ومن كل خلية تمتد عشرات ومئات الوصلات أو الآليـــاف العصبية الدقيقة ، لتتصل بما حولهـــا من آلاف الالياف (انظر الشكل الدال على ذلك) ، وبحيث يؤدى ذلك الى ما يشبه الدوائر الاليكترونية التى تتوه فيها العقول ومن التالف المتقن ، والتفاهم المتقن ، والتناغم المذهل ، يحـــدث التفـــاعل الكهروكيميائى المنظم ، فيسرى على هيئة نبضات عصبية ، ويمكن ترجمتها الى معلومات توضح لنا طبيعة عالمنا المحيط بنا ، فنراه بتجسيده والوانه ، أو نسمعه ونتذوقه ونشمه ونحسه من خلال اعضاء الحواس التى تنقل ما يحدث فى عالمها الخارجى ، لتصبه فى عالم داخلى – هو عالم امخاخنا الذى ينطوى على متاهات لم نعرف منها الا القليل ، ومع ذلك فان المخ البشرى – رغم صغر حجمه ، وبساطة مظهره – يستطيع ان يستوعب ما يقـــدر بمليون بليون معلومة (تكتب هكـــذا ١٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠) ، وكأنما هو كون صغير ينطوى على كون جد كبير ، ولله در الشاعر محيي الدين بن عربى يقول :

أتحسب انك جـرم صـــغير
وفيك انطوى العـــالم الاكبر

ولقدبدأ الانسان فى تقليد هذا النظام المذهل فى رقاقات دقيقة ، تشتغل بشفرة بسيطة (تباديل وتوافيق بين ١ ، ٠ – اى واحد وصفر) ، فمن خلال دوائر اليكترونية تتداخل وتستقبل وتوصل وتترجم الشفرة الى لغات تناسب الانسان ، نراها تكتب له وتحسب له ، وتتحدث معه ، وتيسر حياته وتترجم لغاته ، وتؤدى مهاماً صعبة ، وبسرعة فائقة ، وكأنما هى اكفأ انتاجاً من البشر ، واسرع فهما وادراكاً .

ومع ذلك ، فان المقارنة بين الدوائـــر الكهروكيميائية التى تسرى فى خـــلايا امخاخنا ، وبين الدوائر الكهربيـــة فى العقول الاليكترونية – لاشك – مقارنة مجحفة . اذ لا فرق بين ما خلق الله فابدع واتقن ، وما قلد الانسان ، فجاء تقليده خالياً من العاطفة والاحساس والوجدان والارادة والشعور بالذات ، أو غير ذلك من الصفات التى حازها الانسان دون سائر المخلوقات !

ورغم ذلك ، فلا يجب علينا ايضاً ان نغمط الانسان حقه وقدره من التقدم والابداع والابتكار ، اذ انه وصـــل بتلك الحاسبات أو العقول الاليكترونية فى زمن وجيز الى حدود تبدو خيالا أو أحلاماً ، وبحيث يستطيع العقل الاليكترونى منها ان ينجز فى ثوان ، مالا يستطيع الانسان انجازه فى عشرات أو ربما مئـــات السنوات !

احجـــام أصغر

ولقد بدأت فكرة رقاقة أو شريحـــة السيليكون – التى تختزن المعلومات فى دوائر اليكترونية دقيقة – فى الظهور والتطور فى نهاية الستينات وبـــداية السبعينات من هذا القرن ، ومرت بمراحل كانت فيها الرقاقة أكبر ، والذاكرة اضال ، ثم حدث العكس ، اى جاءت الرقاقة اصغر فاصغر ، ومع ذلك تحتوى على معلومات اضخم ، وذاكرة أكبر !

منذ سنوات لا تزيد عن عدد أصابع اليدين ، كانت الرقاقة فى مساحة ورقة « الفولسكاب » ثم فى حجم اليد ، ثم فى حجم عقلة الأصبع ، ثم فى حجم الظفر ، ثم اقل من الظفر ، ثم فى حجم رأس الدبوس ، الى ان تصل احياناً الى احجام لا ترى الا بعدسات مكبرة ، أو ان رأس



جزء ضئيل من الخلايا العصبية التى تكون أمخاخنا وفيها ترى الوصلات الحية الكثيرة والمتداخلة التى تتبادل المعلومات الواصلة اليها وكانما الانسان قد قلد فكرتها المذهلة فى العقول أو الحاسبات الاليكترونية .

بين عقول بشرية وعقول إليكترونية

الدبوس يستطيع ان يحمل فوقه ست أو عشر رقاقات متجاورة ، وبحيث إذا سقطت منها رقاقة على الأرض ، فمن الصعب ان تكتشفها بالعين المجردة !

إن هذا الاعجاز العلمى والتكنولوجى سيؤدى الى تطبيقات كثيرة جداً ، ومتنوعة جداً ، ورخيصة جداً ، وبحيث أصبحت الرقاقة أو الشريحة التى فى مساحة كف اليد كبيرة وبدائية بالمقارنة لما تحقق بعد ذلك .. فرقاقة لا تزيد مساحتها مثلا عن سنتيمتر مربع واحد يمكن ان تستوعب المعلومات المكتوبة فى صحيفة يومية متوسطة ، لكن ذلك ليس غاية المراد ، ولا منتهى المنى ، بل ستتطور الأمور الى إنتاج رقاقات لها نفس المساحة (اى سنتيمتر مربع واحد) ، لكنها تختزن محتويات مجلد كبير به حوالى مائة الف كلمة ، ومع ذلك ، فالتطوير الى الأصغر والأدق والأكفأ لا يزال قائما ، فالولايات المتحدة واليابان فى طريقهما بالفعل الى تخزين مليون كلمة على نفس المساحة ، اى ما يشغل دائرة معارف كاملة من الحجم المتوسط ، واذا استمرت الأمور على هذا المنوال ، فسوف يصبح بالامكان تخزين كل المعلومات الموجودة فى مجلدات مكتبة كبيرة فى رقائق لا تتعدى حجم كتاب صغير يمكن وضعه فى جيب سترة دون ادنى عناء .. والى مثل هذه الأهداف المذهلة يسعى العلماء .

ومما يساعد على تحقيق ذلك ، او اكبر واعظم من ذلك ، هو توصل العلماء الى فكرة اخرى جديدة وبديلة لفكرة الشرائح أو الرقاقات .. هذه الفكرة تتمثل فى ابتكار ما يسمى « بالذاكرة الفقاعة » .. اى تخزين المعلومات وتكديسها فى تصميمات تشبه الغبارات (مفردها غبارة) أو الفقاعات الدقيقة التى يمكن تشبيهها ببساطة بالفقاعات التى نراها تنطلق من المياه الغازية ، لكن هذه الفقاعات الاليكترونية ممغنطة وموجهة فى مجالات محددة داخل الشريحة التى تحتويها ، وكانما هى تتالف وتتناغم مع بعضها ، بحيث يؤدى ذلك الى ترتيب المعلومات وهضمها واخراجها على هيئة مكتوبة أو مقروءة. لتناسب ادراك الانسان ، ولاشك ان هذه الذاكرة « الفقاعة » الممغنطة سوف تستوعب أكبر قدر من المعلومات فى اضال مساحة ممكنة ، ويامل العلماء أن ذلك سوف يمكنهم من وضع كل المعلومات الكائنة فى دائرة المعارف البريطانية فى تصميم لا تزيد مساحته عن بوصة واحدة مربعة ، مما يبشر بثورة تكنولوجية جديدة قبل نهاية الثمانينات !

أسرع من لمح البصر

وأما عن السرعة التى تحل بها الحاسبات الاليكترونية العمليات الرياضية ، فحدث عن ذلك ولا حرج .. فاسرع حاسبة اليكترونية تعطى الاجابة فى ٥ر١٢ « نانو » ثانية ، هذا « والنانو » وحدة من الوحدات العلمية التى تقاس بها حدود العوالم التى تقع فيما وراء حدود العقل البشري ، و « النانو » ثانية جزء من بليون جزء من الثانية !

وتمتلك مؤسسة « ناسا » للعلوم الفضائية حاسباً اليكترونياً يستطيع ان يجرى ٨٠٠ر١٢ مليون عملية رياضية معقدة فى الثانية الواحدة ، ولهذا الحاسب ذاكرة اليكترونية تستوعب ٦٠٨ر٣٨٨ر٨ شفرة (اوكود) .. ويمكن ان تزيد هذه الذاكرة لتستوعب ٠٠٠ر٥٦٨ر٧٧ شفرة (أو وحدة معلومة) اذا زودت بـ ٣٢ قرصاً او لوحة من اللوحات أو الرقائق المكدسة بالمعلومات المخزونة (بالتحديد تعرف باسم كراى ـ دد ـ ١٩) ، هذا ويحتوى كل قرص على اكثر من الف مليون معلومة !

والموضوع بعد ذلك طويل ومتشعب ومثير ، لكن فيما قدمنا فاوجزنا ما يشير الى اقبال العالم على ثورة كبرى سوف تلعب فيها العقول الاليكترونية الدور الأساسى ، فتؤدى إلى تغييرات جذرية فى انماط حياة الناس ، فحيث تزيد اجورهم ومطالبهم وتكاليفهم بالنسبة للأعمال او الخدمات التى يؤدونها نحو مجتمعاتهم ، نرى الحاسبات او العقول الاليكترونية ، قد بدأت تغزو هذه التخصصات ، وتحل محل الناس ، وبحيث قد تجابهنا مشكلة تكدس العقول الاليكترونية ، لتصبح اخطر من مشاكل التكدس فى البشر ، ومما ينذر بالخطر ،ان انتاج الحاسبات الاليكترونية ـ على حسب تقرير حديث ـ قد تضاعف عشرة آلاف مرة في الخمسة عشرة سنة الماضية ، وانه في الفترة ذاتها قد انخفضت تكلفتها إلى حوالي مائة الف مرة !!

إن هذا « الغزو الفكرى » ـ ان صح ذاك التعبير ـ الذى ستسيطر به العقول الاليكترونية على انماط افكار وحياة المجتمعات البشرية ، قد يصبح سلاحاً ذا حدين ، فى حد منه تكمن رفاهية البشرية ، وفى الحد الآخر يكمن شقاؤها ، ولاشك ان ذلك يحتاج الى بيان وتوضيح ، وليس له هنا مجال ، ولنؤجله ـ اذن ـ الى دراسة اخرى قادمة ، لنعرف على اى عصر غريب نحن مقبلون ، خاصة وان الأمور تتغير وتتطور ، وبأسرع مما نتوقع ونتصور !

د. عبد المحسن صالح

رحلة الحياة والموت في بحر ملوّن

بقلم : صنع الله إبراهيم



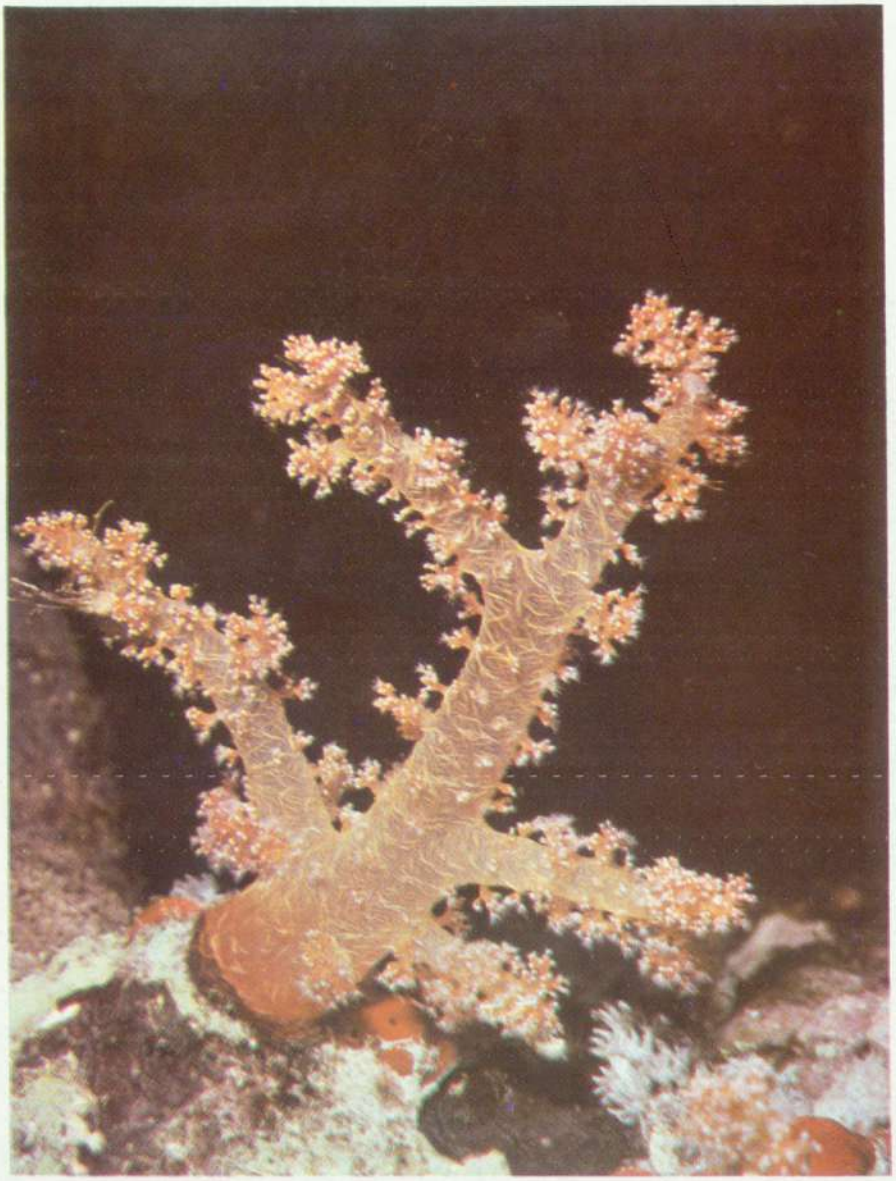
الراقص الاسبانى .. نوع نادر فى البحر الاحمر .

● ● ثروات نادرة مهددة بالضياع ان لم نتحرك لانقاذها .

● ● اليس من المؤسف ألا يكون هناك مرجع عربى شامل عن أحياء البحر الأحمر والخليج العربى . ؟ !

● ● هل تعجز الامكانيات والمواهب العربية عن حماية وتسجيل واستثمار عدد من أندر الشعاب المرجانية فى العالم . ؟

● ● فى انتظار جامعة عربية رائدة



صورة جديرة بالفوز بالميدالية الذهبية فى فن التصوير ..وهى لشعب مرجانية برتقالية اللون فى شاطىء سواكن

رحلة الحياة والموت في بحر ملوّن

●● نشرت « الدوحة » موخراً سلسلة من الموضوعات المصورة التى تناولت بشكل قصصى ، لأول مرة أسرار الحياة فى أعماق البحر الأحمر ، وعالمه العجيب .

وفى هذا المقال يعرض الكاتب للمشاكل التى اعترضته أثناء الكتابة ، والتى يواجهها أغلب الباحثين فى هذا المجال ، ويعدد الأخطار التى تتهدد ثروات البحر العربى العتيق ، والخطوات الضرورية لحمايتها واستغلالها على أكمل وجه .

رغم كل التوقعات ، التى يستند بعضها الى حقائق ثابتة تتحدث عنهـــا الكتب والمجلات والبرامج التليفزيونية ، وتمتد جذور بعضها الآخر الى مخاوف وأوهام سحيقة ، وخيالات مبهمة ، فان كل ما وقعت عليه عيناى ولمسته يداى ، كان يحمل طعم الاكتشاف البكر والمفاجاة الصاعقة .

وبادىء ذى بدء ، كان الشاطىء الواعد بمياه صافية ، يتالف من بساط طينى قبيح المنظر ، يمتد بعيداً فى عرض البحر .

وكان على ، كى أصل الى المياه ، أن أخوض فى هذه البركة لمسافة تتجاوز نصف كيلومتر .

ولم أكد أخطو عدة خطوات حتى شعرت بالم حاد فى باطن قدمى العاريتين ، فتوقفت عن الحركة ، وتطلعت الى أسفل .

هكذا تبينت ــ لأول مرة ــ تلك الكائنات الغريبة التى اندست فى ثنايا الطين ، وتسلح بعضها باشواك أبرية على الجوانب ، أو ببروزات حادة فى الأطراف .

ومن الطبيعى انه قد سبقت لى رؤية أنواع من الاصداف والقواقع ، لكنى لم أرها ــ قبل الآن ــ فى بيئتها الطبيعية ولا فى الاشكال والالوان الفريدة التى تناثرت تحت قدمى .

مضيت أنقل قدمى فى حذر دون أن أرفع عينى عن الطين . وتتابعت أمامى أصداف مضلعة حمراء اللون ، وأخرى رمادية على شكل الكمثرى وحجمها ، وثالثة فى حجم اليد ورابعة فى حجم البندق .

وهنا وهناك انتشرت أجسام سوداء غريبة ، فى شكل وحجم حبات الباذنجان الأسود ، ظننتها كتل من المخلفات البترولية التى تحملها المياه عادة الى الشواطىء .

وكان ثمة نباتات كثيرة متناثرة ، منها ما هو أقرب الى الزهور ، تتناقل المياه بعضها ، بينما بدا البعض الآخر ثابتاً فى مكانه . لكنى ما ان مددت اليه يدى حتى تحرك مبتعداً بسرعة خاطفة .

مطفأة السجائر التى مشت !

والتقانى السابحون العائدون من عرض البحر ، يحمل أغلبهم فى يديه شجيرات حجرية برتقالية وبيضاء ، انتزعوها من الأعماق .

وفجاة بدا المد وأخذت المياه ترتفع بسرعة . ولما كنت لا اجيد السباحة فقد عدت ادراجى بعد أن ملأت يدى بعدد من القواقع الصغيرة والمخروطية .

ولم أكد أتقدم قليلا حتى شعرت بغزوات صغيرة فى يدى مثل عضات

الناموس . وعندما فتحت قبضتيهما وجدتنى أواجه كائنات غريبة مشعرة أطلت من فتحات القواقع التى ظننتها خالية .

نفضت يدى فى تقزز ، فتساقطت القواقع فى الماء . ولمحت احدى حبات الباذنجان السوداء ، فانحنيت وتناولتها بيدى .

كان ملمسها ناعماً ، وجسدها رخواً . أدرتها بين أصابعى متأملا الثقب الدقيق فى كل من طرفيها ، واذا برشاش من المياه ينطلق من أحدهما ويصيبنى فى وجهى .

حملتها الى الشاطىء ، وضعتها فى اناء صغير من البلاستيك ريثما جففت جسدى واستبدلت ملابسى . وعندما ألقيت عليها نظرة أخرى وجدت حجمها قد انكمش الى النصف ، وتكومت الى جوارها شبكة من الامعاء الوردية اللون .

وأوشكت على الانصراف فاذا بى أرى مطفاة سجائر تمشى !

وكنت قد لمحت من قبل القوقعة الكبيرة ذات الأطراف الستة القصيرة ، التى ألفت أن أراها — فى طفولتى — تستخدم مطفاة للسجائر ، فلم أعبأ بها .

أسرعت اليها ورفعتها فى الهواء ، فلمحت زائدة مثل القدم تتراجع بسرعة داخل الشق الذى يمتد بطول السطح السفلى للقوقعة . وتمكنت من الامساك بهذه الزائدة قبل ان تختفى تماماً وحاولت أن أجذبها لكنها كانت أقوى منى ، فأفلتت من يدى وتوارت . وعندما مددت أصبعى داخل الشق وجدته قد أحكم اغلاقه بباب من حديد .

ولقاء تحت الماء

هكذا بدأ أول لقاء بينى وبين شاطىء البحر الأحمر وهو فى نفس الوقت أول لقاء مباشر بأحياء البحر .

فأنا أساساً من أبناء المدينة ، وعلاقتى بالبحر علاقة موسمية تتمثل فى التردد على الشواطىء الماهولة التى تطل على البحر الأبيض والتى اختفت منها أغلب أشكال الحياة البحرية ، هرباً من الزحام البشرى .

أما شاطىء البحر الأحمر فهو لأسباب كثيرة ليس مطروقاً من أحد سوى السائحين الأجانب الذين يجدون فى دفئه فرصة رائعة لقضاء الشتاء . ولهذا السبب يحتفظ ببكارة عالمه الحى .

وكان لقائى الثانى بالبحر الاحمر تحت الماء .



نخلة البحر الاحمر وهى تشبه نجمة من الريش وتوجد فى المياه المحاذية لمنارة « سنجانيب » بالقرب من بورسودان

فقد وضعت على عينى النظارة البلاستيكية المعروفة ، المزودة بانبوب مرتفع لأتنفس ، وغصت فى مياه أكثر المناطق ضحالة .

وكأننى هبطت الى الأعماق السحيقة للمحيط .

فقد ألقيت نفسى وسط فوج من أسماك فضية صغيرة ابتعدت مسرعة وهى ترمقنى بعيونها الدقيقة فى حذر . وانسابت أمامى سمكة ما على شكل القرص المفلطح ، ازدانت بألوان الفراشات . وعندما تقدمت من عرض البحر انتشرت تحت قدمى الزهور البنفسجية والارجوانية المتموجة .

ولمحت سمكة بديعة الشكل ، أحاطت بها مجموعة من الزعانف الملونة على هيئة ريش الطاووس أو أجنحة الديكة ، وكانت تعوم فى بطء ، فاتجهت نحوها أملا فى امساكها من احدى هذه الزعانف . ولحسن حظى انها شعرت بى فاسرعت بالابتعاد . وبذلك نجوت من خطر التسمم .

فقد عرفت فيما بعد أنى كنت فى حضرة واحدة من أخطر أسماك البحر وهى سمكة « الجنخ » الشهيرة التى تحمل السم فى أشواك زعانفها .

ذلك أن اللقائين المذكورين ، كانا كافيين لارسالى فى رحلة بحث طويلة خلف أسرار البحر الأحمر وسكانه المتنوعين من أسفنج ومرجان ، وقنافذ ، ونجوم ، وسراطين ، وأخطبوطات ، وقواقع فضلا عن الأسماك .

وطوال العامين اللذين استغرقتهما رحلتى بين المراجع المختلفة ، كانت ذكرى هذا اللقاء تشحذ عزيمتى فى مواجهة



شمعدان البحر الأحمر .. وهو نوع من الاسفنج فى مياه « توارتيت » بالقرب من سواكن القديمة فى السودان

رحلة الحياة والموت في بحر ملوّن

الصعاب التى قابلتنى .

وتتمثل اهم هذه الصعاب فى غياب المرجع الذى يحتوى على توصيف وحصر ـ باللغة العربية ـ لانواع احياء البحر الأحمر وأسمائها .

ويكفى كى نتصور الصعوبة الناشئة عن هذا الوضع أن نعرف ان العلماء قد تمكنوا من تمييز ٢٥٠٠ نوع من الأسفنج ، و ٤٥٠٠ نوعاً من المرجانيات والشقائق البحرية والحيوانات الهلامية (مثل قناديل البحر) ، و ١٦٠٠٠ من القشريات مثل السراطين والجمبريات ، و ٦٠٫٠٠٠ من القواقع والبزاقات وغيرهما من الرخويات و ٤٠٠٠ من قنافذ البحر والنجوم وخيار البحر (الذى تنتمى اليه الباذنجانة السوداء التى تتخلص من امعائها عند أول بادرة للخطر) و ٣٠٫٠٠٠ نوعاً من الأسماك وتتوزع هذه الأنواع على بحار العالم ومحيطاته .

وأعطى العلماء هذه الأنواع أسماء معروفة ومقبولة عالمياً منذ القرن الثامن عشر ، وفقاً لقواعد وضعتها لجنة دولية لتصنيف وتسمية الحيوانات والنباتات . وطبقاً لهذه القواعد تشتق الأسماء من اللغة اللاتينية وتشير الى احدى الصفات المميزة للنوع ، أو من الاسم الذى يعرف به محلياً . ويتبع الاسم العلمى عادة باسم المؤلف ، وهو الشخص الذى قام بوصف النوع .

هذا ما فعله العالم الفنلندى الشهير فورسكال عندما طاف بشواطىء البحر الأحمر عام ١٧٦٩ فى اول محاولة لتصنيف اسماكه . فعندما ميز فى اسواق جدة سمكة من جنس ، استخدم الاسم الذى تعرف به السمكة بين السكان المحليين ـ وهو البهار ـ علماً على النوع الجديد ، فاصبحت تعرف علمياً بهذا الاسم : Lutjanus Bohar Forskal

لكن فورسكال لم يصف غير اقل من مائة من أسماك البحر الأحمر . وتتابعت المحاولات المماثلة بعد ذلك . فوصف « روبل » ٣٥١ نوعاً من أسماك البحر الأحمر عام ١٨٣٥ ، منها ما سبق أن وصفه فورسكال .

وتكررت هذه الظاهرة أكثر من مرة . وأصبح من المألوف ان يقوم باحثان أو أكثر كل على حدة ، بوصف نفس النوع أو الجنس ، الأمر الذى يتمخض عن وجود أكثر من اسم لنفس النوع أو المجموعة .

وساعد على ذلك ان بعض الاسماك تتمتع بالقدرة على تغيير الوانها والزخارف التى تغطيها ، حسب السن ، والجنس والموسم ، بل و « الحالة النفسية » ، بحيث يظنها الرائى نوعاً جديداً تماماً .

وضاعف من هذه المشكلة اتساع اهتمام غير المتخصصين ـ من صحفيين وكتاب وغواصين وسائحين ـ بشئون البحر . فقد مارس هؤلاء حريتهم فى تسمية الأسماك على أساس بعض الصفات الجسدية البارزة أو العادات التى اتيح لهم ملاحظتها . وواقع الأمر ان العلماء يتبعون نفس النهج فى التسمية ، لكنهم يراعون عندما يفعلون الفروق البيولوجية والفسيولوجية الدقيقة بين الأنواع والمجموعات وهو مالا يملك صنعه غير المتخصصين .

تسميات متعددة ومزيد من الارتباك

ومن الطبيعى ان الاسماء التى توصل اليها هؤلاء كانت سهلة ، مجردة من التعقيد والغموض اللذين يميزان الاسماء العلمية . ولهذا انتشرت بسرعة ، وشقت طريقها الى الكتب العلمية المبسطة ، والمقالات الصحفية ، رغم عدم دقتها فى أغلب الأحيان ، والارتباك الناشىء عن اختلاف لغات مبتكريها .

هكذا تحولت سمكة « البهار » فى الكتابات الغربية من :

Lutjanus Bohar

الى Two-Spot Snapper اى « النهاش ذى النقطتين » . وما لبث الاسم الجديد ان شق طريقه الى الكتابات العربية المترجمة بسبب عدم وجود ذلك المرجع الشامل الذى يمكن الاعتماد عليه .

ونالت اسماك البحر الاحمر اكبر نصيب من هذه التسميات العشوائية ، لما تتميز به من الوان صارخة وانمطة زخرفية جذابة . فاطلق اسم « الببغاء » على عدة انواع من الأسماك التى تاكل المرجان و تشبه الطائر المعروف فى الوانها واشكالها .

كما اطلق اسم « الملائكية » على عدة انواع تنتمى الى اربع عائلات مختلفة ، لا يجمع بينها سوى الملامح الوادعة لرؤوسها وحدث نفس الشىء بالنسبة لانواع عديدة اخرى من الأسماك التى تتميز بالوانها الصارخة وبالتكوين المفلطح المستدير لاجسادها ، اذ اصبحت تعرف جميعا باسم « سمكة الفراشة » . ونالت انواع اخرى متباينة اسما مشتركا هو « الزناد » لأنها تشترك فى امتلاك شوكتين على الظهر تعملان بنفس الطريقة التى يعمل بها جهاز التامين فى البندقية .

وتعددت التسميات الشائعة بالنسبة للسمكة الواحدة فى بعض الأحيان كما فى حالة سمكة « الجنخ » الجميلة السامة التى اكسبتها زعانفها المتعددة وشرائطها البديعة أسماء التنين والأسد والديك الرومى وزبرا .

وزاد من تعقيد الأمر بالنسبة لى ، ان النماذج المعروضة من أحياء البحر الأحمر فى متحفى الغردقة والاسكندرية ، تحمل الاسماء العربية المحلية فقط أو الاسماء العلمية اللاتينية وحدها ، أو لا تحمل اية أسماء على الاطلاق !

وبالاضافة الى هذا فان المراجع العربية المساعدة تكاد معدومة ، وما وقعت عليه اما كان متخصصا ذا طابع عام ، أو كتب لغير المتخصصين فاقتصر على استخدام التسميات الشائعة فى الكتب الأجنبية حينا لأنه أصلا لم يحفل بمعالجة البيئة المحلية او اكتفى باستخدام الاسماء المتداولة دون أن يفرق بين ما هو دارج منها وما هو فصيح مستقر فى الدراسات الاكاديمية ، حينا آخر .

ومما زاد الطين بلة ، ان بعض المترجمين يقوم باجتهادات عشوائية تتمخض عن مزيد من الاسماء الجديدة .



رائعة البحر الاحمر .. صورة مقربة للشعب المرجانية الناعمة ذات اللونين الاحمر والبرتقالى

محاولات رائدة ومتباينة

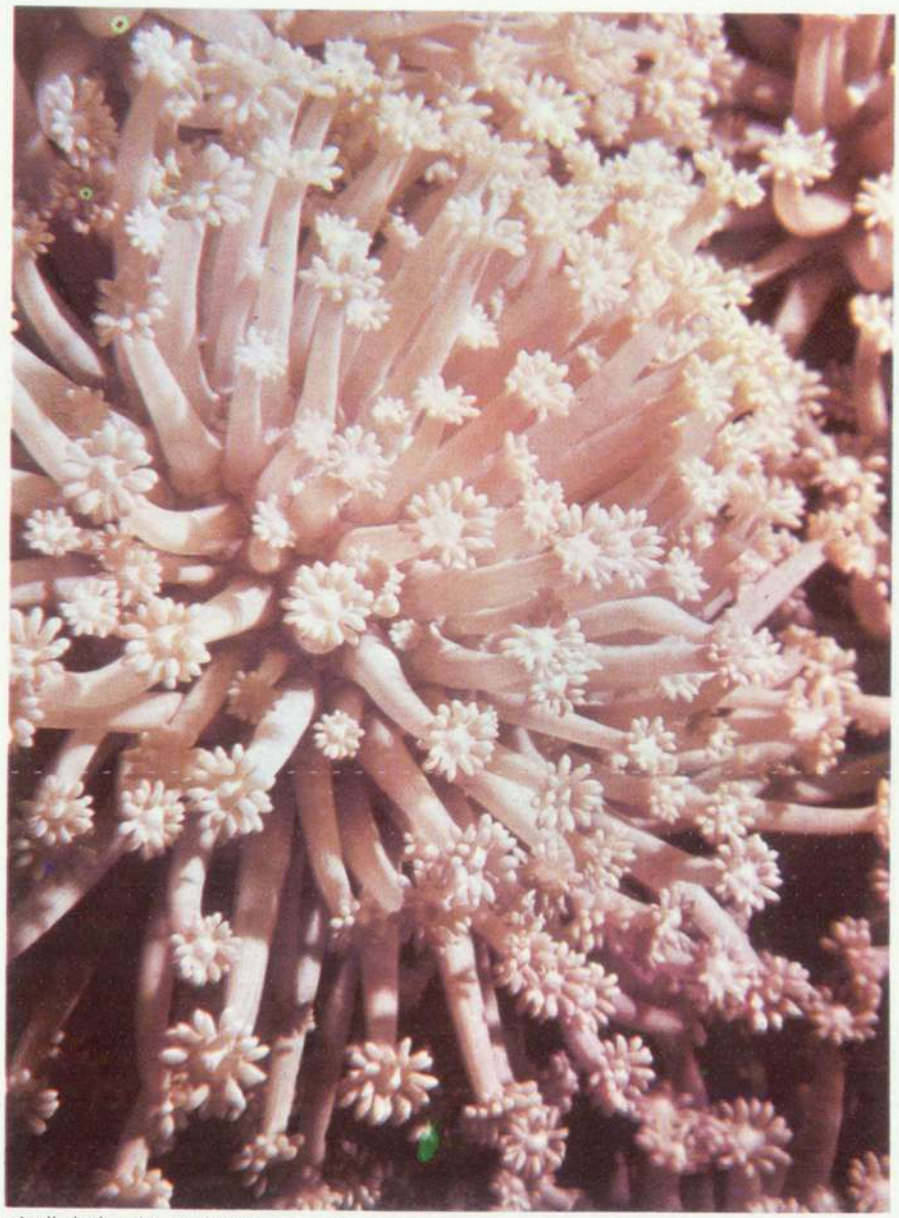
وقد أطلعت على ثلاث محاولات رائدة متباينة لحصر أحياء المياه العربية بصورة متكاملة . وأولى هذه المحاولات تقتصر على أسماك الانهار فى المغرب ، وقام بها معهد الدراسات والابحاث للتعريب بالتعاون مع ادارة المياه والغابات والمعهد العلمى الشريف ومعهد الصيد البحرى . ونشرت سنة ١٩٧٥ بالرباط بعنوان : « وحيش المغرب : أسماك المياه العذبة المغربية » ، متضمنة وصفا لكل عينة ومميزاتها الرئيسية ثم اسمها بالفرنسية والانجليزية والعربية الفصحى بالاضافة الى الأسماء المحلية عربية وبربرية .

والمحاولة الثانية خاصة بالبحر الأحمر ، وجرت فى اطار مشروع سواكن الثانى الذى قامت به وحدة الابحاث السودانية التابعة لكلية الآداب بجامعة الخرطوم ونشرت عام ١٩٧٠ بعنوان

Fauna of the Red Sea By : C. Amirthalingam والدراسة عبارة عن حصر تصنيفى مقتضب على استخدام الأسماء اللاتينية .

أما المحاولة الثالثة فقامت بها شركة أرامكو للبترول فى الظهران ، لتوصيف البيئات البحرية المختلفة فى منطقة الخليج العربى . وقد نشرت نتائج هذه المحاولة عام ١٩٧٧ تحت عنوان

Biotopes of the Western Arabian Gulf



باقة من المرجان الابيض تشبه ازهار الديزى

رحلة الحياة والموت في بحر ملون

وتلجأ هذه الدراسة عند تسمية الاحياء المائية فى الخليج الى الاسماء العلمية اللاتينية ومقابلاتها الشائعة بالانجليزية فى بعض الاحيان .

ومما يبعث على الاسى ألا ينشر هذا المرجع الهام باللغة العربية . وأن تعجز المواهب والامكانات العربية عن وضع مرجع مماثل عن البحر الأحمر ، رغم مرور اكثر من قرنين على المحاولة الرائدة للعالم الفنلندى فورسكال ، ورغم ظهور أجيال من العلماء العرب فى هذا الميدان .

وكان فى وسع الكتاب الذى أصدرته باللغة العربية المؤسسة المصرية العامة للثروة المائية فى الستينات بعنوان « مصايد البحر الأحمر » للدكتورين عبد الرحمن الخولى ومحمد أحمد عيسوى ان يسد هذا الفراغ ، لولا انه يقتصر على الأسماك والرخويات الاقتصادية ، وان التصنيف الذى اتبعه يثير اعتراضات عديدة من جانب المتخصصين .

ولا ينفى ذلك وجود عدد من الدراسات المستفيضة لمجموعات معينة من أسماك البحر الأحمر وحيواناته المرجانية والرخوية ، كانت مصدر عون كبير لى وفى مقدمتها دراسة عن « الاسماك المعقوفة الفكين » أعدها الدكتور حامد جوهر بالتعاون مع العالمة الامريكية يوجينى كلارك ونشرت بالعدد الثامن من « نشرة محطة الاحياء البحرية بالغردقة » سنة ١٩٥٣ ، بالاضافة الى الدراسات المستفيضة الأخرى للدكتور جوهر وتلامذته حول الحيوانات المرجانية والتى نشرت بهذه النشرة .

واغلب هذه الدراسات باللغة الانجليزية ، لكنها ارفقت بملخصات وافية باللغة العربية . وفى الحالتين ذكرت المترادفات الشائعة ، الأجنبية والمحلية ، للاسماء اللاتينية .

والواقع ان نشرة محطة الغردقة التى صدر أول عدد منها عام ١٩٣٨ ، حاملا نتائج أول رحلة علمية مصرية لاستكشاف البحر الأحمر على الباخرة الشهيرة « مباحث » سنة ١٩٣٤ ، اشتركت بها المجموعة الرائدة من شباب العلماء وبينهم « الماجستر حامد جوهر أفندي » و « الماجستر عبد الحليم نصر أفندى » ، تحت اشراف العالم الانجليزى كروسلاند ، تعتبر سجلا قيما للمجهودات الوطنية الأولى فى علوم البحار ، ولأجيال العلماء التى تتابعت عليه ، والتغيرات التى طرأت على البلاد نفسها وعلى أهداف البحث العلمى .

ومن الطبيعى ان امتد أثر هذه التغيرات الى « اسم » الجهة المصدرة للنشرة . فبينما صدرت الاعداد الأولى عن « محطة الأحياء بالغردقة التابعة لجامعة فؤاد الأول » ، فان الاعداد الأخيرة الصادرة فى أواخر السبعينات تحمل اسم « معهد علوم البحار والمصايد التابع لاكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا » ، الذى تتبعه محطات الغردقة والسويس والاسكندرية .

وللأسف فان الابهة التى ينطق بها اللقب الأخير ، لا تنطبق على ما طالعنى من تخلف واهمال عندما سعيت الى محطة الغردقة فى صيف عام ١٩٨٠ ، لرؤية مجموعتها من الأسماك والأصداف ، التى بدأ تكوينها على يد الدكتور جوهر فى منتصف الثلاثينيات .

وكانت زيارتى للمحطة ، التى يطلق عليها الأهالى اسم « محطة ابو دقن » ـ نسبة الى لحية الدكتور جوهر الشهيرة ـ قبل سنة من احتفالها بمرور نصف قرن على انشائها . وقد خرجت بانطباع اسوأ من زياراتى المتعددة للمكتبة والمتحف الملحقين بمحطة الاسكندرية .

وتطلب الأمر شهورا طويلة من المقارنة بين المراجع المختلفة ، من أجل تمييز بعض أنواع الاسماك والمرجانيات والاحياء الأخرى ، وتجميع التفاصيل اللازمة عن حياتها وعاداتها . وتلقيت عونا كبيرا فى هذا الصدد من مجلدين بديعين ، يتالفان أساسا من صور فوتوغرافية ملونة وبياناتها . Colourful Saudia والمجلد الأول بعنوان Red Sea يتالف من ١٢٩ صورة

ملونة جيدة للانواع المختلفة من الاحياء المائية المتوفرة فى الجزء السعودى من البحر الاحمر . واشترك فى اعداده مصور ألمانى يدير مركز الغوص فى جدة وعالم أحياء يعمل فى برنامج تنمية المصـــايد السعودية . ولا تحمل النسخة التى حصلت عليها اشارة الى تاريخ النشر أو اسم الناشر . وفى اعتقادى انه نشر فى السبعينات بواسطة الحكومة السعودية .

أما المجلد الثانى فبعنوان Coral Gardens ويتالف من ٩٦ صورة فنية بديعة ، التقطتها تحت الماء احدى المصورات العظيمات لعصرنا وهى الالمانية Leni Riefenstahl بعد ان تعلمت الغوص خصيصا فى سن الواحدة والسبعين !

وتغطى صور المجلد المذكور ألوان الحياة فى الشعاب المرجانية لثلاث مناطق مختلفة هى المياه السودانية من البحر الاحمر ، الجزء الكينى والتنزانى من المحيط الهندى ، والبحر الكاريبى . وقام بتحرير الكتاب اثنان من علماء الاحياء الالمان وصدر لأول مرة بالالمانية عام ١٩٧٨ ثم ترجم الى الانجليزية .

الأسماء مرة أخرى !

وخيل الى أخيرا انى قد تغلبت على مشكلة الأسماء ، لكنها لم تلبث ان برزت لى من جديد عندما بدأت مرحلة الكتابة .

فأى الاسماء أستخدم ؟ الاسم العلمى اللاتينى ، أم الاسم الشائع فى المراجع الأجنبية والمراجعات الصحفية والذى يمكن أن يكون ذا جاذبية للقارىء ، خاصة وانى لا أكتب لمتخصصين . أو أقتصر على الاسم العربى المتداول فى الأسواق وفى حياة الناس اليومية حتى ولو كان محدود الانتشار ببيئته الضيقة ، ويفتقـــد الجاذبية ؟ وفى هذه الحالة يتعين على أن أقول « المشيط » بدلا من « الفراشـــة » ، و « الحدية » و « الحريد » بدلا من « الببغاء » ، وهكذا .

وكان الاستاذ الدكتور حامد جوهر هو الذى حسم ترددى عندما سعيت اليه فى ربيع ١٩٨١ فى شقته المطلة على النيل من فوق ٢٧ طابقا ، استرشد برأيه . فلمـــاذا لا ندعوه بعلى أو أى اسم غير اسمه ؟ » .

والواقع انه مما لا يتفق مع المنطق ان نتحدث عن السمكة المعروفة فى البحر الأحمر باسم سمكة « العزازى » بالاســـم الذى يطلق عليها فى الكتب الأجنبيـــة ـ مهما كانت طرافته ـ وهو « ســـمكة بيكاسو » . أو ندعو سمكة القرش المعروفة بالقرنة ، « رأس المطرقة » أو «الشاكوش» ، كما فعل الدكتور فيليب رفلة فى كتـــابه « جغرافية المحيطات والبحار » .

ولن يخلو الأمر من المشاكل . فبعض الأحياء أسماء متباينة من مكان لآخر مثل سمكة الكشر التى تعرف فى مياه جدة باللوطى ـ وهو نفس الاسم الذى عمدها به فورسكال ـ بسبب ألوانها الساطعة وسلوكها عندما تعلق بالشص ، بينما يطلق عليها أهالى الشاطىء المصرى المقابل اسما عكسيا تماما هو « كشر شريف » !

لكن كافة المشاكل يمكن ان تحـــل اذا ما توفر الحصر الشامل باللغة العربية على النهج الذى حققته المغرب بالنسبة لاسماك الانهار .



الربيع فى البحر الاحمر .. حيث نرى دودة تتفتح كوردة بيضاء

وهى مهمة عاجلة يجب أن تتصدى لها على الفور الدول العربية الواقعة على البحر الأحمر ، والهيئات المعنية فى الجامعة العربية واليونسكو .

كى لا تنقرض هذه الثروات النادرة !

ويتصل بهذه المهمة مهمة أخرى لا تقل أهمية وهى حماية أحياء البحر الاحمر من الاخطار التى تتهددها .

وهى ـ أيضا ـ مهمة عاجلة .

ووجه العجلة فى الأمر ان هذه الاحياء تمثل ثروة علمية واقتصادية بالغة الأهمية وانها مهددة الآن بالضياع والانقراض .

رحلة الحياة والموت في بحر ملون

فالاحياء التى تسكن مياه البحر الاحمر تمثل كافة درجات سلم التطور الحيوانى ، منذ بدأ قبل مئات الملايين من السنين ، رغم ان البحر نفسه لم يبرز الى الوجود الا منذ ٥٠ مليون سنة فقط ، عندما انفصلت الكتلة الافريقية عن الجزيرة العربية .

وعلى مدى ملايين السنين تراكمت على جانبيه الهياكل الجيرية لعدد من الحيوانات ـ يتصدرها المرجان ـ التى تتمتع بالقدرة على امتصاص املاح الكالسيوم من الماء ، واعادة افرازها من جديد فى هياكل متنوعة السمك والشكل تحيط بها نفسها .

ومن هذه التراكمات تكونت جدران هائلة سميكة هى المعروفة بالشعاب المرجانية ، أوت الى ثناياها أعداد غفيرة من الاف الانواع من الكائنات .

وامثال هذه الشعاب توجد فى اماكن كثيرة من عالمنا : حول استراليا ، وفى البحر الكاريبى ، وعلى شواطىء المحيط الهندى ، بل والبحر الابيض المتوسط .

لكن الطبيعة خصت البحر الاحمر وشاطئيه اللذين يمتدان أكثر من الفى كيلومتر ، بعدد من أقدم هذه الشعاب وأكثرها تنوعاً فى الالوان واشكال الحياة وذلك بسبب ما تتمتع به مياهه من خصائص فريدة على رأسها الدفء وثبات درجة الحرارة ، وزيادة درجة الملوحة وانعدام الأمطار .

بل إن جامعة ميريلاند الامريكية أعلنت أخيراً ان منطقة رأس محمد ـ على الشاطىء المصرى ـ تضم اندر مجموعة من الشعاب المرجانية فى العالم كله !

ومع ذلك فان شعاب رأس محمد وبقية شواطىء البحر الاحمر بل والخليج العربى ايضاً تتعرض للدمار اليومى بسبب عمليات الصيد غير المشروعة التى قضت ـ بالفعل ـ على شعاب منطقة الغردقة .

واليابان لا تملك شعاباً مرجانية يعتد بها لكنها حظرت الصيد فى ستين منطقة حول شواطئها تنتشر فيها هذه الشعاب ، وخصصت هذه المناطق لهواة الغوص وعلماء البحار .

أما البحر الاحمر والخليج العربى فلا توجد بهما منطقة واحدة من هذا النوع .

على ان الخطر الاكبر على الشعاب ياتى من مصدر اخر .

فمحور الحياة فى الشعاب هو حيوان ضئيل للغاية ، ولا يزيد قطره احياناً عن ملليمترات قليلة ، ولا يتجاوز ارتفاعه عدة سنتيمترات ، ويتواجد غالباً فى مستعمرات من عدة مئات أو الاف ، هو البوليب المرجانى الذى يقوم بالدور الرئيسى فى بناء الشعاب بفضل افرازاته الجيرية .

وهذا الحيوان الجميل الذى يتجلى فى الوان زاهية ، شديد الضعف والحساسية بحيث تكفى لمسة من انسان أو حفنة من رمال للقضاء عليه .

ولنا أن نتصور ما يمكن أن تحدثه فى هذا الحيوان النفايات التى تتخلص منها السفن فى عرض البحر ، أو التى يلقى بها سكان الشواطىء ، من قاذورات وفوارغ وزجاج وأكياس بلاستيكية .

والأخطر من ذلك هو البترول الذى يتسرب من الناقلات أو مناطق الانتاج .

وقد اثبتت الابحاث التى اجرتها محطة السويس لعلوم البحار فى السنوات الاخيرة ارتفاع درجة تركيز البترول الذائب فى مياه البحر الاحمر ، وخاصة فى المناطق التى توجد بها ابار منتجة . كما اثبتت خطورة ذلك على الاسماك والاحياء المائية اذ تؤدى الى وفاة نسبة تتراوح بين ٤٠ و ١٠٠ فى المائة من الاحياء الدقيقة وخاصة البيض ، كما تؤدى فى النهاية الى دمار الشعاب المرجانية النادرة .

وتؤكد هذه الابحاث ان بعض انواع الرخويات والمحار تمتص جزيئات عضوية من المواد البترولية ، فتتركز فى اجسادها هذه المادة مع ميكروبات ضارة يمكن أن تكون مصدر خطر للانسان .

ورغم ان العلماء الذين أعدوا كتاب شركة « ارامكو » السابق الاشارة اليه قد وضعوا لأنفسهم مهمة دراسة تأثير البترول على البيئات البحرية ، الا انهم تجاهلوا الحديث عن هذه الاضرار ، واكتفوا بتسجيل الاشكال الجديدة من الكائنات المائية التى نمت حول هذه المادة .

والخلاصة ان الوقت قد حان لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحد من تلوث البيئة على الشواطىء العربية وخاصة شاطىء البحر الاحمر .

فى انتظار « اكسفورد » و « كوستو » عربيين !

والغريب ان الدول العربية جميعاً دول بحرية ، لكنها لا تكاد تتذكر هذه الحقيقة الا عندما تفكر فى منح بعض القواعد الحربية لدول أخرى !

حقاً انه توجد بعض مشروعات للصيد أو السباحة هنا وهناك ، لكن هذه المشروعات نفسها لا تتناسب مع حجم الامكانيات الهائلة للمياه العربية .

وفيما يتعلق بالبحر الاحمر ، فان ثرواته الضخمة من الأسماك وزيوتها والاسفنج والقشريات والاصداف ومحار اللؤلؤ والنباتات المائية والطحالب والاملاح المعدنية لم تستغل بعد كما يجب .

والأدهى من ذلك ان المواطن العربى العادى لا يكاد يعرف شيئاً عن بيئته البحرية لأن احداً لم يعن بتعريفه بها .

وبالمقابل فان المواطن فى الدول الغربية مثلاً تقدم له كافة المعلومات عن بيئته الطبيعية ، فى المراحل العمرية المختلفة ، بواسطة الدولة والمؤسسات الخاصة .

ومن النماذج الفريدة التى أطلعت عليها فى هذا الصدد ، كتاب ينتمى الى نوع الكتب العلمية المبسطة صدر سنة ١٩٧٦ عن دار Hamlyn الانجليزية ، اسمه Underwater Life كتب مادته والتقط صوره عالم احياء انجليزى هوى التصوير السينمائى لعوالم الطبيعة والحيوان ويدعى Peter Parks .

ويقوم الكتاب برحلة استكشاف من داخل قطرة الماء الى أعماق المحيط ، بواسطة قرابة ٣٠٠ صورة ملونة بديعة ، وسرد مشوق لأكثر الحقائق والظواهر العلمية تعقيداً . وهو أحد المجلدات فى سلسلة بعنوان

The World You Never See

تركز على تلك الجوانب من الطبيعة التى لم يسبق رؤيتها الا نادراً ، وربما لم يسبق تصويرها على الاطلاق . وقد أعدته مؤسسة فريدة بدورها هى مؤسسة Oxford Scientific Films التى تخصصت فى انتاج الافلام عن الطبيعة ، ووصفتها التايمس اللندنية بانها : « أكثر الوحدات السينمائية فى مجال علم الأحياء تقدماً من الناحية التكنيكية فى العالم » .



حدائق البحر الأحمر الغناء مليئة بالشعب المرجانية البرتقالية

وتستغل المؤسسة المذكورة المادة العلمية الفلمية المجمعة بصورة ناجحة ، سواء على صعيد نشر المعرفة على مستويات مختلفة ، او على صعيد الربحية ومضاعفة العائد المادى لنشاطها .

فالى جانب ٥٠ برنامج تليفزيونى ومائة فيلم تعليمى ، حتى الآن ، وسلسلة المجلدات الثمينة الصادرة عن دار Hamlyn ، والتى تخاطب البالغين من القراء والمشاهدين ، تقدم المؤسسة نفس المادة مجمعة بطريقة مختلفة فى سلسلة أخرى تخاطب الشبان والفتيات بعنوان Nautre in Action تصدر عن دار Purnell الانجليزية في مجلدات صغيرة يتناول كل منها احدى ظواهر الحياة النباتية والحيوانية (التكاثر ، الحياة الاجتماعية ، النمو ، البحث عن الغذاء) .

وتعود لتقدم نفس المادة بشكل مبسط للغاية للاطفال الصغار فى سلسلة أخرى بعنوان Nature's Way صادر عن دار André Deutsch ، يقتصر كل مجلد منها على احدى الظواهر الشائعة فى البيئة مثل دورة حياة الفراشة ، والنحل والعسل ، وحياة سمكة نهرية .

وفى نفس الوقت تبيع المؤسسة لمن يشاء شرائح ملونة للقطات الفيلمية الاصلية .

ويعجب المرء ـ امام نموذج كهذا ـ كيف أن الأموال والمواهب العربية تعجز عن انشاء مؤسسة مماثلة ، ولو بدافع الربح الخالص .

ومثل هذه المؤسسة يمكن أن تقوم على أكتاف وحدة سينمائية صغيرة تتالف من مصور وعالم احياء ، ولدينا منهما المئات . ويمكن مضاعفة عدد الوحدات بحيث تتخصص كل واحدة فى جانب من البيئة : البحار، والانهار ، الصحارى ، الوديان ، الغابات ، الغلاف الجوى .

وثمة نموذج اخر مثير يتمثل فى غواص فرنسى عجوز اسمه Jacques-Yves Cousteau

وقد تعلم كوستو (ولد سنة ١٩١٠) الغوص وهو فى العاشرة من عمره وفيما بعد استطاع أن يستغل غرامه بالبحر فى مجموعة متشعبة من النشاطات المفيدة والمربحة فى الوقت نفسه .

فقد كون فريقا لابحاث الاعماق فى طولون ، وتوصل لنتائج هامة فى مجال التنقيب عن الآثار المدفونة فى أعماق البحار ، واخترع جهاز الغوص المائى المعروف باسم الرئة البحرية سنة ١٩٤٣ الذى أحدث ثورة فى مجال البحوث البحرية ، وقاد سفينة Calypso للاستكشافات البحرية منذ عام ١٩٥٠ ، وابتكر طريقة لاستخدام التليفزيون تحت الماء ، ثم كتب وانتج عدة افلام عن أعماق المحيطات ، وسجل مشاهداته وتجاربه فى عدة مجلدات .

ورغم أن كوستو لا يمل فى كتبه الحديث عن نفسه والدعاية للاجهزة التى ابتكرها ، فانها كانت مصدر عون كبير لى وخاصة الكتاب الذى خصصه للشعاب المرجانية فى البحر الأحمر والمحيط الهندى .

وفى الثانية والسبعين من عمره ، يدير كوستو الآن متحف علوم الاحياء المائية بموناكو (منذ سنة ١٩٥٧) ويرأس جمعية دولية تحمل اسمه ، وهو يقوم هذه الأيام ـ رغم مأساة فقدانه لابنه فيليب الذى كان ساعده الايمن فى كل اعماله ـ بحملة لجمع عدة ملايين من الدولارات من أجل انشاء مركز جديد لابحاث المحيطات فى الولايات المتحدة .

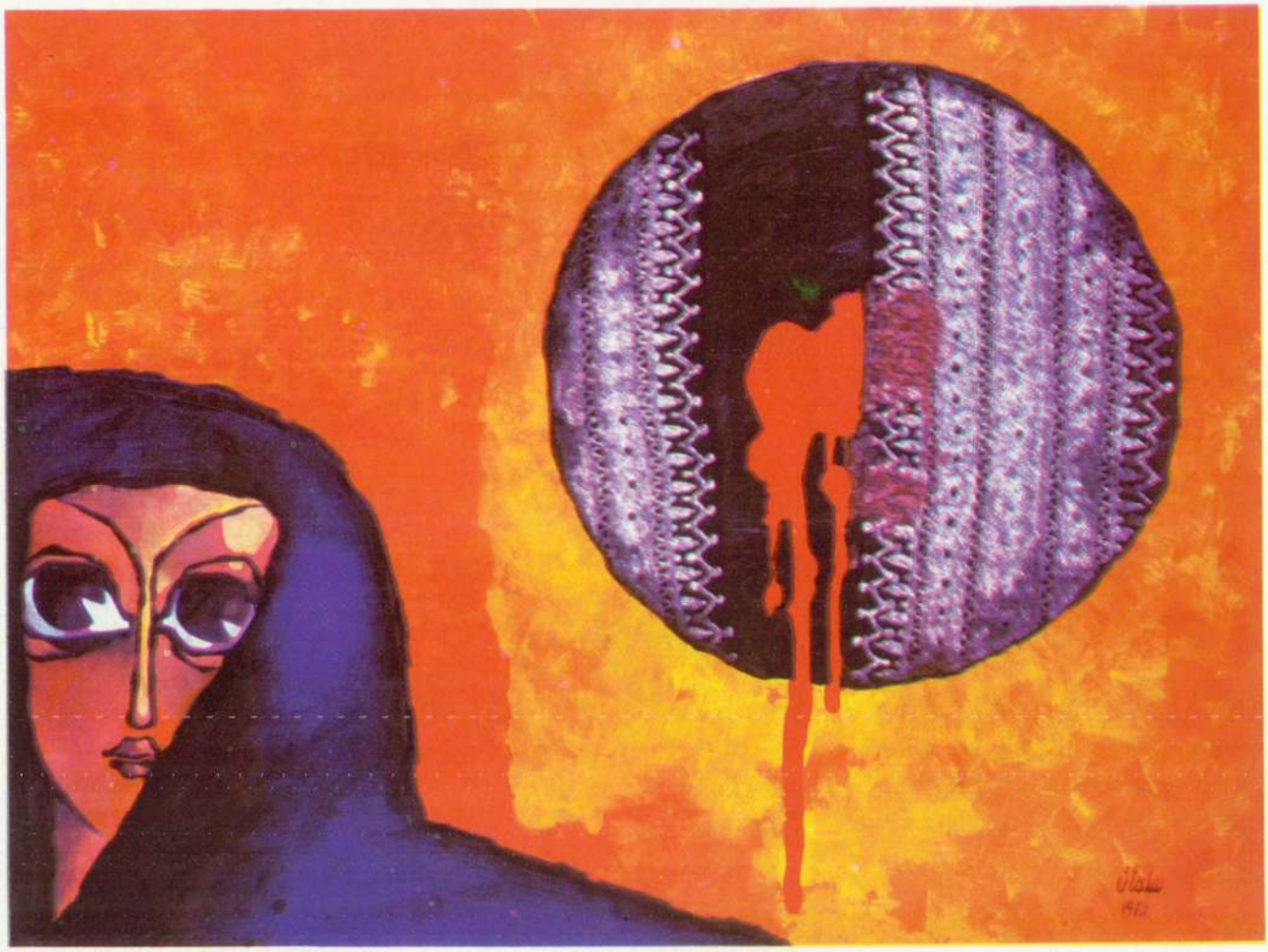
ولست أعرف كم يبلغ طول الشواطىء البحرية العربية .

لكن المؤكد انها يمكن ان تتيح مجالا كافيا لالاف الغواصين العرب .

فما أجدرنا بعربى مثل كوستو !

وما أشد حاجتنا الى مؤسسة عربية كاكسفورد !

صنع الله ابراهيم

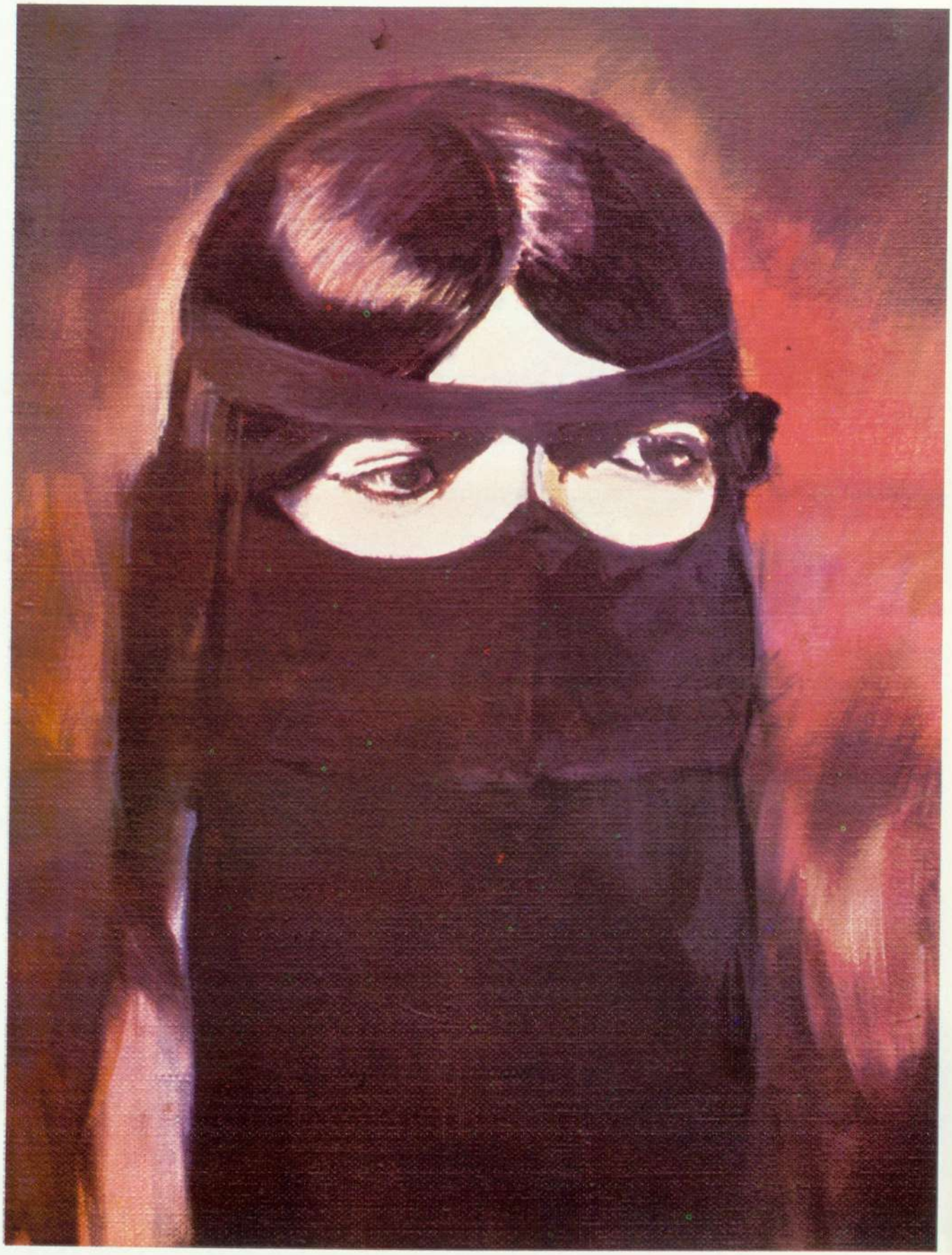


عندما تنزل الكتلة : للفنان سلمان المالكى

ألوان البيئة والتراث
في لوحات الفنانين القطريّين

بقلم : حسن الملا

يأتى المعرض الثانى للجمعية القطرية التشكيلية مكملا للمعارض السابقة التى أقامها الفنانون التشكيليون القطريون ، تأكيداً لاستمرار الحركة التشكيلية فى قطر التى نشطت منذ البداية نتيجة لاهتمام الدولة ودعمها المادى والمعنوى للحركة الفنية حتى تشق طريقها الذى يرضى طموح الفنانين ويحقق الأهداف الرامية إلى ابراز الوجه الفنى المتالق فى دولة قطر .



بدوية : عيسى الغانم

ألوان البيئة والتراث
في لوحات الفنانين القطريين

المحاولات الابداعية

وقد افتتح هذا المعرض سعادة الأستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام ، وحضر حفل الافتتاح عدد كبير من المسئولين وأعضاء البعثات الدبلوماسية والمهتمون بالفنون التشكيلية ..

والواقع أن اهتمام الدولة بالفنان القطري يأخذ أكثر من اتجاه ، فهناك المراسم الحرة التي تفتح أبوابها للفنانين المحترفين والهواة على حد سواء ، وأيضاً لكل الراغبين في تنمية مواهبهم الفنية . وهناك أيام محددة للمرأة في المرسم الحر لتنمية هوايتها الفنية واكتساب الخبرات الفنية اللازمة ..

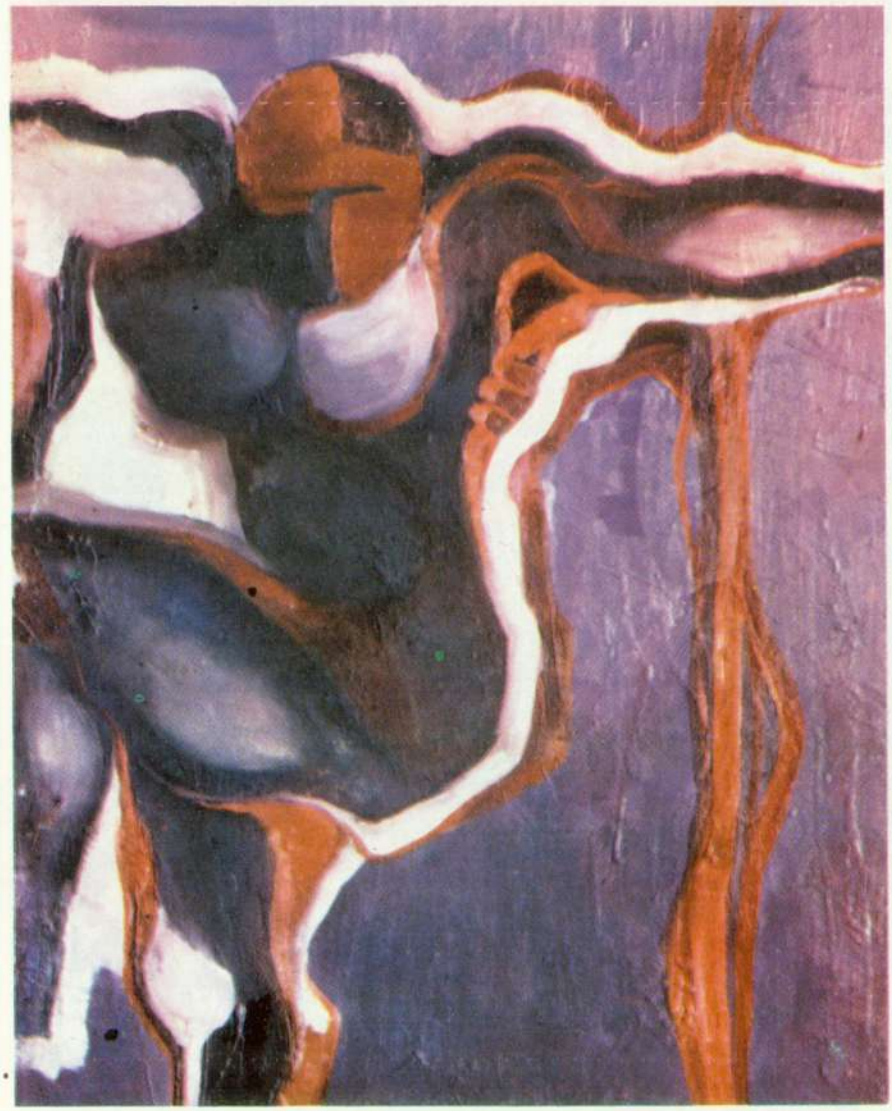
وبخلاف المراسم الحرة ، نجد أن كافة الأبواب مفتوحة أمام الشباب القطري لدراسة الفن في الخارج ، ولاقامة المعارض الفنية في الداخل والخارج من أجل تحقيق هدف التعرف على مصادر الابداع في المنطقة ..

والملاحظ أن المحاولات الابداعية عند الفنان القطري تجدها دائماً تلقائية وذاتية فهو يستلهم موضوعات لوحاته وألوانها وبناءها الفني من واقع المشاهدات البيئية التي يحياها ومن الحرف التقليدية التي وضع فيها الأجداد كافة فنونهم البسيطة الرائعة ، وهو لا يميل في معالجته للموضوع إلى أي افتعال ، وتشعر دائماً بتعمقه الوجداني وميله إلى تقديم كافة التفاصيل عن إنسان المنطقة والطبيعة والعادات والتقاليد الأصيلة بدون أية مبالغة أو تزويق أو ميل إلى الغربة والبعد عن المحلية .

ولعل هذا الأسلوب ـ الذي وضعه الفنان القطري نصب عينيه ـ هو أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى ترسيخ المفاهيم التراثية في أعمال الفنانين التشكيليين القطريين .. وان هناك عدداً قليلا من الفنانين القطريين قد انتهجوا تيارات التجديد كمعالجة شكلية فقط ، في نفس الوقت الذي جاءت فيه موضوعات لوحاتهم معتمدة على التراث ، ورأينا في ألوانهم ذلك الزخم الذي تزخر به الوان البيئة والذي يميز الفنان القطري عن غيره في معظم الأعمال التي يقدمها !



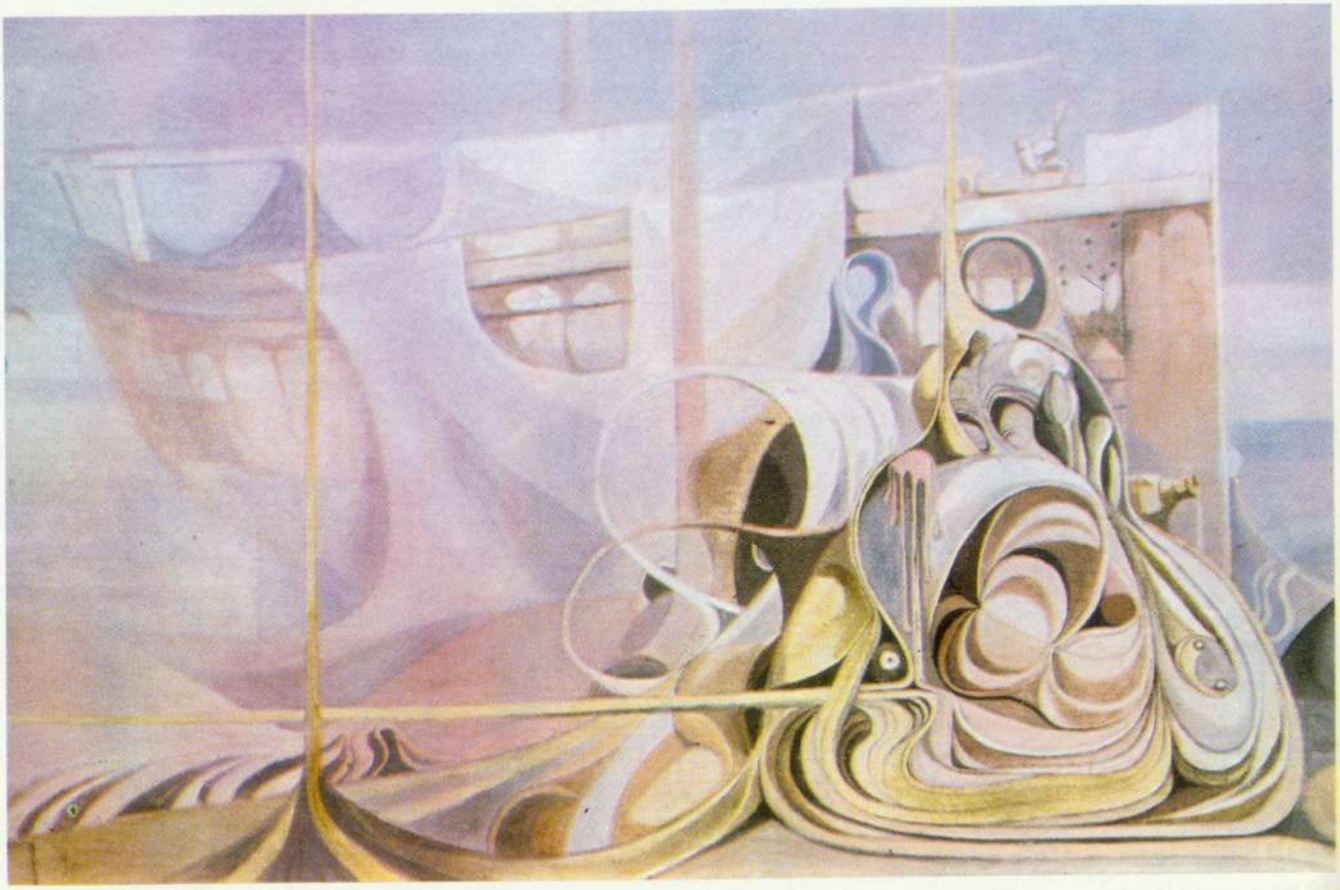
خط عربي : يوسف احمد



انطلاقة : فرج الدهام



الدار الحزينة : جاسم زيني



اعماق الخليج : ماجد هلال

ألوان البيئة والتراث
في لوحات الفنانين القطريين



منظر بحرى فى قطر : احمد زينى

الفنانون المشاركون

وقد شارك في المعرض الثاني للجمعية القطرية عدد من اهم الفنانين القطريين ، في مقدمتهم جاسم زيني وهو من مواليد عام ١٩٤٢ ، ودرس الفن في بغداد ، وكان ومازال التراث والتقاليد والعادات القطرية هي محوره الذي يرتكز عليها انتاجه ، فهو يعالج باستمرار البيئة باسلوب اقرب إلى التأثيرية المتحررة كما راينا في لوحته « للنساء فقط » التي شارك بها في المعرض ضمن أربع لوحات .. أما لوحاته الثلاث الأخرى فقد لجأ فيها الى التكعيب والرمزية وقد بدا ذلك واضحا في لوحة « الدار الحزينة » التي أدخل على موضوعها بعض الحروف العربية بغرض خدمة الفكرة ، وايضا في لوحة « من وحي السماء » التي استخدم فيها الأدوات الشعبية كالخيش ، وكان من قبل قد استخدم المسامير والقماش في بعض لوحاته حتى يعمق صدق البيئة التي يعبر عنها ..

البراءة .. والخط العربي

وإلى جوار الفنان جاسم زيني شارك هؤلاء الفنانون في المعرض الثاني للجمعية القطرية للفنون التشكيلية !

● علي الشريف .. وهو فنان متمكن ، يهتم بالطبيعة ، ويضيف إليها من احساسه والوانه المتميزة ، ويميل احيانا إلى التأثيرية كما في لوحاته « بورتريه » التي قدم فيها طفلة صغيرة تشعر وانت تراها بالعالم الخاص البريء للطفولة التي لم تواجه بعد مشاكل الحياة المستعصية .. وقد اشترك الفنان في المعرض بهذه اللوحة وثلاث لوحات أخرى هى : منظر من الصحراء ، في الخامسة عشرة ، منظر في الليل ..

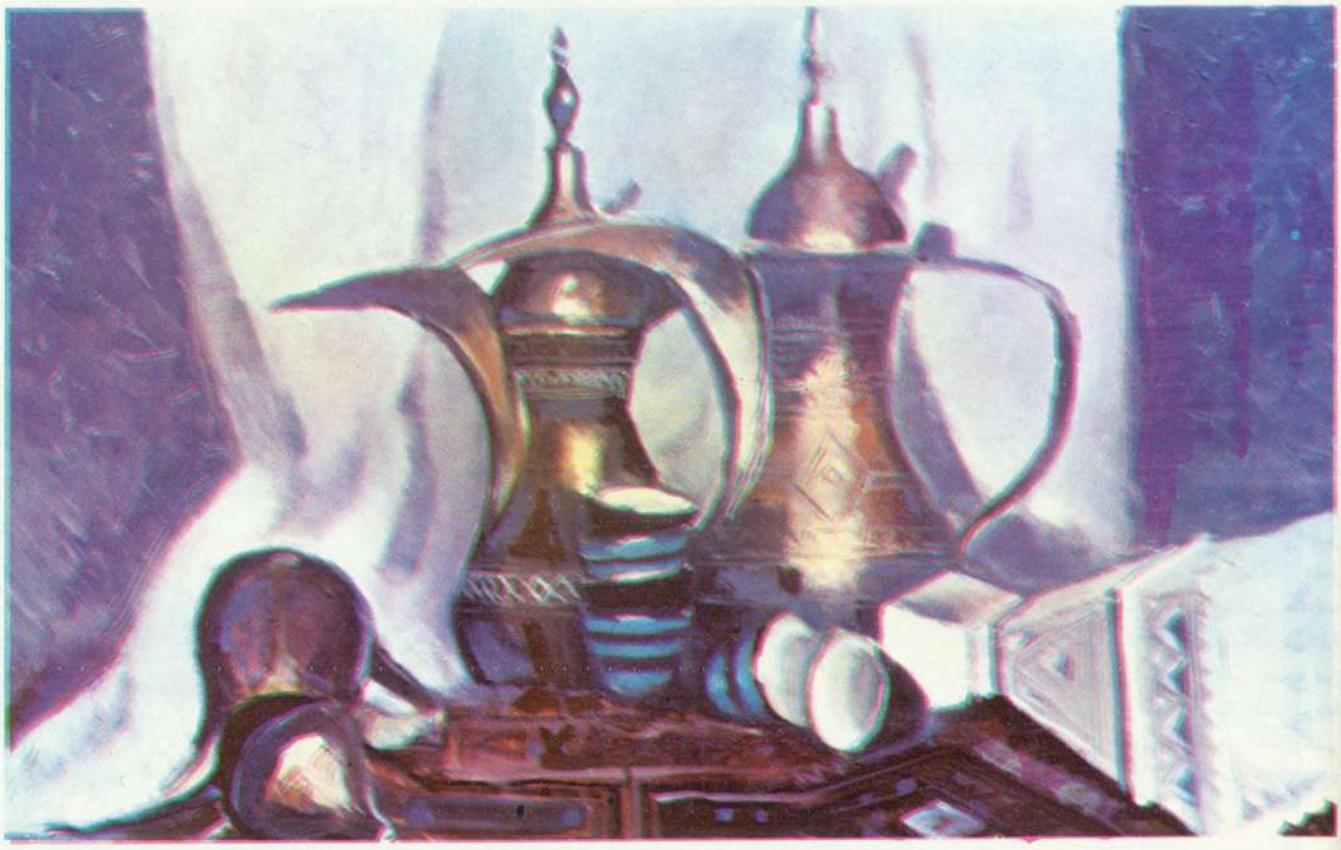
● يوسف الشريف .. الذي نلاحظ من تتبع أعماله مدى التطور الذي حققه في لوحاته الأخيرة ، وهذا نتيجةجهوده الذاتية التي لا تتوقف في معايشة الفنانين والبحث في الفنون العالمية ومحاولة الدراسة على الطبيعة وفي الواقع حتى يعطي لفنه الاحساس الصادق .. وقد شارك في المعرض بثلاث لوحات هي : نهضة قطر ، مجلس عربي ، من البراري ..

● يوسف أحمد .. وهو فنان أصيل .. له ابحاث في الخط العربي أعطت للوحاته شخصية عربية اسلامية ، وأصبح أسلوبه علامة بارزة في مسيرة الفن التشكيلى العربي .. وقد شارك في هذا المعرض بخمسة أعمال جرافيك ..

● فرج دهام .. فنان ملتزم بما يدور حوله من احداث .. مرتبط ارتباطا وثيقا بقضايا المجتمع القطري بوجه خاص والمجتمع العربي بوجه عام والقضايا المصيرية الراهنة .. وقد اشترك الفنان بثلاث لوحات زيتية هي : « المخاض » التي استلهم موضوعها من الوضع الراهن لأمتنا العربية . ولوحة « طفولة » التي قدم لنا فيها طفلة مشردة شوهتها الحرب .. ولوحة « انتماء » لرجل ملتصق بأرض وطنه ولا



على شاطىء الدوحة : حسن الملا



طبيعة صامتة : محمد علي

ألوان البيئة والتراث
في لوحات الفنانين القطريين

يرضى بأرض غير أرضه ، وفي هذه اللوحة تستطيع أن تتعرف على قضية الانسان الفلسطيني ..

● محمد علي .. وهو من الفنانين الذين برزوا في كافة المعارض التي شاركوا فيها ..

الخاصة في تشكيل ما يراه أمامه كالطبيعة الصامتة .. وفي لوحته « من وهج الصحراء» التي رسمها لامرأة من البادية ترتدى غطاء الوجه المشهور باسم «البرقع» ترى امكانياته الفنية والجمالية وعدم تردده في استخدام الألوان التي عبرت عن الموضوع في شاعرية مرهفة ..

● ماجد هلال .. اشترك لأول مرة باربع لوحات زيتية ، وهو ذو موهبة حقيقية في التسجيل الطبيعي ، ويسيطر على الألوان بمقدرة في التنويع والتكوين الشفاف الهادىء الذي تلحظه على وجه الخصوص في لوحة « أعماق الخليج » التي حاول فيها أن يمزج بين الأسلوب الرمزي والطبيعي ..

● سلمان المالكي .. اشترك في المعرض بلوحتين هما : عندما تنزف الكتلة السوداء ووجوه بلا ملامح .. وهو يميل في لوحاته إلى الأسلوب الساخر (الكاريكاتير) وهو نفس الأسلوب الذي تعودناه في لوحاته في الصحف القطرية ..

● أحمد زيني .. اشترك لأول مرة بلوحات تمثل محاولات على الطريق ..

● وضيفة سلطان .. اشتركت بلوحة واحدة فقط ، استخدمت فيها « الباستيل » و « الجواش » وكانت لوحتها تجمع بين المرأة القطرية وارتباطها بالبيئة وتاريخ الأجداد ..

● حسن الملا .. كاتب المقال .. الذي اشترك بست لوحات .. ويميل إلى أسلوب ما بعد التأثير .. ويعالج موضوعات البيئة بنفس الوانها في الواقع ..



من البراري : يوسف الشريف



جاسم زيني



يوسف احمد



محمد علي



يوسف الشريف



احمد زيني



حسن الملا



علي الشريف



عيسى الغانم



فرج الدهام



ماجد هلال

وفي هذا المعرض اشترك بلوحة واحدة هي « طبيعة صامته » والتزم بأسلوبه في معالجة موضوعات البيئة ذات الطابع التأثيري ..

● عيسى ماجد الغانم .. فنان له رؤيته

الفنانون الغائبون

وبخلاف هؤلاء الفنانين ، نلاحظ أن هناك أسماء غابت عن المعرض ، رغم دورها البارز في المعارض السابقة والحركة التشكيلية القطرية منذ نشأتها ، مثل محمد الكواري وسلطان السليطي وسلطان الغانم وسيف الكواري وبدرية جاسم .. ونأمل أن نراهم في معارضنا القادمة حتى نواصل جميعاً المسيرة الفنية التي بدأت منذ عشر سنوات بكل جهد ونشاط .. ونأمل ـ أيضاً ـ أن تعود فكرة معرض الاصدقاء الثلاثة ومعرض الهواء الطلق وغير ذلك من المعارض الجماعية والشخصية التي تربط الفنان بالجمهور بصورة أوسع وتعمل على ايصال رسالة الفن إلى كل مواطن في البلاد

حسن الملا

كتاب الشهر

حياة قصيرة













تأليف :
كاتيكا ماتسون
عرض وتلخيص :
صلاح أحمد حسن

كانوا نجوماً ساطعة فى سماء النجاح والشهرة والثروة ... ولكن هذه النجوم انطفأت بسرعة بعد حياة قصيرة ... وعلى هذه الصفحات قصة ستة من أصحاب هذا المجد اللامع والانطفاء السريع ... فى الأدب والمسرح والسينما والغناء .

كتاب الشهر

حياة قصيرة





لقطتان لمارلين مونرو مع زوجها الكاتب المسرحى ارثر ميللر .. ثم مع الممثل المعروف « إيف مونتان » الذى مثلت معه فيلمها قبل الاخير .

مارلين مونرو ١٩٢٦ - ١٩٦٢

« لو تذكر الناس أننى انسانة أيضاً ، لتغيرت نهاية القصة » .

أطلق عليها « رمز الحب فى عصر الذرة » و « رمز الاغراء » و « اسطورة القرن » أو ببساطة « م . م » . مثلت حوالى ثلاثين فيلماً هى حصيلة عمرها الفنى البالغ ثلاثة عشر عاماً . وبرغم أن معظم افلامها كانت من الطراز العادى ، إلا أن قوة سحرها جعلت أعمالها أكبر افلام الشباك فى الخمسينات . أما موهبتها ومقدراتها التمثيلية فلم تجد من يتحدث عنها لأن الاغراء الذى كانت تتربع عليه أغنى الناس عن ذلك . كان ذلك هو الفصل الأول من عذابها . الفصل الثانى هو خوفها من أن يذبل جمالها الأسطورى ، وبين طرفى تلك المعادلة أدمنت الكحول وتعاطت المهدئات وعانت طول السهر ثم قتلت نفسها .

نورما جان بيكر ، التى عرفها العالم فيما بعد باسم مارلين مونرو ، ولدت فى الأول من يونيو ١٩٢٦ بمدينة لوس انجلوس ، الابنة غير الشرعية لغلاديس بيكر و س . ستانلى ترعرعت نورما فى ملاجىء الايتام بعدما ادخلت امها مصحة عقلية وعجز والدها عن حمل عبء تربيتها .

« أحلم بالجمال . أحلم بنفسى ابعثر السحر قوانا شتى ، أدير الرؤوس واسمع الناس يتهامسون : « ها هى ! انظروها » .

تزوجت مارلين فى سن السادسة عشر من جيم دورتى ، بحار ايرلندى فى الثانية والعشرين من عمره . وفى احدى اجازاتهما إلتقت بمصور فوتوغرافى اقنعها بالعمل لمجلته كموديل وعلمها فن المكياج فصبغت شعرها لوناً أشقر ذهبياً وسرعان ما ظهرت صورها على خمس مجلات فنية كبرى . ثم بدأ اسمها يلمع قليلا فقليلا ، وبعد عامين من زواجها حصلت نورما بيكر على الطلاق من الايرلندى الوسيم . وفى عام ١٩٤٦ استطاعت أن تدخل ستوديوهات « فوكس للقرن العشرين » باجر قدره ٧٥ دولاراً فى الشهر ثم غيرت اسمها إلى مارلين مونرو

« أنا امرأتان . إحداهما نورما جان بيكر التى ترعرعت فى ملجأ اليتامى ولا تنتمى لاحد ، والثانية مارلين مونرو التى لا أعلم عنها شيئا غير انها تنتمى الى البحر والسماء والعالم أجمع » .

بعد القيام بتمثيل أدوار ثانوية فى فيلمين لشركة « فوكس » قررت الادارة فصلها لافتقارها إلى الموهبة ولأن وجهها ـ على حد تعبير الادارة ـ لم يكن سينمائياً بما يكفى ، وعادت مارلين إلى العمل كموديل . سوى أن جو شينك ، أحد عواجيز شركة « فوكس » هام بحبها واستخدم نفوذه ليجد لها عملا بشركة « كولومبيا » التى قررت بعد ستة اشهر فصلها لتعود مرة أخرى الى الفوتوغرافيا حتى التقت بجونى هايد ، أحد أبرز عملاء ستوديوهات هوليود .

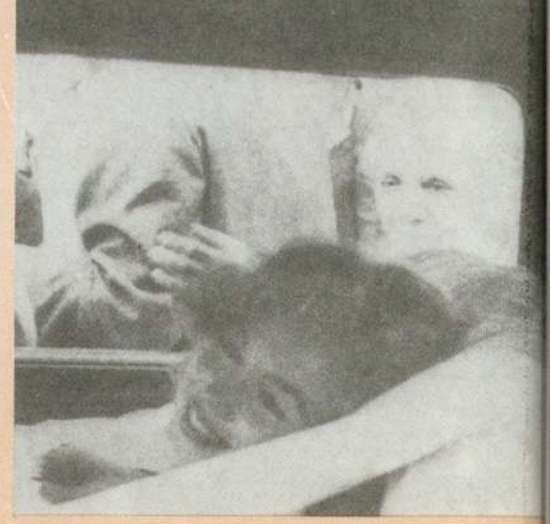
استطاع هايد أن يقنعها باجراء عمليتى تجميل لانفها وفكها وكانت هى أول من دهش للنتائج . أعقب ذلك أن ظهرت فى فيلمى « غابة الأسفلت » و « كل شىء عن حواء » اللذين مهدا الطريق امامها لتوقيع عقد مع شركة « فوكس » بمبلغ ٧٥٠ دولاراً فى الأسبوع .

قبل عرض فيلمها الخامس عشر « صراع الليل » وزع المنتج صورة قديمة لمونرو لم تكن فيها « كاملة الاحتشام » مع اعتراف خطى بانها فعلت ذلك « من أجل المال » . حقق « صراع الليل » دخلا خرافياً وطارت مونرو الى سماء الشهرة على جناحى فضيحة .

« كما كافحت طويلا لسبر أغوار السينما ، اكافح الآن لأجد مكاناً لنفسى ولموهبتى لأننى لا انوى ان اظل طيلة حياتى سلعة للبيع فى سوق السينما »

وهكذا استطاعت مونرو أن تمنح الحق فى اختيار ما يناسبها من الأدوار وأن ترفع أجرها الى ١ر٢٠٠ دولار عن الفيلم رغم أن ذلك كلفها أن تتوقف عن العمل فترة من الوقت . أثناء تلك الفترة تزوجت جو دى ماغيو ، المحافظ فى طباعه والذى حاول جهده أن يقنعها باعتزال السينما والتفرغ لمهامها الزوجية فطلقته وقالت ـ اعتذاراً ـ ان جو تزوج امرأة ثمانين بالمائة منها صنعته الدعاية والأضواء .

انتقلت مارلين إلى نيويورك لدراسة التمثيل ، وهناك التقت بالكاتب المسرحى المرموق آرثر ميللر الذى حصل على الطلاق من زوجته ليقترن بمارلين عقب نجاح فيلمها « موقف البص » ثم سافرت مع زوجها الجديد الى لندن لتصوير فيلم « الأمير والحسناء » من اخراج لورانس اوليفيه . ولكن دورها لم يعجبها فاصيبت



مارلين تغادر المستشفى مع زوجها بعد ان فقدت مولودها المنتظر



كلبها الصغير الذى وجدوه خارج المنزل عقب وفاتها .



آرتو فى دور « مارا » بمسرحية نابليون

بالاكتئاب الذى تملكها تماماً خاصة بعد فشلها فى الانجاب ، وبدأت تظهر ميلا الى اعتناق البوذية ، غارقة فى تعاطى الكحول والمهدئات .

« وددت لو أخبرنى أحد لماذا لا أنام كما يفعل بقية البشر . وحتى عندما ترسلنى المهدئات الى السرير فاننى اغفو صناعياً وليس كما يفعل بقية البشر » .

من بين الافلام التى أصابت فيها مونرو نجاحاً ملموساً « البعض يفضلها ساخنة » أمام جاك ليمون وتونى كيرتس ، رغم انها أرهقت كل العاملين معها بعدم التزامها بالمواعيد وتسببها فى الغاء التصوير مراراً وتكراراً . بعدها مثلت « وقت للحب » أمام الفرنسى إيف مونتان . الفيلم فشل تماماً ولكن مونرو استمالت مونتان واصبحت علاقتها به حديث الصحافة ،الشىء الذى هدد زواجها من آرثر ميللر .

« الغرباء » الذى كتب له السيناريو زوجها ميللر كان آخر فيلم تكمل تصويره . مكانة ميللر المرموقة أدبياً بالاضافة إلى خبرة جون هيوستون المخرج المبدع جعلت الدوائر السينمائية تتوقع نجاحاً منقطع النظير للفيلم . ولكن مونرو بتقلبات مزاجها وحالتها العاطفية غير المعتدلة عطلت سير العمل بالفيلم حتى أنه عندما اكتمل ، ارتفعت ميزانيته عالياً فوق امكانية الربح .

« صرت عبئاً ثقيلا على نفسى وعلى الناس . وصار الناس أنفسهم عبئاً ثقيلا على . ظلوا ينتظرون أن أقدم لهم المعجزات ثلاث مرات فى اليوم ، ومرة عند اللزوم . قالوا اننى جميلة وحبسونى فى قفص ذهبى لينظروا إلى كلما ازدادت حياتهم قبحاً . هل نسوا اننى انسانة مثلهم ؟ » .

عادت مونرو الى نيويورك وهناك اعلنت انفصالها عن آرثر ميللر ودخلت المستشفى لعدة اسابيع ثم قضت عاماً باكمله فى عزلة تامة .

وفى ربيع عام ١٩٦٢ انتقلت إلى لوس انجلوس لتتلقى علاجاً منتظماً من طبيبها النفسانى الخاص . لكن عدم مقدرتها على النوم اتخذ شكلا مرضياً وعادت من جديد الى ادمان المهدئات .

عبثاً حاولت مونرو اتمام آخر أفلامها « أحد ما يجب أن يعطى » . وفى مايو طارت الى نيويورك لتغنى فى عيد ميلاد الرئيس جون كيندى . ومن هناك عادت الى هوليود فى محاولة لمواصلة تصوير الفيلم ولكن حالتها النفسية لم تسمح لها بذلك فرفعت عليها الشركة قضية تعويض لاخلالها بشروط العقد .

مارلين مونرو وجدت ميتة انتحاراً بغرفة نومها فى الرابع من أغسطس ١٩٦٢ وجاء فى قرار الطبيب أن سبب وفاتها تسمم حاد نتيجة تناول كميات هائلة من المهدئات .

آرثر شليسينغر :
« لا أعتقد اننى رأيت أحداً بمثل ذلك الجمال الموهوب، ان لها سحراً يخترق القلب من حيث يدرى المرء ولا يدرى ولكنها كانت مثل شىء غير حقيقى .. شىء ، ببساطة ، لا يحدث ، كالكلام من تحت الماء » .

أنتونان آرتو
١٨٩٦ - ١٩٤٨

« لا أدمر حياتى اذا مت انتحاراً ، بل اعيد صياغتها مرة أخرى داخل ناموس الطبيعة بحيث اننى اعطى الأشياء شكل ارادتى » .

انتونان آرتو ، ممثل ، مخرج ، كاتب درامى ، كاتب مقال ، شاعر ومؤسس « مسرح القسوة » الذى نظّر له فى كتابه « المسرح ونظيره » (صدر عام ١٩٣٨) محدثاً به بعد مماته صدى واسعاً فى فترة الخمسينات والستينات . الكتاب وضع بصمات واضحة على أعمال أبرز المخرجين الذين تناولوا كتابات المسرحيين العبثيين امثال اوجين يونسكو ، وجان جينيه ، وصمويل بيكيت . ولأن أفكاره كانت تسبق عصرها كثيراً ولعذابه النفسى النابع من أن فلسفة حياته (وموته) شقا عصا الطاعة على مؤسسات مجتمعه التقليدية ، اعتبر اكثر الفنانين جنوناً وأودع سجيناً بين جدران المصحات العقلية لفترة التسع سنوات الأخيرة من عمره .

ولد انتونان ارتو فى ٤ ديسمبر ١٨٩٦ بمرسيليا ، فرنسا ، أكبر تسعة أبناء عاش منهم ثلاثة فقط . نشأ ضعيف البنية وأصيب بالالتهاب السحائى فى الخامسة

كتاب الشهر

حياة قصيرة





الفيس بريسلى اثناء زواجه من الفتاة التى التقى بها اثناء رحلته فى المانيا .. ثم لقطة له اثناء انهماكه فى الغناء .

من عمره الشىء الذى اثر على بنيانه النفسى والعقلى طيلة حياته .

فى سن الرابعة عشر بدأ آرتو كتابة الشعر والقصة القصيرة ونشر اعماله فى جريدة حائطية اسسها بالمدرسة تحت اسم « لوى ديز اتيد » . وفى الثامنة عشر احرق كل اعماله بعد تعرضه لنوبة اكتئاب نفسى عاودته فى سن العشرين مما جعل اسرته ترسله الى مصحة عقلية بسويسرا .

« اننى اعانى لأن العقل والحياة على طرفى نقيض اعانى من العقل العضو والمترجم ورافع العصا امام الحياة كى تدخل فيه قسراً » .

فى بداية العشرينات بدأ آرتو يهتم بالتمثيل والمسرح ونشر فى نفس الوقت اعماله الشعرية فى كتاب . وخلال عمله فى المسرح التقى بجينكا اثانائيو ممثلة رومانية ناشئة . ونمت بينهما علاقة حب استمرت سبع سنوات بين شد وجذب لاحساسه الخاص بالاحباط رغم انه حقق فى عام ١٩٢٧ نجاحاً نسبياً فى عالم السينما عندما ظهر فى فيلمين شهيرين : الأول « نابليون » ومثل فيه دور « مارا » ، والثانى « جان دارك » وقام فيه بدور الراهب « ماثيو » .

ثم عاش ارتو منعزلا ومتنقلا من مكان فقير لاخر اكثر فقراً ، معرضاً حالته النفسية والجسمانية لمزيد من الخطر . لكنه اثار انتباه جماعة السيرياليين التى كانت تتشكل آنذاك بكتاباته إلى جاك ريفيير والتى نشرتها احدى المجلات الادبية الطليعية .

اندريه بريتون :
« السيريالية هى جوهر الحركة النفسية فى شغلها الآتى ، وبها يتم تحرير الأفكار من قيود المعقول والقوالب الجمالية والاخلاقية الجاهزة » .

سرعان ما صار آرتو احد اهم اعلام تلك الحركة التى تزعمها اندريه بريتون وضمت بين صفوفها اسماء معروفة مثل لوى لراغون وبول ايلوار . ولكن حبل الود انقطع سريعاً بينه وبينهم ، إذ كان اكثر سريالية من السيريالية نفسها . وفى البيان الذى صدر فيه قرار فصله فى نوفمبر ١٩٢٦ وصف آرتو بانه « غريب الأطوار إلى حد الجنون ، العجز احياناً والجبن احياناً اخرى » .

« ان الذى يقف بينى وبين السيرياليين انهم يحبون الحياة بقدر ما احتقرها »

اعقب ذلك ان اصدر آرتو بيانه الذى ارسى فيه دعائم مسرحه المتميز الغريب « مسرح القسوة » ملهماً بمسرحية « الملك لوبو » التى الفها الفريد جيرى وبطلها انسان رأسه يشبه نبات اللفت . اعتبر آرتو ان رسالة المسرحية التى تنتقد الطبقة الوسطى فى المجتمع هى صدمة المشاهد اولا واخيراً .

« نحن بصدد أن يكون للمتفرج اتصال عضوى بما يراه على الخشبة . وعليه أن يعلم أن مسرحنا سيجرى عليه عملية جراحية لن تعرض فقط عقله للخطر ، ولكن ايضاً دمه ولحمه . وعليه أن يعرف اننا قادرون على أن نجعله يصرخ من الفزع »

كان المسرح لدى آرتو مكاناً للانسان يصرخ فيه الما وغضباً وكراهية بغرض التجرد من طبعه وشكله وبنائه النفسى والاجتماعى . المسرح عنده هو مكمن التجربة ـ الطاعون ـ الحقيقة التى تثير الفزع بغرض التحرر من الحلم الرومانسى بان الحياة والعقل حليفان وفيان .

العام ١٩٣٥ شهد عرض مسرحية « سنسى » ، اول واخر تجربة لمسرح القسوة توقف عرض المسرحية بعد سبعة عشر عرضاً ، وعاش آرتو على الديون من اصدقائه القلائل، ثم سافر إلى المكسيك ليحاضر فى جامعتها وليدرس حياة قبائل الهنود . عاد بعدها إلى باريس ومنها الى بروسيل حيث تمت خطبته الى سيسيل شرام . ثم حدث انه كان يلقى محاضرة بجامعة بروسيل بحضور خطيبته ووالديها عندما بدأ فجأة يلقى بالكلام على عواهنه ثم راح يهذى وانتهى ذلك المساء بفسخ خطوبته من سيسيل .

« لقد عشقت جنونه . انظر الى فمه ذى الأركان الغامقة مشدوهة ،واتمنى لن اقبله . لكننى اتراجع بفزع عند مجرد التفكير بذلك لأنه يعنى اننى ساطبع قبلتى على شفتى الموت او الجنون » .

فى اغسطس ١٩٣٧ سافر آرتو إلى ايرلندا بدعوى انه ينفذ اوامر المسيح . وهناك طلب اللجوء الى دير اليسوعيين ولكنه منع من دخوله فاخذ يصرخ ويسب ويلعن محطما كل ما وقع بيده حتى القى عليه القبض واعيد الى فرنسا مقيداً بالحديد ووضع هناك بمصحة عقلية زارته فيها امه فلم يستطع التعرف عليها .

« فى داخل كل مجنون عبقرية تعتصم بغرابتها عن الناس ثم تظل هناك ، فى غرابتها ، تتلألأ





المغنى مع زوجته وطفلته .. ثم لقطة تسجيلية لعشاق فنه الذين جاءوا لوداعه الاخير بعد ان عثروا عليه فى بلاط حمامه فاقد الوعى

بالضوء المفزع من نظر إليها . فاذا ما اعدت له الحياة مشنقتها ، سلك طريق النجاة الوحيد امامه : ذلك الذى يقوده الى مزيد من الجنون والغرابة » .

قضى آرتو بقية حياته (تسع سنوات) متنقلا من مصحة عقلية إلى اخرى . وفى يناير ١٩٤٧ اقيمت امسية على شرفه حضرها اعلام الفكر فى فرنسا مثل اندريه جيد ، البير كامو ، واندريه بريتون . فى تلك الامسية وقف آرتو امام الحضور وارتجل ثم صرخ وشتم العصر والحياة فى عرض وحشى اذهل الحضور حتى الخوف وحقق لآرتو جزئيا امنيته القديمة : إثارة الفزع عن طريق القسوة .

فى فبراير زار آرتو معرضا للفنان فان جوخ وعاد منه ليؤلف كتابه « انتحار فان جوخ ، جريمة المجتمع » الذى نال عنه جائزة « سانت بيف » الأدبية وهى الجائزة الوحيدة التى حصل عليها آرتو طيلة حياته .

بعدها ، ظلت صحته تسوء وعانى من آلام قاسية بالمعدة ظل يهدئها بتعاطى الافيون بكميات كبيرة واظهر التشخيص انه كان يعانى من الاورام الخبيثة ،مات انتونان آرتو على فراشه فى ٤ مارس ١٩٤٨ عن ٥٢ عاما .

إلى اندريه بريتون :

« انا مصمم على المضى فى العيش لاننى اؤمن بان العالم الذى يظل يصفع وجودك ووجودى دونما هوادة ، سيموت قبل ان أموت » .

الفيس بريسلى ١٩٣٥-١٩٧٧

« مات الفيس الاسطورة كان رصيده فى البنك عشرات الملايين من الدولارات ومئات الملايين من المعجبين » .

لم يكن الفيس بريسلى مغنيا فوق العادة وحسب ، ولكنه كان ايضا مهندسا للظاهرة الاجتماعية الجديدة التى انتظمت العالم الغربى فى منتصف الخمسينات . وحتى عندما اعتلت فرقة « البيتلز » خشبة المسرح كاحدى ابرز العلامات الغنائية والاجتماعية فى النصف الثانى من القرن العشرين ، كان الفيس هو الذى وضع ختمه على جواز مرورهم وظل اسمه نموذجا حيا للعلاقة الجدلية بين الفن والمجتمع .

ادخل الفتى النحيف ، الذى ينحدر من عائلة مدقعة ، موسيقى « الروك ـ ان ـ رول » الى كل البيوت من النوافذ والابواب والشقوق والراديو والتليفزيون والفونوغراف ، ووضع صورته وامضاءه على القمصان والفساتين وحقائب اليد والاحذية والبلوفرات والجدران والكراسات ونوافذ السيارات واطلق عليه اسم « ملك الروك ومعبود الشباب » .

ولد الفيس ارون بريسلى احد توامين متطابقين (اسقط الاخر) فى الثامن من يناير ١٩٣٥ فى تيبولو على نهر المسيسيبى عن اب فلاح وام حائكة ملابس . لم تشهد طفولته ما ينبىء عن مستقبل متميز فى عالم الموسيقى حتى اشترى له والده فى سن الحادية عشر قيثارة عوضا عن الدراجة التى كان يحلم بها الصبى ، قبلها على مضض وراح يعلم نفسه العزف وغناء الأناشيد الدينية .

بعد تخرجه من المدرسة الثانوية فى سن الثامنة عشر عمل الفيس سائقا للشاحنات فى شركتين للكهرباء وصار يغنى فى اوقات فراغه فى بعض الدوائر الضيقة فاسترعى انتباه احد عملاء شركات الاسطوانات بالنكهة الزنجية فى صوته . وبعد عدة شهور اتيح له تسجيل اغنية من نوع « البلوز » فى راديو ممفيس المحلى ، وباعت الأغنية خمسة الاف اسطوانة مسجلة رقما قياسيا فى سوق الاسطوانات الاقليمية .

ماريون كيسكر :

« لم يكن يحب اجراء بروفات لاغنياته . كان يحمل قيثارته ويدخل الاستوديو ويسجل .. هكذا ، ببساطة وبحضور مدهش ، وكان الناتج دائما عظيما » .

بسرعة خرافية اصبح سائق الشاحنات مغنيا نجما واسما مالوفا ومحبوبا فى برامج الاذاعات الاقليمية وهو لما يزل فى الثانية والعشرين من عمره . وكان له سحر خاص على الفتيات اللائى وجدن فى صوته واغنياته دعوة للتحرر والصراخ بهستيريا ليس فقط طربا ولكن ايضا احتجاجا على مجتمع اراد لهن الصمت والسكون .

برغم بقعة الضوء التى غرق فيها الفيس فان علاقته بامه ظلت علاقة وفاء ومحبة خاصة . كان يشترى من المال الذى بدأ ينهمر عليه سترة أو اثنتين ثم يعطيها الباقى . وعندما وقع فى عام ١٩٥٥ عقدا بمبلغ خمسين الف دولار مع شركة « آر . سى . اى » ، احدى اكبر شركات الاسطوانات الامريكية ، اشترى سيارة « كاديلاك » فاجا بها امه عندما قدمها هدية « متواضعة » لها .

كان محتملا ان يخبو نجم الفيس مثل

كتاب الشهر

حياة قصيرة



البيت الذى رأى حياته القصيرة التى كانت كلها نشاط وحيوية

غيره ممن يصيب نجاحاً سريعاً ليفشل سريعاً ، لولا انه التقى بتوم باركر الذى صار مديراً ناجحاً لأعماله وفتح له آفاق جديدة بدءاً بتعليمه لرقصته المشهورة أثناء غنائه ومروراً بتقديمه فى معاقل الموسيقى مثل نيويورك وناشفيل . فى نيويورك قدمه باركر فى ستة عروض تليفزيونية سجل بعدها اولى اسطواناته الطويلة باسم « الفيس بريسلى » والتى جعلته يتلقى حوالى مائة الف رسالة فى الاسبوع .

اشترى الفيس مزرعة فى ممفيس عاش مع والديه وجدته ، واضطر الى بناء حائط عال حول المزرعة لمنع متعجبيه من اقتحام مسكنه . وفى سبتمبر ١٩٥٦ شاهد حوالى ٥٤ مليون أمريكى الفيس وهو يغنى فى البرنامج التليفزيونى « نخبة المدينة » ثم ، سريعاً ، اختطفته السينما . فى تلك الفترة بدأ بعض النقاد (وبعضهم كان ذا نفوذ كبير) بالحديث عن الفيس باعتباره خطراً على المجتمع وخاصة الشباب . إلا أن ذلك لم يفعل شيئاً أكثر من اضافة بعض الرتوش لصورة المغنى الذى اصبح جلياً انه بدأ يشكل ظاهرة اجتماعية قائمة بذاتها .

مجلة « تايم » :
« القيثارة مثل صاحبها تتارجح اماماً وخلفاً ومثل صاحبها تدور وتدور . العينان نصف مغمضتان والشفتان تفترقان عن ابتسامة واغنية .. ورسالة ينتظرها الملايين من المراهقين فى امريكا » .

فى الفترة ما بين ٥٦ ـ ١٩٧٠ مثل الفيس ٣٢ فيلماً وصف النقاد منها ثلاثين بانها من الدرجة الثانية وكانوا على حق . فشركات السينما كانت تعلم أن افلامه ـ بغض النظر عن مضمونها وقيمتها الجمالية ـ عبارة عن ضربات مالية كبرى لان جمهور الشباب لا يهمه من الفيلم غير الفيس نفسه .

ولكن شهرته اصبحت عبئاً ثقيلا على حريته الشخصية مجرد الخروج من مزرعته والعودة إليها كان يجب ان يخطط له وكانه عملية حربية . ولم يكن فى استطاعته الظهور نهاراً امام الناس فجعل يتحرك ليلا ويسكن نهاراً . وعندما ضيق عليه المعجبون الخناق اتخذ له بطانة من الحراس اشتهرت باسم « مافيا ممفيس » .

فى اغسطس ١٩٥٨ ماتت امه غلاديس بريسلى غيرة ـ كما قيل ـ على ابنها الذى لم يعد طفلها المدلل ، بل طفل المجتمع المدلل .

ماتت غلاديس، صديقتى
وحبيبتى الوحيدة هل
رانى احد احب غيرها؟ »

بعدها ، دخل الفيس الخدمة العسكرية الاجبارية لمدة عامين وعندما عاد إلى الحياة المدنية استقبله المغنى فرانك سيناترا فى برنامج تليفزيونى خاص بعنوان « مرحباً الفيس » استلم عن ظهوره فيه شيكاً بمبلغ ١٢٥ الف دولار .

بدأ واضحاً أن فترة الخدمة العسكرية غيرت فيه كثيراً . اذ اخشوشن الفتى قليلا وصار أكثر محافظة فى ملبسه وتسريحة شعره واختفى فيه عموماً مظهر « البلاى بوى الامريكى » وصارت اغانيه اكثر ميلا إلى الموسيقى التقليدية والدينية . فكتب عنه احد النقاد : « استبدل الفيس العسل الذى يجرى فى عروقه بدم بشرى عادى » .

اختفى مغنى الروك عن الظهور فى الاماكن العامة كلياً فى الفترة ما بين ٦١ ـ ١٩٦٨ . وفى عام ١٩٦٧ تزوج من مراهقة المانية اسمها بريسيلا قيل انها كانت تملك كل شىء تمنته فى حياتها الا الفيس وعندما تزوجته اكتملت مجموعتها . انجبت له بريسيلا ابنته ليزا مارى وبدأت علاقتهما بعد ذلك تسوء فى نفس الوقت الذى بدأ فيه بفقدان بعض لمعانه . كل ذلك دفعه الى اغراق نفسه فى تعاطى المهدئات حتى أن احد أصدقائه المقربين قال ان الحبوب هى التى كانت تقوم بالعمل بدلا عنه . ولكن من جديد انقذه مدير أعماله توم باركر عندما تحصل له على عقد بالغناء فى لوس انجلوس ، فعاد ملك الروك والتاج على رأسه اكثر لمعاناً . قيل عنه حينذاك انه غير وجه الاقتصاد فى عاصمة كاليفورنيا . كان الناس يتدفقون على المدينة من القريب والبعيد ، من سان فرانسيسكو الى سيدنى لحضور حفلات المغنى الذى أصبح ظاهرة زمانه .

جونى ريفز :
« كان عليه اما ان يغير شكل العالم الذى نعيش فيه أو ان يجعل له عالماً خاصاً به ، ولم يكن لديه خيار ثالث » .

فى ١٩٧٣ انتهت علاقة الفيس وزوجته بالطلاق الشىء الذى جعله يغرق اكثر فى تعاطى المهدئات ونتيجة لذلك اصيب بضغط الدم والفلوكوما والافراط فى السمنة وبدأ يتصرف بغرابة كان يطلق النار على جهاز التليفزيون او ان يستقل الطائرة فى منتصف الليل ليأكل ساندويتش فى مدينة اخرى . وكان أحياناً يأكل بشراهة زائدة ثم يصوم عن الاكل حتى يسقط من الاعياء .

فى ١٦ اغسطس ١٩٧٧ عثر على الفيس ارون بريسلى فاقداً وعيه على



« بيلى هوليداى » تغنى فى الأوبرا عام ١٩٤٤ .. ثم المطربة المشهورة عندما اصبحت إنسانة تعيسة !





اشهر مغنية جاز فى العالم اثناء الغناء فى « فلادلفيا » .

ارض حمامه المرمرى ونقل إلى المستشفى ليبين الفحص أن دمه يحتوى على عشرة انواع من العقاقير المهدئة جعلت قلبه يتوقف عن النبض فى تمام الساعة الثالثة والنصف من نفس اليوم .

بيلي هوليداي
١٩١٥ - ١٩٥٩

« عندما أموت فسيبكى الناس لا لشىء سوى احساسهم بالذنب . سيدركون ساعتها أنهم يشيعوننى من مكان سىء الى آخر أسوأ منه .. من الدنيا إلى الجحيم » .

بيلى هوليداى هى صاحبة السيرة التى صنعت فيلم « الليدى تغنى البلوز » ولعبت دورها فيه المغنية المعروفة ديانا روس . اطلق عليها لقب « أعظم مغنية جاز لكل العصور » . وبرغم أنها ـ لحداثة اسلوبها فى الغناء ـ لم تحقق نجاحاً تجارياً فى زمنها الا انها اثرت بقوة على مغنيات الجاز اللائى اشتهرن من بعدها مثل إيالا فتزجيرالد وكليو لين ، على سبيل المثال لا الحصر .

« ليدى داى » كما سميت المغنية الامريكية ، كانت امراة عظيمة الحسن بملامحها الزنجية ولون بشرتها الخمرى وزهرة الغاردينيا التى ما فارقت شعرها وصوتها الذى « تغار منه الموسيقى » . كانت ايضاً خجولة ولا تحس بالأمان . كان اكثر ما يخيفها هو الصعود على خشبة المسرح وكانت تتغلب على ذلك بتعاطى الكحول والهيروين الشىء الذى صنفها فيما بعد خارجة على القانون لدى ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالى .

الينورا فاغان (اسمها الحقيقى) ولدت فى السابع من ابريل ١٩١٥ فى بالتيمور ، ميريلاند وكانت امها ، عاملة نظافة ، فى الثالثة عشر من عمرها وأبوها ، موسيقى ، فى الخامسة عشر ، وبعد ولادتها انصرف الأب والأم المراهقان كل فى سبيله نتيجة لضغوط العيش وترعرعت الينورا فى كنف جدها وجدتها حتى شب عودها فسافرت للحاق بامها والاشتغال بالاعمال الرخيصة ثم غيرت اسمها الى بيلى هوليداى تيمناً بنجمتها السينمائية المفضلة بيلى دوف . وفى تلك الفترة رأت وسمعت لوى ارمسترونغ يغنى مع بيسى سميث فاستهواها ذلك وجربت الغناء لنفسها اولا وبعد فترة لبعض النوادى الليلية .

« لم يكترث أحد لغنائى ولكيما يصفق لك الناس اعجاباً يجب حقاً أن يكون هناك من يقول امامهم : يا للروعة ! » .

الشخص الذى قال : « يا للروعة » كان جون هاموند ، كاتب ومنتج لأغانى الجاز ، سمعها فى احدى نوادى هارلم فتبناها ومهد لها طريق انتشارها ونجاحها عندما قدمها لعازف البيانو تيدى ويلسون الذى الف لها اغنيات صارت فيما بعد علامات فى تاريخ موسيقى الجاز . وفى عام ١٩٣٦ التقت بيلى بصديق عمرها ليستر يونغ عازف الساكسفون الذى اطلق عليها لقب « ليدى داى وضمها الى فرقة « بيزى » الموسيقية . تجولت بيلى مع الفرقة فى معظم انحاء امريكا مما ارهقها كثيراً فانفصلت عنها . لكنها سرعان ما انضمت الى فرقة « رولز رويس » لمدة عام كانت تضطرد فيه حدة العنف العنصرى وكانت هى السوداء الوحيدة بين أعضاء الفرقة . ففى نيويورك مثلا اجبرت بيلى على الدخول من باب الخدم وعدم الاختلاط بالجمهور عندما جاءت مع الفرقة لتقديم حفل باحد الفنادق . وكان نتيجة ذلك أن انفصلت فوراً . غنت بعدها « الثمرة الغريبة » التى صارت صوت احتجاجها الخاص ضد التفرقة العنصرية وسجلتها على اسطوانة حققت نجاحاً كبيراً .

جون شيلتون :
« كان طموحها أكبر من مجرد نجاح عابر . تعطشت للمجد وكان حزنها الأكبر انها كانت تدرك ـ بالكيلومترات ـ بعد المسافة بينها وبينه » .

اشتهر عن بيلى غرامها الشديد بالرجال الوسيمين ، وكان جيمى مونرو على حد تعبيرها « أوسم من رأت » فتزوجته لكنها اتخذت من الهيروين عشيقاً لها . وفى عام ١٩٤٧ دخلت المستشفى للعلاج من الادمان فالتفت إليها مكتب التحقيقات الفيدرالية وجهاز مكافحة المخدرات بنيويورك . وعندما قبض عليها حوكمت بالسجن لمدة عام ويوم فى مصحة النساء الفيدرالية ، قضت منها تسعة أشهر . بعد خروجها بعشرة أيام فقط هزت بيلى عالم الجاز عندما غنت فى « كيرنغى هول » احدى أشهر قاعات الموسيقى فى امريكا . ولكن سجل سيرتها جعل شرطة نيويورك تصدر قراراً بمنعها عن الغناء فى اى مكان يبيع الخمور .

« كان يمكننى الغناء اينما حلى لى . ذلك امر حسن ولكن ما كان ينقصه اننى إذا اردت الانعتاق من قاعات الموسيقى



جنازة « بيلى هوليداى » التى ماتت عقب ان اخذوا بصماتها على سرير المرض !

الكبرى فلم يكن باستطاعتى الا الغناء لجمهور لا يسمح عمره بالاستمتاع باغنياتى » .

حصلت بيلى على الطلاق من مونرو والتقت بعده بجون ليفى ، مدير احد نوادى برودواى الذى وعدها باقصى حد ممكن من الحماية من السلطات والغناء كما شاءت . وقامت بينهما علاقة قطع حبال وصالها ادمانها المخيف للهروبين .

الرجل التالى فى حياتها كان لوى ماكاى صديقها القديم فى حى هارلم والذى اصبح مديراً لاعمالها وامينا على اموالها . وعلى الرغم من علاقتهما كانت عاصفة إلا انه ظل وفيا لمهنتها كمغنية وكمدير لاعمالها فادخلها الفترة الذهبية فى حياتها عندما قدمها على مسارح اوروبا .

« ما كتبه عنى النقاد فى اوروبا أعاد الحياة الى اوصالى . فى امريكا ظل دائما هو العودة الى المسرح من جديد دون أن يخبرنى احد اين كنت قبلها » .

غنت بيلى كما لم تفعل من قبل فى تلك الفترة . وفى فبراير ١٩٥٦ اثناء انشغالها بالاعداد للغناء بفلادلفيا القى عليها القبض من جديد بتهمة حيازة المخدرات . ثم اطلق سراحها بضمانة مالية وسافرت إلى نيويورك لدخول المستشفى حيث استبدلت ادمانها للهيروين بالكحول وساءت صحتها كثيراً . وعند خروجها غنت فى مهرجان الجاز الأول بمونترى لكن الجمهور استقبلها بفتور شديد .

بعد عام سافرت بيلى الى اوروبا فى جولة غنائية هدفها الاساسى كان اعادة الثقة الى نفسها . ولكن نجم سعدها فقد لمعانه حتى هناك ، ولم تستطع مع الأسلوب الذى ابتدعته فى الغناء واعيائها الشديد ان تثير حماسة الجمهور حتى انها اجبرت ذات ليلة على ترك المسرح قبل اتمام حفلها .

عادت بيلى الى نيويورك محطمة نفسيا وهناك تلقت نبا وفاة ليستر يونغ صديقها الذى اطلق عليها « ليدى داى » ليزيد ذلك من محنتها المعنوية .

قضت بعدها فترة صمت طويلة قبل أن تغنى للمرة الاخيرة على مسرح «فوينكس» ليلتها سقطت بيلى مغشيا عليها بعد اداء اغنيتين فقط ونقلت الى المستشفى للعلاج من تورم الكبد وهبوط نبض القلب .

« انا لا اقبل أن أصاب بوجع الاسنان أو الانفلونزا أو اضطرابات المعدة او اوجاع الحلق أو مجرد الصداع . لماذا ؟ لاننى بيلى هوليداى » .

حتى نزولها بالمستشفى لم يمنع سلطات الشرطة من تفتيش غرفتها والاعلان انه تم ضبط مخدرات بحوزتها . وعلى اثر ذلك صادرت الشرطة ممتلكاتها الخاصة بما فى ذلك زهرة الغاردينيا التى انتزعت من شعرها . ثم اخذت بصماتها وصورتها وهى على سرير المرض .

فى ١٧ يوليو ١٩٥٩ ماتت بيلى هوليداى بالمستشفى وهى تحت الاحتجاز . كان عمرها ٤٢ عاما وحسابها بالبنك ٧٠ سنتا بالاضافة الى مبلغ ٧٥٠ دولاراً وجد ملفوفا بحزام من الجلد حول ساقها . مشى فى جنازتها حوالى ثلاثة الاف شخص ، ومنذ تلك اللحظة بدأت مبيعات اسطواناتها بالارتفاع .

« لقد ناضلت طوال حياتى للغناء بالطريقة التى ترضينى . وقبل أن اموت ، اتمنى أن اجد لى مكانا حيث لا يستطيع احد أن يطلب منى أن اغنى او أن اتوقف عن الغناء . قد اغنى ساعة او عشرة . قد اغنى الف اغنية او واحدة . ابحث عن مكان يتسنى لى فيه لن اوقف الاوركسترا فى منتصف اغنية لابدا اخرى احس باننى اريد غناءها فى تلك اللحظة . أريد أن افعل كل ذلك .. فقط قبل أن أموت » .

إدجار ألن بو
١٨٠٩-١٨٤٩

« لله الحمد ،
مات الخطر
والمرض الذى ينذر بالخطر
والحمى التى قيل اسمها
الحياة ذاقت - اخيراً -
طعم الهزيمة » .

اشتهر عن إدجار الان بو انه مبتدع الروايات البوليسية هذا صحيح . وصحيح ايضا انه كان ناقداً وكاتب قصة قصيرة وشاعراً توافر على مصادر الأدب والفلسفة وتاثر بعظماء الشعراء امثال بايرون وشيللى وكيتس وكوليردج - الذى استعار منه فلسفته الخاصة فى الشعر . وفى المقابل أثر بو على كتاب وفنانين ذوى صيت بدءاً بالرمزيين الفرنسيين وحتى انتونان ارتو ودستيوفسكى ومن شاكلهم او قل عنهم شانا .

كان بو محرراً جهبذاً لعدة مجلات ادبية ووصف بانه كان اقسى نقاد عصره . كان ايضا روائيا وفنانا معذبا مولعا بالكتابة عن الرعب والجريمة والجنون والغموض والهستيريا وقيل عنه ان الموت كان يستاجر غرفة بداخله .

ولد إدجار الان بو فى يناير ١٨٠٩ بمدينة بوسطون بامريكا عن ام انكليزية ممثلة مسرحية رائعة الحسن واب امريكى ممثل بعض الاحيان وثمل فى اكثرها . وعاش بو طفولة تعسة بموت امه وهروب اخيه الاكبر وتوقف عقل اخته الاصغر عن النمو .

« خرجت إلى الدنيا
طفلا موصوما بمحنة



الشاعر والقاص « ادجار الن بو » الذى ظل
فى غيبوبة اربعة ايام قبل رحلته الاخيرة !

اسرته . ونشات سجينا
لنزوات وحشية وعواطف
مضطرمة غير قابلة
للانصهار بنار النسيان » .

ترعرع بو فى اسرة تبنته دون حماس . وارسل للدراسة بانجلترا واسكوتلندا بين سن السادسة حتى الحادية عشرة ، فابدى الصبى نبوغاً جعله يهضم اعمال الشاعر بايرون ويقرض جيد الشعر وهو فى الرابعة عشر . وفى ذلك العمر وقع بغرام والدة احد رفاقه فى المدرسة ، نعاها من بعد مماتها بقصيدة اعتبرت فيما بعد من اجمل اشعار الرثاء .

فى ١٨٢٦ دخل بو جامعة فيرجينيا لدراسة القانون بعد ان خطب سرا الميرا رويستر . ولكن حياته العاصفة فى الجامعة وغرقه فى الديون التى بلغت الفى دولار وضعا حداً لخطوبته وهرب بو الى بوسطون .

توماس تيوكر :
« كان يحتسى سقياه دفعة
واحدة ، وإذا به يطلق
شيطان خياله المدهش من
قمقمه . فاذا تحدث صمت
الناس وكانهم فى غيبوبة
السحر غارقين » .

فى مايو ١٨٢٧ دفعه الجوع للالتحاق بالجيش تحت اسم مستعار . وفى ذات الوقت استطاع ان يقنع ناشراً بطباعة مجموعته الشعرية « تامرلين » التى لم تنل الا حظاً يسيراً من النجاح . وعندما التحق « باكاديمية العلوم العسكرية » نشر مجموعته الثانية بعنوان « العراف » . وبعكس سابقتها وجدت صدى عظيماً حتى ان ناقداً بارزاً شبهه بشيللى وكان ذلك كافياً لبزوغ فجر نجاحه ولكن دون عائد مادى . عانى بو ، اثر عزوف ابيه عن ارسال مصروفاته ، من الفقر وعلى اثر انتشار اخبار مفادها انه مدمن للكحول فصلته الاكاديمية وسافر الى نيويورك معدماً .

« ليس عندى ما اقوله
سوى ان مستقبلى
الذى لن يطول يجب ان
يتطهر بمزيد من الفاقة
وكثير من المرض » .

فى نيويورك نشر بو مجموعته الثالثة « الى هيلين » ، ايضاً دون اجر . ثم سكن مع بعض اقاربه فى بالتيمور وفى تلك الفترة كتب خمسة قصص قصيرة نشرت فى مجلة « كورير » مقيماً باحداثها الخيالية المرعبة دعائم نوع جديد من القصة . وفى عام ١٨٣٣ فاز بجائزة مقدارها خمسين دولاراً فى مسابقة ادبية كانت هى اول عائد مالى يتحصل عليه من اعماله الادبية . تبناه بعدها ادبياً جون كينيدى الذى كان عضواً فى لجنة المسابقة بعد ان ادهشه الخيال الجامح والشكل الجديد الذى كتب به قصته . وبتوصية من كينيدى صار بو مساعداً لرئيس تحرير مجلة « مسينجر » الادبية . وبرغم ان راتبه كان ضئيلا للغاية ، إلا ان الوظيفة نفسها فتحت امامه مجالا عريضاً ليكون محرراً ادبياً وناقداً متميزاً . ثم اعقب ذلك زواجه من ابنة خالته فيرجينيا وعاش معها فى علاقة زوجية غير كاملة .

عمل بو فى مجلة « مسينجر » لمدة عام ونصف ثم سافر بصحبة زوجته وامها إلى فلادلفيا حيث قضى اكثر سنى عمره نجاحاً فبالاضافة إلى عمله كمحرر لعدد من المجلات الادبية ، نشر كتابه السادس « اغرب الحكايات » فى جزئين ونشر فيما بعد روايات مثل « قناع الموت » و « القط الاسود » اولى الروايات البوليسية فى العالم .

جوزيف وود :
« ابتدع بو ذلك النوع
من الرواية ـ اللغز كى
لا يسمح لعقله بالهروب
الى الجنون » .

فى ١٨٤٥ نشرت مجلة « ميرور » قصيدته « الغراب » التى رفعته بدفعة واحدة الى مقام النجومية فى المجتمع الادبى بنيويورك . ولكن على الرغم من نجاحه الساحق فانه لم يحصل مالا فى نشر قصيدته . وعندما اعيدت طباعة « اغرب الحكايات » كان نصيبه ثمانى سنتات للكتاب الواحد .

لم تكن السنوات الاربع الاخيرة فى حياته لينة او ناعمة ، إذ رحل مع زوجته التى اعتلت صحتها وسكنا بكوخ صغير فى اطراف نيويورك حيث ماتت فى عام ١٨٤٧ تاركة فراغاً عريضاً فى حياته . اعقب ذلك ان الف كتابه « يوركا » الذى طرح فيه فلسفته الغريبة حول الكون بالاضافة الى ثلاث من اشهر قصائده .

اقام بو علاقتين عاطفيتين فى وقت واحد . فلقد عرض الزواج على هيلين ويتمان ، ارملة شاعرة فى منتصف العمر ، وبانتظار ردها ظل يلاحق انى رتشموند ، متزوجة حاول ان يقنعها بترك زوجها من اجله . وعندما فشل فى ذلك حاول الانتحار لكنه انقذ . بالرغم من ان الاولى وافقت على الزواج منه إلا انها سرعان ما عدلت عن رايها عندما بدات تشك فى معقولية تصرفاته .

« لا استطيع ان اعشق الا
حيث يصير الموت انفاس
الجمال . من اسماني
مجنوناً عليه ان ان ينظر
جلياً فى معانى الكلمات
قبل ان يقرر ان كان
الجنون هو مرض الفكرة
لو سموها عاليا
بحيث لا تدركها الابصار »

كتاب الشهر

حياة قصيرة





جيمس دين فى فيلم العملاق .. ثم لقطة له مع للمثلة العالمية « ناتالى وود » .

فى عام ١٨٤٩ كاد بو أن ينجز حلما قديماً باصدار مجلة خاصة به عندما عرض عليه أحد الراسماليين تمويله بالمال اللازم ، ودون شروط . وفى المرحلة الأولى من تنفيذ مشروعه عقد بو العزم على التجوال فى انحاء الولايات المتحدة للحصول مقدماً على اشتراكات بالمجلة المزمع تاسيسها وبدأ بمدينة رتشموند . وبدلا عن المضى فى ما عقد عليه العزم راح ينتقل بين الحانات ، ثم التقى بالفيرا شيلتون التى اضاع فى غياهب حبها حلمه الذى كاد يتحقق . وافقت الفيرا على الزواج منه وحدد الاثنان الثالث عشر من اكتوبر موعداً لذلك .

قبل ذلك الموعد باسبوعين شد الرجل رحاله الى فلادلفيا بغرض تحرير بعض المواد الأدبية لقاء مائة دولار ولكنه لم يصل هناك أبداً . طرأ له فجاءة أن ينزل بمدينة بالتيمور ففعل ، وهناك ضاع له كل أثر .

عندما عثر عليه ، كان مريضاً هزيلا خائر القوى فنقل على الفور إلى احد مستشفيات واشنطون .

« عندما تسمعين ندائى هذا ، استقلى الريح أو البرق وتعالى إلى . ستمنحنى رؤياك ما حجبته عنى الحياة باصرار يدعو للدهشة . تعالى لنموت سوياً . ستقولين : هون عليك يا طفلى البائس ، ولكن ، أماه ، لا مخرج لى سواك . من أجلك ستكون الحياة عذبة كما ينبغى لها أن تكون ، ولكن ، فلنمت سوياً .. ذلك أجمل وأبقى » .

مكث إدجار آلان بو بالمستشفى فترة أربعة أيام ظل يهذى فيها دونما انقطاع ثم سكن فى السابع من اكتوبر ١٨٤٩ عن أربعين عاماً .

جيمس دين
١٩٣١ - ١٩٥٥

« الحل المنطقى الوحيد حيال غضبة الحياة هو أن يستطيع الانسان تغيير جلده كما لو كان يغير ملابسه ، والتمثيل هو البديل الصناعى لذلك » .

هذا هو طفل هوليود المدلل الذى اعتبره شباب الخمسينات ليس رمزاً للتمرد وحسب ولكن اسطورة قائمة بذاتها . الأسطورة غرست جذورها فى فيلم « شرق جنة عدن » وشب عودها فى فيلم « التمرد دون دافع » ثم نشرت فروعها وأوراقها بعد ممات صاحبها فى حادث سيارة سباق .

شركة « وارنر » التى انتجت اثنين من أفلامه الثلاثة (فيلمه الثالث هو « العملاق ») ظلت تتلقى بعد مماته ثمانية آلاف خطاب تعزية من معجبيه فى كل اسبوع . مجلة « فوتو بلاى » أطلقت عليه اسم « النجم الأكثر شعبية فى العالم » وسجلت مبيعات صوره أرقاماً خرافية واصبح المراهق الذى مثل ثلاثة أفلام فقط فى حياته تجارة كبرى بعد مماته .

ولد جيمس بايرون دين بمدينة ماريون بولاية انديانا الامريكية فى الثامن من فبراير ١٩٣١ ، الطفل الوحيد لأم فلاحة وأب فنى معامل أسنان . ماتت امه وهو فى سن التاسعة فقام بتنشئته خالته وعمه بمزرعتهما بفيرمونت بعيداً عن ابيه الذى كان يعيش بولاية كاليفورنيا .

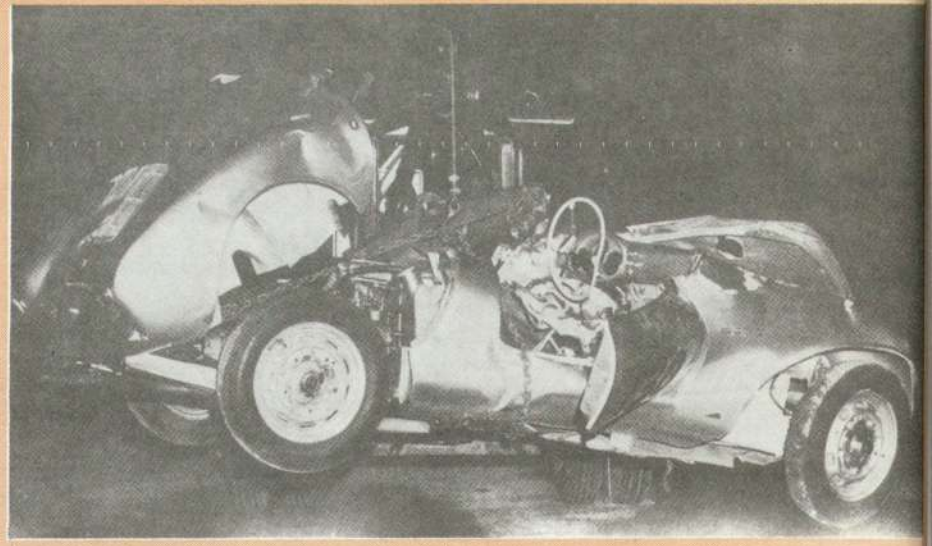
« ماتت أمى دونى وأنا فى التاسعة . هل كانت تتوقع منى أن افعل كل شىء لوحدى ؟ » .

نشا دين فى كنف أسرته الجديدة مدللا للغاية وعاش حياة رغدة الى حد كبير . وفى المدرسة أبدى نبوغاً ملحوظاً فى مجال الفنون الكلامية والاستعراضية بشكل خاص . وعلى الرغم من أنه رغب فى دراسة المسرح الا أن اباه الذى كان يهندس حياته من بعد أراد له أن يكون محامياً . وفعلا شرع دين بدراسة القانون بكلية سانتا مونيكا لكنه تركها فى السنة الثانية والتحق بجامعة لوس انجلوس لتميز نشاطها المسرحى . وهناك مثل أول ادواره فى مسرحية « ماكبث » . وبرغم أنه لم يلفت الانظار ، الا أنه أثار انتباه عميل لشركة « بيبسى كولا » فاعطاه دوراً فى اعلان تجارى سينمائى ووقف دين أمام الكاميرا للمرة الأولى فى حياته .

« التحدى الأكبر أمام هذا القط ـ أنا ـ ألا يضيع وسط الزحام » .

سرعان ما انقطت علاقة دين بأبيه . ومن جهة أخرى لم يستطع أن يتواءم مع جو الكلية فانقطع عنها وظل يبحث عن عمل كممثل عائشاً على الكفاف ، حتى نجح فى الحصول على دور « جون المعمدانى » فى مسلسل تليفزيونى اسمه « تل رقم واحد » شكلت على اثر عرضه مجموعة من فتيات المدارس أول ناد لمعجبات جيمس دين .





سيارته عقب وقوع الحادثة التى أودت بحياته .. ثم لقطة للممثل الذى فقد حياته بسبب جنون السرعة اثناء الاندماج فى تمثيل احد افلامه

« انا لا أريد أن أكون ممثلا جيداً وحسب ، ولا أريد ايضاً أن أكون الممثل الأحسن وحسب . اننى انوى أن تطول قامتى بحيث يصبح من المستحيل الوصول الى » .

تبع ذلك أن ظل دين يغشى منتديات هوليود حتى احتضنه برعايته رود جرز براكيت الذى فتح له المجال لتمثيل بعض الأدوار الثانوية فى أفلام من الدرجة الثانية الشىء الذى لم يرض طموحه فارسله براكيت إلى نيويورك ليتعلم فن التمثيل . وهناك عاش دين متنقلا من مكان لاخر لاهثا وراء الظهور على المسرح حتى استطاع أن يحصل على دور البطولة فى مسرحية « جاغوار » . وبرغم أن عرض المسرحية لم يستمر أكثر من اسبوع واحد الا أن دين لفت اليه الانظار وكتب احد النقاد أن موهبته غير عادية . كان ذلك جواز مروره إلى العديد من الادوار التليفزيونية . وفى فبراير ١٩٥٤ مثل دين فى مسرحية « الفاسق » ولعب فيها دور رجل شاذ جنسياً ونال عن دوره جائزة المسرح لأحسن ممثل ناشىء ، ثم اختطفه على الفور المخرج السينمائى ايليا كازان ليلعب دور البطولة فى فيلم « شرق جنة عدن » . وبعد انتهاء التصوير قال كازان ان العمل مع دين جحيم لا يطاق إذ أن الممثل ذا الأربعة وعشرين ربيعاً كان لعبة بيد نزواته وتقلبات مزاجه وقلقه الذى لا ينقطع .

إيليا كازان :
« هذا الفتى يعطيك احياناً الانطباع بانه ممثل محدود المواهب وفى احيان أخرى يدهشك بمقدراته وطاقاته غير المحدودة . لكنه فى كل الأحوال يجعلك تحس بانه ينطوى على روح مصابة بداء عضال » .

رفض دين حضور العرض الافتتاحى لفيلمه وانتظر رد فعل الصحف ليفاجأ بانه حلق عالياً فى سماء النجومية بعد ان شكل اسمه الخطوط العريضة للصفحات الفنية وصار الفتى بنمط حياته الغريب وثيابه المتسخة وسهره الليالى متسكعاً فى الطرقات ، نغمة محببة للشباب المتعطش للجديد .

إرتوى دين من نجاحه حتى الثمالة ثم صار مهووساً بشهرته . فاذا احس فى مكان عام ، كالمطعم مثلا ، بانه ليس محط الانظار بما يكفى بدأ بعزف ايقاعات مختلفة على المنضدة او افراغ آنية السكر فى جيوبه أو اشعال النار فى مناديل الورق . ولكن نجاحه على أية حال جعله يتحصل على عقد مع شركة « وارنر » لتمثيل تسعة أفلام فى خلال ست سنوات باجر أدنى قدره خمسة عشر الف دولاراً للفيلم الواحد . ومن تلك الثروة اشترى دين سيارة سباق أحرز بها رغم قلة خبرته الجائزة الأولى لسباق الهواة والثالثة لسباق المحترفين .

« السباق هو الوقت الوحيد الذى أحس فيه باننى أصعد باتجاه الكمال » .

فى مارس ١٩٥٥ بدأ دين تصوير فيلمه الثانى « التمرد دون دافع » أمام ناتالى وود واخراج نيكولاس راى . فى هذا الفيلم لم يمثل دين . بل عاش تجربة تتناسق طبيعياً ونمط حياته ، وصار ـ عند الناس ـ صنواً لشخصية جيم ستارك المتمرد والتى جسدها دين وصار بها رمزاً لصرخة الشباب ضد مجتمعه .

بدأ دين فيلمه الثالث « العملاق » عن حياة شاب أمتلك مزرعة صغيرة فى سن الخامسة والعشرين واصبح مليونيراً فى غضون عشرين سنة بعد عمله بالتنقيب عن البترول . وخلال التصوير الذى انتهى فى ١٩٥٥ قال دين إنه لما يزل يمثل قصة حياته .

« ما انا إلا شيطان صغير قلق ، يكره الذوق والكياسة إلى حد اننى ادهش كيف يحتمل الناس الجلوس معى فى نفس الغرفة . اليس مدهشاً اننى ايضاً لا احتمل البقاء وحيداً مع نفسى ؟ »

فى الثلاثين من سبتمبر ١٩٥٥ استوقفته شرطة المرور وهو فى طريقه الى الاشتراك فى سباق السيارات المقام ببلدة ساليناس بتهمة تجاوز السرعة القانونية . طوى ورقة المخالفة ثم اطلق لسيارته العنان . وبعد مرور ساعات قليلة وفيما الشمس تميل إلى المغيب أمام عينيه ، اصطدم بسيارة كانت تسير فى الاتجاه المعاكس . كانت الساعة تشير الى السادسة الا ربعاً عندما مات جيمس بايرون دين عن أربع وعشرين سنة .

ديريك مارلو :
« لو انه استطاع أن يجعل له جسراً بين الحياة والموت ، وأن يعيش بعد مماته لصار رجلا عظيماً ، سوى أنه لن يستطيع أن يضيف كثيراً الى أسطورته على أية حال » .

صلاح حسن أحمد

أعظم سائح عربي أندلسي في عصره

ابن جبير

شاهد على عصر صلاح الدين

بقلم: كمال النجمي

ابن جبير ، هو أعظم « سائح » عربى أندلسى فى القرن السادس الهجرى ـ القرن الثانى عشر الميلادى ـ شهد عصره ، وشهد عليه ، قولا وكتابة ، شعراً ونثراً ، فى مؤلفه الرائع اللطيف الحجم الذى سماه : «تذكرة بالأخبار ، عن اتفاقات الأسفار» .. والتزم فيه بالوجازة البليغة ، والصدق التلقائى العميق النقى ، المأثور عن أولئك المثقفين العرب الصلحاء الشرفاء ، البالغى الدقة فى القول والعمل ، وقد كانت النماذج العظيمة من هؤلاء تظهر بقوة فى فترات متقاربة أو متباعدة من التاريخ العربى والاسلامى ، وبخاصة فترات الكفاح الدموى ، والجهاد الصارم ، وحروب الحياة أو الموت التى اضطرت أمتنا إلى خوضها على امتداد التاريخ ! ..

بدأ ابن جبير رحلته إلى مصر والحجاز والشام فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، وكانت دولته تشمل هذه الاقطار وغيرها ، وكان صلاح الدين منهمكا فى معارك فاصلة ضد الغزاة الفرنج لاجلائهم عما احتلوه واستوطنوه مدة طويلة من أرض سوريا ولبنان وفلسطين والأردن ..

واهل عصرنا لا يعرفون « ابن جبير » كرحالة او سائح كما يعرفون «ابن بطوطة» الذى جاء الى مصر والمشرق العربى بعد ابن جبير باكثر من مائة سنة وكانت الحروب الصليبية قد وضعت اوزارها ، وانقطع صليل سيوف الغزاة الى الابد ، وارتفعت راياتنا فوق الارض العربية كلها ..

والذين لا يعرفون الآن ابن جبير معرفتهم « ابن بطوطة » لهم عذرهم ، فان ابن بطوطة كان أعظم رحالة فى التاريخ القديم كله : السياحة « مهنته » .. ان صح التعبير .. أما ابن جبير ، فكانت رحلته ، رحلة حج الى مكة وزيارة للمدينة ، ولم تتعد سياحته حدود البلاد الناطقة بالعربية بين العراق والاندلس ، ولم يكن مطلبه منها إلا الاستزادة من العلم ، ومداواة النفس من جراحها ! ..

ولكن كتاب ابن جبير عن رحلته هذه التى تتواضع بجانب الرحلات الشاسعة لابن بطوطة ، جعل من هذه الرحلة المتواضعة ، تحفة تاريخية وادبية واجتماعية وسياسية .. بل ان هذا الكتاب الوجيز قد اقام من ابن جبير ـ بلا قصد منه ـ شاهداً على عصر من اشد العصور حسماً فى تاريخ امتنا : عصر صلاح الدين الأيوبى والحروب الصليبية التى بلغت منه ذروة خطيرة فاصلة ! ..

وفى مصر خلد اسم ابن جبير الى آخر الزمان ، فقد توفى فى الاسكندرية سنة ٦١٤ هـ بعد ان جاوز عمره سبعين عاما قضاها فى طلب العلم ونشره ، مقيما ومرتحلا ، ودفن فى مسجد هناك ، صار معروفا باسمه ، ثم لحق باسمه التحريف ، فاسمه عند العامة فى ايامنا : « سيدى جابر » .. وكان نصف رجال الاسكندرية منذ جيلين يحملون اسم « جابر » تيمنا بهذا الاسم ! ..

و « سيدى جابر » اول اسم يطرق الآن اسماع زوار الاسكندرية حين يغادرون القطار او يستقلونه فى المحطة المعروفة بهذا الاسم هناك ، وتتلاقى فيها امواج البشر صيفا ، كانها امواج بحر الاسكندرية الرائع ! ..

فى الثلاثين بدأت الرحلة

اسمه محمد بن احمد بن جبير .. واسم « جبير » يتكرر فى اجداده ست مرات .. اصله عربى قح .. دخل اجداده الاندلس ونزلوا مدينة « شاطبة » ثم « بلنسيه » .. وفيها كان مولد محمد بن جبير سنة ٥٤٠ هـ ونبغ وهو شاب صغير فقدمه العلماء والفضلاء ودخل فى خدمة امير «غرناطة» واقام هناك ، وكانت الاندلس قد تقسمت فى تلك الوقت امارات تتنازع وتتقاتل ، ويتخذ كل امير من امرائها لقبا فخما كالقاب خلفاء بغداد ..

فى الثلاثين من عمره بدأ ابن جبير رحلته للحج ، مودعاً غرناطة ، فعبر البحر الى الاسكندرية خلال ثلاثين يوماً ، قضتها سفينته بين اليأس والرجاء ! ..

ترك ابن جبير الاندلس وهى ارض عربية الوجه واليد واللسان ، لم يسقط منها فى حروب الاسترداد الاسبانية الصليبية إلا مدينة كبرى واحدة هى « طليطلة » ولكن سقوطها كان نذيراً رهيباً بانتثارِ عقد المدائن الاندلسية الذى لا يمسك به خيط ، بل تتفرق حباته وتنتثر فى شكل بالغ الغرابة والحماقة ! ..

أما فى المشرق فكانت الحروب الصليبية تأكل مصر والشام منذ بضعة وثمانين عاماً ! .. كان قومنا فى جهاد دائم بالغ المشقة لا تبدو له نهاية ، ولكن لابد له من الاستمرار ! ..

فكانت الأمة العربية فى مغربها ومشرقها شاكية السلاح ، فى رباط دائم ، واصطدم التعصب الاوربى الغازى بالعرب والمسلمين يعضون على كل قطعة من أرضهم بالنواجذِ ، ويمسكونها بايد حديدية ، ويقاتلون بدون أن يسألوا : متى ينتهى هذا القتال ! ..

إلا أن « السلبيات » كانت موجودة فى تلك العصر بطبيعة الحال ، لا يعصم الناس منها انصراف الجهود الى حرب الحياة أو الموت التى تخوضها الأمة ! ..

انظر كيف يصف ابن جبير ما صنعت به « شرطة الجمارك » فى ميناء الاسكندرية عندما نزل على أرضها ، وهو القادم إليها « برسم الحج » ـ على حسب التعبير القديم ـ لا برسم التجارة ولا التوطن .. أى انه كان مجرد « عابر » أو « ترانزيت » بلغة أيامنا ..

هذا العابر الطيب الذى نزل بالاسكندرية فى طريقه إلى الحج غير متلبث ولا متجر فى شىء ، فوجىء برجال الميناء يستحضرون جميع من كانوا من الرجال والنساء فى المركب ، واحداً واحداً ، وواحدة واحدة ، ويكتبون اسماءهم وصفاتهم واسماء بلادهم ، ثم يلزمونهم باداء « الزكاة » على ما يحملون من أموال ، ولم تكن الزكاة واجبة عليهم يومئذ . لانها إنما تؤدى عن مال حال عليه الحول ، أما هؤلاء الحجاج فليس فى ايديهم إلا زاد الطريق الذى لا يفى إلا بحاجاتهم الماسة فى رحلة طويلة مضنية بين الاندلس والحجاز .. أو من مغرب الشمس إلى مشرقها كما يقال ! ..

ثم اقتنص الحرس واحداً من الحجاج وأخذوه الى والى المدينة ، فاستجوبه عن ابناء الاندلس ، وما تحمل السفينة من السلع ، فلما انتهى من استجوابه ، أحاله الى قاضى المدينة ، فاعاد استجوابه بطريقته الخاصة .. ثم طيف به على «أهل الديوان » .. ثم على جماعة من حاشية الوالى ، وكلهم يستفهم منه عن اشياء ويقيد أقواله .. حتى أخلوا سبيله آخر الأمر وقد انهكته واذهلته هذه التجربة التى يخوضها لأول مرة فى حياته ، ولم يتصور انه يلقاها فى طريقه الى الحج ، وقد رأى بعينيه سفن الفرنجة راسية فى ميناء الاسكندرية ، وتجارها فى اتم سرور وعافية ، لا يطالبهم الوالى بالزكاة ولا يستجوبهم ، لمجرد كونهم معاهدين غير محاربين ، كانما الحجاج محاربون متنكرون بالعمائم العربية والكلام بلغة العرب ! ..

ولما انزل الحجاج امتعتهم من السفينة ، استدعوا جميعاً الى ديوان الحاكم ، رجالا ونساء ، حتى غص بهم زحاماً ! ..

لو علم صلاح الدين

يقول ابن جبير فى كتاب رحلته بلهجة حزن وكمد : « .. فوقع التفتيش لجميع الأسباب « الامتعة » ما دق منها وما جل ، واختلط بعضها ببعض ، وادخلت الايدى إلى أوساطهم بحثاً عما عسى أن يكون فيها ثم استحلفوهم بعد ذلك : هل عندهم غير ما وجدوا لهم ـ من مال ومتاع ـ أم لا ؟! .. وفى اثناء ذلك ذهب كثير من أسباب الناس لاختلاط الايدى وكثرة الزحام ، ثم اطلقوا بعد موقف من الذل والخزى عظيم ! .. » ..

أول ما خطر على بال ابن جبير حين رأى هذا العمل الشائن من موظفى وشرطة ميناء الاسكندرية مع الحجاج ، أن السلطان المجاهد العادل الزاهد صلاح الدين الايوبى لا يعلم عن هذه الأعمال شيئاً ، فان همه الأكبر مقاتلة الغزاة الاجانب ، وترك شئون الحكم المحلية فى دولته الواسعة أمانة فى أعناق ولاتها .. قال ابن جبير :

« وهذه لا محالة من الأمور الملبس فيها على السلطان الكبير صلاح الدين ، ولو علم بذلك ـ على ما يؤثر عنه من العدل وايثار الرفق ـ لأزال ذلك ، وكفى الله المؤمنين تلك الخطة الشاقة » .

ثم يعترف ابن جبير بأن مالقيه على أيدى عسكر الميناء كان الشىء « القبيح » الوحيد الذى وجده فى بلاد صلاح الدين .. قال ابن جبير :

«مالقينا ببلاد هذا الرجل مما يلم به قبيح الذكر ، سوى هذه الأحدوثة التى هى من نتائج عمال الدواوين » ! ..

سجل ابن جبير هذه الشهادة العادلة ، بعد أن شاهد الاسكندرية كلها طولا وعرضاً ولقى علماءها وأدباءها والمهاجرين اليها من الأندلس ، ووجد الأمن والعدل والرخاء يعم كل مكان ، بل وجد حتى الغرباء القادمين من بلاد عربية أو اسلامية نائية ، يشملهم « التامين الاجتماعى » الذى كان ملاذا لكل فقير .. قال ابن جبير : « ان مفاخر هذا البلد عائدة فى الحقيقة إلى هذا السلطان



الذى يعتنى حتى بالغرباء » .. ثم قال : « .. ومن أشرف هذه المقاصد أيضاً أن السلطان عين لأبناء السبيل من المغاربة ـ يقصد الأندلسيين وغيرهم من المغرب العربى حينذاك ـ خبزتين لكل انسان فى كل يوم ، بالغاً ما بلغوا .. ونصب لتفريق ذلك كل يوم إنساناً أميناً من قبله ، فقد ينتهى فى اليوم إلى ألفى خبزة أو أزيد » ..

ولما وصل الى القاهرة زار مشاهد أهل البيت ومشاهد بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرافة ، ومشهد الامام الشافعى ، ومشاهد بعض أصحابه وأصحاب الامام مالك ، وترحم عليهم ..

وزار جامع عمرو بن العاص وجامع احمد ابن طولون وجوامع أخرى كثيرة .. وصفها بانها «حفيلة البنيان ، انيقة الصنعة» .. ولم يذكر الجامع الأزهر الذى كان مغلقاً فى تلك الأيام ، بعد زوال الخلافة العبيدية أو الفاطمية من مصر (١) .

وشاهد قلعة القاهرة الرائعة والعمال منهمكون فى بنائها ، و «قراقوش» يشرف على هذه المهمة التاريخية لتحصين القاهرة .. كذلك رأهم يحفرون الخندق المحيط بسور الحصن .. قال ابن جبير : «إن الأسرى ـ الافرنج ـ الذين وقعوا فى أيدى المسلمين فى المعارك الحربية ، كانوا هم الفعلة القائمين بالبناء ، وتكسير الصخور الضخمة ، ونشر الرخام ، وحفر الخندق المحدق بسور الحصن ، وهو خندق ينقر بالمعاول نقراً فى الصخر» ..

وحين يذكر ابن جبير هؤلاء الفعلة من الأسرى الافرنج يقول : « إن هؤلاء «العلوج» من الروم «الافرنج» ، عددهم لا يحصى كثرة .. ولا سبيل أن يمتهن فى ذلك البنيان أحد سواهم» ! ..

من مفاخر السلطان

ويقول : «ومما شاهدناه من مفاخر هذا السلطان ـ صلاح الدين ـ المارستان ـ المستشفى الذى بمدينة القاهرة ، وهو قصر من القصور الرائعة حسناً واتساعاً ، أبرزه لهذه الفضيلة أجراً واحتساباً .. وفى مقاصر ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع ، كاملة الكسى ، ويتكفل الخدام بتفقد احوال المرضى بكرة وعشية ، فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم» .. «وبازاء هذا الموضع ، موضع مقتطع للنساء المريضات ، ولهن أيضاً من يكفلهن» .. «وبمصر مارستان آخر على مثل ذلك الرسم بعينه» .. «وما من جامع ولا روضة ولا مدرسة الا وفضل السلطان بعم جميع من يأوى اليها» .. «ومن مآثره الكريمة المعربة عن اهتمامه بأمور المسلمين أنه أمر بعمارة محاضر ـ كتاتيب ـ ألزمها معلمين لكتاب الله عز وجل ، يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة ، وتجرى عليهم الجراية الكافية لهم» ..

وفى تعمير الأرض الزراعية والنهوض باقتصادها يقول ابن جبير : «ومن مفاخر هذا السلطان ، وآثاره الباقية المنفعة للمسلمين القناطر التى شرع فى بنائها بغربى مصر ، على مقدار سبعة أميال منها ، بعد رصيف ابتدىء به من حيز النيل بازاء مصر كأنه جبل ممدود على الأرض ، تسير فيه مقدار ستة أميال حتى يتصل بالقنطرة المذكورة ، وهى نحو الأربعين قوساً من أكبر ما يكون من قسى القناطر .. والقنطرة متصلة بالصحراء التى يفضى منها الى الاسكندرية (٢) .. له فى ذلك تدبير عجيب ، إعداداً لحادثة تطرأ من عدو يدهم ثغر الاسكندرية عند فيض النيل وانغمار الأرض وانقطاع الطرق بسببه ، فأعد السلطان ذلك مسلكاً فى كل وقت إن احتيج الى ذلك» ..

ثم يقول موضحاً التطور الاقتصادى والاجتماعى الضخم الذى شهدته مصر فى عهد صلاح الدين ، برغم ما كانت ترزح تحته من أعباء الحرب الصليبية التى استمرت طوال مدة حكمه بمنتهى الشدة :

«ومن مفاخر هذا السلطان ، إزالته رسم المكس المضروب على الحجاج مدة دولة العبيديين ـ الفاطميين ـ فكان الحجاج يلاقون ـ فى عهد العبيديين ـ من الضغط فى استيدائها عنتاً مجحفاً ، ويسامون منها خطة خسف باهظة .. وربما ورد منهم من لا فضل لديه على نفقته ، أو لا نفقة عنده ، فيلزم أداء الضريبة المعلومة ويعجز عن ذلك فيتناول باليم العذاب ، وغير ذلك من الأمور الشنيعة .. فمحا السلطان هذا الرسم اللعين ، وكفى الله المؤمنين على يدى هذا السلطان العادل حادثاً عظيماً وخطباً أليماً .. الى مكوس ـ أخرى ـ كانت تؤدى ـ فى الدولة العبيدية ـ ضرائب على كل ما يباع ويشترى ، حتى كان المكس يؤدى على شرب ماء النيل ! .. فضلا عما سواه ، فمحا هذا السلطان هذه البدع اللعينة كلها ، وبسط العدل ، ونشر الأمن» ! ..

(سبب هام)

وابن جبير يشهد على سبب هام من أسباب الحروب الصليبية كان من ذرائع الدعوة اليها فى مؤتمر «كليرمونت» الشهير فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى .. ذلك أن ولاة الدولة العبيدية فى عصر انهيارها كانوا ـ فعلا ـ يضطهدون حجاج كنيسة القيامة القادمين من أوربا ، ويفرضون عليهم الضرائب الباهظة .. فها هم أولاء ـ وهم ولاة أمور المسلمين ـ ينالون حجاج بيت الله فى مكة باقسى ضروب التعذيب ويسلبونهم دراهمهم القليلة ، فكانت هذه الأفعال الشنعاء منهم دليلا على أنهم لا يفرقون فى «سوء المعاملة» بين مسلم ومسيحى ! .. لقد اضطهد هؤلاء الطغاة جميع الناس من كل الملل والنحل ، ليجمعوا أموالا لخزائن دولتهم وهى تلفظ أنفاسها فى العقود الأخيرة من عمرها الذى زاد على مائتى سنة ! ..

وقد شن الأوربيون عليها الحرب ، بدافع دينى فى البداية ، ثم صارت حربهم توسعاً واستيطاناً استعمارياً ، ونهض المسلمون فاسقطوا هذا النظام العاجز الفاسد ، وأقاموا بديلا منه نظام العدل والمصلحة العامة ، فامتنع اضطهاد المسلمين والمسيحيين ، وازدهر مجتمع عربى اسلامى من المجتمعات النادرة فى التاريخ كله . إذا أخذنا فى الحسبان مصاعب ومخاطر الحروب الصليبية التى كان ذلك المجتمع يدفع نفقاتها الباهظة من دمائه وأمواله بلا انقطاع ..

لم يأبه الصليبيون للتحول الاجتماعى والسياسى الجذرى الذى وقع فى الدولة التى يحاربونها ، لأن أمراء الاقطاع الصليبى فى سوريا ولبنان وفلسطين والأردن ، كانوا قد استقروا واستوطنوا فى الأرض العربية المغتصبة ، وصاروا ملوكاً وأمراء يجبون خيراتها ويضعون فوق

رءوسهم تيجانها ، فانقلبت الحرب «المقدسة» الى حرب اقطاعية مبدؤها الأوحد مصلحة الأمير الصليبى الاقتصادية والسياسية ، وميراثه الذى انحدر اليه من اسلافه الفاتحين الأوائل الذين تدفقوا كالسيل على الأرض العربية مع نهاية القرن الحادى عشر ..

وبدت بوادر الانهيار على هذا المجتمع الأوربى الغريب فى الوقت الذى استبحرت فيه الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى مجتمع صلاح الدين ، فامن الناس بعد الخوف الشديد ، حتى إن اصحاب السلع الثمينة كانوا إذا تركوها فى الطريق العام ثم عادوا اليها بعد ساعات أو أيام ، وجدوها سليمة فى مكانها ! .. ومن بين هذه السلع الثمينة بهارات الهند ، وبخاصة «الفلفل» الذى كان «العملة الصعبة» فى ذلك الزمان ، وكان الأوربى إذا صار غنياً ، وصفه الناس بانه «كيس فلفل» ! .. كناية عن بلوغه اقصى الثراء ! ..

العفو .. والعقوبة

وصل ابن جبير الأرض الحجازية ، وحج واعتمر ، وسمع خطيب المسجد يدعو فى خطبته للخليفة العباسى ، ثم لشريف مكة ، ثم للسلطان صلاح الدين ..

يقول ابن جبير : «وعند ذكر صلاح الدين بالدعاء ، تخفق الألسنة بالتامين عليه من كل مكان .. وحق ذلك عليهم لما يبذله من جميل الاعتناء بهم ، وحسن النظر اليهم» ..

وبعد الحج سافر ابن جبير الى بغداد وغيرها من المدائن حتى دخل دمشق ، وقال عنها : «ليس أمام هذه البلدة ، بلدة أخرى للاسلام ، والشام أكثره بيد الافرنج ، فسبب الله هذا السلطان رحمة للمسلمين ، فهو لا يأوى لراحة ، ولا يخلد الى دعة ، ولايزال سرجه مجلسه ! .. إننا بهذه البلدة نازلون منذ شهرين وقد خرج - السلطان - لمنازلة حصن الكرك - فى الأردن - وهو محاصر له حتى الآن ، والله تعالى يعينه على فتحه» ! ..

ويروى ابن جبير بعض ما سمع من الشهود العدول عن صلاح الدين قائلا : «.. وسمعنا أحد فقهاء هذه المدينة - دمشق - يذكر عنه ثلاث مناقب ، إحداها «الحلم» .. فقد صفح عن جريرة أحد الجناة عليه - أى على السلطان نفسه - ثم قال السلطان لمن حوله : أما أنا فلأن أخطىء فى العفو ، أحب إلي من أن أصيب فى العقوبة» ! ..

«وجرى ذكر من سلف من أكارم الملوك وأجوادهم فقال السلطان : والله لو وهبت الدنيا للقاصد الآمل لما كنت أستكثرها له ، ولو استفرغت له جميع ما فى خزانتى لما كان عوضاً مما أراقه من حر ماء وجهه فى استماحته إياي» ! ..

«وحضره أحد خاصته مستعديا على رجل ذكر أنه باعه جملا معيبا ، فقال السلطان : ما عسى أن أصنع لك-؟! .. للمسلمين قاض يحكم بينهم ، والحق الشرعى مبسوط للخاصة والعامة ، وإنما أنا عبد الشرع وشحنته - أى صاحب الشرطة لديه - فالحق يقضى لك أو عليك» !

يعلق ابن جبير على هذه المناقب العظيمة قائلا باعجاب ومحبة : «.. هذه كلمات كفى بها لهذا السلطان فخراً ، والله يمتع ببقائه الاسلام والمسلمين» ! ..

ويشهد ابن جبير - مع ذلك - حالة عجيبة من أحوال المشرق العربى فى ذلك العصر .. ففى الوقت الذى كانت فيه غالبية مدن الساحل الشامى بأيدى الافرنج كانت القرى والأرض الزراعية وراء هذه المدن التى يحتلها الفرنجة تحت أيدى المسلمين ، يقيمون فيها ويزرعون أرضها ، وللفرنجة عليهم خراج سنوى يؤدونه اليهم بانتظام ، فيكتفى منهم الفرنجة بذلك ولا يؤذونهم إلا قليلا ، وربما أحسنوا معاملتهم ، فى حين تضج القرى التابعة للحكم الاسلامى من خشونة بعض الولاة والجباة وسوء عملهم ..

فوقعت - لهذا السبب - ملاحاة وفتنة بين مسلمى قرى الافرنج ، ومسلمى القرى الاسلامية ، واشتد الأسف والعجب من وفاق مسلمى القرى الخاضعة للفرنجة مع المحتلين الغرباء الأعداء ، بينما يئن مسلمو القرى التابعة لدولة المسلمين من جور بعض حكامهم المسلمين عليهم ، من وراء ظهر السلطان المشغول بالحرب المصيرية التى لا تنطفىء نارها ! ..

يقول ابن جبير متوجعاً لهذه الحال : «.. وهذه من الفجائع ! .. فالى الله» .. المشتكى من هذه الحال » ! ..

● ●

عاد ابن جبير إلى الأندلس بعد أن راى صورة صادقة لعصر صلاح الدين الأيوبى ، فشهادته لهذا العصر هى شهادة رؤية عين وليست أقوالا للرواة او المؤرخين .. وابن جبير لم يكن مؤرخاً وكتابه ليس تاريخاً ولكنه تسجيل عفوى شديد الصدق والأمانة يرتفع بأمانته وصدقه فوق كل تاريخ ..

ولم يكد ابن جبير يستقر فى غرناطة وقتاً ، حتى وصلت الى الأندلس أنباء انتصارات صلاح الدين وتحريره القدس بعد أن لبثت أسيرة فى ايدى مغتصبيها أكثر من ثمانين عاماً ! ..

طرب ابن جبير طرباً شديداً لتحرير القدس فشد رحاله إلى المشرق ثانية ليصلى فى المسجد الأقصى وقد عاد مسجداً .

كانت رحلته الثانية هذه هى آخر مطافه فاستقر فى الاسكندرية التى أحبها وأحبته هى أيضاً وسمته « سيدى جابر » .. وجعلت اسمه أول ما ينطقه القادم إليها صيفاً او شتاء ! ..

أما كتابه الموجز البديع الذى تكاد تلمس فيه بيديك صدقه ونقاءه وتواضعه الجم ، فانه وثيقة متجددة الحياة ارتسم فيها عصر صلاح الدين الأيوبى الفاصل فى تاريخنا حتى اليوم ..

وليس فى جميع كتب التاريخ الضخمة ، صورة لذلك العصر الخطير ، أكثر حيوية ودقة ، من صورته فى هذا « الكتيب » العظيم ! ..

كمال النجمي

هوامش

(١) لم يبدأ تاريخ الأزهر الحقيقى المتصل الحلقات إلا منذ أعاد فتحه السلطان الظاهر بيبرس بعد عهد صلاح الدين بأكثر من مائة سنة ..

(٢) من هنا يبدأ الطريق الصحراوى الممتد الآن بين القاهرة والاسكندرية ..

بقلم : حصّه العوضي



لقطة عامة من حفل افتتاح المهرجان

نحو مهرجان تليفزيوني أفضل

عدنا من المهرجان الثانى للانتاج التلفزيونى لدول الخليج العربى والذى اقيم فى دولة الكويت الشقيقة من ١٧ الى ٢٣ فبراير المنصرم .. عدنا ونحن نحمل فى جعبتنا مجموعة من الانطباعات ، والأفكار ، والذكريات الحلوة ، والأمنيات لمهرجان أفضل .



شعار المهرجان ..

تحت شعار «نحو انتاج تلفزيونى أفضل» تم افتتاح المهرجان .. وتوافدت الجموع .. ليس من الخليج فقط .. وإنما من سائر أقطار الوطن العربى .. جمعتهم رغبة موحدة .. من أجل غاية واحدة وهى «الانتاج الأفضل» .. وكان المهرجان .. لقاء أخوياً شاملا . فهناك اجتمع الفن ، والانتاج والاخوة .. من تلفزيونات الخليج ، بالاخوة من تلفزيونات المنطقة العربية .

هناك .. تجددت أواصر اللقاء .. وتدفق فيض ثرى من الانتاج العربى فى ساحة المهرجان ..

فهذا لديه أفلام وثائقية هامة .. وذاك لديه مسلسلات تاريخية قيمة .. وآخر لديه نخبة من البرامج المنوعة والسهرات .

سيل لا ينقطع من العروض الفنية ، والحفلات الغنائية الساهرة ، واللقاءات المتجددة ، الزاخرة بالحركة ، والعطاء .

ولكن .. كيف كان تنظيم المهرجان .. ؟! كيف بدأ ؟! كيف سار ؟! وكيف اختتم . ؟! .

بعدسة خاصة جداً .. استطعت أن التقط بعض الملامح واللقطات من المهرجان الكبير .

حفل الافتتاح

افتتح المهرجان بحفل كبير اختلط فيه ضيوف المهرجان بضيوف الحفل .. واختلط الحابل بالنابل .. حتى أن وفود التلفزيونات العربية لم تتمكن لحظتها من التعارف واللقاء .

كنت اتمنى .. كما تمنى غيرى .. أن يكون حفل الافتتاح مقصوراً على ضيوف وأسرة المهرجان .. ليكون حفلا ولقاء للتعارف .. قبل كل شىء .

لجان التحكيم

عجبت من تكوين اللجان .. وقد كنت أظن أن أعضاء الدول المشاركة لن تدخل لجان التحكيم بحال من الأحوال .. وأن اللجان ستتكون من أعضاء محايدين جداً .. ومتخصصين فى مجالات البرامج المقدمة .

ولكن تكونت اللجان من أعضاء الدول المشاركة فى المهرجان بالاضافة الى رئيس محايد .. وكان ذلك ـ فى رأيى ـ سبباً وجيهاً لأن تأتى الآراء والأحكام غير موضوعية بدرجة كبيرة . ذلك أن مجال التنافس موجود بين أعضاء اللجان أنفسهم . ولذا فلن يحاول أى عضو أن يضع علامة عالية لأى برنامج مهما بلغ مستوى ذلك البرنامج .. وذلك رغبة منه فى الاحتفاظ بأعلى رقم لبرامجه هو .

وقد كنت أظن أن الأسماء الكبيرة التى دعيت من فنانى وفنانات الوطن العربى هى التى ستكون هذه اللجان .. ومنها ستصدر الأحكام . ومنها سنعرف ما هو الأفضل !! .

● بالنسبة لتقرير «الأفضل» .. أو لمصطلح «الأفضل» .. ترى ماذا كان المقصود به ؟! .. وما هى المعايير التى يمكن على أساسها تحديد « الأفضل » ؟! .

فمقاييس البرامج التلفزيونية تختلف من برنامج لآخر .. أى من نوعية الى أخرى .. فللدراما معايير مختلفة عن البرامج الثقافية





محمد ناصر السنعوسى .. رئيس المهرجان

.. ولهذه معايير تختلف عن برامج الأطفال .. ولكنها فى النهاية تصب فى معين واحد .. ولها أسس واحدة يعرفها من خبر التلفزيون وتعلمه ، وعلمه . ولذا فقد وجدت أكثر من علامة استفهام مطروحة بين أعضاء اللجان .. ترى ما هى مقاييس الأفضل ؟! . علماً بأن تليفزيونات المنطقة متفاوتة فى كل شىء .

فهل أخذ ذلك فى الاعتبار عند اختيار «الأفضل» .. !!

بالطبع .. لا .. ولو أن ذلك الموضوع دخل مجال النقاش فى الاجتماع الأول للجان ، وكان ان طلب مراعاة ذلك عند الحكم .

فهل تدل النتيجة النهائية على ذلك ؟!!..

● كانت لجان التحكيم محبوسة داخل صالات العرض الخاصة بالتحكيم .. وهى أساساً وفود دول المهرجان .. وهكذا كانت بعيدة كل البعد عما يجرى خارج لجانها ، وضمن احتفالات المهرجان .. لذا كنت أود أن أقترح حينها تأجيل احتفالات المهرجان حتى انتهاء لجان التحكيم من عملها !.

الفنانون

حظى الفنانون العرب المدعوون الى المهرجان باهتمام كافة أفراد الصحافة والاعلام .. وادارة المهرجان .

فقد انصبت الاهتمامات .. منذ بدء المهرجان عليهم . وأفردت لهم الصحف مقالات وصفحات خاصة .. كما كسبت الاذاعة والتلفزيون من وجودهم لقاءات فنية كثيرة .. لقد كانوا ضيوف المهرجان حقاً .. ولكنهم لم يقدموا للمهرجان شيئاً .. ولم يقدم لهم المهرجان أى شىء سوى انهمار الشباب من أبناء ومواطنى الكويت لالتقاط الصور التذكارية لهؤلاء الفنانين بجنون منقطع النظير !!

الفنان الخليجى .. لم يكن له أى دور فى هذا المهرجان .. على الرغم من أن المهرجان خليجى بالدرجة الأولى .. وقد طرحت بعض الصحف هناك تساؤلات حول هذا الموضوع .. وكانت محقة فى ذلك .. وكنت أود أن يتلافى مسئولو المهرجان ذلك بسرعة .. حتى ولو بدعوة فنان واحد من كل بلد خليجى لحضور ختام المهرجان ! .

وأما الفنان الكويتى .. فقد كان موجوداً وسط المهرجان .. وذلك لأن المهرجان أقيم على أرض الكويت . وكان حاضراً فى كل الاحتفالات التى أقيمت هناك .. وكان حاضراً على صفحات الجرائد والمجلات المحلية ، وفى الزوايا المخصصة للمهرجان .. أى أنه هو الفنان الخليجى الوحيد الذى استمتع بالمهرجان ! ..

حفل الختام

كان الحفل الختامى للمهرجان .. غاصاً بالحضور .. وتم تقرير (الأفضل) .. وسافرت الوفود بعد المهرجان مباشرة دون أن يعرف أى فرد منهم لماذا كان ذلك البرنامج هو الأفضل ، ولماذا لم يكن ذلك الآخر ؟!..

كثيرون .. تمنوا لو أن الجلسة النهائية كانت ندوة مفتوحة بين لجان التحكيم والفرز ، لطرح وجهات النظر المختلفة والمتباينة حول البرامج التى فازت وحازت على جوائز المهرجان .. والبرامج الأخرى التى لم تحظ بذلك الفوز .. كنا نود أن نعرف .. لماذا فاز هذا .. وخسر الآخر ؟!! ما هى الايجابيات وماهى السلبيات ؟

إذن كيف يمكننا أن نسير نحو انتاج تلفزيونى أفضل .. ونحن لم نعرف حتى هذه اللحظة ماذا كانت مميزات ذلك الأفضل !! ..

مازلت أتساءل .. كيف سنشارك فى المهرجان القادم ونحن لم نع شيئاً من هذا المهرجان !! ..

ما خرجت به من ذلك المهرجان

● على الرغم من كل ذلك .. فقد تمكنت ـ كما تمكن غيرى ـ عن طريق المقابلات الخاصة الالتقاء ببعض الوفود العربية التى لم تكن ضمن لجان التحكيم .. كما استطعت عن طريق تلك المقابلات أن أجيب على عدد من التساؤلات المثارة حول (المرأة فى قطر) .. لقد حاولت قدر الامكان إماطة اللثام عن فتاتنا والتعريف بها للجميع .

● تأكدت أخيراً .. أننا فى الوطن العربى عموماً .. نعانى الكثير والكثير نحو انتاج تلفزيونى للطفل .. وتمنيت لو أننا استطعنا ـ من خلال المهرجان ـ إقامة ندوات ولقاءات مكثفة حول برامج الطفل فى الوطن العربى .. من أجل توحيد الجهود نحو إنتاج عربى موحد للطفل .

أمنيات للمهرجانات القادمة

● أن ينتقل المهرجان لأكثر من مكان .. ويقام كل مرة فى بلد خليجى .

● أن تتكون لجان التحكيم من أعضاء محايدين .

● أن تكون هناك استمارات خاصة بلجان التحكيم وبها إرشادات وافية .

● أن تكون لجنة الفرز النهائية محايدة بحيث لا تضم أى عضو ينتمى الى دول المهرجان .

● أن يشمل المهرجان القادم الراديو والتلفزيون .

● أن يخصص فى كل مرة نوع معين من البرامج ليكون مدار البحث والنقاش من اجل التطوير . (وذلك خارج نطاق المسابقة كأن يخصص النقاش والندوات لبرامج الأطفال مثلا .. أو الدراما .. الخ) .

وأخيراً ...

كان الهدف من هذا المهرجان التلفزيونى هو لقاء الاخوة الاعلاميين من دول الخليج والوطن العربى بعضهم ببعض .

كان الهدف عميقاً .. فليس من السهل التنظيم لذلك الاجتماع الكبير ، فى مكان واحد وزمان واحد .

لقد كان المهرجان ـ رغم كل شىء ـ نبضاً واحداً .. وكياناً واحداً .. وكان هدفه الأساسى هو (التلاقى) .

فهل تلاقى الاخوان فعلا !! ..

آمل .. كما يأمل غيرى أن يكون المهرجان القادم أفضل .. وأفضل ! ..



الفنـــان العـربى الجزائرى محمد راسم

محمد راسم

فنان عربي أدهش العالم

ولد في الجزائر .. ومات قتيلا في السويد

تحقيق : د. نديم خشفة
محمد عايش



لوحة فنية صاغها بريشته الفنان محمد راسم ، لتكون غلافا لكتاب عن حياة البحار الجزائرى المعروف خير الدين باربا روس .

كانت بغداد أهم مدرسة للمنمنمات العربية الاسلامية . ومن خلالها بدت أولى مظاهر البيئة الاجتماعية . وصورت مشاهد من الحياة اليومية فى واقعية حقيقية . ونرى ذلك بوضوح فى المنمنمات الفارسية للقرن الرابع عشر الميلادى .

وكان مركزها أول الأمر مدينة (تبريز) وهى تمتاز بالأناقة والحيوية والخيال الزاهى . وسوف تتميز بعد ذلك مدارس (شيراز) (و هراة) .

وقد نتج عن امتزاج مدرستي (هراة) و (سمرقند) الفن الهندى والاسلامي .

فأين يقف (محمد راسم) من هذه المدارس :

لقد اطلع محمد راسم بلاشك ـ على هذه المدارس كلها .. وكانت حياته مسيرة فنية ، يعمق من خلالها دراسته ، ويصقل أسلوبه ، ويزيد التصاقاً بواقعه الجزائرى الذى هو محصلة للثقافات العربية الاسلامية فى المغرب العربى الكبير .



« فيلا جزائرية » لوحة للفنان العربى الجزائرى محمد راسم

محمد راسم
فنان عربي أدهش العالم



في الصورة الأولى :
الفنان يقوم بتنمنماته الدقيقة في إحدى لوحاته مستعينا بمنظار مكبر يمكنه من تنفيذ أدق الخطوط وأرهفها .

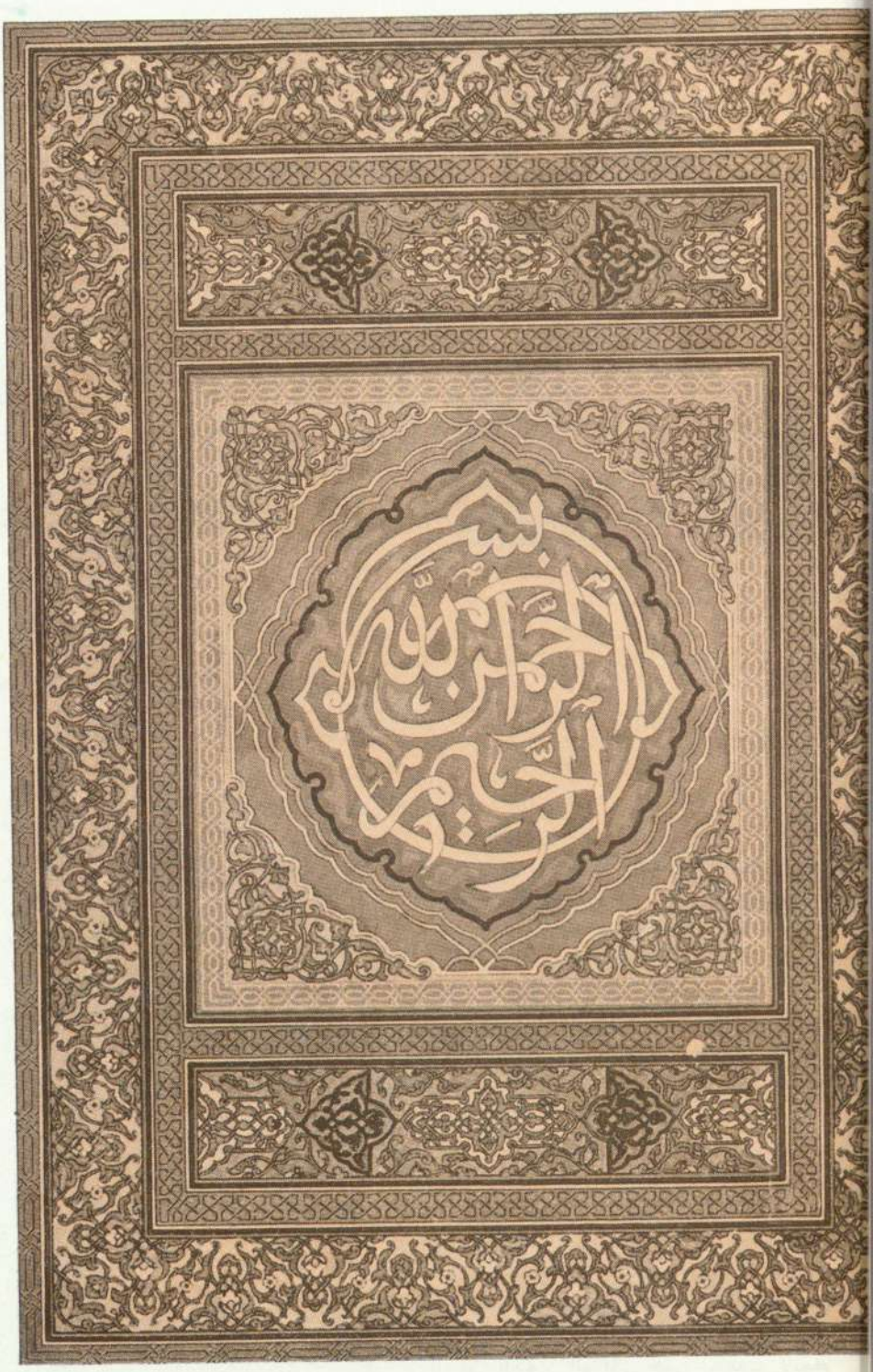
وفي الصورة الثانية :
لوحة « البسملة » .. ويلاحظ أن الفنان قد تجاوز فيها حدود قواعد الخط الثلث إلى آفاق التشكيل الزخرفي ، محتفظا في نفس الوقت بشخصية الحرف الثلث .

ولد محمد راسم سنة (١٨٩٦) من اسرة تسكن العاصمة الجزائر . وكان اخوه (عمر) فنانا ومناضلا سجن لمطالبته ببعض الحقوق الاجتماعية في بداية القرن العشرين (وتسمى باسمه الآن ثانوية كبيرة بالعاصمة) .

عندما كان طالبا في مدرسة الفنون ، أثناء الحكم الاستعماري ، لاحظ عليه أساتذته نبوغه في الرسم . واطلع سنة (١٩١٤) على كتاب (ثلاثة شهور عبر خراسان) لـ (هنري دلمان) فبهره هذا العالم الجديد من التصوير . وعزم أن يصقل موهبته ليصل إلى مرتبة أولئك الفنانين الخراسانيين العظام .

وعهد إليه سنة (١٩١٧) بتزيين بعض الكتب مثل (الاسلام تحت الرماد) لـ (هنري هاين) و (باربروس) وهو عن حياة البحار الجزائري المعروف الذي سيطرت أساطيله على البحر الأبيض المتوسط زمنا طويلا .

كذلك قام برسم الزخارف والمنمنمات لـ (بستان سعدي) . لكن هذه اللوحات لم تطبع . وفضل الناشر أن يبيع اللوحات الأصلية لهواة الأغنياء من الأميركان .



متناسباً الأمانة العلمية والفنية ! !

وزين محمد راسم كتاباً بعنوان (عمر الخيام) للكاتب الانكليزى (براون) .

وفى سنة (١٩٢١) حصل على منحة للتفرغ . فاقام فى اسبانيا بعض الوقت .

وفى (قرطبة) و (غرناطة) أعاد اتصاله الروحى بالأجواء الفنية الاسلامية الزاهرة .

وفى سنة (١٩٢٤) منح وسام المستشرقين فى باريس . وكان هذا اعترافاً عالمياً بقيمته الفنية .

وربما كان أعظم عمل أنجزه محمد راسم هو تزيينه لكتاب (الف ليلة وليلة) من ترجمة (مادروس) . فاقام فى باريس ثمانى سنوات . فكان الرسام (ليون كاريه) يرسم اللوحات ، ويتولى هو تزيين حروف التاج أو تزويق مطالع الصـــــفحات . فانجز منمنمات تفوق المائة لكل مجلد . فاذا علمنا أن الكتاب يحتوي (١٢) مجلداً أدركنا صعوبة ذلك العمل وقيمته الفنية البالغة .

يضاف إلى ذلك عدد كبير من اللوحات المنمنمة :

ـ تاريخ الاسلام وانتشاره منذ نزول الوحى حتى زمن السلطان عبد المجيد .

ـ نساء عند النبع .

ـ عرس جزائرى .

ـ خير الدين باربروس .

ـ الخطوبة .

ومئات غيرها مما لا يتسع المجـــال لنشرها أو الحديث عنها .

عرض محمد راسم لوحاته عبر العـالم الغربي كله : باريس ـ بوخارست ـ فيينا ـ ستوكهولم . وفى عاصمة السويد هذه تعرف على رفيقة حياته ورفيقة مـــوته أيضاً . فقد اقتحم عليه اللصوص منزله ليلا وقتلوه مع زوجته طمعاً ، ولم يرحما شيخوختهما . ولم يعرف المجرمون الى الآن وكان ذلك سنة (١٩٧١) .

* * *

ان صنع المنمنمة عمل شاق مرهق ، يتطلب ثباتاً فى اليد ، ودقة فى تحديد الخط ، ومهارة فى اختيار الالوان ومزجها. والعمل الأهم هو التذهيب . لذلك يستعمل الرسام مكبرة تساعده على رؤية واضحة للخطوط ، وانعكاس النور على الطبقات اللونية .

وتتداخل فى المنمنمة عدة عناصر فنية :

أولا ـ الموضوع : حفلة عرس أو معركة بحرية أو شخصية تاريخية .

ثانياً ـ زخارف الأرابسك . وهى تكون داخل الصورة من سجاجيد وجدران وأعمدة ، أو خارج الصورة وهو الاطار الذى يعتبر جزءاً منها .

ثالثاً ـ الخطوط العربية . وقد تكون آية قرآنية . أو حديثاً نبوياً شريفاً ، أو حكمة شهيرة .

وتتحكم فى هذا كله قدرة الفنان وذوقه ، وحساسيته فى توزيع الالوان وتناسب الشخصيات فى مواقعها من اللوحة .

ويرجع إلى (محمد راسم) الفضل فى بعث هذا النوع من الرسم وإثرائه ومتابعته . فلولاه لاندثر من العالم العربي وهو على ما نعلم ـ الفنان العربى الوحيد الذى وهب فنه للوحات المنمنمة . وتابعه على ذلك جيل من الفنانين الجزائريين حتى قررت هذه المادة فى برنامج كليـــة الفنون الجميلة بالجزائر .

نديم خشفة ـ محمد عايش

من هنا بدأت نهضة المسرح العربي



نعمان عاشور فوجىء برفض مسرحيته من المسئول فى مسرح الدولة

.. كان ذلك عام ١٩٤٩ والقاهرة يغمرها نشاط ثقافى عارم يتمثل فى الندوات والروابط والجماعات الثقافية المفقودة التى كانت تملأ ايامها ولياليها . وكنت قد شرعت نحو الكتابة للاذاعة .. وقدمت اكثر من تمثيلية اذاعية لاقت نجاحاً وتقبلا ثم بدأت فى اعداد بعض المسرحيات العالمية لتذاع على مدى ثلاثة ارباع الساعة كتمثيليات اذاعية .. نفس ما جاء يقدمه البرنامج الثقافى (البرنامج الثانى) حين بدأ ارساله فى سنوات لاحقة. عن هذا الطريق اخذ اهتمامى بالمسرح وشغفى بالكتابة الدرامية يشق مجراه العملى التطبيقى ان جاز التعبير .. وبدأت اتعرف فى الاستديوهات الاذاعية التى كانت تسجل فيها هذه الاعمال على العديد من الممثلين .. وكانوا فى معظمهم من خريجى معهد التمثيل ايامذاك ومن بينهم الجمع الذى تشكل منه المسرح الحر . فى نفس هذا العام ايضاً دفعنى نشاطى مع شباب الادباء فى هذه الفترة .. الى محاولة نشر انتاجنا القصصي والشعرى والنقدى فاتجهنا نتيجة لاعراض المجلات التقليدية (الرسالة والثقافة) عن قبول نشر انتاجنا .. الى محاولة اصدار مجلة خاصة بنا .. وقادتنا الظروف وفى مقدمتنا الاستاذ مفيد الشوباشى وبيننا الاصدقاء زكريا الحجاوى واحمد عباس صالح وعلي الراعى والمرحوم انور المشرى والعديد من الذين قد لا تعيهم الذاكرة .. قادتنا الظروف لاشباع رغبتنا فى نشر انتاجنا الى الكتابة فى مجلة محلية كان يصدرها النادى النوبى بعابدين وهى مجلة تعبر عن ابناء النوبة فى القاهرة .. وكانت المجلة تصدر بغير انتظام وحسبما تسمح به ميزانية النادى فتكفلنا نحن باصدارها ودفع تكاليف الاعداد من جيوبنا وكانت ايامها زهيدة . وخصوصاً واننا كنا نكتب فيها مقالاتنا وقصصنا ودراساتنا بدون مقابل . وكانت هذه المجلة فى بادىء الأمر اسمها « الميزان »

والمشرفون عليها من اعضاء النادى طلبة فى قسم النقد بمعهد التمثيل ويقومون بتوزيعها فى المعهد ويحاولون تخصيصها للكتابة عن المسرح . وهكذا جاء ارتباطى بهذا المعهد وطلبته وخريجيه من الممثلين خلال تمثيلياتى الاذاعية،وطلبته وخريجيه من الدارسين والنقاد عن طريق مجلة «الميزان» . ايامها كانت كل قراءاتى تتركز فى المسرح وخاصة مسرحيات تشيكوف وابسن وبرناردشو وجوركى . وطبيعى ان تنصب كتاباتى فى المجلة على ما انا شغوف ومهتم به وهو المسرح .. كتبت فيها عدة مقالات عن ابسن وتشيكوف . وبعد ان كنا نوزع المجلة باليد عهدنا بها الى متعهد شجعنا فى البداية بما كان يقدمه من تسهيلات لتغطية النفقات ولم تكد تمضى شهور حتى قبل اعضاء النادى النوبى اقتراحنا بتغييراسم المجلة من « الميزان » الى « الأديب المصرى» وظلت المجلة تصدر اكثر من عام ثم تشتت شملنا امام الصعوبات المالية والتكاليف الباهظة لكل عدد ..

هكذا جاءت معرفتى الباكرة بمعظم من قدر لهم ان يكونوا فرقة المسرح الحر فيما بعد ذلك بسنوات قليلة .. وكلهم كانوا من خريجى معهد التمثيل .. بينهم الفنان الذى يمثل او يخرج والدارس الذى يبحث او ينقد .

كتابة مسرحية

بعد كتابة متصلة فى الاذاعة لاكثر من عامين بمعدل تمثيلية اذاعية كل اسبوع وفى الوقت نفسه .. نتيجة لتاثرى بما اقرا من مسرحيات وما اجريه لها من اعدادات وبسبب شغفي المتزايد بالدراما ودراساتي وتاملاتي لما يكتبه تشيكوف وجوركي وابسن وشو وغيرهم .. وجدتنى ذات يوم على نهاية عام ١٩٥٠ ولشدة تاثرى بالبيئة التى كنت اعيش فيها وهى بيئة غنية بالشخصيات المثيرة . وجدتني اجد ما اكتبه للاذاعة على انه جهد ضائع فى الهواء .. يسجل ويذاع ثم تنتهي قيمته وينقطع اثره،وما يعود على به من جزاء مادى لا اكاد احس به امام متطلبات حياتي اليومية ومسئولياتي العائلية .. فجأة .. وجدتني اقلع عن الكتابةللاذاعة وانطوي على نفسي لأكتب مسرحية . كان هذا الاتجاه بمثابة اكتشاف بالنسبة لي إذ ماكدت اشرع فى تاليفها مزوداً بتجاربي فى الكتابة الاذاعية وطاقتي الدافعة وتمكني من الحوار الدرامي حتى اندفعت لاتمام « المغماطيس » مسرحيتى الاولى التى لم تستغرقنى كتابتها اكثر من شهرين .. ولست استطيع أن أصور مبلغ فرحي ومدى اعتزازى بها .. ولكن يكفي اننى من شدة حرصي على نصها .. ان اعدت كتابته من نسختين .. الاولى كنت اقراها لاهلى واصدقائي وزملائي من الادباء .. والثانية احتفظت بها فوق « الصندرة » داخل صندوق أوراق قديمة لوالدى .

لم أكن أدري ماذا يمكن أن افعله بها ..

- لماذا قامت فرقة المسرح الحر ولماذا انهارت . ؟
- تلاميذ زكى طليمات يطالبون بالاستقلال عنه فيستقيل من عمله .
- توفيق الدقن يدافع عنى أمام القضاء !
- ناقدان كان لهما أثر كبير فى حياتى : مندور وعباس صالح .
- أول مسرحية لى تم عرضها بعد خمس سنوات من كتابتها .
- « الناس اللى تحت » كانت بداية عصر مسرحى جديد .

ولهذا سرعان ما هدأ حماسي وعدت لاتابع الكتابة للاذاعة من جديد لدرجة اننى فكرت ذات مرة أن اختصرها واحولها إلى مسرحية إذاعية من نصف ساعة .. لكني عدلت لشدة اعتزازى بها .

ملفات المسرح

فى عام ١٩٥٢ تركت وظيفتى فى بنك التسليف لاعين باحثا اجتماعيا فى وزارة الشئون الاجتماعية .. وكنت لا ازال اكتب تمثيلياتي للاذاعة وعلى صلة متصلة دائمة بكل الممثلين والنقاد الجدد من خريجي معهد التمثيل . فلما قامت الثورة في يوليو انتدبت للعمل فى مكتب وزير الشئون الاجتماعية المرحوم زهير جرانه .. وعهد إلي بتشكيل مكتب الشئون العامة .. يشرف على الأعمال الصحفية والهيئات الفنية التابعة للوزارة ومن بينها المسرح ، فقد كان المسرح فى تلك الأيام تابعاً لوزارة الشئون ومن قبلها لوزارة الاشغال . ويبدو أن الاقدار كانت تدفعني دفعاً إلى الاتجاه نحو المسرح .. وذات صباح فوجئت بوفد من ممثلي المسرح الحديث وهي الشعبة الثانية من الفرقة القومية التى تضم الممثلين الجدد من خريجي معهد التمثيل (الدفعات الاولى) وكان من بينهم عبد الرحيم الزرقاني وحمدي غيث ونبيل الالفي ومحمد السبع على ما اذكر .. جاءوا بوصفهم تابعين للوزارة ومعهم مذكرة يطالبون فيها باستقلال شعبتهم عن الفرقة القومية التى كان يرأسها آنـذاك استاذهم زكي طليمات لانهم يمثلون جيلا جديداً لا يجب ان يعمل فى ظل سيطرة القدامى .. وعهد إلي الوزير ببحث الموضوع وان اقدم له فى نهاية الأمر مذكرة بما انتهي إليه .. هكذا فجأة وجدتني مسئولا عن المسرح .. والتقيت بجميع الممثلين للتعرف على موقفهم وكان بينهم أحمد علام نقيب الممثلين فى ذلك الحين . وانتهيت إلى قرار وافق عليه الجميع وهو ضرورة الفصل بين الشعبتين .. ولكني ماكدت أعد مذكرة بذلك لرفعها إلى الوزير حتى كانت الوزارة قد استقالت ..



زكى طليمات ثـــار عليـــه تلاميـــذه وطلبـــوا الاســـتقلال عنه

وعرض الأمر على الوزير الجديد فاذا بنا نفاجأ باستقالة الأستاذ زكي طليمات من ادارة الفرقة القومية . وطلب إلى الوزير الجديد (المرحوم الاستاذ فؤاد جلال) استطلاع رأي اعضاء الشعبتين من الممثلين . فاجمعوا على اختيار الاستاذ دريني خشبة لادارة الفرقة .. وكان أن صدر قرار بذلك .. ولأن الاستاذ دريني كان موظفاً معنا بالوزارة ويشغل وظيفة اعلى مني فقد سارعت بتسليمه كافة الملفات الخاصة بالمسرح تقديرا لاستاذيته ومكانته . واعجب الرجل بموقفي منه . كانت الأمور جميعها مضطربة وكنا نجتاز ايامها فترة تحول سريعة مليئة بالاهتزازات .. ولاني لم اكن أطيق الأعمال الادارية بدأت اتخفف من مسئولياتي الوظيفية لأتفرغ للكتابة فى الاذاعة ونشر قصصى القصيرة فى الصحف .. وهذا مبدأ التزمت به طوال حياتي فيما بعد . فكنت ارفض كافة الاعمال وما يعرض علي من وظائف على اعتبار اننى كاتب صاحب قلم ولا يمكن ان اكون موظفاً باى حال من الاحوال .

وراء الكواليس

أفادني الالتزام بهذا الموقف ايامها فائدة كبرى .. فقد وجدتني بحكم صداقاتي وعلاقاتي بالمسرحيين فى كافة المجالات .. فى المجلة وفى الاذاعة ثم أخيراً فى المسرح ذاته أتردد على الفرقة القومية بشعبتيها واقضي معظم ليـــاليَّ فى حضور بروفات مسرحياتها أو السهر فى نقابة الممثلين وكان يراسها الاستاذ احمد علام الذى ربطتني به أيامها صداقة قوية .. وفي عام ١٩٥٣ م على ما اذكر كنت أشهد بروفة لأحدى المسرحيات فى الفرقة القومية .. مسرحية سياسية لشتاينبك الأميركي . تقدمها فرقة المسرح الحديث (شعبة الشباب الجدد) ودعاني الأستاذ دريني خشبة إلى زيارته فى مكتبه بعد البروفة وجاءت المناسبة إذ كان يشكو من عدم وجود مؤلفات مصرية للمسرح .. وتحمست وعرضت عليه أن أقدم مسرحية من تاليفي فتحمس الرجل . وكان أن وافيته فى اليوم التالي بنص « المغماطيس » مكتوبة فى كراس محاضرات .. وبعد شهور من مداومة الاتصال به والالحاح لمعرفة رايه فيها .. صدمني بانه يرفضها رغم جودة الحوار .. وإننى لازلت شابا صغيراً مبتدئا .. وعلى أن اكتب غيرها وهو على استعداد لقبولها وتقديمها فى مسرح الدولة إن اعجبته ..

كنت شديد الاعتزاز بنص « المغماطيس» وجاء رفض الاستاذ دريني ليزيدني اعتزازاً بها واصراراً عليها .. انا واثق انها مسرحية جيدة .. هكذا كان اعتقادى من البداية .. ايامها كانت هناك دفعة جديدة من خريجي معهد التمثيل لم تتح لهم الفرصة للالتحاق بالمسرح الحكومي فكونوا فرقة أهلية فيما بينهم كهواة .. وسموها المسرح الحـــر .. وقدموا أكثر من مسرحية .. كانوا يقومون بتمثيلها خلال الصيف فى بورسعيد ثم يعودون بها لعرضها فى القاهرة على أى مسرح تسنح لهم الظروف باستئجاره لبضع ليال .. وكان بينهم العديد من الأصدقاء الذين عرفتهم فى اداء تمثيلياتي الاذاعية .. سعد أردش وعبد الرحيم التطاوى وعبد المنعم مدبولي وزكريا سليمان وعلى الغندور ومحمد رضا وكمال يس .. وكان معهم توفيق الدقن ولم اكن قد عرفته بعد .. كان يجمعنا حب المسرح والشغف به ووجدت فيهم خير مايمكن أن يحقق أملي في أن ارتبط بالمسرح عن طريق الكتابة له .

من هنا بدأت نهضة المسرح العربي

في بور سعيد

في أغسطس عام ١٩٥٥م سافرت مع أعضاء فرقة المسرح الحر إلى بورسعيد . كانوا جميعهم قد أصبحوا أصدقائي . وتوطدت العلاقة وزادت بيني وبينهم أثناء البروفات الطويلة التي أجريناها في القاهرة على المسرحية . وعرض النص من ثلاثة فصول وكان أبرز ما أعجبني وبالذات مخرجها ابراهيم سكر حماس الهواية إلى جانب الاحترام الكامل للكلمة المكتوبة . لم تكن آفة الخروج على النص قد ظهرت بعد وكان أعضاء الفرقة متأثرين بدراساتهم في المعهد وهوايتهم للتمثيل ونجحت المسرحية وظلت تعرض بينما عدت أنا بعدها بأيام إلى القاهرة كان أبرز ما أفادني في هذه الخطوة أنني التقيت بمجموعة من الهواة مثلي يحبون المسرح ولهم طموحهم في اثبات وجودهم الفني . وهكذا أبرزت المسرحية مواهب عدة من بينهم لأنها كانت تقوم على رسم شخصيات درامية يعتمد الممثل في تجسيدها على النص أكثر من اعتماده على مواهبه الخاصة . وتلك هي الخاصية التي ظهرت في بقية مسرحياتي بعد ذلك . فمن خلالها استطاع العديد من الممثلين أن يجد نفسه لأنه يقوم بتمثيل أدوار تستنهض مواهبه وتكشف عن طاقاته بدون ما حاجة الى أن يبذل جهداً في محاولة تقمصها بافتعال أو صنعة . ذلك أنها شخصيات لم تكن تفصل تفصيلا على الممثلين لتناسب مقدرتهم بقدر ما كانت تتطلب من الممثل أن يلبس الشخصية بصدق كما هي مرسومة في النص لكي ينجح في أدائها . وهكذا برز توفيق الدقن وعبد المنعم مدبولي ومحمد رضا ثم من بعدهم صلاح منصور وشفيق نور الدين وملك الجمل وماجدة الخطيب وعبد الغني قمر وعايدة كامل وصلاح السعدني والعديد من الممثلين الآخرين وكان بروزهم منبته الأدوار الباكرة التي لعبوها في مسرحياتي ، ولا أقول هذا زهواً أو اعتداداً لأنه طبيعة لاصقة من سمات اللون الذي أكتبه وهو مسرحيات الشخصيات التي من لحم ودم .. وليس مسرح الأحداث أو الأفكار أو القضايا المطلقة التي تقدم فيها الشخصية لتعبر عن فكرة أو تطور أو تصور حدثاً .. من أجل ذلك وبعد أن عدنا الى القاهرة وعرضت المسرحية فيها على خشبات دار الأوبرا مباشرة .. راح المسرح الحر يلاحقني لكتابة مسرحية أخرى لهم .. واستطاع الصديق سعد أردش وكان قد أصبح رئيساً لمجلس ادارة الفرقة بعد ثلاثة شهور فقط من تقديم المغماطيس أن يقنعني بكتابة مسرحية أخرى .. فكانت «الناس اللي تحت» .

الاطار العام

لم يرتبط اسمي مع المسرح الحر بالمغماطيس .. وتوطدت صلتي بهم بعد كتابة وعرض الناس اللي تحت . لكن لماذا ؟! لأنها كانت المسرحية الثانية التي تنجح لمؤلف جديد مع فرقة جديدة . ومن هنا يأتي دور المسرح الحر وحقيقة وجوده كفرقة تمثيلية في تلك المرحلة من بدايات نهضتنا المسرحية المعروفة بمسرح الستينات . ويحسن هنا أن نلم بحقيقة الاطار المحيط بتلك الفترة . إن وقوع ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لم يأت اعتباطاً ولم يكن نتيجة لتمرد بعض ضباط الجيش الذين عرفوا بتنظيم الضباط الأحرار . وإنما وقعت الثورة لأنها كانت نقطة تبلور لكل ما سبقها من أحداث سياسية وتطورات اقتصادية وتطلعات اجتماعية وانتفاضة ثقافية . تكشف لنا عن تلك الفترة الغنية المعامرة بالتحرك داخل الحياة المصرية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . فقد نتج عنها مع انتصاف القرن وقيام اسرائيل .. اتجاه سياسي عارم نحو انهاء الاحتلال وأعوانه في الميدان السياسي .. والمناداة بسرعة ادخال الصناعة وتعلية خزان اسوان وتحديد الملكية الزراعية في المجال الاقتصادي . ثم اقرار العدالة الاجتماعية لصالح الطبقات الشعبية في المجال الاجتماعي . كل ذلك كانت هناك في الثقافة والأدب والفن اتجاهات ودعوات جديدة تركزت في الأخذ بمذهب الواقعية في الرواية والقصة والتحرر بالشعر والاهتمام بالفنون التشكيلية المعبرة عن البيئة المحلية الخ .. الخ .. وفي ظل هذا الاطار من التحولات .. كان المسرح وبالذات الفرقة القومية التي تمثل مسرح الدولة وهي الفرقة الوحيدة القادرة على مواصلة النشاط بدعم الدولة ، كانت تتعثر في عروضها لأنها لا تقدم للجمهور غير ما كان يقدم من سنوات عديدة وكلها أعمال مسرحية جامدة وترجمات عقيمة لا تحمل أي مضمون اجتماعي أو فكري يربطها بأحاسيس الناس ومشاعرهم وتطلعاتهم الاجتماعية والفكرية .. وكانت فرقة الريحاني تحاول بعد وفاته عام ١٩٤٩ أن تتعلق بتراثه دون جدوى لأنه تراث درامي كان قوامه الريحاني وحده كممثل بارع موهوب . ولم يكن هناك من الفرق المسرحية غير فرقة اسماعيل ياسين تعيد تقديم المقتبسات التي استهلكت منذ بداية القرن .. وتخرجت الدفعات الأولى من (معهد التمثيل) ولم يكن أمام خريجيها إلا المجال الضيق للعمل داخل الفرقة القومية وفي الشعبة التي تكونت باسم المسرح الحديث لتوظيفهم فيها .

لقاء بالمسرح الحر

في استديو الاذاعة ونحن نسجل احدى تمثيلياتي لقيت علي الغندور وكان مشتركاً فيها وهو عضو في المسرح الحر .. فما أن علم بأن لدي مسرحية مؤلفة حتى سارع في مطالبتي بتقديمها للمسرح الحر . ولم أتردد .. حملت نص «المغماطيس» الذي رفضه الأستاذ دريني خشبة .. ولم أكن غاضباً أو محنقاً من هذا الرفض .. وصحبني الصديق أحمد عباس صالح لقراءتها معي على لجنة القراءة الخاصة بالمسرح الحر . وأذكر من أعضائها الصديق محمد علي ماهر وابراهيم سكر (الدكتور فيما بعد) وسعد أردش وكمال يس وتوفيق الدقن . قرأت لهم نص المغماطيس على ثلاث ليال متتابعة وبحضور ومعاونة عباس صالح الذي كان متحمساً لها .. لكنهم لم يوافقوا عليها .. وطلبوا اجراء العديد من التعديلات فيها ولاسيما اختصارها الى ثلاثة فصول بدلا من أربعة ولكني رفضت . كان النص يختلف في بنائه الدرامي عما تعودوا عليه ودرسوه في معهد التمثيل وهو ضرورة أن تكون المسرحية متفقة مع قواعد أرسطو . لها بداية تمهيدية تتطور الى عقدة ثم تنتهي العقدة الى الانفراج الذي تعقبه الخاتمة ... ولم تكن مسرحيتي تجري على هذه الوتيرة ـ وحاولوا عبثاً اقناعي باجراء التعديلات المطلوبة وانهم على استعداد لتقديمها لأنها تعالج موضوعاً اجتماعياً هاماً .. وكان توفيق الدقن هو الوحيد الذي وافق على نص المسرحية كما هو ورفض مثلي أن أقوم بتعديلها أو تغييرها وخرج ساخطاً معي على هذا الموقف من جانبهم .. ومن هذه اللحظة بدأت معرفتي به وصداقتي له ..

ما هو المسرح الحر ؟!

رغم أنني سحبت نص مسرحيتي «المغماطيس» من المسرح الحر . فقد بدأت تنمو علاقة بيني وبين أعضائه ، فكانوا يدعونني الى حضور مسرحياتهم سيما بعد أن اكتشفت فيهم الرغبة الخالصة في تقديم

مسرحيات جادة لها مضمونها الواقعى الاجتماعى .. فلقد كان هذا هو التيار السائد أيامها والمسيطر على روايات نجيب محفوظ وأفلام صلاح أبو سيف وقصص يوسف ادريس .. التيار الواقعى الاجتماعى . وقد تاثر به أفراد هذه الفرقة سيما من كان منهم صاحب اهتمامات ادبية أو ثقافية . كانت الفرقة القومية بشعبيتها تقتصر على تقديم مسرحيات مترجمة ومعربة أو تعيد تقديم مسرحياتها القديمة.

انفتح المجال أمام المسرح الحر سيما وأنه كان يتكون من خريجى المعهد الذين اغلقت أمامهم أبواب الفرقة الحكومية واجبروا على الهواية بدلا من الاحتراف .. وبسبب ما كان يسيطر على الحياة الاجتماعية من تيارات تجنح بها الى التمرد وعلى الحياة الثقافية من اتجاهات تفرض عليها الالتزام بالواقعية .. بدأت اشعاعات مثل هذه المنطلقات تنطبق على المسرح الحر واعضائه ..

بعدها بعامين وبالذات فى عام ١٩٥٤ لم يكن أمام المسرح الحر واعضائه إلا أن يعيدوا تقدير موقفهم على ضوء المناخ الاجتماعى والثقافى السائد .. كانت كل المسرحيات التى يقدمونها .. وهى قليلة لا تزيد عن مسرحية فى كل موسم تعتمد على روح الهواية الحماسية .. لكنها لا تستمر أو تنجح لتعود عليهم بأى دخل مادى أو كيان فنى .. وان كانت تمدهم بالمثابرة اللازمة لاثبات وجودهم وتحقيق طموحهم .. وكان الاحساس أيامها غامراً بنقل الأوضاع الاجتماعية وما يملؤهـا من تيارات فكرية اضطرتهم الى اعادة النظر فى موقفهم من المغماطيس .

تقديم المغماطيس

وهكذا وبعد أكثر من عامين .. ومع بداية موسم ١٩٥٥ .. اتصل بى ابراهيم سكر ليطلب الى زيارتهم فى المسرح الحر لأنهم قرروا بناء على اقتراحه تقديم مسرحيتى أخيراً .. كان الاعتزاز بنص المغماطيس والايمان بقيمته قد بلغ بى حد مغاضبتهم ومقاطعة التردد عليهم . ولكنى لم أقطع صلتى بهم كأصدقاء كانت تجمعنا طبيعة العمل معاً فى الأذاعة .. وأعاد ابراهيم سكر الكرة فطالبته بزيارتى فى منزلى .. وانتهت جلستنا الى اقتناع غير كامل من جانبى وتعديل النص الى ثلاثة فصـول بدون المساس بأى مشهد أو شخصية أو حوار . وترددت لفترة إلى أن اقنعتنى زوجتى رحمها الله ـ وكنت قد قرأت لها نص المسرحية ـ أن أوافقهم على هذا الاختصار ما دام لن يضر بالنص وبالفعل اختصرت احداث الفصل الثالث ودمجتها بالفصل الثانى وأخرجت منها شخصية المحامى مكتفياً بوكيل مكتبه .. وأصبحت المسرحية من ثلاثة فصول ، ولكن نفسي ظلت تابى على أن أقدمها لهم بمثل هذا التنازل لولا أن الصديق عباس صالح أخذهاومن تحمسه لها من البداية وقدمها بنفسه .. بعدها بايام جاءنى ابراهيم سكر لنتفق على الاخراج .. وهكذا شاهدت مسرحيتى الأولى بعد خمس سنوات طويلة.

دور المسرح الحر

المسرح اذن كان يحتضر والساحة المسرحية خالية .. ولذلك فما أن ظهرت فرقة المسرح الحر حتى سدت فراغاً ممهداً ومشجعاً لها بفضل عدة عوامل .. منها أنهم شبان جدد انبتتهم الأوضاع المتغيرة الجديدة بكل ما يحيطها من اتجاهات وأفكار وتطلعات .. ومنها أنهم لا مكان لهم فى الحياة المسرحية القائمة بعد أن سدت أمامهم سبل الالتحاق بالفرقة الحكومية فكان لابد أن يشقوا طريقهم الى المسرح باعتمادهم على هوايتهم له . ومنها أيضاً خلو الساحة المسرحية من أى نشاط خلاق متجدد .. ومن أجل ذلك سارعوا حين تكشفت لهم حقيقة مسرحيتى المغماطيس وفحواها .. بمضمونها الاجتماعى الواقعى وأسلوبها الكوميدى ولغتها الدرامية الجديدة ، سارعوا الى تقديمها فنجحت وكان سبب نجاحها توافر عدة عناصر .. فالمسرحية بواقعيتها تعالج مشاكل يعيشها الناس ، وتستكمل المقومات المفتقدة فى عدم وجود كوميديا حقيقية . ثم انها تخاطب الناس بلغة مبسطة تحمل لهم من الأفكار والآراء والمعانى والقيم ما يمس صميم حياتهم . كل هذا الى جانب روح الهواية والطموح الفنى والحماس الذى لا وجود له فى الفرق التجارية وغير التجارية القائمة .

تفتت الفرقة

وجاءت مسرحيتى الثانية الناس اللي تحت لتدعم كيان الفرقة فكانت بمثابة وضع اللبنة الأولى لقيام مسرح معاصر جديد .. هكذا اعتبرها النقاد جميعاً . وبعد نجاح الناس اللي تحت بدأ النزاع يدب بينى وبين المسرح الحر فقد قدمت لهم نص المسرحية فى أول الأمر بعنوان «مصر الجديدة» وعرضت بهذا العنوان فى بورسعيد . فلما عادت الفرقة الى القاهرة . طلبوا الي وضع عنوان اخر لـها يتناسب مع معالجتها الكوميدية . ولكنى كعادتى رفضت ذلك الى أن اقنعنى المرحوم الدكتور محمد مندور،وحجته أن نفس العنوان سبق أن قدمت به مسرحية قديمة ألفها فرح أنطون فى أوائل العشرينات . ولم أتردد فى اختيار العنوان الآخر إذ وجدته مكرراً فى أكثر من عبارة فى حوار الفصل الثانى وعلى لسان صاحبة العمارة إذ كانت تطلق على سكان البدرون حيث تدور أحداث المسرحية .. «الناس اللي تحت» .. وقدمت لهم العنوان الجديد فى ورقة مكتوبة سلمتها لتوفيق الدقن وهو فى فرح بالاختيار . وعاش المسرح الحر لا يقدم إلا الناس اللي تحت .. بعدها بعامين نشرت نص المسرحية فى كتاب وتعاقدت معى شركة سينمائية لاخراجها فى فيلم فاذا المسرح الحر يقاضينى فى المحاكم بزعم أن المسرحية ملكهم ومن تاليفهم .. ودام النزاع لأكثر من عامين آخرين الى أن فصل القضاء بشهادة الدقن فقضى بأننى المؤلف الفعلى للمسرحية بنصها وعنوانها .

أما سبب قيام هذا النزاع بينى وبينهم فمرجعه عدة عوامل أهمها أننى رفضت بعد هذه الادعاءات أن أقدم لهم مسرحيتى التالية «الناس اللي فوق» وقدمتها الى المسرح القومى .. فراحوا يزعمون فى كل مجال أنهم أصحاب الفضل علي ولولا هم ما أصبحت كاتباً مسرحياً ..

بعد الناس اللي تحت سدت المسالك أمام المسرح الحر فلم يستطع أن يقدم أية مسرحية أخرى .. فتوقفت الفرقة نهائياً عن أى نشاط مسرحى وتشتت أفرادها فى مختلف الفرق .. بينما استمرت كتاباتى للمسرح ولم تنقطع ولن تنقطع بمشيئة الله إلا بوفاتى ..

تاريخ مبتور

اننى لا أرصد هذه الحقائق نكاية فى المسرح الحر . وليس فى ذهنى أن أقلل من قيمة الدور الذى لعبته هذه الفرقة وأفرادها فى بواكير نهضة مسرحنا المعاصر .. ولكنى أروى الوقائع كما حدثت لأدلل على أن المسرح الحر لم يكن على وعي كاف بأهمية الدور الذى قام أو كان يمكن أن يواصله فى خدمة الحركة المسرحية وتطورها .. خاصة بعد أن طغت على أعضائه أطماع الاحتراف التى أفقدتهم روح الهواية وبالتالى حب المسرح .. ولذلك ومنذ أكثر من عشرين سنة تحولت الفرقة بمن بقوا فيها الى مجرد لافتة أو عنوان لا يعبر إلا عن تاريخ مبتور .. رغم أنها أفرزت للحركة المسرحية العديد من الممثلين البارعين الذين أصبح لهم شانهم فى مختلف المجالات الدرامية الأخرى .

نعمان عاشور

دليل القارئ الذكي



● هل تعرفون حبيبتى
تأليف : ناصر الدين النشاشيبي
الناشر : المركز العربى للطباعة والنشر ـ لندن ١٩٨٢ .



كما يكتب العشاق رسائل الهوى بأعصابهم ، ودموعهم ودمائهم ، كتب الصحفى الكبير ، الأستاذ ناصر الدين النشاشيبي قصة هواه للقدس ، بدموع الشوق ، وآهات البعد.

ان كتاب « هل تعرفون حبيبتى » مجرد قصة حب كبيرة بين الكاتب وبين مدينته ، ومسقط رأسه القدس ، جرت فصولها على مدى أربعين عاماً من عمر الكاتب ، ومن عمر القدس ايضاً .

درس الأستاذ ناصر الدين النشاشيبى العلوم السياسية لكى يخدم بعلمه قضية بلده الغالى فلسطين ، وعندما تحولت القضية إلى نكبة ، هجر السياسة الى الصحافة ، واحترف القلم ، فاصبح رئيساً لتحرير جريدة « الجمهورية » القاهرية ، وتنقل بين « الاهرام » و « اخبار اليوم » و « آخر ساعة » ، وكتب آلاف المقالات والتحقيقات ، ثم عكف على التاليف ، فقدم للمكتبة العربية أكثر من عشرين كتاباً .

تزخر جميعها بالمعرفة الجامعة ، والأسلوب الرشيق ، والمادة الخصبة ، وإن كل ما كتب المؤلف ، وكل ما خطب ، وفى كل رحلاته وأسفاره ، كانت كلها تعنى حبيبته «القدس» مهوى فؤاده ، ومصدر حبه ، وموال أفراحه واتراحه . إن «القدس» هى السحر العجيب الذى يستمد منه المؤلف قوته ، وجلده وصبره ، على الضياع والتشرد .

ولقد عرفنا الأستاذ النشاشيبى على حبيبته من خلال ستة وعشرين فصلا فى كتابه ، وعلى مدى اربعين عاما من سنة ١٩٤٠ الى سنة ١٩٨٠ ، هذه الفترة التى عايش فيها المؤلف حبيبته القدس ، فصورها بواقعية وابداعية تدعو للتامل والاعجاب حيث تناول دسائس المؤامرات الاستعمارية ، ومشاريع التقسيم ، وبؤس الاحتلال ، وبشاعة الاستيطان ، وعنف اساليب طرد الاهل ، فى محاولة لاقتلاع عيون جدة التاريخ القدس .

ولكن القدس الصابرة ، لم تقل عانيت من ظلم الزمن ، لأن قلبها الممتلىء بالعزم ، سوف يتخطى كل صعب لينتصر .

● مرافعة بين يدي عمرو بن كلثوم .
شعر محمد منذر لطفى .
طبع بعون من اتحاد الكتاب العرب فى سوريا ١٩٨٠ .

كل الناس يفكرون فى الماضى تفكيراً انتقائياً ، يتدبرون أجمل ما فيه ، ويتمنونه وان أجمل ما فى الماضى نفسه ، هو جميل فى إطاره ، نافع فى سياقه ، ولكنه قد لا يستقيم ، اذا انتزع من ذلك السياق ، وأفرغ من ذلك الاطار ، ولكن هناك شيئاً مشتركاً بين العصور ، هو الذاكرة الحضارية ، فبقدر ما هو مستحيل استعادة الماضى ، هو ايضاً مستحيل الانبتات عنه ، فلابد من تراكم الخبرات وتواصلها ، واللغة أداة هذا التواصل ، والشعر هو جزء من هذه اللغة .

من هذه المضامين انطلق الشاعر « محمد منذر لطفى » فسمى ديوانه الذى بين يدينا « مرافعة بين يدى عمرو بن كلثوم » .

يحتوى الديوان عشر قصائد ، ولكن ابداعية هذا الديوان تنطلق من تاليف لصيغة جديدة ، من اشياء موجودة ، تتغير علاقاتها ومواضيعها ، فقصائد الديوان العشر ، تصف الواقع ، وترنو الى المستقبل ، متكئة على امجاد الماضى ، من هنا كان هذا الديوان حضارياً .

وإذا القينا نظرة على القصائد نجدها كالتالى : الرحلة ، الغاب الحزين ، جميلة هى الحياة ، الزمان وصوت الشاعر ، مرافعة بين يدى عمرو بن كلثوم ، أوبريت الشباب العائد ، الاغتراب وموسم حب آخر ليالى رمضان ، واشتعل العيد أملا ، مع الهجرة على مشارف القرن الخامس عشر .

القصائد مزج بين الشعر العمودى والشعر الحديث ، ولكنها تتميز معظمها بالطول ، فقصيدة الزمان .. وصوت الشاعر ، قصيدة يرثى فيها الشاعر آخر العمالقة الراحلين الشاعر العربى الكبير بدوى الجبل ، وهى قصيدة تربو على المائة بيت من الشعر العمودى ، جمع فيها الاصالة ، والجزاله ، والصور والمضامين . بدأها بقوله :

لك الخلودان .. فن الشعر والقيم
فاهنأ .. فمجدك لا يرقى له علم
أفنيت عمرك صداحاً وأروعه
أن يخلد المرقصان .. الحب والنغم

أما قصيدته التمثيلية القصصية التى أخذ منها عنوان الديوان « مرافعة بين يدى عمرو بن كلثوم » ، هذه القصيدة التى انتقل بها من أعماق التاريخ الى الواقع العربى ، يدعو فيها الى نفض غبار المذلة التى عفرت دروب حياتنا ، وأهانت كبرياء وجودنا لنقف وقفة ابن كلثوم عندما أراد ابن هند ان يذل أمه ، ومما قاله فيها :

تلفت أبحث عن أمة تتحدى المنايا
بجيل فداء
تلفت ابحث عن مارد أسمر الوجه
تقطر جبهته كبرياء
وعن ثائر فى ضمير الغيوب
يرى المستحيل حكايا سراب

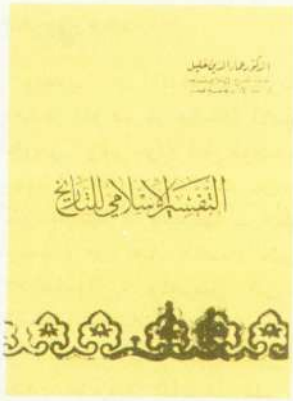
وأخيراً فان هذا الديوان ، جمع بين الماضى والحاضر ، فى التركيب والمضمون ، برؤى مستقبلية كلها أمل ، بخيال واسع

إلى الكتب الجديدة ..

تقديم : حسني شحادة

بعيد المدى وشاعرية متدفقة جمعت بين الرصانة والجزالة والحداثة ، ولكن عصرنا هذا لا يحتمل القصائد الطوال ، لأنه عصر السرعة التى أصبحت سمة كل عمل أو فن ، والمبدع من يستطيع الجمع بين السرعة وجودة العمل . ولكن الجيد دوما يفرض وجوده .

● التفسير الاسلامي للتاريخ
تاليف الدكتور عماد الدين خليل
نشر دار العلم للملايين ـ بيروت



عبر زمان طويل ، اكتفى العقل البشرى بأن يعرف ما حدث ، فكان ذلك هو التاريخ فى أدنى مراحله ، ثم اتسع الخيال الانسانى ، فاصبح العقل أكثر تطلعاً الى الاحاطة بمظاهر الوجود المادية والروحية ، فادرك أن لكل شيء حدث أسباباً وعللا ، فأراد أن يعرف سبب ذلك ..

ادرك بعض الفلاسفة المعاصرين ، وعلى راسهم «سبنجلر» و «توينبى» و «كيسرلنج» وغيرهم ، فاعلنوا أن الحدث التاريخى ، لا يمكن أن تصنعه قوة واحدة ، لأن أية حركة تاريخية . إنما هى لقاء خلاق بين الانسان والطبيعة والزمن باذن الله العلي القدير ، ولكنهم لم ينجوا من الوقوع فى المذهبية المحدودة ، والنظرة الذاتية ، واضطراب التجربة النفسية ، فى عملية الاستشراف ، والاستقراء التاريخى ، الأمر الذى أدى الى تارجح مواقع رؤياهم .

هذا ما تعرض له كتاب التفسير الاسلامى للتاريخ ، ذلك أن التفسير لتاريخ البشر ، يجب أن ينبثق من موقف موضوعى شامل ، يربط ويوازن ويدرك العلاقة المتبادلة بين سائر القيم التى تصنع التاريخ ، مادية وروحية ، طبيعية وغيبية ، ولن يتحقق هذا إلا فى نطاق الموقف الاسلامى ، لأن القيم الروحية فى الاسلام ، ليست منفصلة عن المادية والعقلية ، وهى تعمل بانسجام وتوافق مع سائر القوى الطبيعية فى تحريك وتوجيه الاحداث التاريخية ، فهى ليست ممارسات فردية شعائرية ، بل قيم ذات جذور عريقة وارتباط متين بقلب العالم وحركة التاريخ ، وبواقع الحياة البشرية والوجود الجماعي على السواء لأنه يستمد رؤيته من القرآن الكريم ، المصدر اليقيني الثابت الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

قسم المؤلف كتابه الى فصول أربعة :

● التفاسير الوضعية الأساسية ، عرض ونقد .
● الواقعية التاريخية .
● المسالة الحضارية .
● سقوط الدول والحضارات .

لقد كانت منهجية المؤلف عبر فصول هذا الكتاب ، اجراء مقارنات بين كل نظرة أو موقف اسلامى إزاء التفسير التاريخى وبين ما يقابله من نظرات ومواقف فى التفاسير الوضعية وبخاصة «المثالية» و «المادية» و «الحضارية» .

فعرض المؤلف فى الفصل الأول هذه المدارس ، والخطوط العريضة ، لتلك المذاهب ، مع النقد الموجه اليها ، حتى يستطيع القارىء أن يكون على بينة من جهة ، وحتى يستطيع متابعة المقارنات المثبتة فى صفحات الكتاب .

عرض المؤلف فى الكتاب تلخيصا لأبحاث عدد من الكتاب والمفكرين الذين كتبوا فى تفسير التاريخ ، مع تحديد الانتقادات الاساسية التى لن ينجو منها أى جهد وضعى ، يعتمد الطاقات البشرية النسبية وحدها ، ولا يستمد من الله سبحانه وتعالى . لقد قدم لنا القرآن الكريم نماذج عديدة للمعطيات التاريخية ، وحدثنا عن الماضى ، ثم خرج بنا الى تبيان الحكمة من وراء هذا العرض ، والى بلورة المبادىء الأساسية فى حركة التاريخ البشرى ، مستمدة من صميم التكوين الحدثى لهذه العروض ، وتلك المبادىء التى سماها سننا . وصدق الله العظيم بقوله :

«أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة ، واثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا انفسهم يظلمون» .

● رثاء القمـــر
ديوان للشاعر ابراهيم شاهين
نشر مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨١م .

يقع الديوان فى ١٣٠ صفحة ويحتوى على أربع وثلاثين قصيدة ، وهي عبارة تاملات اجتماعية وسياسية ووطنية ، ولكن تغلب على قصائده المرارة ، وقد اختار الشاعر هذا المقطع من قصيدة « اللحن المسموم » على غلاف الديوان :

تسلمني افعى للاخـــرى ...
واحاول كي أنشد شعراً ...
ساغني لحناً مسموماً ...
وأواجه قدراً محتوماً
والكل ضياع ... والكل ضياع ...

● ● ● ●

من قضايا التربية المعاصرة

بقلم : نميل خالد الأغا





المؤلف الاستاذ عبد العزيز تركي وكيل وزارة التربية والتعليم

كثيرة هي الكتب التي تفرزها المطابع وتدفع بها الى المكتبات والأكشاك ، وقليلة هي الكتب القيمة التي ننتقيها من بين هذا الكم الهائل . وحين نقراها ترطب خواطرنا وتنعش عقولنا ، وتثري معلوماتنا .

ومن بين الكتب التي سعدت باقتنائها مؤخراً هذا الكتاب القيم الذي اهداه لي مؤلفه الأستاذ عبد العزيز تركي ، وكيل وزارة التربية والتعليم ، وعضو مجلس الشورى القطري .

الكتاب بعنوان « من قضايا التربية المعاصرة » ويقع في مائة وستين صفحة من القطع الكبير ، وهو عبارة عن سلسلة من المحاضرات الثقافية والدراسات التربوية كان المؤلف قد القاها او نشرها في العديد من المناسبات .

وقد اهدى اول نتاجه إلى والده العالم الاسلامي المرحوم عبد الله بن تركي السبيعي (١٣١٨ ـ ١٣٨٨ هـ) « اعترافاً بفضله ، ووفاء بحقه ، وتكريماً لما له من مآثر جليلة راسخة في حياتي » .

وقد اشتمل الكتاب على ثمانية ابواب هي : نحو افاق جديدة ، وتاملات لملامح تربية عربية اسلامية مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري ـ التعليم والتنمية بين الواقع والخيال ـ مشكلة الامية والجهود المبذولة لحلها ـ محو الامية بين التقليدية والوظيفية ـ مفهوم الثقافة ومستقبلها ـ اهمية التدريب في التنمية المهنية للمعلم ـ دور المراة « المثقفة » في تنمية المجتمع ـ مزيد من الرعاية للشباب .

والحقيقة ان المؤلف قد طرح هذه القضايا المهمة طرحاً موضوعياً متانياً ، وحاول جاهداً ان يضع حلولا لبعض المشاكل التربوية المستعصية في المجتمع العربي ككل ، وفي المجتمع القطري بوجه خاص ، وقد ساعده على ذلك عاملان : سعة الاطلاع ، وعمق الخبرة في المجال التربوي .

يقول المؤلف مستشعراً آفاق الغد : إن الانسان العربي يشعر في عميق احساسه بالتناقض العجيب بين ما كان للأمس من فعالية وقوة واشراق ، وبين ما هو فيه الآن من تخبط وحيرة ، وعجز وغياب لرؤية المستقبل . ثم يتساءل : الا تستطيع كل هذه الامكانات الهائلة المادية والاقتصادية التي توفرت له ان تكون وسيلة فعالة لتحجيم تلك المعضلات . ؟

إن هذه الفرصة المتاحة للأمة العربية اليوم قد لا يكررها الزمن ـ هي وسيلتنا الوحيدة للتغلب على ازمة النضوب والعقم تلك الازمة المسئولة عن تردي حياتنا الفردية والاجتماعية والقومية وسواها .

إن الثروة البشرية التي يملكها العالم العربي هي رأسماله الحقيقي الابقى على امر الزمن ، والقادر على تجاوز واقعه ، ومواجهة التحديات التي تعوق تقدمه .

وهذه الثروة البشرية إذا احسن استثمارها واعدادها كانت القوة الفعالة لتحرير الانسان العربي من القيود والاغلال التي كانت ملازمة لمجتمعاتنا طوال القرن الماضي فهل تستطيع الاجهزة العربية كلها ان تبعث يقظة وعزيمة اكيدة نحو تحقيق تعاون صادق مبني على المصارحة ونقد الذات ، وتجاوز صيغ واشكال التعاون المعروفة حالياً . ؟!

وبكثير من الدقة والمقارنة والتحليل يتحدث المؤلف عن مشكلة الامية في الوطن العربي ، وفي دولة قطر بوجه مخصوص ، ويورد ارقاماً واحصاءات عن الجهود التي بذلتها ـ وتبذلها ـ حكومة قطر الرشيدة من اجل القضاء على هذه الآفة الاجتماعية . وتعرض الى محو امية النساء القطريات ، وخلص الى القول بان المراة القطرية يقع عليها الدور الاساسي في إنجاح مشروع القضاء على اميتها لان العمل هو الذي يقوم ذاته في هذا العصر ، كما ان التخلف التاريخي في تعليم المراة العربية ادى إلى تخلف التعليم عامة ، وهنا تكمن احدى مسئوليات المراة القطرية تجاه نفسها ، وتجاه مستقبل الأجيال اللاحقة .

واخيراً .. فهذا كتاب قيم حقاً لمن يريد إثراء ثقافته ، ولمن يبتغي مواصلة البحث التربوي والتعمق فيه ، لانه حصيلة خبرة ثرة من التجارب الواقعية والميدانية قضاها المؤلف في العمل والانتاج بميدان التربية والتعليم .

ونامل ان يكون هذا الكتاب فاتحة خير لمزيد من العطاء الذي ننتظره من الاستاذ عبد العزيز عبد الله تركي بصفته واحداً من ابرز المثقفين في دولة قطر .

زَبَرْجَدَة
إلى نزار قباني

شعر: حسن طلب



نزار قباني وبلقيس في آخر صورة لهما

الحِكاياتُ تمَّتْ ..
وبِلقيسُ نامتْ
لقد قدَّمَتْ للعروبةِ فَرضَ الوَلاءِ
وأدَّتْ زكاءَ الأُنوثةِ
.. صَلَّتْ وصامَتْ

وها هي تتجهُ الآنَ سادرةً للأَمامِ
ستبقىٰ مسافرةً في الغمامِ
مع القُبَّراتِ
.. وسربِ اليَمامِ

فيا أيها الصبُّ :
ركِّبْ تفاعيلَكَ الآنَ في صُورةِ الفرحِ
انشرحِ

الشعرُ صحَّ العمودُ لهُ
والقصيدةُ بين يديكَ استقامَتْ
ويا أيُّها الصبُّ :
صوبْ وسائِلَكَ الآنَ للهَدَفِ
اعترفِ

الوقتُ حانَ لكيْ يعرفَ الناسُ
أخِرَ ما هَسْهَسَتْ بِه بِلقيسُ
هل أخبرتْكَ بعنوانِ بعضِ الجناةِ . ؟
وهل أرشدتْكَ الطيورُ التي
فوقَ أرضِ الجَريمةِ حامتْ . ؟
تُرىٰ :
أيَّ برقٍ من الشرقِ شامَتْ . ؟
وكلُّ البروقِ غدتْ خُلَّباً
وجميعُ الحكاياتِ قبلَ النِّهاياتِ تمتْ
وبِلقيسُ قامتْ
لتمنَحَ بيروتَ شكلَ الزبرجَدِ
ثم تودِّعَ بيروتَ

تقرُصَ بيروتَ من أُنثَيَيْها (*)
وتخلدُ للنومِ ثانيةً

أيها الصبُّ :
عادتْ لأِنْكَ الآنَ للصَّدَفِ
انصرفِ
الحزنُ قرَّ القرارُ بِهِ
والمآتِمُ كانتْ مواقيتُها لا تدومُ ..
فدامَتْ
وكلُّ اليمامَاتِ هامَتْ
فَعُدْ بتماثيلِكِ الآنَ للخزَفِ
الآنَ لا تخَفِ
الشعرُ يحميكَ
يحرُسُ ظهرَكَ
.. لكنَّ بِلقيسُ نامتْ
ولم تستَمِعْ لأرقِّ القصائدِ منكَ
فحَقَّ عليها العتابُ
.. تهاوىٰ الترابُ
وبِلقيسُ في مُطلقِ الحُلمِ لِيمَتْ ..
ولامتْ

فيها أيُّها الصَّبُّ :
رتِّبْ تفاعيلَكَ الآنَ في صِيغَةِ التَّرحِ
استرحِ
الشعرُ سوفَ يصحُّ العمودُ لهُ
والقصيدةُ قد تستقيمُ إذا استوْعَبتْها الشَّحاريرُ
قبلَ الجماهيرِ
كَم راودتْها الشعاريرُ
لكنها ما استنامَتْ
فدعْها ..
لتكتُبَ ضدَّ العُروبةِ سَيِّئةً
ثم ترقىٰ
وقلْ :
إنها في النهايةِ تبقىٰ ..
وفي البدءِ كانَتْ

(*) الانثيان : لغة في الأذنين .



استطاعت السينما عن طريق قدراتها أن تقدم لنا الأحداث التاريخية في مشاهد تقفز فوق قيود المكان فنعيش مع كل لحظة من لحظات العمل الفني

السينما
وصنع الأحلام في المجتمع

بقلم : محمد فتحي

لم يحدث قط فى مجرى التاريخ أن انبثقت صناعة ، عالية العمد كصناعة السينما ، انبثاقاً مباشراً سافراً ، من أحلام النـــاس .

ماكس ليرنر
من كتابه « مقومات الحضارة الأمريكية »

يستطيع المرء بالليل أو بالنهار أن يدخل الى قاعة أطفئت أنوارها ليطلق نفسه وروحه من أسار الواقع ويستغرق فى عالم لذيذ باهر النظم ، زاهى الألوان ، باهى الحسن والرواء .. الست ترى أن الاظلام فى حد ذاته دلوف إلى عالم الأحلام ؟ ! وعندما تتحرك الشخوص فوق الشاشة العريضة أمام ناظريك ، فى موجات متلاحقة ، ثائرة أحياناً بعواصف العاطفة أو الجريمة أو

الطراد العنيف ، أو رقيقة كهبات النسيم الرطيب وكانما تحس بها تداعب خديك .. تشعر بانك سندباد حط به طائر الرخ فى واد من وديان ألف ليلة وليلة أو بانك الشاطر حسن .. أو سلطان من السلاطين منعماً فى فردوس من فراديس الأساطير .. المنى كلها ـ مما لا تجود به دنيا الناس ـ بين يديك وكانما تقول لك لبيك .. أشهى الحسان اللائى يقطرن دلا وأنوثة .. الرجولة فى أبهى صورها من رومانسية وفتوة ووسامة .. أشيك الأزيـــاء .. أرشق السيقـــان .. كل ما يجعلك تشعر بأن الدنيـــا مقبلـــة بين يديك وأنت جالس في مقعدك . وعندما تدلف الى مخدعك لتنام يرقد الوعى وينهض الخيال ناسجاً الرؤى الفتانة من وحى النماذج التى شاهدت فى الفيلم وهى نماذج صاغتها التخيلات والأحلام .

هذه الرؤى المعيشية الجديدة التى جذبت اليها كل الناس أصبحت تنشد وترتجى وتهفو لها النفوس . ومن هنا خلقت نوقاً عاما متوسطا ، مسوية فى ذلك بين العامة فى مستواهم الأدنى ، والخاصة فى الأعالى . دنيا الأفلام دنيا من الأحلام . ولكنها ليست بالضرورة أحلام تهرب ، تتلمس عن طريقها تعويضاً عن نقصان نفس أحبط ، أو عاطفة فقدت ، أو آمال خابت . بل يمكن أن تكون هذه الأحلام أحلام طموح وتطلع لمستويات ليست عسيرة على التحقيق . والتطلع الى قيم معيشية جديدة لابد أن يكون مصحوبا فى نفس الوقت بتجارب عاطفية جديدة .

مشكلة العواطف هى أنك لا تستطيع الحصول عليها بطريقة آلية كما تحصل على قنانى المرطبات أو على نور الكهرباء وخاصة فى حضارة تسودها المادة واعتبارات المال . فانى لانسان هذا العصر أن يجد حاجته من الزاد العاطفى وهو على التحقيق أشد من أسلافه تعطشاً وحنيناً الى الروى العاطفى لذلك عندما تصدت السينما بشاشاتهـــا السحرية الخلابة لارواء هذا الظمأ وجدت الجمهور فى حالة تشوق ولهفة .

تقنيات السينما يسرت تحقيق هذه السقيا العاطفية بشكل باهر ، لا يباريها فى ذلك أى ضرب آخر من ضروب الفن الشعبى بما فى ذلك المسرح . العاطفة تتبلور فى نظرة أو وقفة أو مشية ، أو عن طريق التخير فى اللقطات وتتابعها ، أو التحكم فى الايقاع « الرتم » تمشياً مع مسار الفيلم ومع مراحل الكشف عن جوانب القصة ، أو عن طريق قدراته فى نسج الماضي والحاضر فى نسيج واحد ملغياً الزمان قافزاً فوق قيود المكان . أو عن طريق الانتقال من اللقطات المكبرة المقربة الى اللقطات البعيدة المترامية مما يزيد الحدة ويثير الاشتياق المتصل لينهل الرائى ويواصل النهل ..



والت ديزني .. قدم دراسات في الطبيعة



شارلي شابلن .. أفلامه ضمن الكلاسيكيات



الفريد هتشكوك .. أفلام الرعب

تغوص السينما فى أغوار الغريزة ودهاليز النفس الانسانية ، وتضرب فى الأرض من مكان لمكان ، وفى غيابات الزمان من حقبة لحقبة ، ومن ثقافة لثقافة .. مستثيرة الجوانب العاطفية والخيالية والجمالية فى تكويننا .

هذه هى حقيقة الدور الذى تقوم السينما على أدائه والذى جعل منها منذ نشأتها الأداة الأسرة الخلابة . قد تكون الصحافة أطول منها باعاً فى تغيير الاتجاهات وتشكيل المواقف . وقد يكون الراديو أوسع منها قاعدة وأسرع فى الوصول الى جماهير الناس . والتليفزيون بالغ التنوع ، مقرب للمتعة بل جالب بها الى الانسان فى مستراحه وداره . ولكن هذه الأدوات جميعاً تبرز دنيا الواقع واذا مست الخيال والأحلام فهو مس رفيق عابر ليس هو عنصر ذاتها وجوهرها . أما السينما فتلك إذا صنعتها أو لعبتها اذا شئت .. نسج الأحلام التى تهفو اليها الأرواح وقرارات النفوس .

هل تعكس السينما التيارات النفسية فى المجتمع الانسانى ؟ بمعنى آخر هل هناك علاقة بين الموضوعات المعروضة وهـــذه التيارات ؟ الواضح أنها نهجت حيث نشأت ـ أى فى هوليود ـ نهجاً أضحى هو النهج العام المتبع فى مراكز الانتاج السينمائى ، ذلك أنها عمدت الى التسطح والاكتفاء بالأمانة الظاهرية وتنمية الأنماط التى ترضى أذواق العامة. معالم الثقافة فى المجتمع واضحة فى الزى والسلوك والأنماط المعيشية ولكنها لا تكشف أكثر من السطح الذى طلى بالدهان والبريق ، زين وزخرف لدرجة تكاد تقربه من لفظ زيف . !

خذ المال مثلا . يقول الفيـــلم إن السعادة والسمعة خير من المال . ولكن كل لقطة وكل صورة تقول لا شيء يعدل قيمة المال ! أو خذ الجنس . الفيلم لا يعرض الجنس كعنصر من عناصر عاطفة نبيلة وهى الحب . وانما يعرض الجنس للجنس ذاته ولما يعنيه من انشغال الناس به انشغالا غير طبيعى . وهذا الانشغال بالجنس هو من صنع السينما أكثر من أى جهاز آخر .

بسبب هذا المذهب السطحى وعـــدم عرض العواطف الحقيقية عرضاً متعمقاً لجأت السينما إلى « الفعل » كبديل . ونقصد بالفعل هنا المبالغة فى عرض الأحداث العنيفة فى تتابع سريع برعت فيه عملية

السينما
مصنع الأحلام في المجتمع

المونتاج فيدخل المشهد فى أعقاب المشهد دون أن يمنح المشاهد لحظة تأمل أو تفكر واحدة . كل شيء يجرى بسرعة عظيمة .. أحداث شتى .. منازعات وتهديدات وخناقات وأخطار وكمائن وفرار ومطاردات فوق ظهور الخيل أو السيارات .. حب من النظرة الأولى وخصام وصلح ووئام ومنافسة أو سوء فهم يعقبه معارك بالمسدسات وبالمدافع والرشاشات . جماهير ثائرة ومواجهات فى الساحة ترقبها من وراء الجدران والنوافذ عيون هلعة .. أو فى الحان والمشرب تقلب وتكسر وتدمر .. مطاردات فى القطارات من عربة لعربة وفوق سطح العربات .. جثث فى الدواليب .. اعترافات على سرير الموت ..

احداث تلو أحداث يجرى الجمهور فى أثرها لاهثاً مسرع الأنفاس لا يستجمعها ، لا تقر نفسه حتى بعد أن ينتهى الفيلم وترتخى الستارة وتضاء الأنوار ويخرج الى عالم الواقع .. ! سرعة تدافع الأحداث لا تدع مجالا للكشف عما بداخل السرائر أو الوصول الى الجذور أو التوصل الى النتائج النفسية .

« الفعل » هو كل شيء ومظاهره بينة . حتى فى أفلام الحب والغرام العنف فيها عنصر أصيل .

ورغم ذلك كله فطاقة الفيلم غير منكورة . لدينا الكلاسيكيات التى أنتجتها السينما وما تزال تنتقل معروضة من جيل لجيل كفيلم « ميلاد أمة » لجريفث وأفلام شارلى شابلن .. الغلام والبحث عن الذهب ومسيو فردو .. وأفلام فرانك كابرا وهى نقد بليغ للمجتمع .. مستر سميث يذهب الى واشنجطن .. ولن تأخذها معك (ما حدش واخد منها حاجة) وحدث ذات ليلة .. وتاريخيات سيسل دى ميل ، والتراث الشعبى العالمى الذى أنشاه والت ديزنى أو دراساته فى الطبيعة ، وكذلك دراسات هيتشكوك فى جزيرة الخوف والرعب ، ودراسات السير الشخصية على مدى التاريخ مثل المواطن كين والمبلغ .

من العجيب حقاً ومع هذه الطاقة الهائلة والقدرات الكامنة فى أداة السينما أن يواجه الفلم بتقلص شديد فى جمهوره وخاصة من جانب الكبار الذين يتجاوزون من العمر الخامسة والثلاثين . ومن ثم تغلق كثرة من الدور أبوابها . يذهب بعض النقاد فى تعليل ذلك الى ان المنتج السينمائى هو الملوم . فلو أنه رفع من مستوى الفلم الفكرى والعاطفى لقدر له أن يكسب للسينما رواداً من الراشدين من أهل الفكر الذين ينأون عن السينما لهذا السبب بالذات . وفى رأى آخر أن الكبار ينأون عن السينما لأنهم فى أغلب الظن لا يجدون فى أنفسهم القدرة على تفهم اتجاهها الجديد مثلما يفعل الأصغر سناً . مضمون هذا الرأى أن التغيرات الحديثة فى المجتمع غيرت الظلال المعيشية ـ وكان الكبار يألفونها فى ظل الأسرة مثلا أو مجتمع النادى ـ وأن هذه التغيرات جلبت مظاهر جديدة من التجربة الاجتماعية التى تعبر عنها السينما تعبيراً يستوعبه الصغار ولا يقوى على مجاراته الكبار ومن ثم يعجزون عن فهمه والتجاوب معه ، ويستطرد أصحاب الرأى بأن أذهان الكبار متجهة نحو الماضى ..

وقد يكون صحيحاً أن الصغار ونعنى بهم الصبيان والشباب حتى الثلاثين من العمر يرتادون السينما لامجرد التسلية والترويح بل يرتادونها كذلك بحثاً عن الرشاد والهداية ، والمقصود بالرشاد والهداية هنا هو أن يلتمسوا الرشاد والهداية فى مجال العلاقات الشخصية أى فى العلاقات القائمة بين الاشخاص بعضهم بعضاً ، ونحسب أن هذا الاسترشاد الذى يلتمسونه يثير قضية فى غاية الأهمية فأى نوع من الرشاد ذلك الذى يتلقاه النشء والشباب من السينما ؟ لا نستطيع الادعاء بأن العوالم العاطفية والفكرية التى تعرضها الأفلام عوالم حقيقية واقعية . فهى عوالم وهمية من نسج الخيال ، لاحس ولا شعور فيها بنمو الشخصية أو المعاناة المريرة للتعرف على الذات ، وهو ما قد يجده الشاب فى الروايات الجيدة التى يقرؤها والتى قد تأخذ بيده الى بعض المسالك هدياً له فيما قد يدور فى قرارة نفسه من تورطات أو متاهات . إن السينما لا تنمط الحلول فحسب بل تنمط المشكلات أيضاً أى تجعل من هذى وتلك أنماطاً (ستريو تايب) ، الأمر الذى يجعل شباب السينما عرضة للتأثر بها حتى يستقى منها التورطات والمتاهات . مثل هذا التفاعل قد يؤدى الى قران عاطفى حقيقى بين الأفلام والجمهور . غير أن الجمهور فى تلك الحالة سيكون هو الذى فسد قبل قرينه ومن ثم أصبح «مشروطاً» أى رهينة واقعة فى مجال الشرط .

إن التصور الذى رسمته هوليود وثبتته لطبيعة الانسان ومصيره وسار على منواله سينمائيو العالم ، لا يهمنا فى قليل أو كثير .. لولا أنه يسود على نطاق امبريالى ! فما تراه هوليود ، وتفعله ، وكيفية نفاذ هذا الفعل ـ ويحذو حذوها السينمائيون فى كل مكان ـ يصبح نهجاً معيشياً لملايين الناس على نطاق المعمورة . إن هوليود لا تنتج وتوزع وتصدر صوراً فحسب . الصور والأفلام يتلقاها الناس ، ولكنهم يتشربون منها شيئاً آخر .. يتشربون فلسفتها ، وطرز الزى والأناقة .. من تسريحة الشعر حتى الحذاء فى أخمص القدم ، وأساليب السلوك .. كيف يدخن وكيف يجامل وكيف يقبل وكيف يسلم وكيف يضبط خطوة قدميه ، وكيف يلاغى وماذا يقول وكيف يتصرف فى شتى المواقف .. يأخذ منها الناس حكمة العيش ويثبتون ما يلتقطون من مشاهدها بما يقرأونه فى عشرات المجلات السينمائية وأعمدة النقد فى الصحف عن الكواكب وحياتهن وأزواجهن والانفصال الزوجى المتكرر وخلع زوج تلو زوج .. الى آخر ذلك الذى ما تفتأ الصحف والمجلات وشتى أجهزة الاعلام مسموعة ومرئية تنشره وتذيعه عن الكواكب من الاناث والذكور . القيمة الامتاعية للسينما عند روادها مزيج من السحر والسلوك والقيم والخلق . ما قصد به أن يبهر الناس يقوم أيضاً بارشادهم وهديهم . الفعل القوى المتسلط الذى أريد به أن يشرح الصدور يظل معهم ليلذ أحلامهم . والعنف الذى قصد به أن يدغدغ حسهم يبقى معهم مبلداً ذلك الحس .

فيض الانتاج السينمائى ليس غثاً كله ، ففيه قدر من الانتاج سمين ، يشهد للمنتج والمخرج بالقريحة القوية والقدرة الفائقة . هؤلاء الخلاقون المبدعون الذين يجرفهم تيار التقليد والاصطلاح أنشأوا لنا كلاسيات الماضى ومايزالون يتحفون البشرية من حين لحين بدرر فريدة تنبض بالتعاطف مع الانسان فى مسرى معاناته ، كما تسجل تطورات الفكر الاجتماعى . لقد بلغ الفن السينمائى شأواً بعيداً هز مشاعر الناس ، وبصورة لم تبلغها بعد الفنون الجماهيرية الأخرى مثل الاذاعة والتلفزيون . جوهر النقد الموجه الى السينما مبنى على أساس الهوة القائمة بين الواقع الذى تعرضه الأفلام والطاقة الكامنة فى الأداة . ومع ذلك فهذه الهوة ليست قاصرة على السينما بل لعلها فى التلفزيون والاذاعة أشد اتساعاً وفغور فاه .

محمد فتحى

هـــو..هـــم..!!

قصة بقلم : صـــلاح عبد الســـيد

كنت محشوراً فى الاتوبيس .. وكان هو يقف ورائي .. كان ملتصقاً بي ، نبهتـــه بصوت خفيض أن يبتعد ، فابتعد قليلا ثم عاد من جديد .. زعقت عليه ان يبتعد واستدرت اليه ..

عندما نظرت فى وجهه .. امسكت به .. انه هو .. هو بالتاكيد .. !!

هو الذى بالأمس وانا فى طريقى الى البيت فى وقت متاخر من الليل .. اعترضنى وشهر فى وجهى سكينا .. وابتز منى كل ما املك حتى آخر الشهر .. ولطمنى على وجهى ..

انه هو .. هو بالتاكيد .. لقد رايته لحظة ان اعترضنى .. صحيح ان الضوء كان شاحباً .. وكنا فى وقت متاخر من الليل .. لكننى استطعت ان اراه .. ،ان اشم رائحته

كان وجهه بليداً .. وجمجمته صلدة .. وشفته السفلى ميتة ..

قال المحقق فى سخرية ..

ـ وماذا ايضاً ..؟

ـ وقفاه عندما استدار .. كان غبياً .. اسود .. وجلده كجلد البهائم ..

ـ وماذا ايضاً ..؟

وقهقه ..

ـ ورائحة فمه ..

وشممت رائحة البصل تفوح من فم المحقق .

وهذه الرائحة كانت تفوح من فمه ..

بص لى ..

كان وجهه بليداً .. وجمجمته صلدة .. وشفته السفلى ميتة ..

استدرت ارى قفاه ..

كان قفاه غبياً .. اسود .. وجلده كجلد البهائم ..

وانعقدت سحابة البصل ..

انه هو .. هو بالتاكيد .. !!

هو الذى بالأمس اعترضنى واخذ نقودى صرخت عليه .

ـ اعطنى نقودى التى سرقتها منى .. !! ؟

فتح فمه .. فبانت اسنانه القاتلة .. وابتسم لى .. ثم اخرج من جيبه سكينا وشهرها فى وجهى .. وامرنى ان اخرج النقود التى معى .. فلما اخبرته اننى بلا نقود .. ابتسم وامرنى ان اخلع جاكتتى وبنطلونى ..

ووضع السكين على رقبتى .

وتركنى بالسروال والفانلة ..

• •

زعق صاحب البيت ..

اين نقود الايجار .. ؟

همست فى اعياء



ـ لقد سرقوا نقودى وملابسى .. !!

ـ من هم .. !!

ـ انهم .. إنه .. وجهه بليد .. وجمجمته صلدة .. وشفته السفلى ميتة ..

قال صاحب البيت فى سخرية ..

ـ وماذا ايضاً .. !!؟

ـ وقفاه عندما استدار كان غبياً .. اسود .. وجلده كجلد البهائم ..

ـ وماذا ايضاً .. !! ؟

وقهقه ..

وشممت رائحة البصل تفوح من فمه ..

ـ وهذه الرائحة كانت تفوح من فمه ..

بص لى ..

كان نفس القفا والوجه .. والوجه والقفا .

وانعقدت سحابة البصل تفوح فى المكان

إنه هو .. هو بالتاكيد .. الذى اعترضنى .. والتصق بى .. وحقق معى ..

صرخت عليه

ـ اعطنى نقودى وملابسى

ابتسم لى .. فبانت اسنانه القاتلة .. ثم اقترب منى واخرج من جيبه سكينا شهرها فى وجهى ..

وامرنى ان اخلع سروالى وفانلتى ..

وتركنى عارياً ..

• •

كنت عارياً .. حين مرت تلك الجنازة المهيبة .. ورايت قفاه فيها ..

اقتربت منه .. كان فعلا قفاه ..

نظرت فى وجهه .. كان فعلا وجهه ..

نظرت للذى الى جواره .. كان مثله ..

والذى الى جواره .. كان مثله ..

انه هو .. هو .. هم .. هم .. !!

كانت وجوههم بليدة .. وجماجمهم صلدة .. وشفاههم السفلى ميتة ..

وانعقدت سحابة البصل تفوح فى المكان ..

إنهم هم .. هم بالتاكيد ..

صرخت فى الموكب ان يتوقف ..

انظروا لى ..

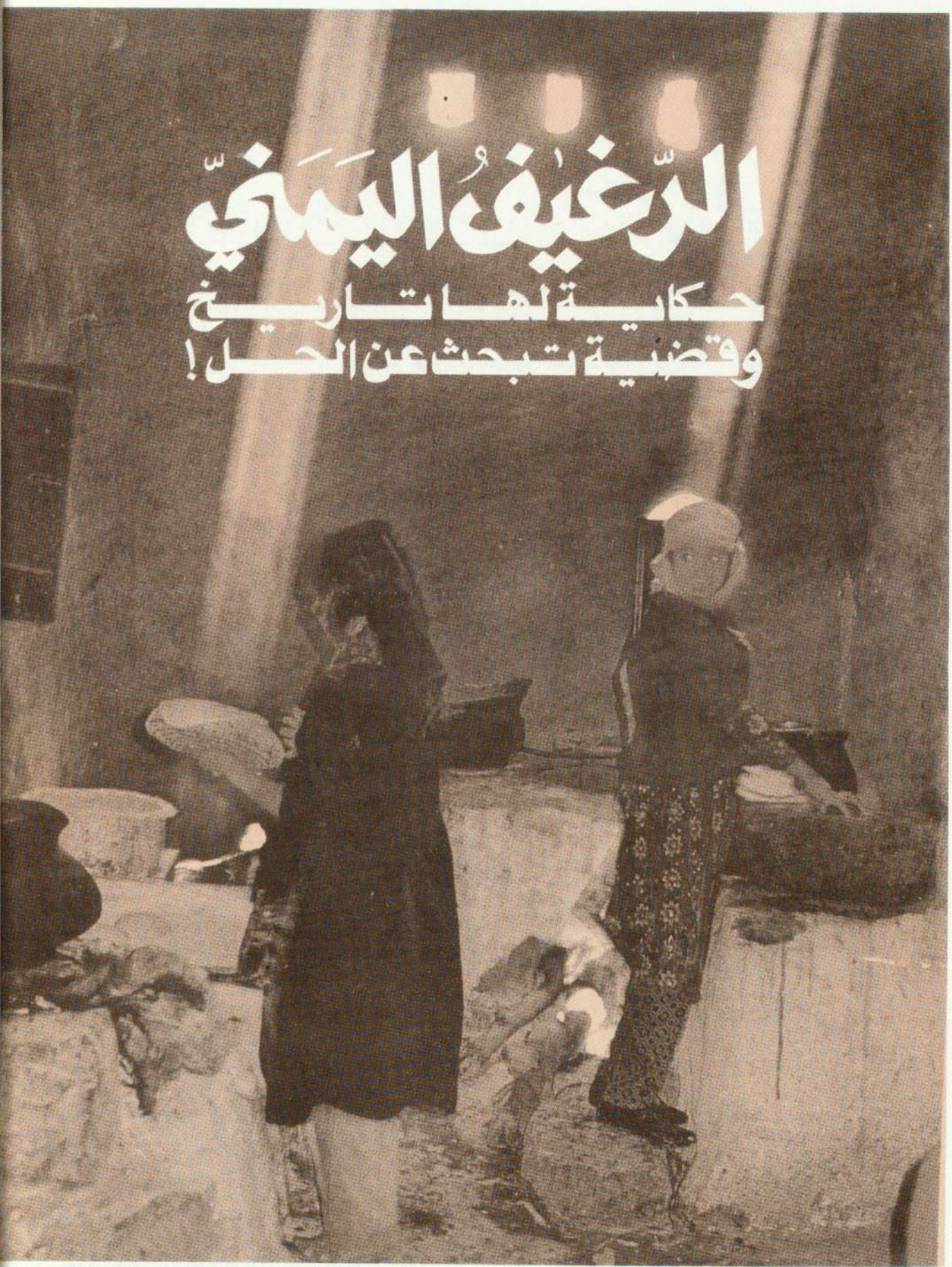
ـ سآخذ نقودى الآن وملابسى .. اعطونى نقودى وملابسى ..

ابتسموا لى .. فبانت اسنانهم البيضاء القاتلة .. واحاطوا بى فى دائرة محكمة .. ثم اخرجوا من جيوبهم مدى ذهبية لامعة .. وضعوها حول رقبتى .. وامرونى بصوت ناعم رقيق .. ان اخلع جلدى ..

وكانت الموسيقى تدق .. والزهور تحيط بى ..

الرّغيفُ اليمنيّ

حكاية لها تاريخ وقضية تبحث عن الحل!



داخل أحد أفران الخبز في اليمن

بقلم : زيد محمد حجر

ان عملية اعداد رغيف الخبز كما صورها احد أرباب الأسر اليمنية هى كالمعركة وقد حكم على هذه العملية بانها أشغال شاقة ، وفى تصورنا أن حكمه كان واقعياً لما يبذله رب الأسرة من الجهود الكبيرة حيث انها وراء جل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والصحية .

ونبدأ بذكر المتطلبات الأولى التى تواجه كل أسرة والتى تبدأ بشراء الحبوب والحطب. وبعد شراء الحبوب تقوم ربة الأسرة بتنقيتها وطحنها بنفسها أو باشرافها ثم تقوم بنخلها وعجنها وخبزها .

والصعوبة الأولى فى عملية شراء الحطب هو انه لابد ان يكون ذا نوعية معينة من الجودة كما يشترط ان يكون من نوع « الضهياء » ـ نوع جيد من الحطب ـ وشراء « اللصوة » ـ أعشاب قابلة للاشتعال والتى يجب ان تكون من نوع « الجعدان » والكباء يجب أن يكون مادته من دقعة الغنم اذا تيسر ذلك ، والبحث عن المفلق الماهر لتكسير الحطب إلى قطع تتناسب مع حجم التنور مع ما يكتنف ذلك من وجوب التفرغ والترقب والمساومة مجرد الاعداد الأولى فى بدء عملية الخبز التى تقوم به ربة بيت فى بلادنا .

والمرحلة الثانية من اعداد الرغيف تكبد المرأة معاناة كبرى من الناحية الصحية نتيجة للجهود التى تبذلها. فهى تخسر وتضيع كثيراً من وقتها الذى كان من المفيد ان تصرفه فى العناية بترتيب مستلزمات بيتها وتنظيفه ورعاية نفسها واطفالها ، وربما يكون تعرضها للنار والدخان اثناء العملية الأخيرة لاعداد الخبز هو اشد مرحلة تواجهها من الناحية الصحية فالكثير منهن يصبن بالسل الرئوى « ١ » وتلف النظر للقيام باعمال تنقية الحبوب والحروق التى تشوه وجهها ويديها خلال مباشرتها لهذه العملية .

والمرحلة الثالثة الذى تتطلبها العملية هى الخبز. ونظراً لبدائيتها لا يمكن لربة الأسرة من التحرى الكامل والتدقيق فى نظافة الخبز وجودته صحياً ، وللوقت عامل مهم لضرورة إنجاز عملية الخبز سريعاً كى لا تهدأ حرارة التنور « الوقده » والاضطرار الى استهلاك مزيد من الوقود الغالى الثمن ، وخوفاً من مطالبة رب الأسرة بشراء كمية أخرى من الوقود .

ولسوء حظ ربة الأسرة فى أغلب الأوقات تفشل فى اعداد مهمتها كما يريدها رب الأسرة نتيجة حدوث أهمال غير مقصود مما يؤدى الى التشاحن والمشاكل الأسرية التى لا تحمد عقباها .

واخيراً فهذه العملية تؤثر على جو الأسرة من حيث أن ربة البيت لا تتمكن من الاعتناء بنفسها ومظهرها واطفالها ، وترتيب أثاث المنزل ونظافته كما ذكرنا سابقاً . كل هذا يؤدى إلى ضياع الوقت وهجر المنزل لجوءا إلى مجالس القات والتفاريط « مجالس السيدات » وهما مشكلتان اجتماعيتان لا مجال للحديث عنهما هنا بالاضافة الى ان العملية تشكل عدم استقرار فى محيط الأسرة ونتيجة لذلك يحاول كل واحد منهما ـ الزوج والزوجة ـ الهروب من وجه الآخر تفادياً للمشاكل وتخفيفاً مما فى نفس كل منهما من الشكوى التى تنتج من هذه العملية .

الأشجار .. ضحية !

وإلى جانب ذلك هناك أثر سلبى عام من اعداد الخبز فى المنزل وهو عدد الأشجار التى تفقدها البلاد سنوياً والبيان الآتى يوضح ذلك .

إن متوسط ما تحتاج التنور لخبز الخبز هو ستة قطع من الحطب مع كمية من اللصوة التى تساعد على الاحتراق عند بدء عملية خبز الخبز . وقد حاولنا فى هذه الدراسة ان نقتصر فقط على حجم كمية الحطب وهى كالآتى :

بلغ حجم قطع الحطب المستهلك يومياً لأسرة يمنية مكونة من خمسة اشخاص حسب تقدير المزارعين والحطابين ٥٪ من حجم شجرة متوسطة الطول . فاذا افترضنا ان سكان الجمهورية اليمنية يساوى ثمانية ملايين . اذن يصبح مجموع استهلاك السكان يومياً يعادل اربعمائة الف شجرة . والاستهلاك السنوى ٢٠٦ مليون شجرة . وينتج من ذلك اضرار اقتصادية كثيرة تدفع بالبلاد إلى استيراد ما يقدر بعشرين مليون ريال من الخشب مثلما يكبدها مبلغاً لا يستهان به لشراء تحديد كبديل للخشب استجابة لمتطلبات العمران الحديث فى بلادنا .

وهذا الجانب السلبى لا يقتصر عند هذا الحد فحسب بل ان البلاد تفقد الناحية الجمالية التى تزين الأرض اليمنية وتحولها نتيجة استهلاك تلك الاعداد من الأشجار الى ارض جرداء بعد أن كانت الأرض الخضراء المعروفة بها اليمن قديماً . ولعل هذا أمر سهل لو وقف هذا الجانب السلبى عند الناحية الجمالية ، بل إنه انكى وأمر ، فالمعروف علمياً ان الأشجار تجذب سحب الأمطار ، والأمطار فى اليمن هى التى تعتمد عليها زراعة البلاد والتى تشكل المصدر الرئيسى لثروتها .

ونحن لا نشعر بحدة هذه المشكلة ذلك لتوفر المعونات الخارجية من القمح وكذلك ما يستورده القطاع الخاص والعام حالياً من تلك الحبوب لسد حاجات الناس . فالكميات الواردة من الحبوب الى بلادنا تبلغ حوالى مائتى الف طن سنوياً «٢» .

وقد قمنا بسؤال مائة شخص يمثلون مختلف أرباب الأسرة اليمنية وطرحنا عليهم الاستفسارات بهذا الصدد فكانت النتيجة كما يلى :

اجابت الفئة الأولى وعددها ٥٨ اسرة انها تقوم باعداد الخبز فى المنزل ، والثانية وعددها ٢٥ اسرة تقوم بشراء الخبز من السوق ، والثالثة وعددها ٢١ لم تجب ، «بنعم» أو « لا » والرابعة وعددها اربع اسر لم تبد اهتماماً بالموضوع .

الرّغيف اليمني

وبعد أن اطلعنا على وجهة نظر المجتمع نود ان نؤكد وجهة نظرنا بأن هناك صعوبات جمة تقوم باعبائها ربة الأسرة التى تقوم باعداد الخبز فى المنزل وسنورد وصفاً كاملا لما تقوم به ربة الأسرة. وسيدرك القارىء الكريم الصعوبات العديدة الناجمة من هذه العملية .

أولا : متوسط التكاليف التى تدفعها ٥٨ أسرة فى الخبز عند اعداده فى المنزل حسب الدراسة التى قمنا بها .. تقدر كالآتى .

● متوسط أفراد ٥٨ أسرة هو ٥ افراد للاسرة الواحدة .

● تكاليف إعداد الخبز .

أ ـ قيمة الحطب واللصوة .. الخ ١٠٠ ريال .

ب ـ اجرة المفلق ـ ١٠ ريالات .

جـ ـ ما تستهلكه الأسرة المذكورة من القمح شهرياً هو قدح «٣» ونصف القدح وقيمته ٥٠ ريالا .

د ـ المجموع ـ ١٦٠ ريالا .

● متوسط الزمن الكلى الذى تستغرقه ربة الأسرة مكونة من خمسة اشخاص لاعداد الخبز فى المنزل هو على النحو التالى :

أ ـ الزمن الذى ترتبط به ربة الأسرة فى المنزل عند تكسير الحطب الى قطع تتناسب وحجم التنور شهرياً ٥ر١ ساعة .

ب ـ الزمن الذى تستغرقه ربة الأسرة لتنقية وتنظيف القدح والنصف من القمح الأجنبى ١٢ ساعة .

جـ ـ مجموع الزمن الكلى الذى تستغرقه ربة الأسرة لطحن القدح والنصف من القمح حسب الوحدة المبينة بين « الوحدة ـ ربع قدح » ٤ ساعات .

د ـ تستهلك هذه الأسرة ثلاثة انفار «٤» من القمح يومياً بعد طحنه والزمن الكلى المستغرق شهرياً لعجن القدح والنصف حسب الوحدة السابقة ٥ر٢٢ ساعة .

هـ ـ الزمن الكلى المستغرق شهرياً لتخمير العجين « حالة ارتباط وترقب » ٥٠ ساعة .

و ـ الزمن الكلي المستغرق شهرياً لخبز الخبز ٤٥ ساعة .

جـ ـ المجموع ٥ر١٣٥ ساعة .

نفترض ان أجرة ربة الأسرة يومياً يساوى ما يتقاضاه عامل غير ماهر وهو سبعون ريالا والمعلوم أن ساعات العمل اليومية هى

والجدول رقم ـ ١ ـ يبين وجهة نظر الفئة الأولى التى تقوم باعداد الخبز فى المنزل وعدد الاسر والنسبة المئوية والدوافع التى تجعلها تتمسك بتلك العادة .

عدد الأسر	النسبة	الدوافع
٢٤	٪٥٩	لا تفضل شراء الخبز من السوق لغلائه وعدم وجود النظافة .
٢	٪٢	لا تفضل شراء الخبز من السوق لنفس السبب الأول بالاضافة إلى أن وزن الرغيف وسعره غير ثابتين فى السوق .
٥	٪٧	لا تفضل شراء الخبز من السوق لنفس السبب الأول بالاضافة الى اعتقادهم بعدم جودته .
٤	٪٦	لا تفضله من السوق لنفس السبب رقم ـ٣ـ ولكنها تقوم باغلب العملية فى المنزل وترسله الى الفرن لخبزه توفيراً للتكاليف الباهظة الناجمة من الحطب .
٤	٪٦	لا تفضل شراءه من السوق لأن عملية اعداد الخبز فى المنزل تتناسب مع الوجبة اليمنية من حيث هيئته ومذاقه .
٩	٪١٧	لا تفضل شراءه من السوق ولم تعط سبباً .

أما الجدول رقم « ٢ » فيبين الفئة الثانية التى تقوم بشراء الخبز من السوق والنسبة المئوية وكذلك الأسباب التى تدفعها لذلك .

عدد الأسر	النسبة٪	الدوافع
٤	٪٢٠	تقوم بشراء الخبز من السوق لظروف اضطرارية .
١٧	٪٦٨	تقوم بشراء الخبز من السوق لانه يوفر عليها التعب والمال .
١	٪٤	تقوم بشراء الخبز من السوق لنفس السبب رقم « ٢ » بالاضافة إلى انها تشعر ان الوقت الذى يمكن صرفه فى إعداد الخبز فى المنزل يمكن الاستفادة منه فى تربية الأطفال .
٢	٪٨	تقوم بشراء الخبز من السوق لنفس الأسباب المذكورة فى رقم «٣» بالاضافة إلى انها تستفيد من الوقت الذى يمكن صرفه فى إعداد الخبز فى ترتيب المنزل والعناية بنظافته .
١	٪٤	لم تعط سبباً .



منظر عام خارج احد المخابز فى اليمن . حيث اجوله الدقيق والاخشاب التى تعد للاحتراق عند بداية عملية الخبز .

ثمانى ساعات . إذن أجرة ربة الأسرة المستحقة شهرياً ـ ٦٢ر١١٨٥ ريال . وحيث أن ربة الأسرة تحصل من النفر «٤» الواحد من القمح على ستة قطع من الخبز المتوسط الحجم فيصبح ناتج القدح والنصف من القدح يعادل ٥٧٦ خبزة .

ويصبح تكاليف ٥٧٦ خبزة ـ ٦٢ر١٢٥٢ ريال . وقيمة الخبزة ريالان و ٣١ سنتا بينما قيمة قطعة الخبز المتوسط الحجم فى السوق ـ ريال واحد فيكون فرق التكلفة بين السوق والمنزل ريال و ٣١ سنتا واذا قمنا باستبعاد أجرة إعداد الخبز التى تقوم به ربة الأسرة فى المنزل تصبح قيمة الخبز ـ ٢٧ ريالا .

لا وقت للحلول

وبعد أن استعرضنا جانباً من تلك الصعوبات والسلبيات العامة التي تضر باقتصاد البلاد يجدر بنا أن نشير الى أن تحكم هذه العملية فى حياتنا اليومية لا تدع لنا فرصة التفكير في إيجاد حلول وهذا يشكل سبباً من عدة أسباب لتحكم العملية نوردها كما يلي : ـ

أولا ـ من المعروف أن وجبات الغذاء اليمنية فى بلادنا تعتمد أساساً على مادة الحبوب . فقد لا يخلو بيت من وجود صنف من الأصناف التي تعتمد على مادة الحبوب كالهريس والفتة اليمنية والعصيط .. الخ .. ويعود ذلك الى عدم الاهتمام بأنواع الأغذية الأخرى كالخضرة واللحوم . إما جهلا بقيمتها الغذائية أو عدم معرفة الكثير بكيفية طبخها على صور كثيرة .

ثانياً ـ عدم استقرار حياتنا الى عهد قريب نتيجة للحروب والمشاكل السياسية مما جعل كل أسرة تبنى حياتها على أساس من التحصن فى وكرها ، كما هو الحال بالنسبة لأشياء أخرى كحفر بئر فى كل بيت استعداداً لحالة الطوارىء عند قيام أية حرب أو فتنة . وتخصيص الطابق الأول من البيت كمخزن للوقود والحيوانات والعلف .

ثالثاً ـ ان النظرة الاجتماعية السلبية تجاه من يزاول عمل بيع الخبز من العمالات «العاملات» ـ وهن النساء اللاتى يقمن بذلك حتى يومنا هذا وكذلك العاملون فى المطاعم والفنادق الصغيرة . ويرجع هذا كله الى عدم توفر مثل هذه الفئة بصفة كافية لاعداد ما يحتاجه المجتمع من الخبز .

رابعاً ـ ان عدم جودة الخبز الذى يباع فى الأسواق لقصور فهم العاملين عن تطويره وتحسينه والاهتمام بالنظافة عند اعداده ينفر كثيراً من الناس الذين يرغبون فى الحصول على رغيف الخبز من السوق نظراً لصعوبات اعداده فى البيت .

خامساً ـ وسبب آخر هو ارتباط الأسرة اليمنية باعداد الخبز فى المنزل لاعتقاد الكثير من أرباب الأسر بانه على المرأة أن تظل مشغولة باعمال المنزل حتى لا تبقى مضيعة فى الفراغ الذى قد يؤدى الى مشاكل غير مناسبة لحياة الأسرة وقيمها .

سادساً ـ والسبب الأخير هو قلة انتشار وسائل الوقود الحديثة كالأفران الكهربائية والغازية مما أدى الى الاعتماد كلياً على الحطب فى المطبخ اليمنى وينتج من ذلك حرص ربة البيت على استغلال النار لتجهيز متطلبات أخرى مثل تعمير المناعة ـ النارجيلة ـ بدلا من إضاعتها .

والامكانيات المتوفرة لدينا للتخلص من هذه العلة المتحكمة والضارة على مستوى الأسرة والبلاد ككل هى فى نظرنا كالتالى :

أولا ـ تشجيع الدولة لفئة العاملين فى حقل الأفران والمخابز على تطوير وتحسين نوعية رغيف الخبز بحيث يناسب كل الأذواق وذلك بعدة وسائل كاعفائهم من الضرائب عن القمح «لأصحاب الأفران والمخابز» واضافة ضرائب على الدقيق المستورد الذى يستخدمه هؤلاء بنسبة كبيرة فى عمل الخبز نظراً لرخصه بالنسبة للقمح .

ثانياً ـ على الدولة أن تسهل من استيراد الأفران الميكانيكية الحديثة وغيرها من الوسائل التى تحتاجها المخابز .

ثالثاً ـ فرض رقابة شديدة على أصحاب الأفران والمخابز لتحسين منتجاتهم مقابل تسهيلات الدولة لهم .

رابعاً ـ إعفاء الدولة للرسوم الجمركية عن أدوات المطبخ المنزلية كالأفران الكهربائية والغازية .

خامساً ـ تسهيل وايجاد مادة الغاز الطبيعى «اسطوانات الغاز» من البلدان المجاورة .

سادساً ـ قيام الدولة عن طريق وسائلها الاعلامية بتوعية المواطنين وارشادهم للفوائد المتوفرة فى الماكولات الأخرى كالخضار وغيرها .

سابعاً ـ انشاء مراكز ومؤسسات اجتماعية لتدريب المرأة على الأعمال الانتاجية المناسبة كالحياكة والخياطة والتطريز والارشاد الدينى .

ثامناً ـ تشجيع المنتجات التى يمكن للمرأة أن تساهم فيها كصنع الفانلات الصوفية وغيرها من الملابس ، وذلك يحد من استيراد مثل هذه المنتوجات من الخارج .

وبعد : فان النظرة السلبية تجاه الذين يقومون ببيع الخبز فى السوق ، ينبغى أن يحل محلها نظرة ايجابية من أجل أن يصبح الرغيف اليمنى كسائر الأرغفة فى بلاد الدنيا ، حاجة أساسية ميسور الحصول عليها دون عناء يصرف ربة البيت اليمنية عن أنبل وأقدس رسالة . وهى العناية بالأسرة . مثلما يحفظ للبلاد ثروتها من الخضرة والظل . ويتيح للمرأة كذلك أن تلعب دورها الاجتماعى والانتاجى فى الحياة اليمنية من أجل مستقبل أكثر رخاء .

زيد محمد حجر

المراجع :

١ ـ أدلى بنلك أحد الخطباء:ان اصابة المرأة اليمنية بالسل الرئوى هو بسبب تعرضها للدخان أثناء عملية اعداد الخبز .

٢ ـ البنك المركزى .

٣ ـ القدح القمح = ٣٢,٢ كيلو جرام .

٤ ـ القدح = ٦٤ نفرا

٥ ـ النفر = ١/٦٤ من القدح = ٥٠٣ جرام تقريباً .



عباس الأسوانى .. لماذا لم ياخذ حقه من الشهرة والتقدير رغم اصالته الادبية والفنية .؟ !

عباس الأسواني
الضاحك الأخير

«عباس الأسوانى» أحد الذين جاءوا ، ثم رحلوا ، دون أن يستوفوا حقهم . توفى من نحو ثلاث سنين فى نحو الخامسة والستين من عمره ، توفى والقلم فى يده يكافح به ويناضل . كان من الذين قسم لهم أن يكونوا أدباء برغم ما أعدوا له فى الدراسة المفضية الى نيل الشهادات ، يجذبهم الأدب كما يجذب الزهر النحل ، فيعكفون عليه وكأن لم يكن لهم هم غيره ..

كان منهم فى مصر «محمد تيمور» إذ بعث به والده الى فرنسا ليدرس الطب ، ثم تحول الى القانون ، ثم عاد الى مصر بلا طب ولا قانون ، لأنه كان مشغولا بما خلق له وهو الأدب ، وكان الرائد الأول للقصة القصيرة العربية الحديثة .

ومنهم توفيق الحكيم الذى أرسلة أبوه كذلك الى فرنسا ليكون من رجال القانون ، ولكنه شغل بالأدب والفن فى باريس ، وعاد الى مصر ليكتب .. ليبدأ برواية «عودة الروح» وليخرج من «معطفه» أدباء الجيل .

ومنهم ابراهيم ناجى الشاعر الذى دخل التاريخ من باب الأدب معرضاً عن باب الطب .

ثم كان يوسف إدريس الذى تخرج فى كلية الطب ، ثم لم يعرفه الطب إلا مريضاً ، وشغله الأدب ومايزال شاغله .

أما صاحبنا عباس الأسوانى فقد تخرج فى كلية الحقوق واشتغل محامياً ، ولكن أدركته حرفة الأدب ، وكان أبرز ما عمله فى المحاماة قضايا الأدباء المجانية .. وغرق فى الانتاج الأدبى الى أذنيه . سألت عنه مرة فى مؤسسة روز اليوسف إذ كان ينشر فى مجلتيها كتابة من قلمه ، فحسبته محرراً عاملا بها ، فكانت المفاجاة أنه موظف للشئون القانونية بها ، ثم مات وهو فى هذه الوظيفة .

وأخيراً وقعت فى يدى مجموعة قصصية له عنوانها «الضاحك الأخير» نشرت فى سلسلة «الكتاب الذهبى» التى كانت تصدر عن مؤسسة روز اليوسف ـ نشرت سنة ١٩٦٤ .

وقد كان لعباس الأسوانى جهد ملموس فى انتاج التمثيليات الاذاعية ، كما كتب فناً آخر كان ينشر فى المجلات وخاصة مجلة «صباح الخير» التى تصدرها مؤسسة روز اليوسف .

بقلم : عبـــاس خضـــر

كان ذلك الفن هو «المقامة» العصرية الظريفة ، كان يكتبها بلغة تغلب عليها الفصحى مع التطعيم ببعض الكلمات العامية ، ولم يكن يظهر فيها تكلف ، بل كان السجع ياتى فيها طبيعياً ظريفاً ، ويذكرنا هذا بمقامات بيرم التونسى التى كتبها بالعامية وأبدع فيها أيما ابداع ، حتى قال أحمد شوقى أمير الشعراء إنه يخشى على العربية الفصيحة من مقامات بيرم .. وهو يعنى أنها ترتفع بالعامية الى درجة يخشى معها أن تنافس الفصحى ..

ونلحظ أن مقامات الحريرى المعروفة فى تاريخ الأدب العربى كانت فى وقت ممتد من أشهر وأعظم الانتاج الأدبى الذي حفظ للغة رونقها ومستواها العالى ، وكذلك كانت مقامات بيرم بالنسبة للعامية . ولكن كلا من الحريرى وبيرم كان قمة وحده سقط عند سفحها كل من أراد أن يحاكيه ..

حتى جاء عباس الأسوانى فكتب المقامة على النحو السابق ذكره ، فكان قمة أخرى فى هذا المضمار . ومما يؤسف له أن مقامات الأسوانى لم تجمع فى كتاب . ذهبت الاذاعيات فى أدراج الأثير والصحفيات فى القراءات الوقتية العابرة.

عزيز أحمد فهمى

وبقيت هذه القصص التى وقعت فى يدى أخيراً ، لا أذكر ان كان لها وقت ظهورها من تقدير تستحقه ولم تنله . صدرت وتناولتها بعض الأيدى ثم كان مصيرها كمصير الكثير .. الكثير .. من كتب تطوى كطى السجل ..

كان وقوعها فى يدى من حسن حظى ، إذ تمتعت بقراءتها وسعدت باستعادة أجوائها الى ذاكرتى ، فالأسوانى من جيلى تقريباً ، وكان همه مثل همى ، والناس والأشياء التى صورها وعبر عنها عرفتها فى واقع الحياة ، ورحم الله «عزيز أحمد فهمى» الذى عرفناه فى الشباب كاتباً عبقرياً يكتب فى مجلة «الرسالة» وفى الصفحة الأدبية من جريدة «المصرى» التى نشأ بها عبد الرحمن الشرقاوى ، ويوسف ادريس ، وسعد مكاوى ، وزكريا الحجاوى ، وعبد الرحمن الخميسى ، وأمثالهم من كتاب جيل خصب منح خير المنح وأعطى أعظم العطاء . ثم خطف الموت «عزيزا» فى الشباب الضائع . أكله النسيان الذى يأكل الناس فى بلدنا ..

رأيت «عزيز أحمد فهمى» شخصية مصورة باسم خيالى غير اسمه الحقيقى فى قصة من مجموعة الأسوانى ، وقد لجأت اليها ـ الى هذه المجموعة ـ هارباً من السخف الكثير الذى يملأ حياتنا الأدبية الآن ان كان لنا الآن حياة أدبية ، ذلك السخف الذى يطالعنا فى الصحف والمجلات باسم الأدب وما هو من الأدب فى شىء ، إذ يتسلق أعمدتها «زعيط ومعيط ونطاط الحيط» مدعين أنهم أدباء ينهالون علينا بذلك السخف ..

فى قصة «المجنون» من تلك المجموعة نرى الشخصية التى تعكس ملامح «عزيز أحمد فهمى» فى طور حياته الأخير ، إذ عراه ما هز كيانه وجعل الناس يظنون انه أدمن «الحشيش» ، يقول الأسوانى فى القصة : «هو شاب فى الثلاثين درس الآداب ونظم الشعر حيناً .. قيل انه كان يحب فتاة وتزوجت سواه ، فطار صوابه ، واعتلت صحته ، ومضى يتحاشى الجميع ، يسير منفرداً ، يكلم نفسه مرة ويبتسم مرة أخرى .. حتى أمن الكافة بأن بعقله لوثة .. وإن كان مرضه هذا لم يؤد الى خطر ، فقد كان هادئاً ، يغالى فى الأدب السلوكى الى درجة مملة .. لا يدخل عليه ساع حتى يهب واقفاً ويكلفه فى احترام زائد .. هذا الى ما بدا عليه من بؤس تجلى فى ثوبه الممزق وشعره المشعث ووجهه المتغضن ، فلم يشك منه أحد ، واعتبره زملاؤه ورؤساؤه مريضاً يجب الرفق به .. وانساناً صادفه سوء الحظ فى مطلع حياته ..»

إنه موظف فى وزارة المعارف ، أمر وكيل الوزارة بنقله الى المكتبة ليعمل مع أمينها «محمود» المجد فى عمله ، الذى يرى فى محفوظ (ذلك الشاب) عكس ما يرى الجميع فى الوزارة ، وكان يكرهه من أعماقه ، كان يعجب للمشفقين عليه ويؤكد دائماً أن الوزارة مخطئة ، فليس من صالح العمل أن يبقى مجنون بين الموظفين .. بل راح يتهم محفوظاً أحياناً ـ اذا جاءت سيرته ـ بأنه أكبر «بلطجى» لا يريد أن يعمل .. وهو لا يمكن أن يكون فاقد العقل بدليل أنه لم ينس مرة أن يقبض مرتبه ..

جلس محفوظ فى المكتبة يحدق فى السقف ، وراه محمود هكذا وقال فى نفسه : «مجنوناً كان أم عاقلا .. لابد أن يعمل ، فلا مكان عندى لبلطجى .. وتأمل محفوظ قليلا ، فوجده متغضن الوجه ، تغطى ذقنه ووجنته بالشعر ، وقد ارتدى بدلة قديمة حال لونها .. اما قميصه فكان مفتوحاً وإن ربط فى ياقته «بابيون» أسود . وانحدر نظر محمود الى ركبتيه فوجده يضع راحتيه عليهما ، وصدمته قذارته وأظافره الطويلة ، فوجد نفسه يقول له فى لهجة ساخطة : «انت يا استاذ محفوظ لازم تاخد بالك من نفسك شوية .. اعتنى بالنظافة لازم مظهرك يبقى محترم .. ولازم تلمع الجزمة ..»

فضحك محفوظ ضحكة ذات فحيح طويل .. وركز عينيه فى وجه محمود وقال : «والمعها ليه .. مادام حتتوسخ بعد شوية ؟» .

ولمح محمود كتاباً محشوراً فى جيبه ، فساله عنه ، فلم يرد ، وإنما أخذ يخرج الكتاب فى بطء وابتسم قائلا : «ده كتاب التطور .. كتاب هام جداً .. لازم سعادتك تقراه ..»

فقال محمود مغيظاً صائحاً : «علشان إيه لازم اقراه ؟ تقصد إيه ؟»

فقال محفوظ وهو يحتفظ بابتسامة هادئة : «علشان تعرف أصلك .. تعرف انك قرد ..»

فرد محمود : «ده كلام فاضى .. دى نظريات مالهاش أساس .. »

فاستهوت محمود لذة المناقشة وقال وهو يضيق حدقتى عينيه : «الأساس موجود .. شوف سلسلة ضهرك .. حط يدك عليها وانزل بيها .. تلاقى انها كانت حتنتهى بديل ..»

وانتهى الموقف بجنون أمين المكتبة .

الحوار كما ترى مكتوب باللغة العامية ، وهذا مذهب من مذاهب كتاب القصة المعاصرين فى عالمنا العربى ، يجرون عليه وإن كان مخالفاً لما ننشده جميعاً من التوحد ، وما نرمى اليه من التفاهم بلغتنا العربية الفصيحة الواحدة . وقد يكون ذلك فاعلا فى الدلالة على الشخصية وتصوير أعماقها على نحو مطابق لواقع حياتها ، ولكن هذا لا يتحقق إلا فى حالة واحدة ، وهى أن يكون القارىء من البلد الذى يجرى الحوار بعاميته . والكاتب البارع يستطيع أن يقرب لغة الحوار من الواقع وهو يحتفظ بسلامتها وفصاحتها ، فان اضطر الى لفظ أتى به نادراً ، ويحسن أن يضعه بين قوسين .

وفيما عدا الحوار نجد لغة الأسوانى فى تلك القصص عربية فصيحة جميلة وأسلوبه طلى جذاب ، كما ينبغى أن يكون فى القص .

ومن ناحية المضمون نراه يصور الحياة الواقعة من حوله فى عصره أدق تصوير . ويقدم لنا نماذج من الناس بطريقة حية تعرفنا بهم كاننا

عباس الأسواني
الضاحك الأخير

نعاشرهم ونراهم فيما ياتون وما يدعون .

الضاحك الأخير

أولى القصص وهى «الضاحك الاخير» تعرض علينا مهزلة الانتخابات لعضوية مجلس النواب ونماذج من المرشحين لانزال نرى ملامحهم فى الحاضر ، وانماطاً مختلفة من الدعايات الانتخابية ، اعجب ما فيها «دعاية صامتة» لمرشح لا ينفق مالا ولا تنظم له مظاهرات ولا تعلق لافتات .. شيخ من شيوخ الطرق الصوفية لم يعرف عنه اهتمام بالسياسة ولم تسبق له سابقة فى خوض معامع الانتخابات ، وإنما هو يستجيب لهاتف ياتيه فى المنام ويقول له :

«لماذا الانتظار ؟ انشروا الانوار .. وابدعوا الأذكار .. كلهم فى النار ..»

ويتكرر المنام ، كما يقول اكبر تابعى الشيخ .. يسال راوى القصة هذا التابع المتكلم باسم شيخه :

ـ لكننى لا أرى فى هذا الهاتف ما يجبر الشيخ على دخول الانتخابات .. الا يقوم الشيخ باحياء الذكر على الدوام ؟ ثم من هم الذين مصيرهم النار ؟

قال التابع فى استنكار وضيق :

ـ ليس مثلنا من يخطىء فى تفسير الاحلام .. أو فهم ما يامر به الهاتف .. فاولا لا يعقد الشيخ حلقات الذكر إلا بمناسبة مولد احد الأولياء الكبار .. وقد انتهى مولد الحسين من شهرين ، وباق على مولد السيدة زينب ثلاثة شهور ، هذا الى جوار أن مولانا كان يرى كل ليلة عقب سماع الهاتف صورة ثابتة لا تتغير .. لا يكاد الهاتف يفرغ حتى يرى الشيخ نفسه كل يوم وهو يطوف بساحات الوزارات واحدة بعد أخرى وحوله الناس يحملون فى أيديهم عرائض مكتوبة .. وهو يستمهل هذا ويطمئن ذاك ، ثم يتركهم الى قاعة فسيحة تعلوها قبة احتشد فيها مئات من الاشخاص نصفهم نائمون ..

ويسال الراوى التابع :

ـ أنتم ما بتعملوش دعاية للشيخ ليه ؟

ـ لزومها ايه ؟

ـ لزومها إيه إزاى .. انتم مش شايفين الدلنجانى (مرشح آخر) عامل إيه .. وبيصرف كام .. لا شفت لكم يافطة .. ولا طلعت من بيتكم مظاهرة .. مش معقول مرشح ينجح بالطريقة دى ..

ثم قال له التابع : فليكتب الناخبون فى الورق ما شاءوا ، الشيخ من عباد الله الصالحين وسليل رجال حركوا بارادتهم الجبال .. وكراماتهم لا حصر لها .. ومساعدتهم له ضرورة بعد زيارات الهاتف الثلاث .. وبقدرة الله كل الورق سيكون باسمه فى كل صناديق الانتخاب ..

القصة القصيرة

وكاتبنا الأسوانى يسلك فى بناء قصصه طريقة ممتعة ، فهو يفرع الحوادث ويشقق الحديث ، يرسل الأشعة فى الجوانب المتعددة ، ثم يجمعها كحزمة الضوء فتضىء ـ كما قيل ـ فى لحظة الاستنارة .

والقصة القصيرة فن أدبى عجيب .. كثيراً ما يخرج عما يرسم له من قواعد واصول . النقاد والدارسون يقولون فيه ما شاءوا ، ولكن فى كثير من الأحيان تاتى القصص مخالفة لما قالوا .. ومع هذا لا يستطيع أحد أن ينكر جودتها أو امتيازها .

«إدجار الن بو» الذى يعده الدارسون الرائد الأول للقصة القصيرة الحديثة ـ قال إنه يجب ان تكون كل كلمة فى القصة فى خدمة الموضوع بحيث لو حذفت أية كلمة أو عبارة منها أخل هذا الحذف بما ترمى اليه القصة ، وفى قصصه نفسه ما لو حذف ما ضر حذفه شيئاً !

وقالوا إن القصة القصيرة لابد أن تنحصر فى موقف واحد وتتخذ وحدة زمنية واحدة .. واذكر أن الأستاذ نعمان عاشور نشر مرة قصة ترجمها ، وكانت تشتمل على معالم حياة بطلها من الميلاد الى الوفاة .. وهى قصة ممتازة ، واشار الأستاذ نعمان الى ذلك متعجباً !

وأخيراً كتب الدكتور يوسف ادريس مقالا فى الأهرام قال فيه عن القصة القصيرة «فن معقد الى الدرجة التى لا أستطيع أنا شخصياً بعد هذا العمر فى ممارسته أن أعرفه .. بل إننى فى كل قصة قصيرة اكتبها اشعر انها إنما هى محاولة جديدة لتعريف جديد للقصة القصيرة لم أقله .. ومع ذلك لم أصل بعد الى التعريف النهائى لها ، وربما لهذا السبب مازلت اكتب» .

وكذلك النقاد والدارسون .. ما تعرضوا لقصص قصيرة معينة إلا هربوا من الناحية الفنية الى المضامين والاتجاهات ، فان وقفوا عند تلك الناحية اخذوا يبدئون ويعيدون ولا تخرج من كلامهم بشىء ذى بال !

ولعل البناء الفنى للقصة القصيرة هو أكثر مسائلها تعقيداً ، فالشكل الذى ترتضيه موهبة الكاتب الأصيل ـ ولابد من الموهبة ـ هو الذى يفرض نفسه .. ولكل كاتب طريقة تمليها عليه «الموهبة» مثل «البصمة» التى لا يتفق شكلها فى اثنين .

المهم أن يشعر القارىء أن هذه قصة بحق .. تهزه وإن كان لا يدرى السبب .. وهذا قليل جداً فيما نقرأ من قصص تنشر هنا وهناك .

أبهى من عروس

وقصص عباس الأسوانى من القليل الذى هزنى وبهرنى .. وأرانى عاجزاً عن أن أقول لماذا ؟

ولست أدرى لم لم ياخذ حقه من الشهرة والتقدير ، واذكر «الشهرة» باعتبارها نوعاً من التقدير ، وإلا فانها لا قيمة لها عند الاصلاء ، وليس عباس الأسوانى وحده الذى لم ياخذ الحق الذى كان جديراً به ، فهى ظاهرة فى حياتنا الأدبية تسترعى الانتباه ، تتمثل فى عشرات من ادباء الجيل الذى تلا جيل الرواد . وعدد قليل يعد على الأصابع الذين أصبحوا موضع التقدير وهم يستحقون دون شك . ولكن الى جانبهم الأكثرون المهملون الذين يعملون فى صمت ، وإن كان صمتهم يعلو فى انتاجهم !

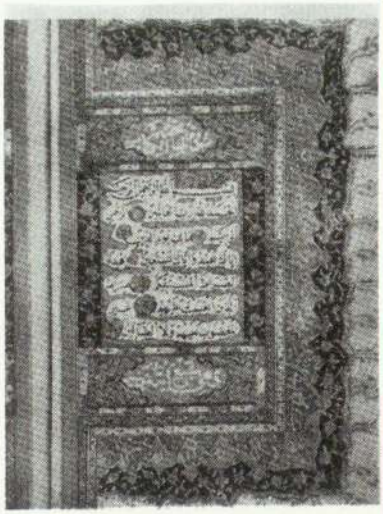
نعم لا أدرى لماذا .. هل هى مصادفة بلا عمل ولا تدبير ، أو هى وسائل عملية أهمها الدعاية الصحفية .. سمعت مرة عن مطرب جهير فارق دنيانا ان كان له مكتب دعاية خصص له مائتى جنيه فى الشهر .. لا تقل قيمتها الآن عن الف مما تعدون .. وغيره من أمثاله لا ينالون ما ناله ، وقد يكون فيهم من هو أندى منه صوتاً .. «عبده السروجى» مثلا ، الذى غنى «غريب الدار» أين هو الآن يا ترى ؟ لم يكن له مكتب دعاية .. لا أسمع تلك الأغنية ـ على قلة ما تذاع ـ حتى أجدنى مشدوداً اليها بما يشبه السحر ..

عبده السروجى فى الغناء يشبه أحمد فتحى فى الشعر .. لولا غناء عبد الوهاب لقصيدة أحمد فتحى (الكرنك) ما عرف أحد هذا الشاعر ..

من مهازل الدنيا أن الشاعر الراحل محمود أبو الوفا عندما كان يعرف فى وسائل الاعلام يقال : إنه مؤلف أغنية عبد الوهاب «عندما ياتى المساء» ، على حين يقال عن الزجالين مؤلفى الأغانى الهابطة : إنهم شعراء أعلام !

كم فى العرس ابهى من عروس !

عباس خضر



بقلم : الدكتور محمد البهي

"أصحاب اليمين"

يجيء ذكر اصحاب اليمين فى القرآن الكريم مرة تحت هذا الاسم .. واخرى تحت اسم أصحاب الميمنة . وعند ذكر اصحاب اليمين : يذكرهم القرآن ليوضح ما ينتظرهم من جزاء طيب فى الآخرة . فيقول مثلا : « واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود (عديم الشوك) . وطلع منضود (اى محمل بالثمار) . وظل ممدود (لا يتقلص ابداً) . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة (متجددة دائما) » .

والمعنى ان اصحاب اليمين : جزاؤهم على عملهم فى الدنيا ـ انهم يقيمون بعد يوم الجزاء : فى جنة بين اشجار مختلفة ، مثمرة وغير مثمرة ، ليس فيها ما يؤذى بشوكه .. وظلها لا يذهب ابداً ، كما ان ثمار ما يثمر منها : كثيرة على طول العام لا يحرم منها شيء ما على اكله .. كما انهم ينامون على فرش متجددة يشعر النائم فوقها بمتعة مستمرة .. الخ . وذكر مثل هذه الأوصاف التى تدل على المتعة والترف ، فى مكان الاقامة لأصحاب اليمين ، يقصد منه بيان : أن العوض فى المتعة المادية فى الآخرة للمؤمنين اصحاب العمل الصالح ، يفوق ما يحرمون منه فى الدنيا : كما ، ونوعاً فى الاستمتاع ، فضلا عن ان حياة المرحلة الثانية ـ وهى حياة الآخرة اطول بكثير من حياة الدنيا لو قيست هذه بتلك : « كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها » اى عندما يرى الكافرون بدين الله هول جزائهم فى الآخرة بعد قيام الساعة : يظنون انهم لم يمكثوا فى الدنيا ولم يستمتعوا بمتعها رغم وفرة المتع وطول الاستمتاع بها الا فترة قصيرة تساوى : عشية يوم او ضحاها . وهذا كناية عن منتهى ندمهم على ما اتجهوا اليه من كفر وصد عن سبيل الله فى دنياهم ، بعد ما راوا واقع عذابهم فى الآخرة .

وعندما يذكرهم القرآن تحت اسم ، اصحاب الميمنة : يقصد الى اجمال صفاتهم فيقول فى سورة البلد فى الحديث عن الانسان .. وعما اعده الله به من ادراك الحس والمنطق .. ووضحه له من طريقى الحق والباطل ، والخير والشر ، ومع ذلك يسلك بعض الناس طريق الباطل والشر ، بينما يسلك البعض الآخر منهم طريق الحق والخير :

لقد خلقنا الانسان فى كبد (اى خلقناه للصراع والمشقة) .

أيحسب أن لن يقدر عليه احد ؟ (وهو يتصور او يتخيل ، بما اعد به فى خلقه من أجل الصراع والمشقة : انه ليس هناك قدرة فى الوجود تفوق قدرته . ولذا يكفر بمن عداه فى هذا الكون ، ولو كان الله سبحانه) .

يقول اهلكت مالا لبدا ،

أيحسب أن لم يره احد ،

الم نجعل له عينين ؟ ولسانا وشفتين ؟ وهديناه النجدين ؟ (وهو فى كفره بالله لا يتذكر آنئذ : نعمة الله عليه فى خلقه وتركيبه ، واعداده للصراع فى هذه الحياة .. لا يتذكر اعداده العينين ، كمصدر لادراك الحس .. ولا اعداده باللسان والشفتين كمصدر للنطق والتفاهم او الجدل .. ولا معاونته بالرسالة الالهية التى تنير له طريق الحق من طريق الباطل .. اى الطريق الصعب وهو طريق الانسانية ، والطريق الآخر وهو طريق الانانية واللاانسانية) .

فلا اقتحم العقبة (ومن اجل انه لا يتذكر هذه النعم عليه فهو يسلك الطريق الانانى اللاانسانى .. ولا يسير فى الطريق الآخر الذى يعبر سلوكه عن اتباع هداية الله) .

وما ادراك ما العقبة ؟ (والطريق الآخر هو الطريق الصعب الا على النفوس التى امنت بالله حق الايمان به .. وهو الطريق الانسانى) .

فك رقبة . او اطعام فى يوم ذى مسغبة (مجاعة) يتيما ذا مقربة . او مسكينا ذا مترية (انه طريق تحرير الأرقاء اذا كانوا فى ملك احد .. او طريق اطعام الاقرباء وهم صغار ممن لا آباء لهم يعولونهم ، وفى وقت تتفشى فيه المجاعة ... او اطعام اصحاب الحاجة ، وقد اصابتهم فى وقت لا يملكون فيه شيئاً اطلاقا) .

ثم كان من الذين آمنوا ، وتواصوا بالصبر ، وتواصوا بالمرحمة (ومع سلوك هذا الطريق الانسانى فان الذين سلكوه كانوا : مؤمنين بالله .. كما كانوا يتواصون بالصبر فيما بينهم بعد ان يمارسوه عند مشقة الحياة وازماتها .. ويتواصون بالعمل الطيب المهذب بعد ان يؤدوه على نحو ما أدوه من عتق الأرقاء .. واطعام اليتامى الاقرباء .. واصحاب الحاجة ممن اشتد وطؤها عليهم) .

اولئك اصحاب الميمنة (فهؤلاء الذين يعترفون بنعمة الانسانية عليهم من الله تعالى ـ وهى نعمة الادراك والمنطق ـ وبنعمة الهداية الالهية الى طريق الحق فى الرسالة : فيؤمنون بالله .. ويدربون انفسهم على التحمل ، على مشاق الحياة .. ويعطون من انسانيتهم لغيرهم : يعطون من اموالهم لاصحاب الحاجة .. ويعطون من تهذيبهم فى معاملة من عداهم .. هؤلاء هم اصحاب الميمنة .. اى اصحاب المنزلة فى الجزاء من الله ، تضاهى منزلة من يكون له الجلوس على يمين صاحب الشان وهى منزلة ادبية يشرف بها صاحبها ، اكثر مما يشرف بكثرة ماله ... او بقوة عصبيته ، او سلطانه) .

واصحاب اليمين اذن:هم المؤمنون بالله .. الصابرون عند الشدائد والأزمات العاملون للصالحات ، والسالكون طريق الاحسان وهو طريق الانسانية .. والبعيدون عن الأنانية وطغيانها .

وجزاؤهم عند الله هى جنته .. ومنزلتهم لديه هى منزلة الجالسين على يمين العرش .

حـــــــــوار مـــــع فرانســـــوا ســـــاجـــــان

● حققت لنفسى الثراء والشهرة قبل العشرين ... ولم يغفر الناس لى ذلك أبداً

● ● أضعت ثروتي عبثاً حتى لم يبق في حسابي فرنك واحد فاضطررت إلى أن أرهن بيتي !

● ● ● لماذا قالوا عن ساجان : انها أسطورة وفضيحة .. وكاتبة . ؟!

بقلم : جمـــال الكنانى

لم تكن فرانسوا ساجان يوم أضاءت سماء الأدب الفرنسى وتلألأت فى كبدها كنيزك وهاج ، وهى بعد فى السنة الثامنة عشرة من عمرها ، على جانب يذكر من الجمال . ولكنها كانت ، ومازالت قوية الجاذبيـــة نفـــاذة الشخصية ، لها من صلابة العود ما مكنها من أن تصدم شعور قرائها بأول رواية نشرت لها منذ أكثر من ربع قرن ، بعنوان « مرحباً بالحزن » ، أودعتها كل ما كان يجيش فى صدرها من تحديات الشباب فأصبحت وهى فى هذه السن المبكرة أسطورة أدبية وصفتها صحيفة « فرانس سوار » بانها أسطورة وفضيحة .. ولكنها فى المقام الأول .. كاتبة » .. وعرفها الفرنسيون تهوى كل ما هو غال مكلف وتميل الى تغيير أزواجها .. وأنها أضاعت الملايين التى كسبتها بسوء التصرف فى هـــذه الثروة .

فى اوائل عام ١٩٥٤ بعثت المدمـوازيل « كواريه » ، وهى فتاة فى الثامنة عشرة ، بمخطوط لرواية قصيرة الى الناشر الباريسى « جوبار » وكان عنوان الروايـــة « مرحباً بالحزن » واسم المؤلفة المستعار : فرانسوا ساجان . ونشرت الرواية فى شهر مايو وبيع منها خلال العام الأول مليون نسخة ، وترجمت بعد ذلك الى خمس وعشرين لغة . وتعتبر « ساجان » اليوم من اشهر الشخصيات فى العالم وان تكن غير معروفة تماماً .. فليس كل من يعرف اسمها يعرف انها مؤلفة روائية . فمنهم من يعتقد انها من كواكب السينما لأن اسمها ارتبط بالنوادى الليلية والحياة الصاخبة وسيارات السباق وكل ما هو خفى غامض مدمر ..

ولقد وُجِّهَتْ الى ساجان عدة أسئلة ، يهدف السائل من ورائها الى الكشف عن شخصيتها وتعريف الناس بها .. كما هى ، على حقيقتها .. ونورد هنا نص الحوار .

س : هل انت سريعة الغضب . ؟

ج : أنا أومن دائماً بان الفرج على الأبواب .. هذه طبيعتى .. فمثلا كلما رايت فيلماً عن « جان دارك » آمنت بانها ستنجو .. ويساورنى نفس الشعور تجاه « روميو وجولييت » .. وهذا نوع من بساطة العقل لانى اعرف أن الذى اتوقعه لن يحدث .. وما على الانسان الا ان يستعين بخياله لأن الخيال يؤدى إلى الفهم ويمكن بقســـط من الخيال ان نعلل مثلا لماذا يضرب شرير بنته حتى تموت .. وقد لا نرضى عن مثل ذلك العمل ولكننا بخيالنا نتمكن من فهمـــه تدريجياً .

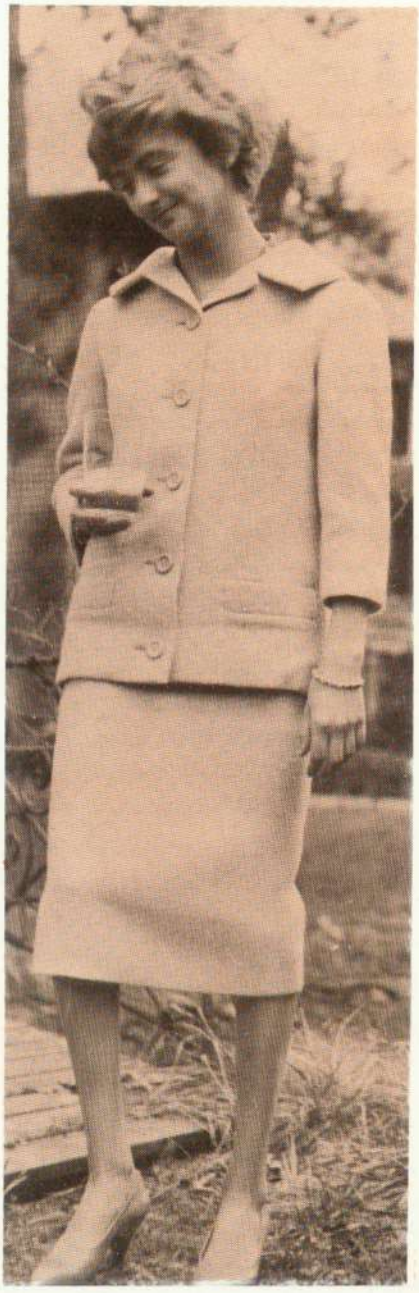
س : حدثينا عن حياتك الأولى .

ج : ولدت يوم ٢١ يونيه ١٩٣٥ فى كارجاك ، وهى مدينة صغيرة تقع بين كاهور ، وفيجاك . كانت جدتى تصر على أن يولد أطفال الأسرة جميعاً فى نفس السرير .. امى واخى واختى وانا ولدنا فى نفس الفراش .. فى نفس الغرفة .

اسرة امى كانت فى غنى عن العمل .. لا لانها كانت غنية ولكن لانها كانت تملك الطواحين والمزارع وما الى ذلك .. كانوا سادة القرية يعيشون على دخل ارضهم اما اسرة ابى فكانت تعمل فى مجال الصناعة وتملك المصانع فى شمال فرنسا .

س : هل قضيت طفولتك فى كارجاك . ؟

ج : ولدت هناك ولكنى كنت كثيرة التنقل



بين عامى ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ .. كان أبى وأمى يعيشان فى باريس ، حيث هما حتى اليوم ، وكنا ونحن نعيش فى باريس نقضى عند جدتى فى الريف شهراً كل عام .. لا أحب التحدث عن نفسى فالحديث عن الذات صعب والذاكرة كثيراً ما تخدع الانسان وكثيراً ما ننسى .. فالطفولة مثلا صورة نرسمها نحن .. والطفولة التى أذكرها هى بيت فى الريف .. وحركة المقاومة ضد الألمان على اشدها .. كنا نقضى نصف وقتنا فى الريف لأن صحتى كانت معتله .. كنت

فرانسواز ساجان فى شبابها عندما نالت شهرتها الادبية وهى فى الثامنة عشرة من عمرها .. ثم لقطة للكاتبة الفرنسية بعد ان اصبحت فى الاربعين من عمرها .. إنها تؤكد أن الأيام والأزمات لم تغير اقتناعها بان شيئاً من « الشقاوة » يعتبر سارا وجميلا !



خجولة اعانى من فافاه واخاف من كل شىء .. كان معلمو المدرسة يرعبوننى .. ولعل هو سر تخلفى فى الدراسة .

س : هل كانت طفولتك سعيدة ؟

ج : أذكر انى كنت سعيدة غاية السعادة وانى كنت مدلله ولكنى كنت اشعر بوحشة لأن كل من كانوا حولي كبار .. فبواى واخى واختى .. اكبر منى سناً وانا احس دائماً انى اما بدأت حياتى كبالغ او انى احتفظت بطفولتى بعد البلوغ .. ولهذا فانى حتى الآن لا افهم ما يسميه الكبار « بالقيم » .. انا مازلت اذكر بعض الأيام الماطرة واذكر أيام الحرب المخيفة .

س : ماذا قرأت في طفولتك من كتب وما هى الكتب التى تركت أثراً فى نفسك ؟

ج : قرأت مختلف انواع الكتب ولكنى كنت احب قصص الميلودراما واذكر بالذات قصة الحصان الذى عاد ليموت عند قبر صاحبه .. وقرأت بعد ذلك ما كنت احصل عليه من مؤلفات سارتر وكامو وكوكتو .

س : اذكر انك التحقت بمدرسة الدير .. أليس كذلك ؟

ج : نعم وبقيت فيها ثلاثة اشهر . طردت بعدها لانى لم أكن اهتم بالروحانيات وشعرت فى الدير بملل شديد .. زد على ذلك انى كنت ارتل صلاة من تاليفى . ولم ترق هذه الصلاة راهبات الدير فطردت من تلك المدرسة والتحقت بغيرها حتى بلغت مرحلة شهادة البكالوريا .

س : سمعت انك أبليت بلاءاً حسناً فى امتحان البكالوريا .

ج : لم يكن نجاحى باهراً . ولكن كانت إجاباتى فى الامتحان التحريرى مرضية لأنى كنت قوية فى اللغة الفرنسية . غير أن الامتحان الشفوى كان صعباً فرسبت . وكنت لا أتكلم الانجليزية فلما سئلت عن « ماكبث » أخذت أمثل المسرحية فى صمت وأهدد الممتحنة بخنجر وهمى ! ثم مثلت مقتل دنكان .. وملأ الخوف قلب الممتحنة فاعطتنى ثلاث درجات فقط .. ولكنى نجحت فى امتحان الدور الثانى والتحقت بجامعة السوربون وكانت الفوضى تسودها إذ ذاك ، لأن عدد الطلاب كان كبيراً لا يسمح بدخولهم جميعاً فى قاعات المحاضرات . وحتى الذين كانوا يستطيعون الدخول كانوا يعجزون عن كتابة مذكراتهم بسبب شدة الزحام .. لهذا كنا نقضى معظم أيامنا نتسكع مع الشبان فى الشوارع القريبة من الجامعة ونناقش معاً بعض مسائل الدين والسياسة . وبدأت وانا فى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة لزور نوادى « سان جرمان » واكتب مسرحيات لا تستاهل القراءة وقصائد قل جودة من المسرحيات .. وكتبت عدداً من القصص القصيرة .

وكتبت رواية « مرحباً بالحزن » . وكانت بداية كل شىء .. كتبتها وانا فى الثامنة عشرة .. وكنت قد حصلت على شهادة البكالوريا ورسبت فى امتحان السنة الأولى بجامعة السوربون .

س : صغار الكتاب يشكون دائماً من عنت الناشرين .. فهل صادفتك هذه المشكلة ؟

ج : جميع الفتيات يشتركن فى صفة واحدة .. الكذب .. وكنت قد كذبت على مئات من اصدقائى وقلت لهم انى قد الفت أولى رواياتى .. واضطررت حيال ذلك الى كتابة رواية أودعتها احد أدراج مكتبى لأنى كنت أرى انها لا تستاهل النشر .. كان الصيف قد حل وكنت فى الريف . وافراد اسرتى يعيروننى برسوبى فى امتحان الجامعة .. فرحلت الى باريس حيث كان أبى .. وطلبت من احدى صديقاتى أن تطبع روايتى على الآلة الكاتبة وبعثت بها الى دار نشر « جوبار » و « جاليمار » .. وبعث إلى « جوبار » ببرقية لأن تليفون البيت كان معطلا .. جاء فى البرقية « اتصلى بجوبار لأمر عاجل » واتصلت به تليفونياً وكدت أصعق لما قال انه يريد نشر روايتى .. وزرته

بعد ذلك فى مكتبه فقال انه يرجـــو ان لا تكون القصة سيرة حياتى لأن الكاتب الذى يبدأ بسيرة حياته لا يكتب بعدها قصة ثانية إلا فيما ندر .. وأكدت له أن القصة لا علاقة لها بسيرة حياتى .

س : من أين جئت بعقدة الرواية وفكرتها اذن ؟

ج : من أحلام يقظتى ، من حنينى .. من خيالى .. ومازالت هذه هى مصدر ما اكتب .

س : ولم نجحت قصتك كل هذا النجاح حتى بيع منها مليون نسخة فى أول سنة ؟

ج : لعل السبب كان فوزى بجائزة النقاد وحفلة الكوكتيل التى أقيمت تكريماً لى .. دهش الصحفيون لما راونى .. فتاة صغيرة .. تصلح أن تكون موضوعاً لمقـــالاتهم وتعليقاتهم .. وصورها الفوتوغرافية لابد تفاجىء قراء الصحف لانهـــا على غير ما يتوقعون .. وعندى ان الجوائز الأدبية كأوراق اليانصيب .. إلا فى بعض الحالات ولكنها مفيدة إذ تغنى الكاتب عن العمل لمدة عام أو عامين .

س : يرجع البعض نجاح قصتك الى ما تحتوى من مادة تصدم شعور القارىء وتذهله .

ج : من الواضح أن ما فى قصـــتى لا يعتبر فى أيامنا هذه مما يصدم شعور القارىء لأن الظروف الاجتماعية قـــد تغيرت بعد نشر قصتى عن شاب وفتاة وما بينهما من حب .. وأحداث القصة تجرى فوق خلفية من التعقيدات العاطفية .

س : هل شعرت بعد نجاح قصتك انك أصبحت فى عداد الأدباء ؟

ج : كنت أبدأ أومن بقدرتى على أن أكون كاتبة مجيدة ، فلما تحقق ذلك اخذتنى حيرة شديدة .. كان النجاح عندى أشبه ما يكون بكرة من الثلج هائلة متعددة الألوان ، وكل ما كنت استطيع حيالها هو أن أتركها تتدحرج بعيداً عنى بسلام .. وأول الأمر ، كان ذلك من الصعوبة بمكان .. وجدت الناس والمصورين يلتفون حولى فادركت ان « هذه لابد هى الشهرة » .. ولم تعش فكرة الشهرة فى رأسى طويلا .. والمدهش هو أن فكرة الشهرة لم تسعدنى لأنى أدركت أن الشهرة تعنى توجيه أسئلة الي ، واجـابتي على تلك الأسئلـــة ومحاولة تجنب القضايا الحقيقية .. ولم لكن قد بلغت من العمر ما يؤهلنى لذلك .. شعرت بعد نشر قصتى وكأنى ارتكبت ذنباً ولكنى أحسست انى لم أخطىء .. كان ما حدث هو انفجار الشهرة ..

كان أن اصبحت سلعة .. اصبحت شيئاً خرافة ساجان ، ظاهرة ساجان .. وشعرت بالخزى وكنت أطأطىء رأسى كلما دخلت مطعماً أو مقهى ، ويتملكنى الخوف كلما تعرف الناس على ، تمنيت لو عاملنى الناس كانسان عادى ، لو توقف الناس عن توجيه اسئلتهم السخيفة الى لقد سجنت فى اطار دور لا مهرب منه .. كان الناس على قناعة بأنى صورة كاريكاتورية لبطلة اسمها سيجان .. وكان حديث الناس معى يدور حول المال والويسكى والسيارات لا أكثر . وكنت استلم كل اسبوع ثلاثة خطابات سب وقذف أو أربعة .. من الناس من اعتبرنى انساناً بغيضاً مقززاً ومنهم من قال انى منحرفة الاخلاق .. وظن البعض انى فتاة عبيطة لا تدرك معنى ما يجرى حولهـــا ، استعانت بشخص آخر كتب لها القصة التى ادعت تاليفها .. ومن الناس من وصفنى بالجنون .. وشعرت بوازع قوى يدفعنى الى اثبات خطأ هؤلاء الناس ..

س : كان بوريس فيان يقول « نحن نقضى حياتنا متنكرين ، فالخير اذن أن نحسن التنكر فلا نحتاج الى قناع » .. تلبسين قناعاً ؟

ج : لم أدرك انى فى حاجة الى قناع الا بعد فترة طويلة .. فاتخذت من «أسطورة سيجان» قناعاً فلم تقلقنى الأسطورة بعد ذلك .. أنا من هواة السرعة والمتعة حتى وان كانت كلها زائفة فهى وسيلة أخرى لتجنب الشعور بالوحشة .. كانت الأسطورة قناعاً ولكنها كانت فى نفس الوقت من ناحية ، شخصى انا ، ونحن نعرف ما وراء الاقنعة .. لا شىء بالذات .. مجرد انسان .

لم اتحدث قط عن حقيقة نفسى بل اكتفيت بمسايرة الأسطورة وقلت لنفسى ان كل انسان حوله أسطورة ، والأساطير كلها سخيفة .. وعلى كل حال كان الأفضل أن يرانى الناس فى المطبخ !! وادركت كذلك أن البطل يصل إلى نقطة الخطر عندما يبدأ فى تصديق الأسطورة التى تحوطه ويعمل على تحقيق ما تصوره . وحدث ذات يوم أن توقفت عن الاهتمام بذلك كله واحسست انى لا أدين للجمهور بشىء .. وهكذا تخلصت من « وحش ساجان » .. انا اليوم لا أهتم بالأساطير التى تحوطنى لانى أعرف انها لا تمثل حقيقة نفسى .. أنا أوثر الحياة على الأساطير .. وعلى كل حال فان الموقف قد تغير بعد نشر قصتى الثانيـــة وما بعدها .. فلم أعد اليوم الكوكب الادبى الجديد بل أصبحت « واحدة من الكتاب » .

كنت قبل حادث سيارتى اعتقد أنى فى حصن من كل سوء .. كنت أعتقـــد انى لا يمكن أن أصاب بمرض .. وفجأة دهمتنى الكارثة ..وقع الحادث فى عام ١٩٥٦ أو ١٩٥٧ .. وسقطت سيارتى فى حفرة وانقلبت فوقى .. وشج رأسى وكسر معصمى ومعه احد عشر ضلعا من ضلوعى وكسرت عظمة كتفى واصيبت فقرتان فى ظهرى .. وصلى القس على الصلاة الأخيرة ولكن أخى رفض أن أموت على تلك الصورة فطلب سيارة إسعاف ونقلنى الى باريس .. وعدت الى رشدى بعد يومين ولم أذكر شيئاً مما حدث ولكن المشاكل المستعصية لم تبدأ الا بعد ثلاثة اسابيع إذ أجريت على عدة جراحات لكى استعيد القدرة على المشى .. رجلاى كانتا تتهالكان تحتى .. وفقدت السيطرة عليهما .. ولم استطع المشى الا بعد ثلاثة أشهر كنت اعتقد خلالها انى ساقضى حياتى كسيحة ..

وتملكنى خوف شديد .. واستمرت الآلام شهوراً كنت اتعاطى فيها المسكنات حتى ادمنت عليها .. وكنت أبكى بغير سبب .. وقرر الأطباء أن أدخل بيتاً من بيوت التمريض لاتخلص من الادمـــان على المسكنات .. ولكنى لم استرد العافية .. وفكرت فى الانتحار .

س : هل لك أن تحدثينا عن ثروتك وثرائك ؟

ج : لو كان الأمر بيدى ما تحدثت عن المال أبداً .. ولكنى الاحظ أن كل ما تم معى من مقابلات كان لا يخلو من سؤال واكثر عن المال .. ولعل بعضها اقتصر الحديث فيها على المال وحده .. الرأى السائد هو انى امرأة مبذره ، تبعثر الملايين وتصـــدم السيدات المسنات بسياراتها « الجاجوار » .. ويطيب لها ان تفجع الناس وتصرف جل وقتها فى النوادى الليلية .. والواقع أن هذه المرأة لا وجود لها وفى كتابى فقرات تشير الى هذا كله وتكذبه ولكن الظاهر ان الناس لا تقرأ تلك الفقرات .

لقد حققت لنفسى الثراء والشهرة قبـل أن أبلغ العشرين من عمرى .. ولم يغفر الناس لى ذلك ، فالناس تفكر فى من الناحية التجارية لا الأدبية .. فأنا مهمة من ناحية النشر أما عن الناحية الأدبية .. فلست أدرى .

س : وماذا بعد نشر « ابتسامة معينة » فى عام ١٩٥٦ و « فى شهر فى سنة » عام ١٩٥٧ . ؟ هل تحسن الموقف . ؟

ج : أبداً .. أقبل الناس على شراء كتبي . وكان نشر رواية جديدة أشبه ما يكون بملء استمارة الضرائب .. تمنيت لو ناقشنى الناس فى الأدب ، ولكن شغلهم الشاغل هو حسابى فى البنك ..

لست ادرى ما يأخذون على .. الذى كسبت من المال أم الذى انفقته . ؟

س : ما أهمية المال بالنسبة لك . ؟

ج : المال فى هذا المجتمع معناه انك تستطيع أن تحمى نفسك وان تعيش حراً .. يعنى انك لا تضطر للوقوف فى صف أو طابور لتركب الباص أو القطار .. المال يمكنك من ركوب طائرة تحملك الى حيث تريد .. كان حظى أن كسبت كثيراً من وراء كتبى ، وهذه ميزة كبيرة لا تسبب لى أى خجل لان المال يضمن ان لا اعيش فى فقر وان كان حمله ثقيلا .. والمال خادم مطيع وسيد رديء ، يؤثر على الأغنياء بقدر ما يؤثر على الفقراء ، وانا لا احتقر المال وان كنت لا احبه ، فهو بكل بساطة يعنى انك به تعيش حراً .. ومن سوء الطالع ان عدد الذين يريدون أن يعيشوا أحراراً يقل يوماً بعد يوم .

س : ألا تحترمين المال ؟

ج : لا .. أبداً .. انا أكرهه .. لا لانه يمكننى من عمل ما اريد ولكن للطريقة التى يؤثر بها على العلاقة بين الناس ولانه يحطم حياة الكثيرين .

س : هل غيرك المال . ؟

ج : من الواضح أن ما عادت به رواياتى على من ثروة قد غير طريقة حياتى ونظام معيشتى ولكنه لم يغير فكرتى عن نفسى أو عن اصدقائى أو عملى .

س : هل تطمعين من جمع ثروة طائلة . ؟

ج : لا .. لم أسع وراء الثروة .. ما حدث كان وليد الصدفة .

س : اتعرفين كم ربحت وكم انفقت من مال . ؟

ج : كسبت مبالغ خرافية من روايتى الأولى .. ويحتفظ الناشر بمالى عنده ويرسل الى من النقود ما أطلب .. ولم أعرف رصيدى حتى تركت دار أبى لما بلغت العشرين من عمرى فاشتريت لنفسى شقة اسكنها انا وشقيقى . ويمكننى أن أعول عدداً كبيراً من الناس ، يعيشون على دخلى ويمكننى أن استقل طائرة الى « سان تروبيه » لأقضى فيها أمسية .. اشتريت سيارات وقوارب بخارية ، وسمحت لعدد من الأصدقاء بالتطفل على بارق طريقة ممكنة .. كان لى دفتر شيكات .. وذهب المال مع الريح .. لم أعد او احصى ما عندى من مال أبداً .. كنت اتلقى الرسائل من ناس يحتاجون الى اشياء معينة فأساعدهم دون تردد .. كان كل شيء سهلا ميسوراً .. كل ما على هو توقيع شيك .. ولو انى قضيت طفولتى بين براثن الفقر لكنت حرصت على المال .. صرفت الملايين من الفرنكات ولست ادرى كيف صرفتها ..

قامرت حتى لم يبق فى حسابى فرنك واحد فاضطررت إلى أن أرهن بيتى .. وتألمت لذلك لأنى كنت قد أصبحت أماً لولدى « دنيس » .

كان لى كل ما يحلم به أى انسان .. كل مالا يدوم .. اما اليوم فانا تحت الحراسة اخضع لهيئة من الاوصياء .. وهذا خير لى .

لست اندم على ما ضاع .. لكن هناك شيء واحد تمنيت لو انى ادخرت المال من اجله .. كنت اتمنى شراء عدد من خيول السباق ليكون لى اسطبلى الخاص .. ليت لى حصاناً واحداً .. !!

س : ماذا يحدث لو كسدت سوق كتبك . ؟

ج : سأواصل الكتابة ما حييت كما لو أن سوق كتبى قد كسدت .. لست اندم على شيء .. لقد نعمت بحياتى سنوات .. ومما يُرضى حقاً أن يعيش الانسان فى سعادة ورفاهية .. ولا يهمنى ما يخبيء لى المستقبل .. فهذا الجزء من حياتى لن اندم عليه .

س : ما هى طريقتك فى الكتابة . ؟

ج : اكتب مسودة ابتدائية أول الأمر ولا اتبع فى ذلك خطة مرسومة لانى أوثر الارتجال . أحب أن أشعر بتمام السيطرة على القصة وبانى انا التى اسد خيوطها بالطريقة التى تروقنى وترضينى .. بعد ذلك اهذب المسودة بأن اضفى على الجمل اتزاناً ثم اتخلص من ظروف الزمان والمكان واختبر ايقاع الجمل .. وليس هناك بحر معين ازن عليه الجمل وانا اكتب رواية نثرية ، ولكن الانسان يشعر عند كتابة الجملة . اذا كانت ركيكة غير متزنة .. انا احب اللغة الفرنسية ، ولكن لا يزعجنى ان ارى غلطة فى قواعدها .. كل ما هناك انى احاول ان اكتب بلغة فرنسية جيدة . ولعنوان الكتاب عندى اهمية خاصة .. وانا اختار العنوان بعد الانتهاء من الكتابة .. الكلمات عندى وسائل للتعبير عن الافكار ولهذا لست ابذل كل جهدى فى اختيار نوعها واجملها .. فالصياغة حرفة اتركها للجواهرجى .

ليس من عادتى أن أكتب كل يوم .. وقد لواصل الكتابة عشرة أيام أو أسبوعين كاملين ثم اتوقف لأفكر فى القصة واسأل الناس آراءهم فيما كتبت فهى عندى بالغة الأهمية .. ويسعدنى دائماً ان اكتب ما يضحك الناس لانى انا احب النكتة .

س : هل يهمك ما يقول النقاد عنك . ؟

ج : لست اهتم الا بالنقاد الذين يتحدثون عن كتبى وليس عن شخص فرانسواز سيجان ولهذا لست اهتم الا بعدد قليل من النقاد .. وافراد أسرتى من بين نقادى فهم يجمعون على انى لا ابذل جهداً وافرط فى الشراب وانى اقود سيارتى بسرعة .. ولا عجب انى اشعر وكانى مراهق فى سن الأربعين ..

س : هل تساورك اية شكوك . ؟

ج : ألا تساورنا جميعاً . ؟ عندى شكوك تجاه نفسى ولولاها لما استطعت الكتابة .. فالشكوك علامة من علامات الصحة العقلية .. والكتابة فى أغلب الأحيان نوع من خداع النفس فالعقل يتردد دائما بين احتمالين .. بين نهايتين . والوسيلة الوحيدة التى تمكن الكاتب من الوصول إلى قرار هى اختيار الاحتمال الأكثر جاذبية من الناحية اللفظية ووجهة النظر العاطفية

س : ماذا تنوين كتابته مستقبلا . ؟

ج : قصص وروايات أقل درامية وأقرب الى الحياة اليومية .. لأن ذلك ينطوى على الدراما الحقيقية فالاحداث الخارجية مجرد حوادث أما الدراما الحقة فهى الاستيقاظ فى الصباح والنوم فى الليل .

س : يقول بعض نقادك انك متشائمة فهل هذا صحيح . ؟

ج : نعم فأنا ارسم صوراً ساخرة للحياة رغم ارادتى ..

س : ما رأيك فى ابطال وبطلات قصصك . ؟

ج : أحب بعضهم مثل « جولييه » فى رواية « فى شهر فى سنة » فهو اساساً شخص طيب يتحرك بسرعة ولا يطيل الاقامة ولا يلجأ الى الغش أبداً .. وغالباً ما أجد لذة ومتعة فى رسم شخصيات يرميها النقاد بالتفاهة ولكنى اختار تلك الشخصيات لانى ارى انها ليست تافهة فهى غالباً ما تعبر عن وجهة نظرى وهى وجهة نظر لا تمعن فى الجدية لانى أومن بأن شيئاً من العبث والشقاوة يعتبر ساراً وجميلا . وجميع شخصياتى من النوع الصامت ولكن هذا لا يعنى انهم لا يفكرون

س : سؤال أخير : ما هو تعريفك للأدب ؟

ج : الأدب عندى نوع من الجنون . فالأديب يخلق شخصيات يتخذها أصدقاء وينتهى به الأمر أن يعرف أصدقاءه خيراً مما يعرف أبويه !!

جمال الكنانى ـ لندن

صفحة طريفة من التراث العربي

بقلم : الدكتور أحمد الحوفي
عضو مجمع اللغة العربية

وردت هذه المحاكمة الطريفة فى رسالة من رسائل إخوان الصفا ، وهم فريق من المفكرين نشأوا فى البصرة وبغداد فى القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى ، وألفت بين قلوبهم وشائج من العلوم والمعارف والعربية واليونانية وغيرهما ، وارتبطوا بروابط وثيقة من الاخاء والوفاء والصفاء ، وكان لهم مذهب خاص دانوا به ، واعتقدوا أنه يبلغهم السعادة .

خلف هؤلاء الاخوان كثيراً من الرسائل في موضوعات شتى ، عددها نحو إثنين وخمسين رسالة ، طبعت في أربع مجلدات ، جمعت خلاصة المعارف التي حصلوا عليها من اللغة العربية والشرقية الاسلامية والفلسفة اليونانية .

أما القضية التي رفعتها الحيوانات على بني آدم فقد وردت في الجزء الثاني من الرسائل ، بعد مقدمات مطولة (١٥٢ ـ ٣١٧) منها أن الحيوانات التامة الخلقة كلها بدأ خلقها من الطين ، وتوالدت وتناسلت وانتشرت في الارض سهلا وجبلا وبراً وبحراً ، وهي كلها متقدمة في وجودها على الانسان ، لأنها له ولأجله ، وكل شيء من أجل شيء آخر فهو متقدم الوجود عليه .

ومنها أن بعض الحيوانات في أشرف المراتب بعد رتبة الانسان ، وهي الحيوانات التي زودها الله تعالى بالحواس الخمس والتمييز الدقيق وقبول التعليم .

تبدأ المحاكمة عندما ضاقت الحيوانات بتعرض الناس لها ، وتسخيرها للركوب وحمل الأثقال ، فنفرت البهائم والأنعام ، وهربت ، ولكن بني آدم شمروا في طلبها ، واعتقدوا أنها عبيد لهم أبقت منهم .

فلما علمت البهائم والأنعام هذا الاعتقاد جمعت زعماءها وخطباءها ، وذهبت إلى بيراست الحكيم ملك الجن ، وشكت اليه ما القيت من جور بني آدم ومن اعتقادهم فيها .

وكان بيراست قد إشتهر بأنه حاكم عادل كريم منصف رحيم ، يمنع الظلم ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر .

حينئذ بعث ملك الجن رسولا إلى بني آدم الذين نزلوا بجزيرته ، واستدعاهم إلى مقابلته ، فمضى بعضهم إليه ، وكانوا نحو سبعين رجلا من بلدان شتى ، فلما التقوا به دار هذا الحوار :

الملك بيراست : ماالذي جاء بكم إلى بلادنا من غير مراسلة سابقة . ؟

إنسي : دعانا إلى المجيء ما سمعنا من فضائل الملك ومناقبه وعدله وانصافه ، فجئنا ليسمع كلامنا ويتبين حجتنا ، ويحكم بيننا وبين عبيدنا الآبقين .

الملك : قولوا ما تريدون .

زعيم الانس : أيها الملك إن هذه البهائم والأنعام والسباع والوحوش كلها عبيد لنا ، ونحن مواليها ، فمنها آبق هارب عاص ، ومنها مطيع كاره منكر للعبودية .

الملك : ما دليلك على ما زعمت . ؟

الانسي : لنا أدلة شرعية سمعية ، ولنا حجج عقلية .

الملك : هاتها .

فقام إنسي من أولاد بني العباس ، ورقى المنبر ، وخطب خطبة بدأها بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ، واستدل بآيات من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ، ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » .

ونلاحظ أن مؤلف الرسالة اختار المتكلم من نسل بني العباس لعله يرمز بهذا إلى جدارتهم بالحكم وزعامة المسلمين ، كما نلاحظ أنه اقتصر على الدليل القرآني ، ولم يعرض أية حجة عقلية ، ولكن الاحتجاج العقلي سيجيء بعد ذلك .

الملك : يامعشر البهائم سمعتم ما قال الانسي ، فأي شيء لكم وعندكم . ؟

البغل : عندئذ قام زعيم البهائم وهو البغل ، ولا ندري لماذا إختار مؤلف الرسالة البغل ليكون زعيماً للبهائم ، فخطب خطبة حمد فيها الله تعالى ، ثم قال : ليس في شيء مما قرأ هذا الانسي من آيات القرآن الكريم دلالة على مازعم أنهم سادة ونحن عبيد ، إنما هي آيات تذكرهم بانعام الله عليهم واحسانه ، كما سخر الشمس والقمر والسحاب والرياح ، وقد جعل الله كل ما في السماوات والأرض مسخراً بعضه لبعض .

أيها الملك : كنا نحن وآباؤنا نسكن الأرض قبل خلق آدم أبي البشر ، نتقلب في أرجائها أحراراً ، نسبح الله ونقدسه ونوحده ، ولا نشرك به شيئاً . فلما خلق الله آدم ، وكثر أولاده ضيقوا علينا الأماكن والأوطان ، وأسروا بعضنا كالغنم والبقر والخيل والبغال والحمير ، وسخروها ، وأتعبوها بالكد في الأعمال والركوب والتسخير في المحاريث والدواليب والطواحين والضرب والهوان فهرب منها من هرب في البراري والقفار وقمم الجبال ، ولكن بني آدم شمروا في طلبنا بانواع من الحيل ، فمن وقع منا في أيديهم قيدوه وذبحوه وقطعوا مفاصله ونتفوا ريشه وجزوا شعره ووبره ، ثم طبخوه وأكلوه ..

ولم يكتفوا بهذا ، بل ادعوا أن ذلك حق لهم وواجب علينا ، وانهم أرباب ونحن عبيد .

فلما سمع الملك هذا الكلام أمر منادياً فنادى في مملكته بدعوة جنوده وأعوانه من قبائل الجن والقضاة العدول والفقهاء ، وقعد للفصل بين زعماء الحيوان والانس .

قال الملك لزعماء الانس : ما تقولون فيما تحكي هذه البهائم والأنعام من جوركم ؟

قال زعيم الانس : إن هؤلاء عبيد لنا ، من حقنا أن نتحكم فيهم تحكم الأرباب والملاك .

قال الملك : لا تصح الدعاوى إلا بالبيانات .

قال الانسي : لنا حجج عقلية ودلائل فلسفية .

قال الملك ما هي ؟

قال الانسي : حسن صورتنا ، وتقويم بنية هيكلنا ، وانتصاب قامتنا وجودة حواسنا ، ودقة تمييزنا ، وذكاء نفوسنا ، ورجحان عقولنا .

وكان اعتمد من قبل على الآيات القرآنية الكريمة ، ثم عقب على الاستدلال بها بهذه الأدلة العقلية

قال الملك لزعيم البهائم : ما تقولون فيما قال الانسي ؟

قال زعيم البهائم : ليس شيء مما قال دليلا على ما إدعى .

ولكن يبدو أن بيراست جنح إلى قبول حجة الانسي ، فقال لزعيم البهائم :

أليس انتصاب القوام واستواء الجلوس من شيم الملوك ؟ وانحناء الأصلاب ، والانكباب على الوجوه من صفات العبيد ؟

قال زعيم البهائم : وفقك الله للصواب أيها الملك ، إعلم أن الله جل ثناؤه ما خلقهم على هذه الصورة إلا لعلمه بأن تلك البنية هي أصلح لهم ، وبنيتنا أصلح لنا .

لكن الملك إزداد جنوحاً إلى بني آدم ، فقال للبهائم : ما تقولون في قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » .

قال زعيم البهائم : للكتب النبوية تأويلات وتفسيرات يعرفها العلماء فليسال الملك أهل الذكر .

قال الملك لحكيم الجن : ما معنى قوله في أحسن تقويم .. ؟

قال حكيم الجن : في اليوم الذي خلق فيه آدم كانت الكواكب في اشراقها ، وكان الزمان معتدلا ، فجاءت بنية الانسان في أحسن صورة .

واستمرت المحاورة بين زعيم الانس وزعيم البهائم ، حاول فيها زعيم البهائم أن يبطل عبودية البهائم لبني آدم ، وأن يرد على أن الناس أحسن صورة ، وأنهم أجود حاسة ، فقال إن في البهائم ما هو أدق حاسة كالجمل يبصر في الظلام ويبصر من بعيد وكالفرس يسمع ما لا يسمع الانسان ، وكالحمير والبقر تهتدي إلى الطريق الذي تسلكه غير مرة .

قال الملك للانسي : سمعت الجواب ، فهل عندك شيء آخر ؟

قال الانسي : نعم ، نحن نبيعها ونشتريها ، ونطعمها ونسقيها ، وندفع عنها السباع ، ونداويها إذا مرضت ، وهذا وأمثاله من أفعال الأرباب بعبيدها شفقة عليها ، ورعاية لها .

قال الملك لزعيم البهائم : أجب .

قال زعيم البهائم : أما قوله إنهم يبيعوننا ويشترونا ، فهكذا يفعل أبناء فارس بأبناء الروم ، وأبناء الروم بأبناء فارس ، كما يفعل غيرهم من الأمم إذا ظفر بعضهم ببعض ، فأيهم المولى وأيهم العبد

وأما أنهم يطعموننا ويسقوننا فان هذا ليس شفقة علينا ، بل مخافة أن نهلك فيخسروا أثماننا ، وتفوتهم منافعنا . ثم تكلم الحمار فشكا من حمل الأثقال والضرب بالعصى في حنق وعنف ، وتكلم الثور فشكا من العمل الشاق في المحراث والساقية ومن تغطية الوجه والضرب المبرح ، وتكلم الكبش فشكا من أخذ بني آدم صغار النعاج وحرمانها من ألبان أمهاتها ، ليستأثر بنو آدم باللبن ، وليذبحوا ما يشاءون من صغار الضان ، وتكلم الجمل والفيل والفرس والبغل والخنزير والأرنب والثور ، وعقب كل منهم على شكواه بقوله : فاين الرحمة والشفقة ؟

فلما استمع الملك قال للحاضرين من حكماء الجن وعلمائهم : ألا تسمعون شكاية هذه البهائم والأنعام من جور بني آدم ؟

قالوا : سمعنا كل ما قالوه وهو حق .

ثم جمع الملك قضاته ومستشاريه ، وأشار كل منهم برأي لم ينل القبول .

وبعد حوار طويل جداً ، ودفاع من حيوانات شتى ، قضى الملك الحكيم بيراست بهذا الحكم :

الحيوانات كلها في طاعة بني آدم ، خاضعة لأوامرهم ولنواهيهم .

أما بعد

فان هذه المحاكمة الطريفة صورة من خيال كاتب الرسالة الثامنة ، وفيها الطابع العام لاخوان الصفا ، الماثل في الحوار والجدل والاستدلال بالشرع وبالعقل .

ولست أستبعد أن تكون صدى لما ورد في كتاب « كليلة ودمنة » على لسان الحيوانات .

ويبدو في هذه الرسالة الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، فقد جاء في أول المحاكمة أن خطيب الانسان من أولاد بني العباس رقى المنبر وقال : « الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين ، وصاحب الشفاعة يوم الدين ، وصلوات الله على ملائكته والمقربين ، وعلى عباده الصالحين من المؤمنين والمسلمين .... » .

بقي شيء آخر هو أن نتساءل :

لماذا لم يذكر بنو آدم في الاستدلال على تفوقهم وامتيازهم وسيادتهم على الحيوانات أن الخالق عز وجل منح بني آدم العقول والتفكير والنطق ؟ وهي منح رفيعة لم يسبغها الخالق على الحيوانات ، وما من شك في أنها من وسائل السيادة ، وإذا كان الانسي عرض لها فان عرضه موجز عابر إذ أشار إلى الذكاء ورجحان العقول .

ثم إن الله عز وجل اختص بني آدم بالرسل وبالشرائع وبالتكاليف ، ولم يختص الحيوانات بشيء من هذا .

ويقابل هذا أن الحيوانات لم تذكر في مفاخرها أن بعضها أقوى جسداً من الانسان ، مثل الحمار والبغل والثور والحصان .

فهل لهذه وتلك أدلة نكرت من كاتب الرسالة ؟

إنها كانت جديرة بألا تنبذ وألا تغفل .

د . أحمد الحوفي

العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

أقمار صناعية في جوف الانسان

● هى أقمار فسيولوجية يبتلعها الانسان لسبر اعماق جهازه الهضمى . إذ تستطيع هذه الكبسولات التى لا يتعدى حجمها حبة الدواء رصد النشاط الكهربى والحركى للأمعاء . وهى تتكون من أسطوانة طولها ٢٥ ملليمترا وقطرها ٢٠ ملليمترا ولا يتعدى وزنها ٤ر٧ جرام . ويداخل هذه الكبسولة جهاز إرسال واستقبال مصغر يعمل بزوج من البطاريات مثل تلك المستخدمة فى الساعات بحيث يستطيع هذا الجهاز إرسال القياسات لمدة ٣٥ ساعة ولمسافة عدة امتار .

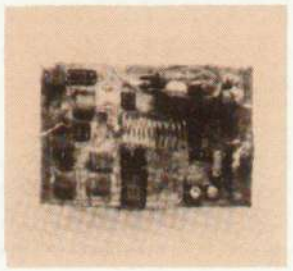
وتحمل هذه الكبسولة ثلاثة اذرع خارجية مثبتة فى راسها . وعند إدخال هذا القمر الصناعى إلى داخل الجهاز الهضمى للمريض تكون هذه الأذرع مثبته على امتداد الاسطوانة بواسطة خيط قابل للانصهار . وبمجرد وصول الكبسولة داخل أمعاء المريض فان اشارة مغناطيسية خارجية تقوم بتشغيل فرن ميكروسكوبى داخل الكبسولة يعمل على صهر هذا الخيط . لتبتعد الأذرع عن جسم الكبسولة .

ويحمل كل ذراع قطبا كهربيا يعمل على قياس النشاط الكهربى للأمعاء بملامسته للغشاء المخاطى المبطن لها . اما النشاط الحركى فيقاس بقياس الزوايا التى تكونها الأذرع مع الكبسولة .

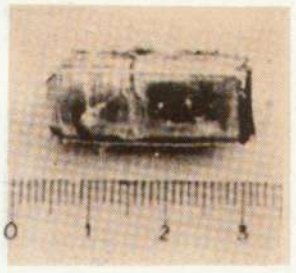
وبعد الانتهاء من كل هذه القياسات تعود الأذرع لتلتصق بجسم الكبسولة وذلك بواسطة مجموعة من اليايات بحيث يسهل مرورها إلى خارج الجسم من خلال فتحة الشرج .



الكبسولة واذرعها متفرجة



دوائر جهاز الارسال والاستقبال المبيت داخلها



الكبسولة لا يزيد طولها عن ٢٥ ملليمترا

وتستخدم هذه الكبسولة فى دراسة الوظائف المختلفة للجهاز الهضمى عن طريق رصدها للنشاط الكهربى للأمعاء . كما تستطيع اكتشاف اى خلل فى عملية امتصاص الغذاء . ومن المتوقع فى المستقبل القريب ان تتمكن هذه الأقمار الفسيولوجية من قياس حموضة ودرجة حرارة الجهاز الهضمى نظراً لتداخل هذه العوامل فى عدد غير قليل من الاضطرابات الوظيفية للأمعاء .

البنكرياس الصناعى

● انتهت المعامل الكندية من وضع اللمسات الأخيرة للبنكرياس الصناعى الذى قامت بتصميمه ليقوم بوظائف البنكرياس الطبيعى خاصة فيما يتعلق بافراز الأنسولين . ويتم زرع هذا الجهاز الجديد تحت جلد مرضى السكر ليظل يعمل بكفاءة لمدة شهرين .

ويتكون هذا البنكرياس الصناعى من بعض خلايا الفئران البنكرياسية التى تتخللها انبوبة من مادة شبه منفذة تتصل بالاوعية الدموية للمريض . وتقوم هذه الأنبوبة بدور « الفلتر » حيث تمنع مرور الأجسام المضادة إلى داخل الجهاز فى حين تسمح للجلوكوز الموجود فى الدم بالنفاذ إلى الخلايا البنكرياسية لتقوم هذه الخلايا بافراز الأنسولين اللازم والذى يتم امتصاصه مرة اخرى فى الدم .

ولقد اثبت هذا البنكرياس نجاحه عند تجربته على الحيوانات ويستعد العلماء لزرعه فى الانسان بعد ان نجحوا فى مد فترة استخدامه لمدة اطول من شهرين .

آلة حاسبة بالطاقة الشمسية

● طرحت فى الأسواق فى الأونة الأخيرة آلات حاسبة تعمل بالطاقة الضوئية سواء الشمسية او طاقة الضوء الصناعى ، واخر صيحة فى هذا النوع من الآلات الحاسبة الضوئية آلة حاسبة علمية تستطيع القيام بعدد لا نهائى من العمليات الحسابية المعقدة . فهى تضم لوغارتيمات يصل الجزء العشرى فيه الى ثمانية ارقام . وتستطيع حساب الأرقام مرفوعة إلى اس ٩٩ . كما انه فى امكانها فتح ١٥ قوساً فى عملية حسابية واحدة .

وبالاضافة إلى ذلك فهى مبرمجه بحيث تستطيع حساب خمسين داله من الدوال الرياضية . إلا ان السمة الفريدة التى تميزها هى قدرتها على استعادة معادلات جبرية فى اى لحظة من العملية الحسابية للتاكد من صحتها او لتصحيحها او حتى الغائها اذا لزم الأمر . كما يمكنها تحقيق قوانين معينة ابتداء من معطيات محددة او سلوك الطريق العكس اى الوصول إلى هذه المقدمات انطلاقاً من النتائج . وهى بذلك تقدم امكانيات اكبر بكثير من امكانيات الآلة الحاسبة العادية واقرب للكمبيوتر . فهى تقوم بكل العمليات الرياضية التى يحتاجها الباحث فى المجالات المختلفة ابتداء من الاحصاء وحساب الاحتمالات إلى الفيزياء والفلك . ولا تحتاج إلى اى بطارية فان تغذيتها بالطاقة الشمسية تكفى لتشغيلها بالكفاءة المطلوبة .



كمبيوتر الجيب الذى يرسم باربعة الوان

كمبيوتر الجيب

● تتوالى الابتكارات فى مجال الالكترونيات بسرعة فائقة بحيث لايكاد الشخص العادى يفيق من انبهاره بابتكار جديد غاية فى التطور حتى يطرح العلماء نظاماً أكثر تطوراً .

وفى اطار هذا السباق العلمى تقدم صناعة الاجهزة الالكترونية « ميكروكمبيوتر » جديداً يعد أصغر كمبيوتر طرح فى الأسواق حتى الآن ، وإن كان يقوم بكل وظائف اى كمبيوتر اخر كما يمكن تزويده بوحدات طرفيه متنوعة مثل دوائر توليف الصوت الآدمى او شاشة تليفزيونية . كما يمكن توصيله بجهازي تسجيل فى آن واحد لنقل وتخزين المعلومات المراد الاحتفاظ بها .

ولكن الجديد تماما فى هذا الكمبيوتر هو امكانية تزويده بوحدة طرفيه لرسم الاشكال الهندسية والرسوم البيانية باربعة الوان مختلفة وهى الأسود والأحمر ، والأخضر ، والأزرق .

حبوب جديدة لتنظيم الحمل

● أعلن البروفسور « بوليو » وهو من أكبر الاخصائيين العالميين فى مجال الغدد الصماء والهرمونات مولد حبوب جديدة لتنظيم الحمل وهى تختلف اختلافاً جذرياً عن الحبوب المستخدمة حالياً سواء فيما يتعلق بالأساس الذى بنى عليه تاثيرها أو بطريقة استخدامها .

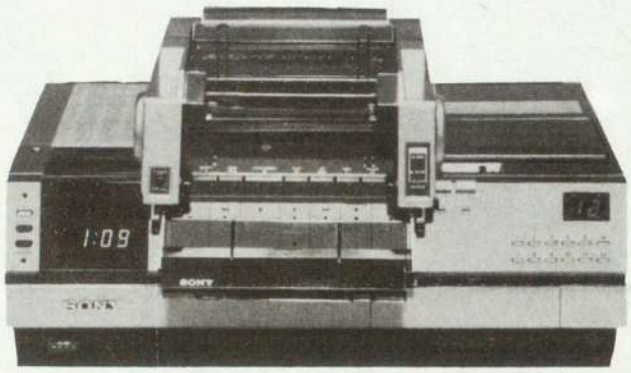
فهى لا تمنع حدوث التبويض كما تفعل الحبوب التقليدية التى تؤثر على مستوى الأوامر التى يرسلها المخ الى المبايض لتكوين البويضة ، وتسبب آثاراً جانبية كثيرة قد ينطوى بعضها على خطورة لا يستهان بها .

أما الحبوب الجديدة فهى تؤثر على مستوى هرمون محدد وهو « البرو جسترون » ، اى الهرمون المسئول عن الحمل وبشكل خاص عن تهيئة الرحم لاستقبال البويضة المخصبة . فالجيل الثانى من حبوب تنظيم الحمل عبارة عن مركب مضاد لهرمون « البرو جسترون » . ومن ثم فان هذه الحبوب لا تسمح للبويضة بالبقاء فى الرحم .

وتتميز الحبوب الجديدة بان ليس لها آثار جانبية تذكر نظراً لانها لا تؤثر على عمل المبايض أو على الأوامر التى يرسلها المخ والغدة النخاعية اليها .

ومن ناحية اخرى فان المراة لن تضطر الى أخذ الحبوب طوال الشهر اذ يكفى تناولها لمدة يومين فقط ، وحتى إذا نسيت فانه يمكنها استدراك ذلك فى موعد لا حق .

فيديو يبدل الأشرطة اتوماتيكياً



فيديو يبدل الاشرطة اتوماتيكيا

● تتنافس الشركات المنتجة لأجهزة الفيديو فيما بينها وصولا إلى أكبر عدد من البرامج التى يمكن تسجيلها فى آن واحد وعدد الأيام التى يمكن برمجتها مسبقاً . ولكنها جميعاً تواجه مشكلة واحدة وهى عدد ساعات تشغيل شريط الفيديو ذاته إذ لا يزيد فى المتوسط عن ثلاث ساعات . ومن ثم يتعين ان يكون الشخص موجوداً لتغيير الأشرطة واستبدالها باخرى فارغة .

إلا ان احدى شركات الاجهزة الالكترونية اليابانية تمكنت من التغلب على هذه العقبة بواسطة جهاز صغير مبيت داخل الفيديو بحيث يسمح بتغيير الاشرطة اتوماتيكياً . وهو يحتوى على اربعة اشرطة .

وبالتالى فان هذا الجهاز يستطيع تسجيل ١٤ ساعة من الارسال المختار مسبقاً على امتداد ١٤ يوماً دون تدخل من الانسان طالما تمت البرمجة الأولية .

حضرت "الدوحة" مهرجان "كان"
وهذه أول رسالة من المهرجان

كان .. من : رؤوف توفيق

"مفقود"

الفيلم المفاجأة ..
والقصة الحقيقية كما حدثت



الأب يبحث عن ابنه بين المعتقلين فى الاستاد الرياضى



المخرج « كوستا جافراس » وهو يونانى الأصل

مهرجان « كان » السينمائى هذا العام .. له طعم مختلف .. اكثر فنا .. واقوى تأثيرا .

وقد رتبت ادارة المهرجان ، ان تحتفل بمرور ٣٥ عاما على انشاء المهرجان ، فى هذه المدينة الفرنسية الساحرة على شاطىء « الكوت دازير » .. ومن اجل هـذه المناسبة استعدت مقدما بحشد مجموعة من الأفلام الهامة التى تمثل مخرجيها بالدرجة الأولى .. ولا تمثل دولة ما فى حد ذاتها .

فالمهم ان تكون هناك افلام جيدة .. وليس مجرد اشتراك دول . !

وعلى هذا الأساس .. غابت أسـماء دول من المسابقة الرسمية للمهرجان .. منها الاتحـاد السـوفيتى وبولندا والهنـد واستراليا .. وفى مقابل هذا ظهر أسم المخرج التركى « يلماظ جيونى » بفيلمه الرائع الجرىء « الطريق » الذى مولت انتاجه سويسرا .. وظهر أسم المخرج اليونانى الأصل « كوستا جافراس » بفيلمه « مفقود » الذى مولته امريكا ومثلها رسمياً فى المسابقة .. وظهر اسم المخرج البولندى الأصل « جيرزى سكوليموسكى » بفيلمه « ضوء القمر » الذى مولته انجلترا ومثلها رسمياً فى المهرجان .. وظهر اسم المخرج الفرنسى « جان لوك جودار » بفيلمـه « عاطفة » الذى مولته سويسرا بالاشتراك مع راديو « مونت كارلو » ليمثل سويسرا فى المهرجان .. وظهر اسم المخرج الألمـانى « فيم فاندر » بفيلمه « هاميت » الذى تم تمويله لحساب شركة سينمائية امريكية وليمثل امريكا فى المسابقة الرسمية !

وهكذا نجد ان اسماء المخرجين هى التى حددت نوعية برنامج مسابقة المهرجان .. بغض النظر عن تمثيل الدول .

وقد كان من المفروض ان تتضمن مسابقة المهرجان عدداً اكبر من احدث أفلام كبار المخرجين واكثرهم تميزاً وعبقرية .. ولكن كما يعلق مدير المهرجان فى تصريح صحفى له .. « ان كثيرا من المخرجين والمنتجين .. ترددوا فى الاشتراك داخل مسابقة المهرجان بعد الموافقة على افلامهم .. والسبب فى ذلك انهم علموا بعدد الصحفيين والنقاد الذين سيحضرون المهرجان وقد زاد عددهم هذا العام الى خمسة آلاف صحفى وناقد من جميع انحاء العالم .. ولهذا خافوا من هذه المواجهة الساخنة » .. وقد تطلب الأمر – على حد تعبير مدير المهرجان – وقتا طويلا لاقناعهم بالمشاركة .. وقد وافق بعضهم .. وانسحب البعض الآخر . ! .. بينما لجأ عدد منهم الى الحضور للمهرجان بأفلامهم منقولة على شرائط الفيديو لتعرض فى صالات صغيرة محكومة العدد ، ووجهت الدعوات شخصياً الى بعض الموزعين لمشاهدة هذه الافلام والاتفاق على تسويقها عالمياً .. دون التعرض للمواجهة مع النقاد والصحفيين وطوفان الأسـئلة والتحليلات والمقارنات !

مفاجأة المخرج التركى

ورغم هذا الموقف الصعب الذى تعرضت له ادارة المهرجان .. فقد حفل برنامج المسابقة الرسمية بعدد من الأفلام الهامة .. والمفاجآت الفنية المثيرة .. لعل أهمها على الاطلاق هو عرض فيلم « الطريق » للمخرج التركى الأصل « يلماظ جيورى » الذى عاش العشر سنوات الأخيرة فى السجون التركية مدانا لارا ئه ضد الحكم العسكرى .. ثم هرب من بلده الى أوربا يحمل سيناريو الفيلم الذى كتبه عن تجربة خمسة من المعتقلين السياسيين وكيف خرجوا من السجن ليكتشفوا بشاعة ما حدث لعائلاتهم وقراهم ..

والفيلم ادانة صريحة وجريئة للعنف السياسى .. وللاسلوب البوليسى فى حكم الشعوب ..

.. ومفاجأة فيلم « مفقود »

وعلى نفس المستوى من الأهمية والجراة .. وبقدر أكبر من الحرية وسهولة الحركة والتصرف .. كانت مفاجأة عرض فيلم « مفقود » للمخرج اليونانى الأصـل



جاك ليمون وسيسى سباسيك فى لقطة من الفيلم

سينما

"مفقود"

الفيلم المفاجأة .. والقصة الحقيقية كما حدثت

« كوستا جافراس » والذى عاش اغلب سنوات حياته فى فرنسا .. واخرج للسينما الفرنسية سبعة افلام .. لعل اشهرها فيلم « زد » الذى جسد فيه العنف السياسى باليونان .. ثم جاء فيلمه الثامن « مفقود » والذى تم تمويله فى أمريكا .. ليدين التورط الامريكى فى احداث « شيللى » عام ٧٣ .. وليوجه الضربة العنيفة ضد الادارة الامريكية ومحاولتها اخفاء الحقائق عن مواطنيها .. بل والتضحية بمواطنيها فى مقابل مصالحها السياسية ! .

والفيلم تحفة فنية على كافة المستويات .. يحمل فى كل ثانية من مدة عرضه التى تتجاوز الساعتين .. متعة بصرية وذهنية ، تشكل فى النهاية ، شحنة متفجرة من المشاعر والفكر الانسانى الذى يرفض العنف والخديعة .

القصة الحقيقية كما حدثت

واحداث الفيلم ماخوذة عن قصة واقعية حدثت لشاب امريكى اسمه « شارلز هورمان » ذهب ليعمل فى « سانتياجو » بشيلى (امريكا اللاتينية) كانت معه زوجته الامريكية الشابة التى تحبه وتفهمه وترعاه ، وتعمل هى الاخرى فى احدى الوظائف المدنية .. بينما هو يستغل وقت فراغه فى الكتابة للصحف المحلية والترجمة وتاليف قصص الأطفال .

ويعيشان حياتهما فى هذه الحدود .. لهم مجموعة من الاصدقاء الشبان الامريكيين الذين يعملون فى نفس المدينة .. من بينهم هذه الصديقة العائلية والتى دائما ما يلتقيان بها ..

وفى يوم ١٠ سبتمبر عام ٧٣ ـ هكذا تحدد وقائع القصة الحقيقية ـ ذهب هذا الشاب الامريكى « شارلز هورمان » مع الصديقة العائلية فى رحلة قصيرة الى احدى مدن شيللى .. وفى تلك الليلة فوجئا بقوات الجيش تحتل مداخل المدينة وتقوم بالتفتيش والاستجواب .. بينما انتشرت القوات البوليسية داخل المدينة تطارد المارة وتفرض نوعا من حظر التجول الغير معلن .. وانقضت الليلة بين طلقات الرصاص التى تنهمر فى انحاء المدينة .. والتى يتردد صداها عبر هذا الصمت الموحش الثقيل . وفى صباح اليوم التالى يعلن خبر الانقلاب العسكرى في شيللى ، واقصاء السلفادور الليندى وحكموته ..

ويتطوع أحد رجال السفارة الامريكية بنقل الشاب والصديقة الى العاصمة «سانتياجو» .. وفى الطريق وداخل العاصمة يتاكد لهما ضراوة ما يحدث .. وعندما يصل الشاب الى بيته يجد زوجة الشاب فى حالة من الرعب الشديد .. فاصوات الرصاص لاتنقطع .. ومصفحات الجيش تنهب الطرق وتطلق مدافعها الرشاشة بغير تمييز !.

وهكذا يقرر الثلاثة .. الشاب وزوجته والصديقة العائلية .. مغادرة البلاد على الفور والعودة الى امريكا .. ومن اجل هذا الغرض يتحرك كل منهم باقصى سرعة لتصفية اعماله وارتباطاته .. وتنتقل الزوجة لزيارة بعض اصدقائها الأمريكيين فى الطرف الأخر من المدينة .. ويسرقها الوقت .. وعندما تجرى لتلحق باى أتوبيس لتعود الى بيتها .. تفاجأ بأن كل الأتوبيسات مشحونة بركابها الذين تدلت أجسادهم من أبوابها .. وتحاول ايقاف اى تاكسى بلا فائدة .. فالكل يهرع الى بيته قبل موعد حظر التجول .. وتجرى مذعورة لاتدرى كيف تتصرف وأصوات طلقات الرصاص والمدافع الرشاشة تدوى بلا انقطاع .. الشوارع والمنازل مظلمة تماما .. والجنود منتشرون بأسلحتهم مستعدون فى اى لحظة لاطلاق النار على اى شخص .. وليس هناك اى وسيلة للتفاهم أو قبول أعذار .. الجو كابوس فظيع .. وهى تجرى مذعورة تحتمى بالحوائط والظلام .. حتى تجد لها مخبأ فى مدخل احدى المنازل المظلمة .. تتكوم على نفسها من الرعب والفزع حتى تطلق صفارات نهاية حظر التجول مع بداية النهار ...

وما أن تشعر قليلا بالأمان .. حتى تجرى لتلتقط أى تاكسى لتصل الى بيتها .. لتجد المفاجاة المذهلة .. البيت مقلوب رأسا على

طابور من القتلى .. والأب والزوجة ومندوب السفارة يبحثون عن الابن المفقود



لحظة النهاية .. الأب والزوجة وهما يتركان المدينة التى شهدت الأحداث



عقب .. الاوراق والكتب واغطية السرائر والملابس .. ويتضح لها على الفور أن البيت قد تعرض لعملية تفتيش قاسية .. وتنادى على زوجها .. ولاتسمع رداً .. لتكتشف ما هو أفظع .. أن زوجها قد تم اعتقاله فى ظلام الليل .. ويؤكد هذا شهود العيان من الجيران الذين اجمعوا أن احدى عربات الشرطة المدججة بالجنود والاسلحة قد اقتادوا زوجها .. وأن بعض الجيران يعللون ما حدث ومن خلال ما تناثر من افواه حملة الاعتقال .. أن زوجها اعتقل لأسباب سياسية .

ويصل الخبر لوالد الشاب الذى يعمل فى نيويورك كاحد رجال الاعمال .. فياتى مسرعاً الى «سانتياجو» محملا بثقة لانهائية وباعزاز شديد ، انه امريكى ومن حقه أن يعرف ما الذى جرى لابنه .. ومن حقه أن يعيده الى بيته والى بلده ..

وبهذا الاحساس بالثقة .. وبمعنى آخر ، بهذه البراءة ، يتصور أن ابنه قد تصرف تصرفا خاطئا ادى به الى هذه النتيجة .. وأن السفارة الامريكية فى عاصمة شيللى ستساعده لاجلاء الأمر واستعادة ابنه المفقود ..

وترفض الزوجة الشابة ، هذا التفكير الذى يعتمد على المنطق والاخلاق .. وهى عندها ما يبرر شكوكها بان ماحدث لزوجها ليس من قبيل الخطا .. وأن زوجها لم يفعل شيئا يسىء لحكومة الانقلاب .. ولابد أن الأمر قد تم تدبيره بطريقة شيطانية ..

ويحدث الصدام بين الأب وزوجة ابنه .. كل منهما بمنطقه وتفكيره .. ولكن مهما كان الاختلاف .. فالقضية الآن هى البحث عن هـذا المفقود .. ولهذا يتحركان معـــاً فى اجتماعات متكررة مـع السفير الامريكى فى «سانتياجو» واعضاء السفارة الذين يؤكدون له فى كل لقاء .. أن هناك أملا متجددا فى العثور على الابن المفقود .. وأن ارتباك الظروف السياسية فى شيللى هو السبب الوحيد الذى يؤجل تحقيق النتيجة فى اعادة الابن .. وأن تحرياتهم المستمرة تؤكد أن الابن بخير .. ،المسالة هى فقط مسالة وقت ! .

ويمضى الوقت .. ولايتحقق شيئاً .. وتؤكد السفارة الامريكية أن معلوماتها وتحرياتها الدقيقة تفيد أن الابن بخير ..

ويقرر الاب فى قلق بالغ أن يقوم بالبحث عن ابنه المفقود .. وتلازمه الزوجة التى تحمل آلاماً وشكوكاً رهيبة .. ويتنقلان بين شهود العيان من الجيران ليعيدوا تصوير ماحدث .. وبين المستشفيات وقوائم المصابين .. وداخل المعتقل الضخم فى المدينة .. وقد استطاعا أن يحصـــلا على تسهيلات لدخول هذه الأماكن من خلال السفارة الامريكية فى شيللى ومرافقة كبار العاملين بها تاكيداً لمبدأ خدمة السفارة الأمريكية لمواطنيها .

ويمضى الوقت .. محملا بالألم والقلق والارهاق ...

فالابن مفقود .. وغير معلوم اذا كان حيا أو ميتاً .. وكل قوائم المستشفيات ومشرحة الموتى ، والمعتقلين .. لاتشير اطلاقاً الى اسم الأبن .. فاين يكون قد ذهب ؟!

السفير الأمريكى وكل معاونيه فى السفارة .. يؤكدون من جديد ان الامل ما زال متجددا فى العثور عليه .. وتحرياتهم المستمرة ستصل الى نتيجة حتما .. !

ولكن الأب يتلقى الحقيقة المفزعة ، من أحد الأمريكيين العاملين فى مشروع أمريكى فى شيللى .. الحقيقة أن الابن قد تم اغتياله بعد القبض عليه بأيام قليلة .. بالضبط فى ١٦ سبتمبر ٧٣ .. أى قبل وصول الأب للبحث عنه ، بحوالى اسبوعين !! وإن جثته قد دفنت داخل حائط !!

ويتاكد الأب .. أن رجال السفارة الأمريكية يخدعون .. ويواجههم بهذه الحقيقة التى يقذفها فى وجوههم .. وهو يشير ان أحدا منهم لابد وان كان موجودا لحظة توقيع قرار اعدام الأبن .. وأن هناك تواطئا واضحاً بين السفارة الأمريكية وحكومة الانقلاب ..

الكاتب .. والكتاب

وهذه القصة الواقعية استطاع أن يجمع تفاصيلها الكاتب الأمريكى الشاب «توماس هاوسر» وان يصدرها فى كتاب عام ٧٨ .. معتمداً على جهده الخاص فى لقاءاته مع جميع أطراف الحادث .. وحصوله على البرقيات المتبادلة بين السفير الأمريكى فى شيللى ـ فى ذلك الوقت ـ والادارة الأمريكية .. واحدى هذه البرقيات تؤكد علم السفير الأمريكى بخبر اعتقال هذا الشاب فى اليوم التالى لاعتقاله رغم التاكيدات المستمرة التى اعلنها السفير الأمريكى لوالد الشاب ، من أنه لا يعرف حقيقة ما حدث لابنه !!

وقد أعيد طبع هذا الكتاب الذى صدر بعنوان «اغتيال شارلز هولمان» للمرة الثالثة مع بداية تصوير الفيلم .. ومن المتوقع طبع الكتاب عدة مرات وباكثر من لغة بعد بداية عرض الفيلم عالمياً ..

ماذا فعل المخرج ؟

وقد حول المخرج « كوستا جافراس » هذه الأحداث الواقعية .. الى صورة سينمائية بليغة تفيض بالمشاعر فى علاقة الأب والزوجة وبحثهما الطويل والمرهق للبحث عن المفقود ..

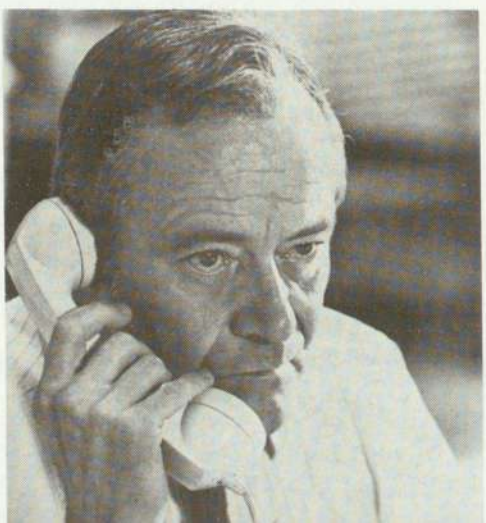
والمفقود هنا هو هذا الابن الشاب المتوهج بالحب والنقاء .

والمفقود هنا أيضا .. هو هذا الضمير الاخلاقى والذى تم اغتياله هو الآخر فى لعبة السياسة .

الابن المفقود فى احدى عمليات التعذيب



جاك ليمون فى دور من أحسن أدواره على الاطلاق



مهرجان كان في مهرجان كان في مهرجان كان في مهرجان كان في مهرجان كان

سينما

"مفقود"

الفيلم المفاجأة ..
والقصة الحقيقية كما حدثت

وقد استطاع المخرج «كوستا جافراس» أن يحول هذه الحادثة الفردية .. الى قضية عامة تدين العنف والارهاب العسكرى ، كما تدين الدور الأمريكى فى مساندة الانقلابات العسكرية لخدمة مصالحها ..

وفى مشاهد سينمائية لا تنسى .. قدم المخرج «كوستا جافراس» .. صور الحياة فى مدينة تقع تحت وطأة الانقلاب الدموى .. حيث تسود لغة الرصاص والدم .. وتتناثر الجثث فى عرض الشوارع .. وترتفع السنة الحرائق فى كل الزوايا والميادين .. وحيث تتحرك العربات المتوحشة تطارد الحياة .

وفى واحد من أجمل مشاهد الفيلم .. يقدم المخرج مطاردة بالرصاص لحصان أبيض انطلق مذعوراً فى ليل المدينة .. وكأنه شهاب من نور يشق الظلام .

وداخل المستشفيات حيث تتكدس الأجساد الممزقة والمشوهة على الأسرة وفى الممرات .. وعلى الأرض .. وفى المداخل .. وكأن الجدران هى الأخرى تنزف دماً ..

ثم يصل بنا المخرج فى عبقرية بالغة .. ليصور لنا هذا المستودع الرهيب لجثث القتلى داخل أحد مستشفيات المدينة .. حيث تتكوم الجثث فى طوابير بالطول وبالعرض .. محشورة بجوار بعضها .. دون أى مساحة فراغ .. حتى درجات السلم .. على كل درجة القوا بجثة .. أما هذا السقف الزجاجى فقد تحول الى صورة سريالية مجنونة .. بظلال الجثث الملقاة عليه والتى بدت لمن ينظر لها من أسفل .. وكأنها شبكة صياد الموت وهو يفرش محصوله للعرض !!

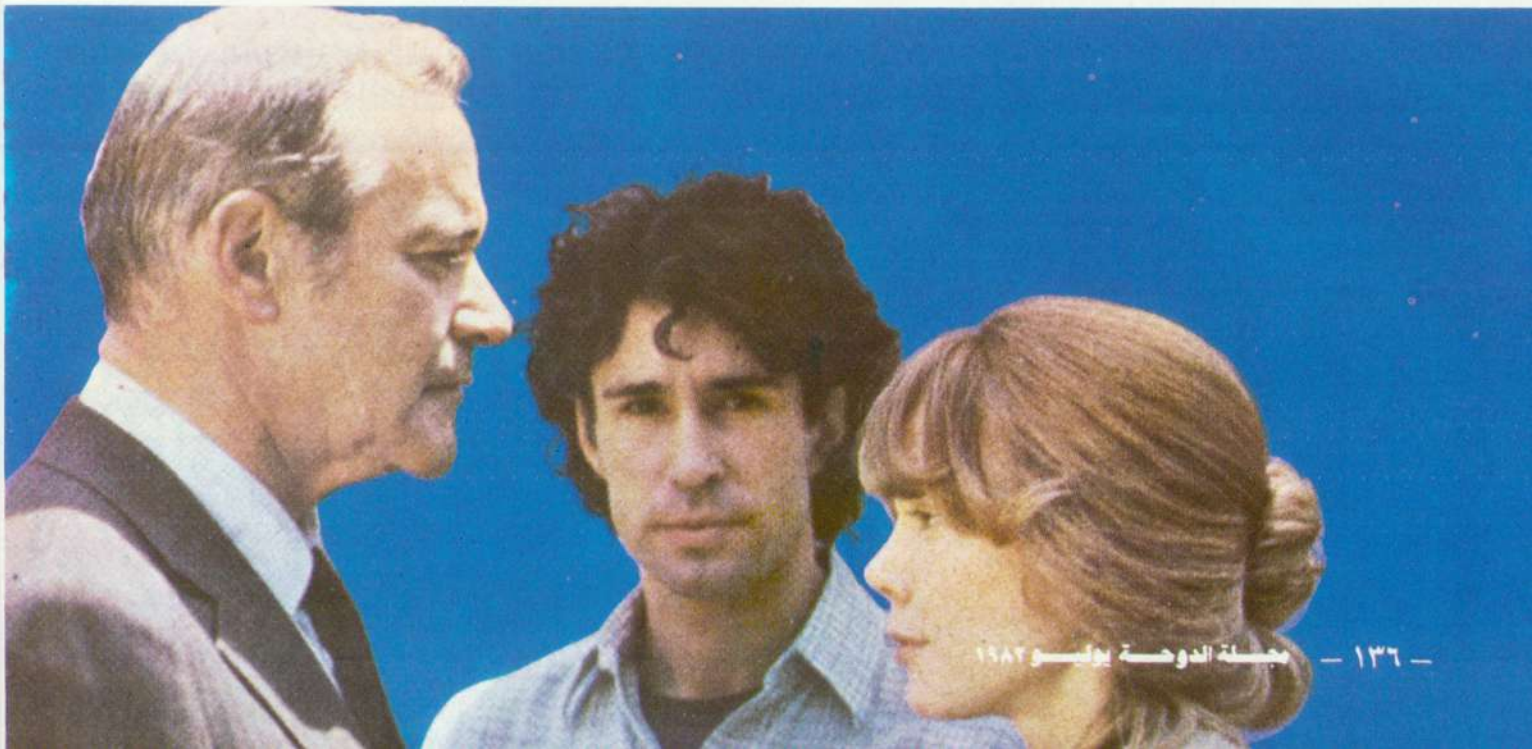
وزيادة فى تأكيد هذا المعنى الوحشى للعنف والارهاب .. ينتقل المخرج الى الاستاد الرياضى بالمدينة حيث تحولت ممراته الداخلية وغرف خلع الملابس الى زنزانات للمعتقلين وقد تلطخت الجدران بالدماء .. تلمع من بين قطراتها شعارات الاحتجاج والمقاومة .. اما على مقاعد الاستاد .. فقد تكدس المعتقلون على المقاعد تحت وهج الشمس ينتظرون من يتعرف عليهم ..

وقد استغل المخرج هذا المكان بكل تفاصيله الانسانية .. ليقدم النقيض تماما .. عندما كانت هذه المدرجات بالاستاد الرياضى تهدر بصيحات الاعجاب والفرح للاعبى الكرة وحيث كانت الأجساد تموج بالحياة . ها هى الآن .. ربما نفس الأجساد تنوء بالألم والجراح .. وهذا الأب المكلوم يغالب دموعه ويحاول أن يتماسك وهو يتكلم عبر الميكرفون ظناً أن ابنه المفقود من بين هؤلاء .. ولا يجد ما يقوله سوى أن يحكى احدى ذكرياته مع ابنه لعله يناديه .. وتلتهم عينيه الاف الشبان الذين يتجمعون فى صفوف الاستاد لعله يجد من بينهم ابنه .. وعندما يلمح أحد الشبان ينهض مسرعاً فى اتجاه سور الاسلاك الشائكة التى تحيط بالمدرجات .. يتوهم الأب أن ابنه قد سمعه وجاء ملبياً ندائه .. فيجرى اليه الأب فارداً ذراعيه .. ومن خلفه تجرى الزوجة فى ذهول .. ثم يأتيه صراخ الشاب ملتاعاً «ليس لي أب .. فمن يسأل عنى» ! لحظتها يتوقف الأب .. ليكتشف أنه كان يجرى وراء السراب .. ولحظتها أيضاً نكتشف أن السكين الحاد الذى مزقت حلمه .. هذه السكين قد مست جلدنا نحن أيضاً كمشاهدين !

الممثلون

ولعب الممثل الأمريكى «جاك ليمون» دور الأب .. وكأنه يتوج رحلة حياته الفنية كلها فقد استطاع أن يجسد الشخصية بفهم واحساس بالغ .. واستخدم تعبيرات وجهه

لقطة تجمع بين الابطال الثلاثة أثناء تصوير الفيلم ، فالابن المفقود لم يظهر إلا فى الجزء الأول من الفيلم



لتنطق بما لم يقله الحوار .

ولعبت الممثلة الأمريكية «سيسى سباسيك» دورا يؤكد موهبتها كواحدة من أفضل جيل الممثلين الجدد فى أمريكا .. وهى التى استحقت فى العام الماضى جائزة أوسكار أحسن ممثلة عن دورها فى فيلم «ابنة عامل المنجم» .

بين أمريكا وفرنسا

وقد كتب سيناريو الفيلم المخرج كوستا جافراس مع «دونالد ستيورات» .. وتم تصوير الفيلم فى المكسيك بطاقم فنى فرنسى اشترط المخرج أن يختاره بنفسه من بين الذين عملوا معه فى أفلامه بفرنسا .. ولم تمانع الشركة الأمريكية منتجة الفيلم .. بل لم تمانع أيضا فى أن يقوم المخرج بمونتاج الفيلم واعداده للعرض داخل المعامل السينمائية الفرنسية ..

وهذا هو أول فيلم يخرجه «كوستا جافراس» لأمريكا .. وقد أعلن أنه لن يترك فرنسا .. إلا إذا أعجبه موضوع فيلم يصوره فى الخارج ثم يعود لها .. وقد عين أخيرا كمدير لمعهد الفيلم الفرنسى «الأديك» .

الأب الحقيقى يحضر

وفى المؤتمر الصحفى الضخم الذى عقد بعد عرض الفيلم فى مهرجان كان .. جلس على المنصة وبجواره بطلى الفيلم .. وكاتب السيناريو الذى اشترك معه .. وكانت المفاجأة أن يحضر هذا المؤتمر أطراف الحادثة الحقيقية .. الأب والزوجة والصديقة ..

جلس الجميع على منضدة واحدة يواجهون طوفان المصورين وفلاشاتهم السريعة المتلاحقة التى ترصد هذا اللقاء الذى جمع ما بين الواقع والفن وكان النجم الذى انهالت عليه كل الأسئلة .. هو المخرج «كوستا جافراس» الذى خلق هذا العمل الفنى الرائع وأحدث الصدمة التى أعادت مجد السينما التى تقول أشياء هامة وممتعة .

مأساة عائلة وبلد

ومن بين أسئلة هذا المؤتمر الصحفى .. واللقاءات المتعددة التى تمت مع المخرج .. أخذت هذه السطور من اجاباته والتى توضح تفكيره وأسلوبه الفنى .

يقول : «اننى لم أشر على الاطلاق .. من خلال الفيلم أن هذا البلد الذى شهد هذه الأحداث هى «شيللى» .. ولم أشر أيضا الى «الليندى» .. ولكن الأمر لا يستلزم أن تكون «شرلوك هولمز» لتكتشف عن أي بلد نتحدث .. وقد أردت من خلال الفيلم أن أقترب من شاعر شاب من الممكن ان يكون فى أى بلد .. وفى أى وقت .. ولا نهاية لهذه القصة التى تستمر فصولها حتى الآن» .

ويقول : «لم أحاول أن أعيد بحث الحقائق والمستندات التى أوردها الكتاب الذى أخذت عنه قصة الفيلم .. لماذا أكرر عملية البحث اذا كان الكتاب قد غطاها تماما بكل وثائقها الرسمية .. كل ما فعلته اننى أعطيت كل وقتى فى لقاءات مع عائلة «هورمان» الأب والزوجة والصديقة وما تبقى من الأصدقاء .. فالهدف الرئيسى من الفيلم ليس مجرد ادانة السفارة .. بل صنع دراما عن مأساة عائلة من خلال مأساة بلد .. مأساة شعب» .

كيف ترى الفيلم ؟

عندما بدأ عرض فيلم «مفقود» داخل الولايات الأمريكية .. انشغلت به الصحافة تماما .. البعض القليل استنكر الفيلم وأدانه لأن مخرجه من أصل يونانى .. أما الغالبية العظمى من الآراء فقد اعتبرته من أفضل الأفلام الأمريكية لهذا العام ..

وحول ردود الفعل المناهضة للفيلم .. يرد المخرج «كوستا جافراس» بقوله .. «لقد شاهد الرئيس ريجان نسخة الفيلم .. ولم يعترض على شىء .. ولم يعلق بشىء» وأضاف «الحقيقة التى يجب ألا تغيب عن أحد .. أن الفيلم أمريكى .. تم انتاجه وتمويله وتوزيعه من خلال شركة أمريكية كبرى .. ولعب أدوار البطولة اثنان من أعظم الممثلين الأمريكيين .. والشىء المدهش هو اكتشاف مدى قدرة أمريكا على النقد الذاتى .. وأرجو أن تصدقوننى عندما أقول ان هذه القدرة على النقد الذاتى هى من أهم مزايا الديموقراطية والحرية فى أمريكا» .

وسألوه : «هل تعتقد أن الفيلم سيغير من سياسة أمريكا» ؟

قال ببساطة متناهية «الفيلم فى النهاية هو فيلم .. انه لا يخلق حركة سياسية .. فالفيلم مدته ساعتين قد تصنعه فى عامين أو فى عشرين عاما .. ولكن الجمهور قد يفكر فيه ليوم أو يومين .. ثم ينشغلون بحياتهم .. وبلا أى مبالغات .. عندما يحدث هذا فاننا نكون قد حصلنا على أفضل النتائج» !

...

من هذه الكلمات البسيطة المعبرة .. نكتشف حقيقة ـ ربما نعرفها جيدا ولكننا نفضل أن ننساها أحيانا كثيرة ـ هذه الحقيقة هى أن العبقرية ليست فقط فى طريقة التعامل مع الأشياء .. ولكنها أيضا فى التواضع .. !!

«رءوف توفيق»

لعبت الممثلة الأمريكية « سيسى سباسيك » دورا يؤكد موهبتها العظيمة





ضحكات الشهر

صلاح البيشي

هاتف وهتوف وبيوصل صارخ



ما قبل التاريخ والهاتف الناس كانوا بيتكلموا ازاى؟؟



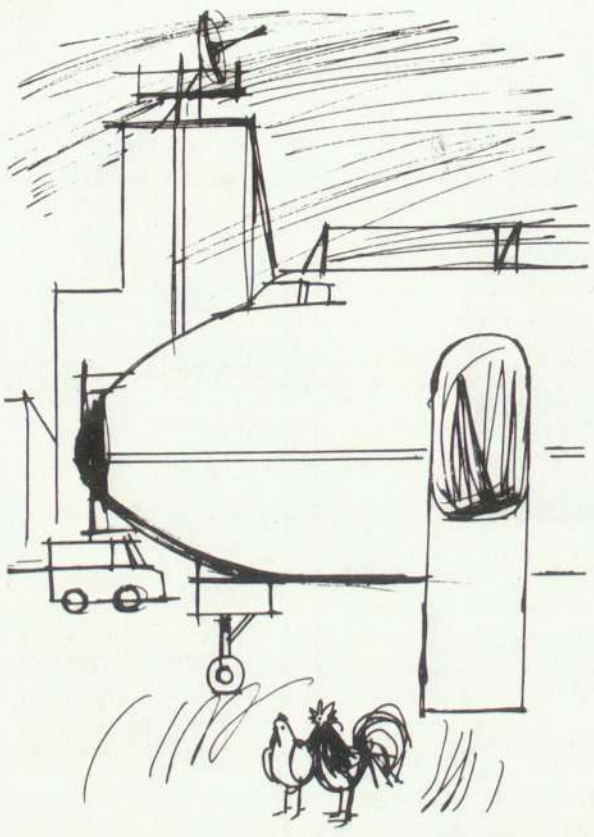
شحات افرنجى ـ يارب فلوس .. موش ميه .. !!



سيدتى ... سيدى اللص .. حضر .. !!



بدون كلام .. !!



ديك ـ .. رايح ... أأذن فى مالطه .. !!



الببغاء والهاتف .. !!

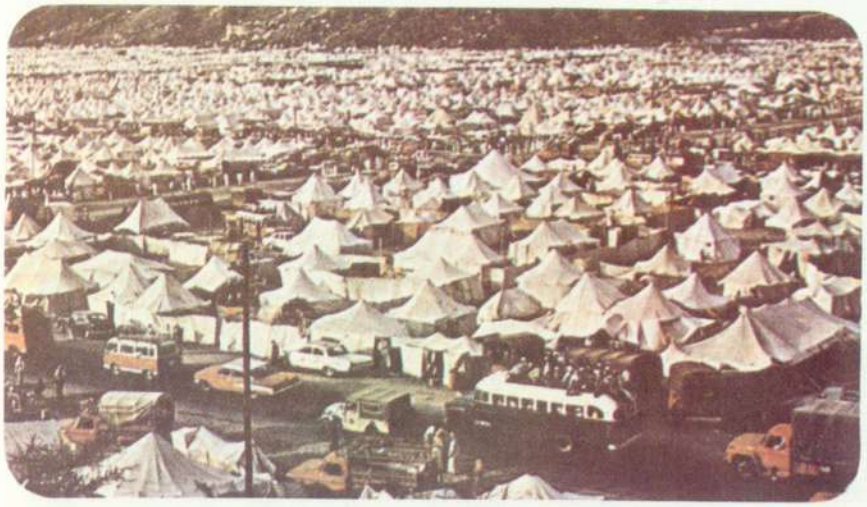


المستعمر ـ .. أنا طالب القطب منك .. !!



دوحة القراء

حاول أن تعرف



صورة ١ دولة عربية تبلغ مساحتها ربع الولايات المتحدة الامريكية ، يتجه اليها فى كل عام اكثر من مليون زائر ، غنية بالبترول ، والحديد والفضة والذهب والنحاس .
ما اسم هذه الدولة ؟ وأين تقع ؟



صورة ٢ ولد هذا الكاتب عام ١٥٦٤ م ، وقد ارتبط المسرح الانجليزى باسمه .. تتجلى عبقريته فى شخصيات رواياته أمثال جولييت ، الملك لير ، عطيل .. ترجمت أعماله لكل لغات العالم .. توفى فى الثانية والخمسين .

؟ ؟ مسابقة الدوحة ؟ ؟

يرجى من الاصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافات .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٧٧



بنجلاديش وعاصمتها دكا

● فاز بالجائزة :
ـ عبد الله ابراهيم الهرسى ـ ليبيا
ـ حسن محمد عبد الله مصر



البحار العربى احمد بن ماجد .

● فاز بالجائزة :
ـ احمد محمد درويش ـ قطر
ـ السموأل النور الجيلى ـ السودان

واعظ الرشيد

دخل أحد الصالحين على هارون الرشيد ، وبعد أن تحدثا فى بعض الأمور مدة من الوقت ، هم الشيخ الصالح بالانصراف .

فقال له هارون : عظني أيها الشيخ .

فقال الشيخ الصالح : يا هارون لو دامت لغيرك ما وصلتك يعنى الخلافة

فقال هارون : زدنى أيها الشيخ .

فقال الشيخ : يا هارون تلك قصورهم وهذه قبورهم .

قال هارون : زدنى أيها الشيخ .

فقال : كفى بالموت واعظا يا هارون .

فبكى هارون حتى ابتلت لحيته ثم قال : أيها الشيخ أعليك دين فنقضيه عنك . ؟ .

قال الشيخ الصالح : يقضيه عنى من هو أقدر على قضائه منك .

فقال الرشيد : خذ من مالي ما يكفيك رزقا لك ولعيالك .

فتبسم الشيخ الصالح وقال : ويحك يا هارون أتحسب أن الله يرزقك وينساني فسكت الرشيد ولم يحر له جوابا ثم انصرف الشيخ .

عماد عبد الحميد نصار
الأردن

الصحة والعمل والقوة

● ثلاثة تضر بأربابها :

الافراط فى الأكل اتكالا على الصحة ـ والتفريط فى العمل اتكالا على القدرة ـ وتكليف مالا يطاق اتكالا على القوة .

● وثلاثة من لم تكن فيه لم يجد طعم الايمان :

حلم يرد به جهل الجاهل ـ وورع يحجزه عن المحارم ـ وخلق يدارى به الناس .

● وثلاثة من كن فيه استكمل الايمان :

من اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ـ ومن إذا رضي ، لم يخرجه رضاه إلى الظلم،ومن اذا قدر له لم يتناول ماليس له .

مرفت أحمد علي ـ القاهرة

لقطة الشهر



عطشان ياصبايا

فازت بالجائزة وقدرها مائة ريال القارئة
سلوى عبد الفتاح ابراهيم ـ المحلة الكبرى

من أمثال الشعوب



● نقيم التماثيل من ثلج ... ثم نشكو انها تذوب . (المانيا)

● الأحداث أعلى صوتا من الكلمات . (امريكا)

● أضعف أنواع الحبر ... أفضل من أقوى ذاكرة . (بريطانيا)

● ثرثرة الانسان مرآة أفكاره . (الصين)

● النقد سهل .. لكن الفن صعب . (فرنسا)

جمال كمال الدين ـ مصر



دوحة القراء

مسابقة الدوحة



مَن ؟

من : عربى قرشى جاهلى قاوم الدعوة الاسلامية القرآن يدمغه بالكفر على الرغم من صلة رحم بينه وبين المصطفى صلى الله عليه وسلم : الاسم المكنى من كلمتين فى ستة أحرف : ٢ ـ ٤ ـ ٦ ـ ٤ طائر صداح .
١ ـ ٦ ـ ٣ ـ ٥ أصل وجوده .

أين ؟

أين : مهبط الوحى فى أم القرى . من كلمتين فى سبعة أحرف :
٧ ـ ١ ـ ٦ ـ ٥ هجم على غرة .
٤ ـ ٢ ـ ٣ ليس بارداً .

ما ؟

مـا : أداة أقسم بها الله تعالى فى القرآن الكريم لتعرف هذه الأمة قدرها ، وتعتنى بمدلولها وتتوجه بها نحو الرفعة والسيادة والعزة . اسمها من خمسة أحرف :
٣ ـ ٥ ـ ٢ حشرات .
١ ـ ٤ عشيرة وأهل .

الإجابة الصحيحة

(١) ثلاثة من الأشياء التالية تتركب من ملح كربونات الكالسيوم : اللؤلؤ ـ المرجان ـ الفيروز ـ المرمر المصرى ـ العقيق ـ الزمرد .

(٢) يوجد البترول فى دولة قطر فى طبقات العصر الجيولوجي :
الميوسينى ـ الجوروى ـ الكامبرى ـ الطباشيرى العلوى

(٣) يقع المسجد الأقصى بالقدس الشريف على نفس خط الطول الذى يقع عليه المسجد الحرام بمكة المكرمة » .
هل هذه العبارة صحيحة علمياً . ؟؟

(٤) الواح الطباعة الحديثة بطريقة « الأوفست » تصنع من فلز : الخارصين ـ الفضة ـ الالومنيوم ـ الأوزميوم .

(٥) «وسعت كتاب الله لفظا وغاية : اكمل البيت وانسبه الى قائله واذكر فيم قاله .

(٦) الأخطبوط من الحيوانات البحرية التى تسمى :
الرخويات ـ الفقاريات ـ الجوفمعويات ـ الاسفنجيات .

(٧) وقعت معركة نفارين التى تكالبت فيها كل دول أوروبا ضد الأسطول المصرى لكسر شوكة محمد على باشا سنة : ١٧٤٠ ـ ١٨٤٠ ـ ١٨٤٤ .

(٨) أقدم متحف علمى فى الوطن العربى وهو المتحف الجيولوجى بالقاهرة الذى يخططون لهدمه فى هذه الأيا افتتح للجمهور فى سنة : ١٨٠٤ ـ ١٩٠٤ ـ ١٩٤٨ .

(٩) مؤلف كتاب « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » فى القرن الخامس الهجرى هو :
ابن مكى الصقلى ـ ابن خلدون ـ ابن خالويه .

(١٠) واضع نظرية الكم هـ الفزيائى العظيم :
ماكس بلانك ـ ج . ج . طومسون ـ ميكائيل فراداى .

حل مسابقة العدد ٧٧

من : الخليل بن أحمد
اين : مكة المكرمة
ما : البرونز

الاجابة الصحيحة
١ ـ حوار
٢ ـ هارون الرشيد
٣ ـ ١٦٣٥م
٤ ـ نعم صحيحة
٥ ـ ٢٤١ هـ
٦ ـ البازلت
٧ ـ ابو رغال
٨ ـ ابن مقلة
٩ ـ واشنطن
١٠ ـ الشمال

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ أصل وصورة
الحل : الرقبة ـ الذقن ـ العين ـ شعر الرأس ـ الحواجب ـ الأنف ـ الفم
الفائز : محمد سليمان سند ـ البحرين

٢ ـ لعبة الظلال
الحل : رقم (٢)
الفائز : نريمان خوري ـ لندن

٣ ـ هات أجمل تعليق
التعليق : هي الدنيا ضاقت في وجهك لهذ الدرجة . ؟!
الفائز : شعبان عبد المنعم أبو السعود ج.م.

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : مرح مروان مراد ـ دمشق ـ سوريا .

فازت بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة : صفية صالح سليمان ـ الدوحة ـ قطر

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : محمد عبد الله خوجلى ـ الكويت .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ علي ضرغام عبد الرحمن ـ لبنان
٢ ـ فاضل بن نصر ـ تونس
٣ ـ الدرديري علي محمود ـ السودان
٤ ـ يوسف فضل غانم ـ الأردن
٥ ـ مصطفى نديم السيد ـ الامارات
٦ ـ عبده عبده علي الهربيطى ـ ج.م.ع
٧ ـ حسين حسن التميمي ـ العراق
٨ ـ منير رحال الماجري ـ تونس
٩ ـ محمد الحسين حسين ـ ج.م.ع
١٠ ـ مولاي عبدالرحمن ايت موحي ـ المغرب
١١ ـ الحاج البلولة محمد ـ السودان
١٢ ـ فخري عبد السلام عثمان ـ الاردن

استراحة الدوحة العدد ٧٧

٤ ـ لأقوياء الملاحظة
الحل : براد ـ طبق ـ استكانة شاي غليون ـ سكين ـ مسطرة
الفائز : رائد محمود الياس أحمد ـ الأردن

٥ ـ يخلق من الشبه أربعين
الحل : رقم (٦)
الفائز : أحمد الحسين ـ لبنان

٦ ـ لوحة لم تتم
الحل : الموسيقار بيتهوفن
الفائز : سارة محمد درويش ـ قطر

هل تعلم ..؟



ـ انك واحد من حوالى ٤٠٨٣ مليون رجل وامرأة وطفل يعيشون على الكرة الأرضية ..؟ وان هؤلاء الناس وانت واحد منهم ، يكونون شعوباً مختلفة تعيش فى أكثر من ١٥٥ دولة .. ويتكلمون حوالى ٢٨٠٠ لغة ولهجة مختلفة ..؟ .. وتختلف شعوب العالم عن بعضها فى لون البشرة والأعين والشعر ، وفى حجم الجسم وطوله وشكل الرأس والأنف ..

وبالرغم من هذا الاختلاف استطاع العلماء تقسيم الجنس البشرى الى ثلاثة أجناس رئيسية هى :

● الجنس المغولى : اصفرار لون البشرة ، إنحراف الأعين ، استدارة الرأس ، شعر طويل مستقيم ، انف صغير ، وهذا الجنس يوجد فى بعض شعوب آسيا مثل الصين واليابان والهنود الحمر والاسكيمو .

● الجنس الزنجي : بشرة سوداء ، شعر اسود مجعد ، انف مفلطح ، وشفاه غليظة ، ويشمل شعوب دول افريقيا .

● الجنس القوقازى : لون البشرة ابيض أو اسمر ، العينان زرقواتان، أو بنيتا اللون ، ويشمل أوروبا وشعوب شمال افريقيا ، واستراليا ، وامريكا الشمالية وبعض شعوب آسيا .

شريف الشرباصى القاهرة

من أجل العيش

شاهد أحد رجال بوليس مدينة « نيويورك » رجلا فوق كوبري « منهاتن » ويكل حماس الشباب خاطر رجل البوليس بنفسه ، وظل يتسلق جانب الكوبرى فى تؤدة وحرص وحذر ، وفى صعوبة إقترب من الرجل وبدأ يحدثه فى هدوء وهو يلهث محاولا إقناعه بالعدول عن الانتحار . ثم سأله :

ـ ما الذى دفعك إلى الصعود إلى هذا المكان الخطر ؟

فأجابه الرجل فى غيظ :

ـ إنها وظيفتى اللعينة .. فأنا المهندس المكلف بصيانة هذا الكوبرى . !

عائشة ابراهيم لطفى الكويت

مَنْ سبب الأزمة؟

زار احد الفنانين « برنارد شو » ولاحظ نحافته فقال يداعبه :

ـ نظرة واحدة اليك يا مستر شو ، تكفى للدلالة على ان انجلترا تعانى أزمة شديدة فى المواد الغذائية .. وكان ذلك الفنان بديناً الى حد كبير ، فنظر اليه برنارد شو متأملا ثم رد عليه من فوره قائلا :

ـ ونظرة واحدة اليك يا سيدى .. تكفى للدلالة على سبب تلك الأزمة .

محمد عجوز ـ سوريا

استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة: رووف

دوري الكاريكاتير



اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ ، مسجلا هدف الفوز في المباراة ، المطلوب ان تتعرف على رقم فانلة هذا اللاعب حتى تحصل على الجائزة .

خيال من ؟



(.. ... ...)

إنه أستاذ الأدب العربي بدون منازع .. وهذا الخيال للأديب العربي الراحل الذي أثرى حياتنا الأدبية بكتاباته وكتبه التي ترجمت إلى عدة لغات .. هل يمكنك التعرف على صاحب هذا الخيال .؟ (الجائزة ٦٠ ريالا)

لوحة لم تتم!



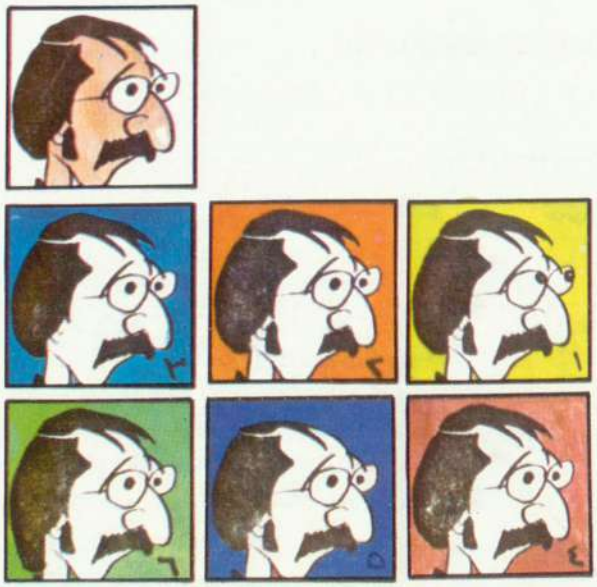
اللوحة لأديب فرنسي مشهور ، له فلسفة خاصة اختلف حولها الكثير من المفكرين والفلاسفة .. مشكلة اللوحة انها لم تتم ، فاذا استطعت اكمالها ، أرسل لنا اسم الأديب لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا)

لعبة الظلال



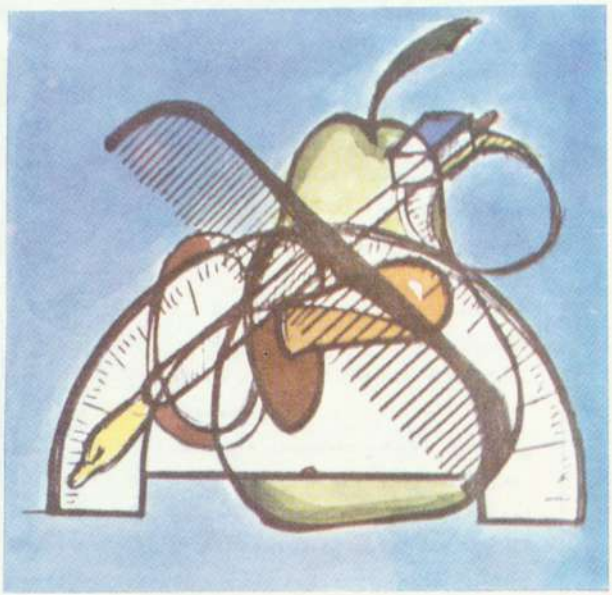
فشل هذا اللاعب في العثور على ظله الصحيح بين تلك الظلال الثلاثة .. ساعد اللاعب في العثور على ظله لتكسب (٦٠ ريالا)

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لستة اشخاص يشبهون الفنان الكوميدي دريد لحام .. من بين هذه الشخصيات واحدة فقط تشبهه تماماً ، وفي البقية اختلافات بسيطة ، إذا استطعت أن تتعرف على شبيه الفنان أرسل رقم الحل لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا)

لأقوياء الملاحظة فقط!



امامك رسوم لستة اشياء متداخلة ..إذا استطعت التعرف عليها ، ففي انتظارك جائزة (٦٠ ريالا)

هات أجمل تعليق :



حاول أن تكتب تعليقاً خفيف الظل على هذا الكاريكاتير ، وأرسله الينا لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا)

متفرقات

بقلم : عبدالله الشيتي

سئلت مؤخراً ، في عاصمة خليجية :
ـ من هي المذيعة التليفزيونية التي ترتاح لها عادة ؟ .
فقلت من فوري : هي التي تشفع اخطاءها الصرفية والنحوية بابتسامة عريضة عذبة ترتاح لها عظام «سيبويه» !
وسئلت : ما هي امنيتك التي تود ان تتحقق ؟
قلت : ان لا تكون لي امنية ..
قيل : لمـــاذا ..
قلت : كي لا افقد نعمة الشـــــوق والتمني .. !

● ●

ـ قلت لزميل اديب : هل فهمت فلسـفة (زرادشت) من غير تعقيد ؟
قال : لم افهمها لأنها معقدة .. !
قلت : لو تمعنت في فلسفته قليلا ، لاكتشفت مدى بساطتها ويسرها ، إنها تتلخص في حكمته هذه (لتكن ذاتكم متجلية في عملكم ، كما تتجلى الأم في طفلها) .. !

● ●

● قبل أيام ، شاهدت اعمى يقود بصيراً فما استغربت .
اتدرون لماذا ... ؟
لأن المبصر كان فاقد ... البصيرة !

● ●

● كلما طالعت امامي وجها بشوشا مبتسماً ، دعوت له الله ان يديم عليه نعمة الابتسام ، لأني اكره التطلع الى الوجوه التي تقطع الرزق .. !

● ●

وتعلم كيف تنسى وتعلم كيف تصفح

● اخر مرة ، زار الشاعر الكبير عمر ابوريشه الكويت ، قبل أن يعود الى « مربط خيله » في بيروت لا يبرحها حتى وهي تحترق ، وفاء وعرفاناً ، روى لي بيتين يتيمين من الشعر « العاطفي » بمثابة قصيدة كاملة تختصر حكاية « حب » ما من لقاء بعده :

حكايـة حبنا ختمت فما اشجى وما اقسى
جميل منك أن تعفي واجمل منه أن أنسى !

فالمحب هنا لا يدخر جهداً ، في محاولة كتمان السبب الذي أدى إلى خواتيم حكاية طويلة مثيرة . إنه ـ أي المحب ـ كما يقول لي الشاعر ابو ريشه ، يحفظ للمحبوبة جميلها وفضلها في عنقه ، وقد وهبته حبها وحنانها ذات يوم ، فما يجوز له أن يرسل لسانه في اثرها ويكسر الزير وراءها ، احتراماً لما كان بينهما من علاقة سامية لا يجوز معها الردح وتبادل السباب والاتهامات ، كما في كثير من الحالات .. الشاذة طبعاً .

ولهذا نراه ونسمعه يرجوها أن تعفي عما سلف ، واجمل منه أن ينسي ما كان من غير حاجة إلى الخوض في التفاصيل وما اكثرها و (ازعجها) في فراق المحبين إذا دب بينهم خلاف أو سعى بينهم عزول حاقد أو واش نمام !

وتلك هي لعمري ـ قلت للأستاذ أبوريشه ـ عفة الحب حتى وهو يموت ..



دوحة الماضي

مجلة ثقافية علمية أدبية صناعية زراعية

مقتطفات مما كان يقرؤه منذ ١٠٠ عام جدّ أبيك

منشئها ومحررها
صلاح الدين المقريزى



مواطن سورى فى زى القرن الماضى

العدد الحادي عشر
يولية تموز
١٩٨٢

عزيزى القارىء :

المعركة فى هذا العدد ، هى معركة التفرنج ، ذلك الهم القديم الجديد الذى كان يقلق أجدادنا ، حتى أنهم افردوا له فصولا متتابعة ، يهاجمونه ، ويندون به ويسخرون منه !

فعلوا ذلك فى مرحلة كان العرب فيها يتعرضون لمظاهر فقدان الاتزان ، بعد أن استيقظوا من تخلفهم القديم ليجدوا أوروبا تدق ـ طوال القرن الثامن عشر ـ أبواب وطنهم ، وتلتهم أقطارهم قطراً بعد قطر ، فلم يكد القرن ينتهى حتى كان الوطن ، مستعمرات أو أشباه مستعمرات ..

أما الخطوة الأولى فى الغزو ، فكانت هجوماً على العقل العربى وتخريباً له ، واحتلالا للنفس العربية ، ودعوة للانسلاخ من جلد الأمة : حضارتها وماضيها وتاريخها !

فهل يتذكر ذلك هؤلاء الذين لا هم لهم اليوم إلا الحديث بالفرانكو ـ آراب ؟ !

المحرر

باب الأسئلة والأجوبة

(●) من الناصرة . هل يوجد للموسيقى العربية انغام (نوط) مطبوعة كما يوجد للموسيقى الافرنجية وان وجد فاين تباع وكم ثمنها . ؟

الجواب : نعلم بوجود انغام عربية مكتوبة بصورة النوط عند العساكر الشهانية والبعض من المولعين بهذا الفن ولكننا لا نظن انه يوجد لها فى بلادنا انغام مطبوعة الا ما يوجد منها فى كتب الترتيل ككتاب الالحان للدكتور ادون لويس واخبرنا بعض اصحابنا انه يوجد كتاب للالحان العربية والتركية والفارسية بالنوط اليوناني مطبوع بالاستانة .

(●) من اللاذقية ذكرتم صفحة ٧٧ من مقتطف السنة الخامسة ما مضمونه ان الدكتور برهم قطع الاسفنج قطعاً صغيرة وغرسها فى الصخور فنمت فنرجوكم ان تبينوا باى واسطة الصقها بالصناديق والحجارة او كانت ميتة ام حية . ؟

(ج) لابد ان يكون الاسفنج حياً والا فلا ينمو وقد جرب الاستاذ اسكار شمدت ذلك ايضاً فنجح نجاحاً عظيماً حتى فوضت اليه حكومة النمسا ان يروج هذه الصناعة الجديدة على شطوط دلماطيا . وقد ذكر التيمس ان طريقة الغرس سهلة وهى ان يقطع الاسفنج الحي الجيد قطعاً صغيرة عديدة فى الزمان المناسب لنمو الاسفنج فى فصل الربيع ثم تثبت القطع بعيدان تدق فى قعر البحر فتاخذ كل قطعة فى النمو حتى تصير اسفنجة معتدلة الحجم فى ثلاث سنوات على ما قال الاستاذ شمدت . والظاهر ان هذه الصناعة جزيلة الربح فقد استغلوا من بعض المغارس اربعة آلاف اسفنجة بمبلغ لم يزد رأس ماله ورباه فى ثلث سنوات عن تسع ليرات انكليزية . فيا حبذا لو شمرتم عن ساعد العزم وفتحتم هذا الباب لابناء البلاد .

(●) من عكا . هل من دليل جيولوجي على ان الانسان كان يعيش تسع ماية سنة . ؟

ج . لا يوجد دليل جيولوجى على ذلك

برهان تقدم الأمم الشرقية

جاء في الرائد التونسى ما يؤخذ منه انه يوجد فى قصر بكين كتاب يوجد فيه تصاوير على الخشب وعنوانه (كسوكين توشوتسي تشينغ) معناه قاموس دائرة المعارف العامة القديمة والحديثة وعدد اجزاء هذا القاموس عشرة الاف تحتوى على جميع العلوم الدينية والكيماوية والصناعية والحرف والعوائد والمصنوعات والتجارة وغير ذلك وهو مطبوع طبعاً نظيفاً . (المقتطف)

تمدن شرقي وتمدن غربي

جاور أحد الانكليز رجلا من ابناء العرب فكتب اليه الانكليزى يوماً اريد ان اسامرك فهل تحضر فى بيتى او احضر عندك فكتب اليه العربى عادة الانكليز اذا سقوا انساناً كباية شراب امتنوا بها عليه وعدوها من اكبر النعم وعادة العرب اذا زارهم احد واكل طعامهم وشرب ماءهم شكروه ومدحوه وفرحوا به فانا احب ان اسر باكلك فى بيتى ولا أريد ان اكون اسير فنجال او كباية فاضطر الانكليزى للتوجه وبعد ان وصل وجلسا للمسامرة قال له العربى ما هو التمدن الذى تريدون ادخاله فى بلادنا فقال الانكليزى هو خلاصكم من التوحش فقال العربى لا يخفاك ان المتوحش هو الذى ينفر من الانسان ولا يعرف الا مثله وهذا لا يطلق على سكان قطرنا فانهم يتبادلون التجارة مع سائر اهل الدنيا قديماً وحديثاً ويعرفون عوائد كل امة واخلاقها فهم يعاشرون كل انسان بما يناسبه ويالفه فلم يبق الا بعض البدو الذين يسكنون البادية فى الخيوش وهؤلاء اذا اجتمع منهم رجلان بخيشين واقاما فى جبل ورزق احدهما بنتاً والثاني غلاماً وارادا زواجهما عند كبرهما فانهما يصنعان لهما خيشاً ثالثاً قبل الزفاف لما تراه العرب من العيب القبيح اذا اجتمع رجلان وامراة فى بيت أو بالعكس فهل فى متوحشى الانكليز من يهتدى لهذا العمل العظيم ويرى اجتماع رجلين بامراتيهما فى محل واحد قبيحاً .

فقال الانكليزى لابد وان يوجد .

فقال العربى مهلا انا كنت فى لندن سنة ٦٠ ورايت رجلا صاحب معمل (فابريقة) وضع عدداً كثيراً من عمال المعمل فى بيت بحيث صار فى كل قاعة اربعة رجال بعائلاتهم ونسائهم بلا حواجز بينهم فهل هذا هو التمدن المضاد لتوحشنا .

فقال الانكليزى لا يعمل هذا العمل الا الفقراء الذين لا يقدرون على استئجار بيت على انفراده .

فقال العربى لكننا لا نرى هذا عند فقرائنا ولا اغنيائنا فاجدر بكم ان تتمدنوا بما عندنا من الآداب .

هذا هو التمدن الذي جاءبه العرب المتفرنجون

اجتمع مسلم وقبطى من المفطورين على حب وطنهم المحافظين على عادات اهليهم وتذاكرا فى التمدن الذى به تعمر البلاد فقال احدهما ربما كان سيرنا فى منفعة بلادنا وتعظيم ثروتها واصلاح ارضها وتحصين حدودها والمحافظة على لغتها غير التمدن الذى تعمر به البلاد فالاولى ان نجتمع باحد شبابنا الذين اخذوا التمدن عن اهله فى بلاده ونسالهم عنه وبينما هما يتذاكران واذا بشاب عليه سترة وبنطلون وفى يديه قفاز (جوانتى) أو (الديوان) وفى عنقه قلادة اطلس (كرافيت) أو (بيوك باغ) وعلى عينيه نظارة وبيده عصا عليها صورة كلب فسالاه عن التمدن فقال يجب عليكما اولا ان لا تذهبا الى المعابد فلا تذهب انت الى المسجد ولا تدخل انت الكنيسة فانهما يقيدانكما بالحلال والحرام والواجب والجائز وهذا ضد التمدن ثم لا تتقيدا بدين او مذهب او عادة وبولا من قيام على اى حائط وناما بالنعال فى ارجلكما واسكرا على قارعة الطريق ولا تجلسا مع احد من اهل بلادكما فانهم قباح المنظر غلاظ الطباع ضعفاء العقول وإذا دخل احدكما مجلسا فليضع فخذه الايمن على الايسر وليمد رجله بالنعال فى وجه من يشاء ويهز كتفيه ويعوج كلامه فيقول (أني موش كلت ـ قلت ـ لك على شان انتم مسكين احنا بادين ـ بعدين ـ جيتو هنا على شان شوف انتم أملتم ـ عملتم ـ ايه لكن انتم أولاد أرابو ـ عرب ـ زي بهايم تمام) فان عارضك احد اشتمه بالفرنسوي والعنه بالانكليزى وسبه بالتلياني فان ضربته وجاء احد العساكر لضبطك قول انا حماية روح هات لي واحد يسقجي ـ حاجب فى السافرة الأجنبية ـ واضرب اباك واطرد امك ولا تعرف جارك فانهم يقبحون سيرتك بافعالهم القبيحة وسيرتهم الفلاحى وخذ زوجتك معك فى المجامع والطرقات وادخل بها محلات الرقص ومجالس الشبان وعرفها بهم كل انسان باسمه وهذا هو الدرس الأول فان عملتما به علمتكما درساً آخر وهكذا حتى تتمدنا .

فقال له احدهما يا جاهل يا غبي هذا هو التوحش بعينه بل الخروج من طور الانسانية الى البهيمية ظننناك عاقلا عالماً مهذباً فاذا انت عدو للانسانية جاهل بالوطنية فارغ من الادراك. التمدن ايها الضال هو الاشتغال بالعلوم والبحث فيها ووقوف كل انسان عند حده ومحافظته على العادات الجميلة والتمسك بمعتقد طائفته وترك الخرافات والبعد عن الافعال الذميمة ومسايرة الكبير وملاطفة الصغير ورحمة الفقير ونصح الغني وتنبيه الغافل وترك التعصب على من خالفك فى المذهب أو غايرك فى الجنسية والسعى خلف الاصلاح وتاييد لغة البلاد وحفظها من الدخيل ومما يفسدها والنظر فيما يريده الغير منا وما يوجه اليه افكاره من اماكننا وبذل المال فى تعظيم ثروة هيئتنا الاجتماعية والحرص على سماع كل ما يختص بمصالحنا فما يشير الغير باشارة أو بطرف بعين الا كنا على علم مما يريد وحذر مما يراد وتعميم التعليم لابنائنا حتى لا نرى اميا ولا جاهلا بالمعارف وتشييد المعالم التى تشهد باعمالنا وحفظ الاثار التى تدل على تقدم آبائنا ورفع كل نقيصة تخدش الشرف أو تضعف الوطنية أو توهن قدر البلاد أو توجب احتقارنا عند العالم أو تنزل بنا الى درجة يرمينا فيها الغير بالجهالة والخشونة فان كنت تعتقد ان التمدن ما أنت فيه فانك أجنبي من البلاد بعيد من الدين عدو للجنسية بغيض للانسانية لا أهل ابقيت ولا غريب عرفت وما أوقعك فى هذه المحذورات الا جهلك بالعاقبة فان جهل العواقب جالب العواطب .

خرافات الشرق وخرافات الغرب

طلب منا صديقنا الابر محرر المحروسة الغراء شرح الخرافات فى شان النجم ذى الذنب وقصد بذلك اظهار الحقيقة وابطال قول المخرفين لطهارة عقول الشرقيين مما يدنس شرف نكائهم ولكون الخرافات عامة فى كل امة والعادات القبيحة مختلفة باختلاف الجنسية والمواقع فقد اخترنا ان نعد فى جريدتنا محلا لذكر خرافة شرقية وخرافة غربية وعادة شرقية وعادة غربية نفكه بها قراء الجريدة ليعلموا الفرق بين الشرقيين والغربيين فكم فى الغرب خرافات لا يصدق بها مجنون الشرق وعادات لا يرضاها متوحش العرب ولكن نظافة الثياب وطول القبعة وعذوبة لفظ جرائدهم تبرئهم من كل عيب وترمينا بكل رذيلة ونحن ناخذ كل ما جاء منهم بوجه الاستحسان وما مقام صحيفتنا فى بلادنا الا مقام جرائد التهذيب فى أوروبا فانها التى ابطلت كثيراً من الخرافات والعادات بالتبكيت ولهذا طلب صديقنا شرح الحقيقة وابطال قول المخرفين فان هذا من خصائص جرائد التهذيب فلا يصدق عاقل ما اقترحه احد المنجمين من فساد العالم فى شهر نوفمبر المقبل وتناقلتها الجرائد متهكمة بافكاره وارى ان الجرائد الافرنجية ما تصدت لنشر هذه العبارة الا لتشغل افكار الشرقيين بالخوف والرعب وتلهيهم عن ملعب السياسة الشرقية الجارى فى أوروبا لما يعلمونه من ميل الشرق لاخبار المنجمين والرمالين والجفريين اكثر من ميلهم لتلغرافات السياسة واخبار المحافل والمؤتمرات .

الصهد والرحيل

قصة بقلم : كلثم جبر

(١)

ردد الأطفال ما قلته بسذاجة . دون وعى رددوه ..

على أن أعيد الكلمات ثانية .. أن أغرسها فى تلك الأذهان .. أطبعها فى العيون الباهتة المتطلعة .. ترمقنى هى .. ترمقنى عيونهم بصمت غريب ..

ـ الحق .. الخير .. العدل .

جفت حلوق الصغار .. وحلقى .. وشريط أحمر دقيق .. دم متفجر ينبثق من حلقى وحتى مد بصرى يغطى الأرض والجدران .. والحب والخير .

ووجوه أطفالى . قد أكون أرعبت الأطفال بهذه الكلمات .

عيونهم جمرات متالقة خائفة .

ولكن رغم ذلك قد أضحكت أستاذى الجامعى بها قال عنها مثالية لا توجد .. صمت وابتسم وقال هروب لطيف من واقع الحياة .

أود أن انتزعه من « بزته » وأصلبه أمامى وأصرخ فيه .. « إنى شرحت نفسى حتى أصبحت جثة وشممت رائحة العفونة التى انتشرت من ارجائى بلعت واقعى وهربت الى مثالية أحلم بها ولا تستطيع أن تصل إليها ببزتك هذه » القن الأطفال ثانية

ـ الحق .. الخير .. العدل .

وصدى ضحكات أستاذى الجامعى المصلوب ببزته فوق وجهى .. امسح وجعى من صدى ضحكاته اللزجة . وابصق فوق الأرض مبادئه المدروسة جيداً والتى يلقنها لي ..

ونظرات الصغار باتت أشد ذعراً وصوت هامس يتحرك .. يقترب مني .. تليه يد صغيرة جريئة .. تهزنى برفق ..

ـ معلمتى .. هل أنت مريضة ؟

(٢)

أطفأت مصباح غرفتى .. غصت فى طيات الفراش الوثير .. كل ما املك وثير .. ندى .. رطب .. ولكن قلبى أرض جافة .. عطشى .. تطلب الغيث .. الغيث .. لم تعد تمطر فوق أرجائى منذ زمن بعيد يوم كانت عيناه مغارة أحلامى . كنت أهرب الى عينيه وحدهما .. هناك أستريح وأجد « اليوتوبيا » التى أحلم بها .

أفترش الأرض وأجلسه أمامي وأهمس .

ـ أهوى عينيك وصوتك ويوتوبيا أحلامى .

يصمت .. أراه ينحدر الى أعمق الأعماق ويصمت ـ يخاف ـ يرجف .. الخوف غزا عينيه كما غزا عيون صغارى يوم بصقت فوق الأرض مبادىء استاذى المدروسة جيداً !

ـ أنا رفيقة الصمت ولكن معك أمقته .

عيناه اللتان أحبهما ترجفان .. رموشهما ترتجف .. إلى الوارء يتزحزح قليلا ..

ـ هل ستخاف من جديد ؟

ـ الخوف احساس كالحب .. أحبك أنا وأخافك . صدقينى أنا أخافك أخشى مثالية مدينتك التى تحلمين بها . أنت تبنين قصوراً هشة . تقيمين قصوراً ولكن هشة .

عيناه .. لعينيه سحر عجيب ..

كان مرتعشاً كاليوم حينما انتصب واقفاً امام والدى . لم يكن خوفه منه .. كنت أنا مصدر خوفه .. أعلم ذلك .. زادنى غروراً .. جذبتنى عيناه كنت احملق فيهما وكان يتعلثم بالحديث ..

أخذه والدى بعيداً عن نظراتي الغازية .. إلى الصالون الآخر .

أرشده عما يجب أن يقوم به .. نبرات صوت أبى القوية تأتينى وأنا مزروعة فى مكانى « نحن نملك الشمس والصهد والنفط .. وانت تملك الوعى والجهد ونحن قوم نستشف الاخلاص.

أحنى رأسه وتوارى من أمام والدى .. وكانت عيناى له بالمرصاد .

ـ أنا أخشى .. !

وهب واقفاً كالاعصار .

(٣)

ـ أبى .. لطيف هذا الانسان يملك الحق والاخلاص .

ـ ألازلت ترددين هذه الكلمات .

ـ أبى .. هل أخطىء عندما أنادى بمجتمع يسوده الحق .. والخير .. و ..

توارى أبى ، منذ بدأت اعي .. وهذا الوعي يؤلمنى .. لم يكمل معى أبى مناقشة ما .. كان يبتر الحديث ويهرب .. يخاف جنوني .. أنا أعلم ان أبى يخاف جنوني كان يدعو هذه المثالية جنوناً .. كان يخاف هذا الجنون وأنا أخاف نفسي .. أخاف .. ولكن الخوف كلمة لا استسيغها . لذا على أن أمتلك عينيه .

كان منكباً فوق الورق بعروق جبهته النافرة .. يلتهم الكلمات .. وكنت أبحث عن عينيه .. أحرقته نظراتى .. رفع وجهه .. رأنى وفزع .. أنا والفزع وهو متلازمون نتواجد فى اللحظة ذاتها .

وقف .. أحنى رأسه .. وجلس من جديد

ـ ما الذى ساقك إلى هنا ؟ النفط أم الصهد ؟

صمت .. ورفع عينيه ..

ـ لقمة العيش .

ـ الحلال ؟

بحلق فى وجهى .. دهش .. وفزع من جديد .. وصرخ بقوة وهو يضرب الطاولة الزجاجية والورق ..

ـ أجل .. الحلال .

(٤)

ـ أكره الصمت معك .

ـ موجوع . مللت الحديث . أكره المثالية واعشق الواقع .

ـ ماذا وراءك ؟

ـ يؤلمنى الحديث .

ـ رفقاؤك .. ماذا بهم ؟

ـ هم سبب علتي . الحديث يؤلمنى ولكن

موجوع أمقت الخيانة .. إنهم يتامرون لسرقة أبيك . أمقت الخيانة أشعر بأنى أخونهم . على والدك أن يكتشفهم بنفسه . ولكن أنت السبب فى تغيير مسار الأحداث وأنا أكره الخيانة ولكنهم يسرقون أباك .

– وماذا عن اللقمة الحلال . ؟

– أنا أنشدها . الغير يتعجلها بكل الطرق وبأقصرها .

– هى إذن غير حلال . لن أخبر أبى . عليه أن يكتشف الخيانة . كان يقول إن باستطاعته شمها قبل أن تتفشى فعليه الآن ذلك .

ضرب بكلتا يديه الجدار . كطفل أحمق سحب «امرىء القيس» و « نزار » و «شيللى» من فوق الرف . ألقى بهم فوق الأرض داسهم بقدمه وشهق .

– أنت .. وهؤلاء سبب بؤسى .

ابتسمت بشماته وأنا أقترب منهم رفعت « امرىء القيس » بطرف قدمى ومن ثم ألقيته فوق الأرض من جديد .

وعدت أهمس باكية ..

– ما الذى دفعهم لذلك . ؟ أين الحق .. والخير .. والعدل . ؟

(٥)

فتحت الباب ..

أدهشنى الرجل الواقف به .. أعرفه جيداً .. منذ كنت طفلة كانت أمي تخيفني به .. لكى أنام .. وأدرس .. و ..

التفت إلى الوراء ورفعت صـــــوتي مناديه ..

– أبى .. انه رجل الأمن !

خطوات أبى تسبق فضولى .. تقوده إلى الداخل . واقف وراء الباب .. دبيب قلبى يرتفع .. من خلال فتحة الباب الموارية أرى نصف وجه رجل الأمن .. واسترق السمع .. ورغم ذلك أعلم السبب فى مجيئه .

– لتكن المسالة حاسمة وبدون ضجة . واخاف الله قبـل ذلك .. والشيطان خلق للغواية .

ابتسمت بسخرية « إنه أبي . ويعظ !

لماذا لا يسالهم : ماالذى دفعهم للسرقة ؟ ولكنه أبي . ويعظ ! »

– كما تريد أين هم ؟

لم أرفع رأسي رغم ان أبى اصطدم بي حين خروجه .. ذهب ورجل الأمن ركب سيارته .. تركنى واقفة وذهب ورجل الأمن معه .

(٦)

الساعة تشير إلى الثالثة صباحا بعد منتصف الليل وأصابعي تدير القرص .. أطلبه منذ ساعات طويلة ورفعت السماعة على الطرف الآخر .

– أين أنت ؟

– صباح الخير .

– أين أنت ؟ كنت أطلبك منذ ساعات طويلة ؟

– كيف أنت ؟

– أين كنت ؟

– مع رفقائي . قبل ذلك كنت مع ابيك ورفقائي ورجل الأمن .

– ماذا حدث ؟

– كان أبوك عطوفاً .. ساعود لوطني غداً .

– غداً ؟؟

ألقيت الهاتف . يداي سبقتا قدمي تركته يتحدث خلال الهاتف وهرعت تمتد يداي تفتحان الأبواب .. تطرقان الأبواب .. تهزان أبي فى فراشه وتفزع أمي .. وتضيء النور .. و ..

يصمت أبي .. ينظر إلي بقوة ...

– لماذا هو أيضاً ياأبي ؟

– كان معهم . كان يعلم انهم يسرقون ويصمت – دافع عنهم .. قال انهم بؤساء . الحاجة دفعتهم لذلك .. دافع عنهم .. قال .. رواتبهم أقل من مجهودهم الذى يبذلونه .. دافع عنهم . قال .. إني استهلكتهم . دفعتهم للسرقة .. أنا دفعتهم للسرقة . ولكن رغم ذلك فهو راهم يسرقون وصمت . هو منهم . كان يعلم ويصمت .

– أبي كان يريد اخبارك .. منعته من ذلك .

– أنت ؟

– عيناه وصوته .. رمز مثالية مدينتي الفاضلة .. كان صادقاً يا أبي . العدالة تقتضي أن تدين المجرم ولكنه غير ذلك .. أبي .

– إذن ؟

– يستثنى يا أبي .

– فليكن .

تنهدت .. قدماي الآن هما اللتان تسبقان يـدى نحو غرفتي .. التقط السماعة الملقاة فوق الفراش وأهمس ..

– مستثنى أنت .

صمت .. و .. أجاب ..

– تصبحين على خير .

وأغلق الهاتف .. تواريت بالفراش .. ونمت ..

(٧)

المقعد نفس المقعد .. والجدار نفس الجدار .. و « نزار » و « وامرؤ القيس » فوق الأرض وأخرون غيرهم .. وخطوط بالقلم الأزرق العريض فوق الجدار تحمل نفحات مشاعر .. وباردة موحشة هي الغرفة .. وانا أبحث بلهفة أبحث .. قلبت الورق والفراش والدولاب .. وأدوات المطبخ .. وعدت إلى الخطوط العريضة فوق الجدار أصرخ بها « أين هو ؟ أين عيناه وصوته ؟ »

صرخت . وقلبت كل شيء .. دست فوق أشلاء «أمريء القيس» وعدت إلى المنزل .. كزوبعة ناديت ..

– أبي .

كان واقفاً ملتصقاً بالجدار .. الذى يحمل صورة كبيرة لي .. رسم خطوطها فنان متجول قابلته ذات يوم فى تجوالي فى تلك المدينة الباردة . أثاره فضولي .. وشعرى .. وعيناي .. وطلب أن يرسمني .. أجلسني فوق الرصيف .. رسمني .. وأبي ينتظر .. وحمل بعد ذلك صورتي .. وعلقها هنا فوق الجدار .. وقال باعجاب وهو ينظر إلى خطوط عينيه فى عيني « انه بالفعل فنان » .

– أبي .. أين عيناه .. بحثت عنهما فى كل مكان فلم أرهما . رأيت « نزار » فوق الأرض ينزف و « بايرون » ولم أرهما . رأيت الخطوط الزرقاء التى خطها ذات يوم فوق الجدار ليبرهن لي أنه صادق . ولم أرهما . صدى همساته لم تكن هناك . أين هو يا أبي ؟

بهدوء جابه اعصارى ..

– لقد رحل . قلت له : أنت لا . ولكنه رحل . قال .. إنه يشعر بالخيانة قال .. إنه خان رفقاءه يوم أخبرك عنهم . وخانهم عندما تركهم دون توجيه . وخانتني يوم عرفك دون علمي .. وخانك يوم وافق على الانضمام لمدينتك . قال إنه يكره الخيانة لذا عليه أن يرحل قال .. إنه يعشق الواقع ، وعليه أن يرحل . ورحل .

(٨)

عدت أصرخ بالأطفال من جديد ..

– الحق .. الخير .. العدل .

جفت حلوقهم وهم يرددون .. عيونهم جمرات ملتهبة . والخوف يغمرهم من أن أبصق فوق الأرض من جديد .. وصدى ضحكات استاذى الجامعي اللزجة .. تغطي الجدران ووجوههم .. والأرض .. دست فوقها هذه المرة بقوة .. ولم أبصق .. وعدت أهمس بأطفالي ..

– امسحوا وجوهكم ورددوا بهدوء .. الحق .. الخير .. العدل .



كلثم جبر

رسائل إلى المحرر

التاريخ .. هذه الحقيقة المزعجة

كتب الدكتور عبد السلام العجيلي في العدد ٧٥ مقالا تحت عنوان « التاريخ .. هذا الفضولي المزعج ! » ، أورد فيه حواراً بينه وبين صديقه حول أهمية التاريخ وامكانية الاستغناء عنه في الدراسة .

ولقد حدد الكاتب علم التاريخ فيما نقله لنا مؤرخو الاباطرة من سير وبطولات ، أي أن التاريخ كما يفهم من مقاله هو ذلك العلم الذى يتناول بالسرد بطولات كبار الشخصيات وأعمالهم السياسية والحربية وغيرها .

وغير خاف على كل متتبع للدراسات التاريخية أن هذا الصنف من التاريخ هو الذى نطلق عليه اسم « التاريخ الرسمي » أو الذى يميل البعض إلى تسميته « بالتاريخ الحدثي » ، وهو في غالبه كتب بايحاء من أولئك الاباطرة والقادة العسكريين أنفسهم فكان بذلك تاريخاً يعكس أيديولوجيتهم ويخدم أغراضهم السياسية والعسكرية .

ومن هنا كان الغائب الأكبر في مثل هذا التاريخ هو الجماهير نفسها وهى الصانعة الحقيقية للأحداث والوقائع .

صحيح أن مثل هذا التاريخ الغريب على تربته الاجتماعية يمكن لطالب اليوم تجاوزه والاستغناء عن دراسته باعتبار أن كفة السلب في حضوره بيننا أرجح من كفة الايجاب ، غير أننا لا نستطيع موافقة الدكتور العجيلي عندما يتعلق الأمر بالتاريخ الحقيقي للأمة ، أى التاريخ غير الرسمي ، لأن تجاوز مثل هذا التاريخ ليس معناه فقط التصريح بلاشرعية الميلاد في خضم عالم تتصارع فيه الحضارات



عبد السلام العجيلى

والقوميات والايديولوجيات . بل وأكثر من ذلك وأخطر .. رسم آفاق مستقبل مهزوز وفاقد لكل مقومات التوازن والتماسك بالنظر لغياب أساس حضاري ، هو الذى يعطى لمسيرتنا التاريخية توازنها وتجانسها واتصالها ، وهذا معناه بعبارة أخرى أننا إذ نلقن لناشئتنا دروس التاريخ ، نعطيهم الجذور التى انبنى عليها حاضر واقعهم الاجتماعي في مجالات الاقتصاد والسياسة والثقافة والفن وغير ذلك من معطيات هذا الواقع .

وهكذا ، فليس الأمر يتعلق بالاختيار بين دراسة التاريخ أو الانصراف عنه كما يذهب الدكتور العجيلي ، وإنما يتعلق الأمر بالاختيار الصعب بين أن نكون أو لا نكون ، بين أن نعرف أسباب أزماتنا الراهنة فنجد لها حلولا ، وبين أن نظل جاهلين لها ، فنظل في تخلفنا ، نتيه في خضم التبعيات القاتلة .

ولذا ، فالسؤال الحاسم في رأيي هو: كيف نتعامل مع التاريخ ، وكيف نلقنه لناشئتنا .

عرون المفضل
تطوان ـ المغرب

حملة ضد الغزو الثقافي

وسائل الاعلام المرئية ـ التليفزيون والسينما ـ دخلت الآن إلى كل ركن في وطننا العربى الكبير ، ومن خلالها ـ وفي غفلة أحيانا من المسئولين عنها ـ دخل ولا يزال يدخل إلى عقولنا نوع من الغزو الفكري الموجه ، من خلال كثير من الأفلام والمسلسلات .

واستغل هذا الغزو ، الفراغ الثقافي الذى نعيشه ، ليثبت في عقولنا وعواطفنا نظريات وأحاسيس بعيدة كل البعد عن حاضرنا وماضينا ، وعن عقائدنا وتقاليدنا .

وبعد الشباب عن الكتاب ، وعن منابع الفكر والثقافة ، ولم يبق أمامنا من منهل للثقافة والفكر إلا بعض المجلات التى لازالت تتمسك بعروبتها ، وتؤدى رسالتها نحو القارىء العربي ومنها مجلتكم « الدوحة » .

وارجو ان تتبنى « الدوحة » حملة ضد هذا الغزو الفكرى الدخيل علينا ، وأن تلفت الأنظار إلى خطورته ، وأن تشحذ الهمم العربية ليكون هناك الفيلم العربي الخالص والمسلسلة التليفزيونية العربية الخالصة ، والتى تحتوى سواء كانت فيلما أم مسلسلة ، مضمونا ثقافيا وحضاريا وفكريا ينبع من تراثنا ، وواقعنا ، ليسير بنا في اتجاه السمو والرفعة ، وليكن لنا نماذج من أبطال تاريخنا ، ومصابيح من علمائنا السابقين في كل العلوم وألوان المعرفة .

خليفة حاج علي
الخرطوم ـ السودان

رسالة .. وتعليق

وصلتنا الرسالة التالية من السيد الملازم أول محمد محسن الجيار :

إنني أحد مواطني المملكة العربية السعودية ، وحاصل على بكالوريوس الآداب والتربية من جامعة الرياض ، وأعمل الآن ضابط شرطة بالأمن العام ، وكان لدي مكتبة كبيرة في منزلي تضم كتباً ومجلات أدبية وعلمية عربية وأجنبية ومن المجلات التي كنت أعتز بها مجلة « الدوحة » ، فقد كنت مواظباً على شرائها منذ العدد الأول ، أي منذ دراستي الجامعية وكنت أحتفظ بجميع أعدادها من العدد الأول إلى العدد ٧٥ ، وكذلك مجلات عربية أخرى .

ولكن حدث مالم يكن في الحسبان ، حيث احترقت مكتبتي وأتت النار على كل مجموعات المجلات بها .

أمل أن تزودوني بالأعداد السابقة حتى لا أحرم من اقتنائها .

ولكم جزيل الشكر والتحية ...

ملازم أول/ محمد محسن الجيار
مدير التخطيط والتنظيم
بشرطة منطقة المدينة المنورة

« بقدر ما نشكر لك حرصك على إنشاء مكتبتك وضم «الدوحة» إليها ضمن المجموعات التي كنت تحتفظ بها ، بقدر ماأسفنا لما حدث .

سنحاول أن نرسل لك مانستطيع من اعداد الدوحة التي تتوفر لدينا ، فهناك أعداد قد نفدت تماماً .

« مجلة الدوحة »

مجلة الدوحة بالهند والسنغال

وصلتنا رسالة بتوقيع الدكتور السيد احتشام أحمد الندوي رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت بالهند وهو القسم المختص بمنح شهادات الماجستير والدكتوراه في دراسات وأبحاث اللغة العربية وادابها ، يطلب فيها تزويد قسمهم بمجلة « الدوحة » لخدماتها الجليلة في مجال الثقافة والأدب » .

كما وصلتنا رسالة من جمعية الشبيبة الاسلامية بالسنغال يطلبون فيها نسخاً من مجلة الدوحة « لأهمية الدور الذي تلعبه المجلات الاسلامية في عالمنا الاسلامي بصفة عامة والجمعيات الاسلامية بصفة خاصة».

والمجلة إذ تستجيب لهذين المطلبين لتعتز بهذه الثقة التي تدفعنا إلى بذل المزيد من الجهد في خدمة الثقافة والفكر العربي والاسلامي .

المجلات العربية في السوق السوداء

هناك خطر حقيقي يتهدد المجلات والصحف العربية حيث شاهدت بنفسي كيف تباع في السوق السوداء بأعلى من سعرها الحقيقي .

فهل لديكم من وسيلة تقضون بها على هذه الظاهرة الخطيرة .؟

أحمد ادريس السيد
كسلا ـ السودان

● مشكلة البيع في السوق السوداء بأعلى من السعر الحقيقي لأية سلعة ومنها الصحف والمجلات هي مشكلة تتصل بضمير البائع قبل كل شيء ، والمجلة سعرها موضح عليها ولك أن تطلب من البائع التقيد بالسعر الحقيقي لها .

ومن ناحيتنا سنقوم بالاتصال بوكلاء توزيع « الدوحة » لتحري الحقيقة ، ولتلافي ذلك .

نرجو أن تكون هذه حالة فردية ، فيصحو ضمير هذا البائع ويثوب إلى رشده .

وشكرا للقاريء الكريم على هذه اليقظة وهذا الحرص .

« الدوحة »

الفنان الذي عاد

لحظات قراءة ثرية جداً ، تلك التي أتيحت لنا مع قصة الدكتور يوسف إدريس ـ الختان ـ التي نشرتها « الدوحة » مؤخراً

ففي القصة ، كما أحسب أن كل قاريء قد استقرأ ، عودة مباركة لادريس إلى قصته الفنية الحقة .. وإلى عالمه الخاص الذي تعملقت في أرجائه بواكير قصصه ، منذ مجموعته « أرخص الليالي » .. أقصد عالم القرية والريف ، الذي كان وسيظل ينبوعاً خصباً .. متجدداً .. لرجالات الابداع الفني والأدبي .

هنا ـ في هذا العالم ـ تعارف القاريء المثقف ، والقاريء العادي ، مع يوسف إدريس .. القاص .. ذلك التعارف الحميم ، النابض بمشاعر الاقتراب المشترك ، من أهلنا وأحبتنا وأرضنا ، لنرى ـ بعدسة الفنان الصادق ـ بعضاً من زوايا وأمكنة وأحاسيس ذلك العالم المديد .

ومن هنا ـ من هذا العالم ـ استقبل النقد الأدبي ، ذات يوم ، يوسف إدريس ، استقبالا ترحيبياً خاصاً ، أثبتت الأيام فيما بعد ، أحقية القاص به ، وصدق النقد فيه .

بيد أن قاصنا الكبير ، كان في الأعوام الأخيرة ، على غير ما عرفناه ، وأحببناه عليه ، كان (يفجعنا) بين أن وان ، بالجديد القصصي (المرعوش) .. المرعوش بالتغريب حيناً .. وبالتفلسف حيناً .. وبالشكل التقريري الصحفي حيناً ثالثاً .

إنه قاص مقاتل ، هذا (اليوسف ادريس) .. مقاتل دائم .. مقاتل وهو يكتب القصة التي تحب ، ومقاتل وهو يكتب القصة التي تتغرب ، أو تتفلسف ، أو تستسلم لسرعة العصر .. ومقاتل وهو يكتب قصة رائعة ـ كالختان ـ فيها من حرارة المضمون ، وصفاء اللغة ، وحب الناس البسطاء ـ المقاومين ـ الشيء الكثير .. فله تحياتي .

حسن يوسف على
المحرر الثقافي بجريدة
أخبار الأسبوع ـ الأردن

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :
اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :
البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :–

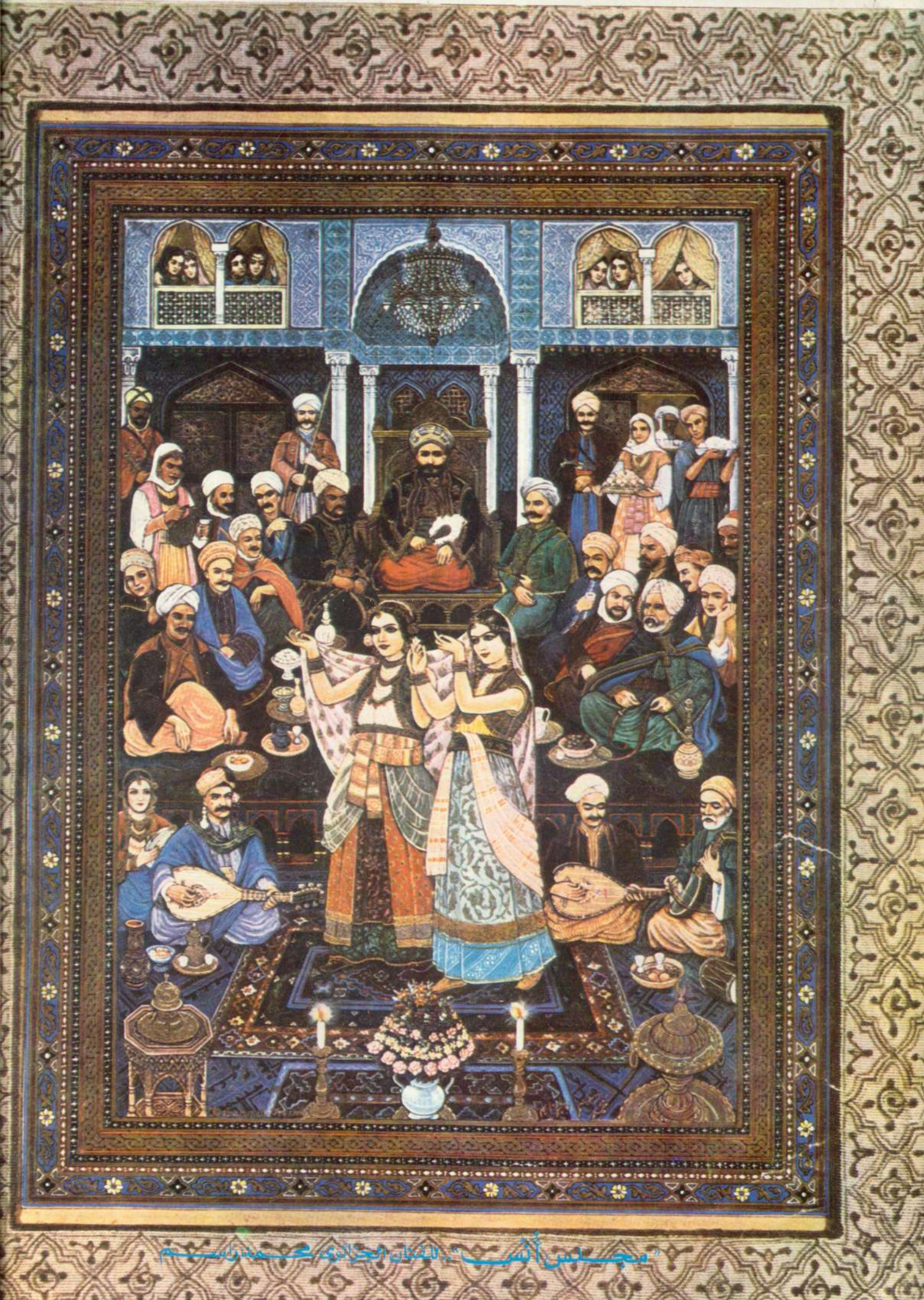
ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣



بيبسى

مشْـروب الجيـل الصَاعدْ



"مجلس أنس"، للفنان الجزائري محمد راسم